

تجليد مكتب
صالح الدقر

JAFET LIB.
- 8 - FEB 1993

June 1934

8/1 1934
EST 322-1

٧١
بجته التأليف والترجمة والنشر

الكورنيلفسكا

لأرسطوطاليس

يتلوه كتاب "في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غريغاس"

أرسطو

ترجمهما من الإغريقية إلى الفرنسية وصدرهما بمقدمة في تاريخ الفلسفة الإغريقية
وعلق عليهما تعليقات متتابعة

بارتلمى سانتيلير

أستاذ الفلسفة الإغريقية في "كلليج دي فرنس" ثم وزير الخارجية الفرنسية

ونقلهما إلى العربية

أحمد لطفي السيد

49543

مطبوعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٣٥ - ١٩٣٢ م

Cat. June 1934



فهرست

كتاب الكون والفساد

مقدمة المترجم

بارتلمي ساتمبيلير

صفحة

(أصول الفلسفة الإغريقية)

هذان الكتابان اللذان جمع بينهما في هذا السفرهما حملة على مدرسة إيليا التي هي من أقدم مدارس الفلسفة اليونانية — مهد الفلسفة هو في مستعمرات شواطئ آسيا الصغرى : طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان ... الخ ؛ وسابقتها الحقيقة بالإنجاب : هوميروس وسافو ... الخ — علم الفلك والرياضيات والتاريخ والطب ... الخ — الاتحادات الثلاثة : الأيونيون في الشمال ، واليونان في الوسط ، والدوريون في الجنوب — حملة الحوادث الكبرى التي تدخل في أمرها الفلاسفة من طاليس إلى ميليسوس من السنة ٦٢٠ إلى السنة ٤٣٠ قبل الميلاد — حرب يونيا مع ليديا ومع مملكة الفرس — الوسائل المادية التي كانت عند الأقدمين لكتابة المؤلفات — الكتب من طاليس إلى زمن أرسطوطاليس — شهادات هيرودوت وطوكوديدس وإكسينوفون وأفلاطون وأرسطو — الاستعمال العام لورق البردي المصري — صنع الورق على قول بلاين — رسائل شيشيرون — إيضاح هذه الحوادث — ورق البردي المحفوظ في دور الآثار عندنا (فرنسا) — محابر وأقلام الكتبة التي يرجع تاريخها على الأقل إلى نحو خمسة وعشرين قرناً — أولية الفلسفة اليونانية — كونها لا تدين بشيء للشرق — المقارنة بينها وبين الفلسفة الهندية — خلاصة القول على مدرسة إيليا — المعنى الحقيقي لنظرية الوحدة ... ١

الكون والفساد

الكتاب الأول

صفحة

الباب الأول — الموضوع العام لهذا الكتاب — تخيص المذاهب السابقة — آراء مختلفة — تخيص نظريات انكساغوراس ولوكيس وديمقرطس — نقض خاص لمذهب أمبيدقل — الاستشهاد ببعض أبياته — المعاني المختلفة التي يحمل عليها كون الأشياء تبعاً لما يسلم به من الوحدة أو التعدد للعناصر الأولية ١٠٧

الباب الثاني — عدم كفاية نظرية أفلاطون — عود على نظرية ديمقرطس ولوكيس — نظرية جديدة على كون الأشياء وفسادها — النمط المتبع — أهمية مسألة الذرات — رأى ديمقرطس ولوكيس — رأى أفلاطون في كتابه طيماوس — خطأ هؤلاء وهؤلاء — وجوب الأخذ بملاحظة الأحداث على الأخص — فضل ديمقرطس من هذه الجهة — أفكار في قابلية الأشياء للقسم — يمكن افتراض القسمة لا متناهية — صعوبات هذه النظرية — صعوبات ليست أقل خطراً من نظرية الذرات — نقض هذه النظرية — المعنى العام الذي يحمل عليه كون الأشياء ١١٥

الباب الثالث — في الكون المطلق وفي فساد الأشياء — صعوبة هذه المسئلة — الكون والفساد الإضافيان — النمط الذي يتخذ في هذا البحث — شواهد من كتاب الحركة — أبدية الكائنات وتعاقبها المستمر — تبادل الكون والفساد — تمييز لفظي مهم — استشهاد بـ بريمينيدي — الفرق بين الكون المطلق والكون الإضافي — فروق الفساد باعتبار هذين الوصفين — الرأى العام في هذا الموضوع — في أن شهادة الحواس تعطى أكثر مما تستحق — توضيحات مختلفة — طريقة فهم أبدية الظواهر ١٢٨

الباب الرابع — فصول الكون والاستحالة — تمييز الموضوع ومحمول الموضوع — حد الاستحالة — أمثلة مختلفة — حد الكون المطلق وأمثلة متنوعة — آخر المقارنة بين الكون والاستحالة ١٤١

الباب الخامس — نظرية النمو — الفروق بينه وبين الكون والاستحالة سواء في موضوع النمو أو في الكيفية التي يحصل بها النمو — نقلة الشيء النامي غير المحسوسة — صعوبة إدراك من أين يأتي النمو في الجسم — كل أجزاء الجسم تنمو دفعة واحدة — الشروط الأصلية للنمو هي ثلاثة — المقارنة بين النمو والاستحالة — نظرية جديدة للنمو — تمييز ما بالفعل من ما بالقوة — يلزم أن ما بالقوة يتحقق حتى يوجد النمو — علاقة العنصر الجديد الذي يحدث نمو الجسم بالجسم النامي ١٤٤

الباب السادس — الفعل المتكافئ للعناصر بعضها في بعض — في اختلاطها — رأى
ديوجين الأبلوني — لأجل إدراك أن العناصر تفعل أو تتفعل بعضها ببعض يلزم توضيح
ما يعنى بتماثلها — المعاني المختلفة لهذه الكلمة — الفرق بين الحركة والفعل — المحرك غير
المتحرك لا حاجة به ضرورة الى مس الشيء الذى يحركه — الشيء المحرك يمكن ألا يمس
شيئا هو أيضا في نوبته — آخر نظرية التماس ١٥٩

الباب السابع — نظرية الفعل والانفعال — آراء الفلاسفة — ديمقريطس هو الذى
أجاد فهم هذا الموضوع — سبب خطأ الفلاسفة — الشبه لا يمكن أن يقبل أى فعل
من الشبه — العلاقة الضرورية بين الفاعل والمتفعل — الشبه والفرق بينهما — توفيق
رأى بين متعارضين في تمييز لفظي — المشابهة بين الحركة وبين ظاهر في الفعل والانفعال —
المحرك الأول يمكن أن يكون غير متحرك — الفاعل الأول يمكن أن يكون كذلك لا منفعلا —
ختم نظرية الفعل والانفعال ١٦٦

الباب الثامن — نقض النظرية التى تفرض أن الفعل والانفعال يحدثان في الجواهر
المادية بالمسام — رأى الفلاسفة القدماء — استشهاد من أمبيدقل — لوكيس
وديمقريطس هما أقرب الى الحق — وحدة الوجود محال وكذلك ثباته — غرائب ضلالات
الفلاسفة القدماء — عرض نظرية لوكيس — عرض نظرية أمبيدقل — مواطن —
الاتفاق والاختلاف بينها وبين نظرية لوكيس — استشهاد من طيماوس أفلاطون —
مقارنة بين أفلاطون ولوكيس — اعتراضات على نظرية أفلاطون وعلى نظرية الوحدة
ونظرية الذرات — استحالة قبول وجود الذرات وفهم من أين جاءت الحركة — الرؤية
من خلال الأوساط تصير غير قابلة للإيضاح — خاتمة نقض النظرية التى تفسر بواسطة
المسام الفعل والانفعال في الأشياء ١٧٥

الباب التاسع — تفاصيل جديدة على نظرية كون الأشياء وعلى خواصها الفاعلة والقابلة —
الأفعال التى تحصل عند التماس وعلى بعد — توضيح ديمقريطس غير الكافى — تحوّل
أشكال الأجسام اذ تتغير بالحوال دون أن تتغير بالمكان — خاتمة نظرية الفعل والانفعال ١٨٨

الباب العاشر — نظرية الاختلاط — من الفلاسفة من أنكروا أن الأشياء أمكنها أن تختلط
فيها بينها — إبطال هذه النظرية — المعنى العام لشروط الاختلاط — الطبع المختلف
للأجسام المختلطة — الفرق بين الاجتماع وبين الاختلاط الحق — لكن يوجد اختلاط
بين الأشياء يلزم أن يوجد بينها تماثل بل شئ من التناسب — النقطة من البنية في كمية
من الماء — سهولة الاختلاط أو صعوبته تبعاً للتخالف في طبع الأشياء وصورتها —
خاتمة نظرية الاختلاط ١٩٢

الكون والفساد

المكتاب الأول

صفحة

الباب الأول — الموضوع العام لهذا الكتاب — تخيص المذاهب السابقة — آراء مختلفة — تخيص نظريات انكساغوراس ولوكيس وديمقريطس — نقض خاص لمذهب أمبيدقل — الاستشهاد ببعض أبيانه — المعاني المختلفة التي يحمل عليها كون الأشياء تبعاً لما يسلم به من الوحدة أو التعدد للعناصر الأولية ... ١٠٧

الباب الثاني — عدم كفاية نظرية أفلاطون — عود على نظرية ديمقريطس ولوكيس — نظرية جديدة على كون الأشياء وفسادها — النمط المنبع — أهمية مسألة الذرات — رأى ديمقريطس ولوكيس — رأى أفلاطون في كتابه طيماوس — خطأ هؤلاء وهؤلاء — وجوب الأخذ بملاحظة الأحداث على الأخص — فضل ديمقريطس من هذه الجهة — أفكار في قابلية الأشياء للقسمة — يمكن افتراض القسمة لا متناهية — صعوبات هذه النظرية — صعوبات ليست أقل خطراً من نظرية الذرات — نقض هذه النظرية — المعنى العام الذي يحمل عليه كون الأشياء ... ١١٥

الباب الثالث — في الكون المطلق وفي فساد الأشياء — صعوبة هذه المسئلة — الكون والفساد الإضافيان — النمط الذي يتخذ في هذا البحث — شواهد من كتاب الحركة — أبدية الكائنات وتعاقبها المستمر — تبادل الكون والفساد — تمييز لفظي مهم — استشهاد بـهرمينييد — الفرق بين الكون المطلق والكون الإضافي — فروق الفساد باعتبار هذين الوصفين — الرأى العام في هذا الموضوع — في أن شهادة الحواس تعطى أكثر مما تستحق — توضيحات مختلفة — طريقة فهم أبدية الظواهر ... ١٢٨

الباب الرابع — فصول الكون والاستحالة — تمييز الموضوع ومحول الموضوع — حد الاستحالة — أمثلة مختلفة — حد الكون المطلق وأمثلة متنوعة — آخر المقارنة بين الكون والاستحالة ... ١٤١

الباب الخامس — نظرية النمو — الفروق بينه وبين الكون والاستحالة سواء في موضوع النمو أو في الكيفية التي يحصل بها النمو — نقلة الشيء النامي غير المحسوسة — صعوبة إدراك من أين يأتي النمو في الجسم — كل أجزاء الجسم تنمو دفعة واحدة — الشروط الأصلية للنمو هي ثلاثة — المقارنة بين النمو والاستحالة — نظرية جديدة للنمو — تمييز ما بالفعل من ما بالقوة — يلزم أن ما بالقوة يتحقق حتى يوجد النمو — علاقة العنصر الجديد الذي يحدث نمو الجسم بالجسم النامي ... ١٤٤

صفحة

الباب السادس — الفعل المتكافئ للعناصر بعضها في بعض — في اختلاطها — رأى ديوجين الأبلوني — لأجل إدراك أن العناصر تفعل أو تتفعل بعضها ببعض يلزم توضيح ما يعنى بتماسها — المعانى المختلفة لهذه الكلمة — الفرق بين الحركة والفعل — المحرك غير المتحرك لا حاجة به ضرورة الى مس الشيء الذى يحركه — الشيء المحرك يمكن ألا يمس شيئاً هو أيضاً في نوبته — آخر نظرية التماس ١٥٩

الباب السابع — نظرية الفعل والانفعال — آراء الفلاسفة — ديمقريطس هو الذى أجاد فهم هذا الموضوع — سبب خطأ الفلاسفة — الشبه لا يمكن أن يقبل أى فعل من الشبه — العلاقة الضرورية بين الفاعل والمنفعل — الشبه والفرق بينهما — توفيق رأين متعارضين في تمييز لفظى — المشابهة بين الحركة وبين ظاهرى الفعل والانفعال — المحرك الأول يمكن أن يكون غير متحرك — الفاعل الأول يمكن أن يكون كذلك لا منفعلاً — ختام نظرية الفعل والانفعال ١٦٦

الباب الثامن — نقض النظرية التى تفرض أن الفعل والانفعال يحدثان في الجواهر المادية بالمسام — رأى الفلاسفة القدماء — استشهاد من أمبيدقل — لوكيس وديمقريطس هما أقرب الى الحق — وحدة الموجود محال وكذلك ثباته — غرائب ضلالات الفلاسفة القدماء — عرض نظرية لوكيس — عرض نظرية أمبيدقل — مواطن الاتفاق والاختلاف بينهما وبين نظرية لوكيس — استشهاد من طياوس أفلاطون — مقارنة بين أفلاطون ولوكيس — اعتراضات على نظرية أفلاطون وعلى نظرية الوحدة ونظرية الذرات — استحالة قبول وجود الذرات وفهم من أين جاءت الحركة — الرؤية من خلال الأوساط تصوير غير قابلة للإيضاح — خاتمة نقض النظرية التى تفسر بواسطة المسام الفعل والانفعال فى الأشياء ١٧٥

الباب التاسع — تفاصيل جديدة على نظرية كون الأشياء وعلى خواصها الفاعلة والقابلة — الأفعال التى تحصل عند التماس وعلى بعد — توضيح ديمقريطس غير الكافى — تحوّل أشكال الأجسام اذ تتغير بالحال دون أن تتغير بالمكان — خاتمة نظرية الفعل والانفعال ١٨٨

الباب العاشر — نظرية الاختلاط — من الفلاسفة من أنكر أن الأشياء أمكنها أن تختلط فيما بينها — إبطال هذه النظرية — المعنى العام لشروط الاختلاط — الطبع المختلف للأجسام المختلطة — الفرق بين الاجتماع وبين الاختلاط الحق — لكى يوجد اختلاط بين الأشياء يلزم أن يوجد بينها تجانس بل شئ من التناسب — النقطة من التبيذ في كمية من الماء — سهولة الاختلاط أو صعوبته تبعاً للتخالف في طبع الأشياء وصورتها — خاتمة نظرية الاختلاط ١٩٢

الكتاب الثاني

- الباب الأول** — نظرية عناصر الأجسام — عددها — شاهد من أميدقل — المادة ليست منفصلة عن الأجسام كما هو في طيأوس أفلاطون في يظهر — نقض هذه النظرية — إنها حقة بجزئها باطلة بالجزء الآخر — شاهد من المؤلفات المختلفة السابقة — نظرية جديدة على المبادئ العنصرية للأجسام — طبعها وعددها ٢٠١
- الباب الثاني** — حد الجسم كما تعرفه لنا حاسة اللمس — تعدد الأضداد الأصلية التي يعرضها الجسم المحسوس باللمس — فصول هذه الأضداد — الفعل المتباين للبارد والحر والجاف والسائل — علاقة جميع الفصول الأخرى بهذه الفصول الأربعة الأصلية ... ٢٠٦
- الباب الثالث** — تركيب العناصر بين بعضها البعض — ليس منها إلا أربعة لأن الأضداد خارجة عنها — نظريات سابقة على عدد العناصر — پرمينيد — أفلاطون — أميدقل — طبع العناصر المختلفة — الأمكنة المختلفة التي تشغلها في الأين ٢١١
- الباب الرابع** — نظرية تبدل العناصر بعضها ببعض — فصول العناصر فيها يمكن أن تكون أكثر أو أقل عددا — سهولة التبدل وصعوبته — أمثلة مختلفة بحسب تجاور العناصر أو البعد بينها في النظام الذي هي مرتبة به وبحسب تماثل كفيات العناصر أو تقابلها — خاتمة الجزء الأول لنظرية التبدل المتكافئ بين العناصر ٢١٥
- الباب الخامس** — بقية نظرية تبدل العناصر — من المحال ألا يوجد إلا عنصر واحد منه تأتي كل العناصر الأخرى — في هذا الافتراض قد تحصل استحالة العنصر الوحيد ولكن لا يحصل البتة كون حقيق للعناصر المختلفة — شاهد من طيأوس أفلاطون — عرض جديد للطريقة التي بها تتغير العناصر بعضها الى بعض — يحصل التبدل بسرعة متناسبة مع وجود كيف مشترك — نسبة العناصر الأطراف بعضها الى بعض ونسبة العناصر الأوساط — الحدود الضرورية لهذا التحول — لا يمكن التمشي الى اللانهاية في أى واحدة من الجهتين — البيان الحرفي لهذا المبدأ ٢٢٠
- الباب السادس** — إبطال نظرية أميدقل على مقارنة العناصر بينها سواء بالنسبة الى الكم أم بالنسبة الى الأثر والتناسب — في مذهب أميدقل نمو الأشياء يرجع الى مجزء جمع — إنه لا يفسر أيضا كون الأشياء ، بل أخضعه لسلطان المصادفة ، ولا علة الحركة الأصلية ولا طبع النفس الحقيق — شواهد مختلفة من شعر أميدقل ٢٢٧
- الباب السابع** — بقية مذهب أميدقل — متى أنكر أن العناصر يمكن أن تتغير بعضها الى بعض فلا يمكن توضيح تكون الجواهر العضوية المختلفة — شاهد من أميدقل — صعوبة توضيح تكون الجواهر المختلفة ليست أقل عظما متى سلم بأحادية المادة — تعيين نظرية جديدة فيها تكون الأضداد هي التي يفعلها المتكافئ تكون جميع جواهر الطبيعة ... ٢٣٤

الباب الثامن — التركيب العام للأجسام المختلطة — يوجد في كلها من الأرض ومن الماء اللذين هما عنصران ضروريان — وفيها أيضا من الهواء ومن النار وهما ضلّ العنصرين الأولين — ظاهرة التغذية التي يستشهد بها سندنا لهذه النظرية — كيف أن النار هي العنصر الوحيد ، من العناصر البسيطة ، الذي يغذى نفسه ... ٢٣٩

الباب التاسع — الهوى والصورة — المبادئ الأول للأشياء — ضرورة مبدأ ثالث وهو العلة المحركة — إبطال نظرية المثل على نحو ما عرضها أفلاطون في الفيدون — إن المثل لا يمكن أن تفسر كون الأشياء — إنها لا تكون — يرى أن طائفة من الأشياء تتكون تحت أعيننا بعلل أخرى — إبطال النظرية التي تفسر كون الأشياء بحركة المادة — المادة قابلة لا فاعلة — أمثلة مختلفة مستخرجة من طرائق الفن ... ٢٤٢

الباب العاشر — كون الأشياء وفسادها هما متصلان بالحركة ويتعلقان بالنقلة الدائرية للعالم — ضرورة حركتين — النقلة الدائرية المائلة تسد هذه الضرورة — انتظام الكون والفساد الطبيعيين — المدة الدورية للكائنات — فعل الله — القوانين الثابتة التي وضعها في أبدية الأشياء — النظام العجيب للعالم — تغير الأجسام إنما هو الذي يحفظ مدتها — المحرك الأول غير المتحرك هو المبدأ الوحيد للحركة العالمية — اتصال الحركة يتعلق باتصال المتحرك ... ٢٤٧

الباب الحادى عشر — نظرية تعاقب الأشياء الأبدى المنتظم — على أى مقدار يكون تدخل الوجوب — الأشياء الواجبة والأشياء الممكنة — الوجوب المطلق — الوجوب الإضافى — علاقة الواجب والأزلى — كون الأشياء لا يمكن أن يكون أبديا إلا اذا كان دائريا — ترتيب الأشياء العجيب — الحركة الدائرية للفلك الأعلى تنظم كل الحركات السفلى ، حركة الشمس ، وحركة الفصول وكل الحركات الأخرى — أبدية الأنواع — فناء الأشخاص المتعاقب — أزلية بعض الجواهر — خاتمة الكتاب ... ٢٥٤

تحقيق — على الكتاب الموسوم "فى ميليسوس وفى إكسينوفان وفى غرياس" ... ٢٦١

في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غريغياس

مذاهب ميليسوس

صفحة

- الباب الأول — الموجود هو أزلي غير متناه واحد ولا متحرك — أركان الوحدة وتأتجها — الاختلاط — ظاهري الأشياء هو ضد الوحدة — الحذر الذي ينبغي أخذه من شهادة الحواس — ردود على نظرية الوحدة وعلى اللاأدرية — الآراء المضادة لهذا المذهب — شواهد من هيزيود وبعض فلاسفة آخرين ... ٢٨١
- الباب الثاني — تمة تفنيد ميليسوس — ردود على مبدأ أنه ليس شيء يأتي من لا شيء — تولد الأشياء وكونها بعضها من بعض على التكافؤ — نظريات أمبيدقل وأنكساغوراس وديموقريطس وبرمينيد وزيون — شواهد من شعر أمبيدقل وهيزيود — الموجود ليس ضرورة واحدا أزليا ولا متناهيا ... ٢٨٨

مذاهب إكسينوفان

- الباب الثالث — نظرية إكسينوفان في حق الله — الأزلية — القدرة — أحدية الله — يجب أن يتصور كأنه فلك — الله منزّه عن الحركة والسكون ومنزه عن أن يكون متناهيا أولا متناهيا ... ٣٠١
- الباب الرابع — إبطال نظريات إكسينوفان — استشهاد من ميليسوس — كيف ينبغي أن يعنى بقدرة الله — الله ليس فليكا — إنه لا متناه — وحدانية الله ليست منافية لكونه متناهيا — في نفى الحركة عن الله — في الحركة التي يمكن تصورها في حق الله — استشهاد من زيون ... ٣٠٥

مذاهب غريغياس

- الباب الخامس — النظريات الثلاث الأصلية لغريغياس: على الوجود، وعلى امتناع العلم، وعلى نقل العلم — على النظرية الأولى يجمع غريغياس بين الآراء السابقة — ميليسوس وزيون — بسط مذهب غريغياس في امتناع الموجود والمعدوم على السواء ... ٣١٤
- الباب السادس — نقض نظرية غريغياس الأولى — شاهد من ميليسوس وزيون — الموجود واللاموجود لا يشتهان . والحركة هي ممكنة — شاهد من مقالات لوكيس — نقض نظرية غريغياس الثانية على امتناع العلم . ونقض النظرية الثالثة على امتناع نقل العلم بعد كسبه — إيدان بأن نظريات الفلاسفة القدماء ستدرس بعد دراسة خاصة ... ٣١٧
- قطع من ميليسوس ... ٣٢٥
- تحليل نظرية غريغياس لسكستوس أميريكوس ... ٣٣٢

مقدمة المترجم

بارتلى ساتهيلير

(أصول الفلسفة الإغريقية)

هذان الكتابان اللذان جمع بينهما في هذا السفر هما حملة على مدرسة إيليا التي هي من أقدم مدارس الفلسفة اليونانية — مهد الفلسفة هو في مستعمرات شواطئ آسيا الصغرى: طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان... الخ وسابقوهم الحقيقون بالإعجاب هوميروس وسافو... الخ — علم الفلك والرياضيات والتاريخ والطب... الخ — الاتحادات الثلاثة: الأيوليون في الشمال، واليوتان في الوسط، والدوريون في الجنوب — حملة الحوادث الكبرى التي تدخل في أمرها الفلاسفة من طاليس إلى ميليسوس من السنة ٦٢٠ إلى السنة ٤٣٠ قبل الميلاد — حرب يونيا مع ليديا ومع مملكة الفرس — الوسائل المادية التي كانت عند الأقدمين لكتابة المؤلفات — الكتب من طاليس إلى زمن أرسطو طاليس — شهادات هير ودوت وطوكوديدس وإكسينوفون وأفلاطون وأرسطو — الاستعمال العام لورق البردى المصري — صنع الورق على قول بلاين — رسائل شيشرون — إيضاح هذه الحوادث — ورق البردى المحفوظ في دور الآثار عندنا (فرنسا) — محابر وأقلام المكتبة التي يرجع تاريخها على الأقل إلى نحو خمسة وعشرين قرناً — أولية الفلسفة اليونانية — كونها لاتدين بشيء للشرق — المقارنة بينها وبين الفلسفة الهندية — خلاصة القول على مدرسة إيليا — المعنى الحقيقي لنظرية الوحدة.

جمعت عمدا بين هذين الكتابين في هذا السفر لأنهما، كما يظهر لي، يعبران كلاهما عن أفكار من قبيل واحد. ففي أولهما يعني أرسطو بإيضاح كيف تكون الأشياء وكيف تنتهي، خلافا لمذهب وحدة الوجود ولا تغيره. وفي ثانيهما المناقشة بعينها موجهة مباشرة إلى ممثلي مدرسة إيليا: إكسينوفان ومؤسسها، وميليسوس حافظ مبادئها حتى العهد الذي قام فيه سقراط يبدل بالتردد القديم فلسفة جديدة حاسمة. فالفكرة في الكتابين متماثلة، ولا فرق بين أحدهما وبين الآخر إلا في الشكل فقط. فهنا توضيح عام لمبدأ، وهناك نقض خاص للمبدأ المناقض. وسنعود بالاختصار

في آخر هذه المقدمة الى تقدير قيمة هذين الكتّابين اللذين يستأهلان أن يُعرفا أكثر مما هما الآن . ولكنى أرغب بدياً في أن أبين بقدر ما أستطيع من البيان ماذا كانت الحركة الفلسفية التي شاطر فيها إكسينوفان وميليسوس ، سواء في إحداثها أو في آتباعها .

إكسينوفان وميليسوس كلاهما من الأسماء البعيدة القدم . ومن الصعب لأوّل نظرة الاقتناع بأن درسهما يبعث اهتماماً جدياً هذه الأيام . هذان الفيلسوفان كانا يعيشان في القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد . وعلى هذا المدى فليس إلا التنقيب وحده ، فيما يظهر ، هو الذى ما زال يوليها العطف الذى انقضى زمانه ، ويستقصى مذهبهما المنسية منذ زمان بعيد . لست أقصد في الحق الى انتقاد التنقيب ، ولكنى أدرك ما يثير ثأره من التحامل البادر عند ما يتوغل في درس تلك الأزمان البعيدة إذ تنعدم المراجع الوثيقة فلا يبقى لنا من أعيانها إلا آثار لا صور لها . على أنى في هذا الموطن أكثر مما في سواء أسأل أن يصغى الى التنقيب لحظة . فان الموضوع الذى يحاوله فيما يتعلق بإكسينوفان هو موضوع من أهم موضوعات تاريخ العقل البشرى وأكثرها حيوية .

إنه ليس أقل من أن يكون ميلاد الفلسفة في هذا العالم الذى نحن منه .

أما من جهة الفلسفة الشرقية فاننا لا نعرف ، بل ربما لن نعرف أبداً من أمرها شيئاً معيناً بالضبط فيما يختص بعصورها الرئيسية وانقلاباتها . فان أزمنتها ومكنتها وأهلها تكاد تعزب عنا على سواء . إنها مستعصمة دون إدراكنا ، مدعاة للشكوك لما يغشاها من كثيف الظلمات . حتى لو عرفنا منها هذه التفاصيل مع الضبط الكافى لما أفادنا ذلك إلا من جهة إرضاء رغبتنا فى الاطلاع دون أن يتصل بنا أمرها كثيراً . إن الفلسفة الشرقية لم تؤثر فى فلسفتنا . ومع التسليم بأنها تقدّمتها فى الهند وفى الصين وفى فارس وفى مصر فاننا لم نستعزّ منها كثيراً ولا قليلاً . فليس علينا أن نصعد اليها لنعرف من نحن ومن أين جئنا . والأمر على الضد من ذلك مع الفلسفة الإغريقية ،

إننا بها نتصل بالماضى الذى منه خرجنا . وعلى الرغم من عمالية الكبرياء التى هى فى الغالب جانبية الكفران يجب علينا ألا ننسى أبدا أننا أبناء إغريقيا . إنها أمنا فى جميع أمور العقل تقريبا . فلئن ساءلنا أوائلها فإنما نسائل أصولنا . فمن طاليس ومن فيثاغورث ومن إكسينوفان ومن أنكسأغورأس ومن سقراط ومن أفلاطون ومن أرسطوطاليس إلينا لا يوجد إلا فرق الدرجة . نحن جميعا فى طريق واحد مستمر من قرون عديدة، ومتصل بلا انقطاع لا يتغير اتجاهه، بل يصير على مرور الزمان أكثر طولا وأبهى جمالا . والظاهر أننا لا نخجل من الانتساب الى أمثال هؤلاء الآباء . وكل ما علينا هو أن نبقي حقيقين بنوتهم بأن ندرج على سنتهم .

قد أمكن القول، لامن غير حق، بأن الفلسفة ولدت مع سقراط^(١) . والواقع أن لهذا الرجل العجيب من المقام ما يسمح بأن يسند إليه هذا الشرف العالى، بأن يقرن اسمه بهذه الحادثة الكبرى . ولكن سقراط بتواضعه المعروف ما كان ليقبل هذا المجد، فانه كان يعلم أكثر من كل إنسان أن الفلسفة قد كانت تنشأ من قبله بنحوقرين إلى أن جاء فأفاض عليها قوة وجمالا لم يفارقها بعده . لم يكن مولد الفلسفة فى آتينيا بل فى آسيا الصغرى ، لأنه يجب تأخير هذه الحادثة مائتى عام الى الورا تقريبا، إلا أن تمحى من التاريخ تلك الأسماء العظام الأولى التى ذكرتها . إن التقدم الذى افتتح سقراط بابه لم يكن إلا استمرارا لا ابتكارا وإبداعا .

كل الأصول غامضة بالضرورة . يجهل المرء نفسه دائما فى أول الأمر . وإن تعزف سنة هذه القرون الأولى مقرون بالشك الذى يلحق أيضا الحوادث ذاتها التى مرت كأنها غير محسوسة . ومع ذلك اذا لم يلتزم هنا الضبط غير الممكن فان أوائل الفلسفة اليونانية يجب أن تظهر لنا أجلى من أن يدعو للشك فى أمرها سبب محسوس .

(١) راجع مقدمة تاريخ الفلسفة لفكتور كوزات الدرس الثانى من دروس سنة ١٨٢٨ والتاريخ

كان طاليس من ملطية، وقد حقق التاريخ وجوده في جيش أحد ملوك ليديا نحو آخر القرن السادس قبل المسيح. وبعده بقليل جاء فيثاغورث الذي بعد أن عاد الى وطنه سموس إثر سياحات طويلة فزمنه انتقاء لظلم بوليقراطس الذي كان يضطهده، وذهب يحمل مذهبهم على الشواطئ الشرقية لإغريقيا الكبرى إلى سيبارس وقروطون. أما إكسينوفان فإنه لأسباب أشبه بالمتقدمة نزع عن كولوفون. ولما اجتمع ببعض المهاجرين من فوكاية، الذين هم بين أنياب الأخطار قد وجدوا آخر الأمر موئلا على شواطئ البحر الترهيني في إيليا (هيلا أو ثيليا)، أسس في هذه المدينة الحديثة العهد وقتئذ مدرسة شهرت ذكراها.

أصرف القول الآن الى هؤلاء الثلاثة العظماء الذين كانوا جميعا رؤساء مدارس خالدا، وإن كنا لا نعرف منها إلا الشيء القليل : مدرسة يونيا، ومدرسة فيثاغورث، ومدرسة إيليا. وعما قريب أستطيع أن أضم الى هذه الأسماء طائفة من أسماء آخر، لا يستطيع تاريخ الفلسفة أن يغفلها كما لا يستطيع إغفال الأولى.

ولكني، لا لشيء غير الفكرة في أمر طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان، أشعر بأمر يسترعى نظري، إنهم ثلاثتهم من هذا الجزء من العالم الهليني الذي يسمى آسيا الصغرى وإنهم تقريبا متعاصرون. إن ملطية التي هي في القارة، وسموس في الجزيرة التي بهذا الاسم، وكولوفون في شمال إيفيروز بقليل، تكاد لا تتجاوز الأبعاد بينها خمسة وعشرين فرسخا.

على هذه المسافة الضيقة وفي وقت واحد تقريبا تجد الفلسفة مهدها المحيد. ليكلا نخرج من هذه الحدود في المكان والزمان والموضوع نضيف الى هذه الثلاثة الأسماء : طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان، أسماء أنكسيمندروس وأنكسيمينس اللذين هما أيضا من ملطية، وهيرقليطس الذي هو من إيفيروز، وأنكساغوراس من كلازومين غربي أزمير قليلا في خليج هيرموز. وأذكر اسم لوكيئس وديموقريطس اللذين ربما كانا من ملطية أيضا أو من أبدير مستعمرة طيوس، واسم ميليسوس

الذى هو من سموس كفيثاغورث . وفوق ذلك أضيف الى هذه الأسماء أسماء بعض الحكماء الذين هم أقل استنارة من الفلاسفة ولكنهم ليسوا أقل منهم احتراماً . فمنهم بطاقس من ميثيلين فى جزيرة لسبوس وهو رفيق سلاح للشاعر ألقايوس فى محاربة الطغيان ، وقد نادى به مواطنوه ديكتاتورا عليهم فلبث فيهم عشرة أعوام يعمل صالحاً ثم نزل عن الدكتاتورية . ومنهم "بياس" من "پرينة" الذى اوتبع الاتحاد اليونانى ما قدمه له من النصيح لنجا كما ذكر هيرودوت . ومنهم إيروبس الذى أقام طويلاً فى سموس ثم فى سرديس عند كرىزوس ، ذلك المولى الفريجي الذى لا ينبغي للفلسفة أن تنسى ذكره فى عداد ذويها ، والذى لم يستنكف سقراط من أن ينظم حكاياته شعراً ^(١) .

وأذكر كذلك أسباسيا من ملطية التى حدث عنها أفلاطون فى كتابه المينكسين ، والتى كانت نتحدث الى سقراط ، والتى كانت تعطى لپيركليس دروساً فى البلاغة كانت تؤلف منها أحيانا الخطب السياسية ، والتى خصص لها رفائيل محلاً فى مدرسته الآتينية .

من ذلك يرى أن تيديمان الأريب كان محققاً حين كنى آسيا الصغرى بـ "أم الفلسفة ووطن الحكمة" ^(٢) . هذه الأحداث القليلة التى جئت على ذكرها والتى يمكن أن يضاف إليها كثير من أمثالها كافية فى إثبات هذه الحقيقة . منذ الآن متى عرض حديث منشأ الفلسفة فى عالمنا الغربى — بالمقابلة للعالم الآسيوى — عرفنا لمن هو ذلك المجد ، وإلى من يجب أن يسند عدلاً .

يكفى قليل من النظر للعالم بأن من الممتنع أن تنمو الفلسفة بذاتها وحدها . من البديهي أن جميع عناصر العقل يجب أن تبلغ نماءها قبل التأمل . لأن التأمل المرتب على نمط معين لا يظهر إلا متأخراً وبعد سائر الملكات الأخرى .

(١) فيدون لأفلاطون ترجمة فكتور كوزان ص ١٩١ و ١٩٣ .

(٢) تيديمان (روح الفلسفة النظرية) سنة ١٧٨١ ج ١ ص ١٣٩ النسخة الألمانية .

وليس بي حاجة إلى التبسط في بيان هذه الحقيقة المشاهدة في الأمم وفي الأفراد على السواء . وأقتصر على أن أقرر أن مجرى الأمور في آسيا الصغرى لم يكن مختلفا عنه في غيرها . فان الفلسفة على هذه الأرض المخصبة لم تكن نبثا منفردا ولا ثمرة غير منتظرة . وقليل من الكلمات يكفي في التذكير بأنها كانت هي المنطقة المهمة لهذا الإنتاج الشريف . وما على إلا أن أسرد أجهل الأسماء وأحقها باعتراف الناس .

في رأس هذه الطائفة اسم هوميروس الذي ولد وعاش يقينا على شطوط آسيا الصغرى وفي جزرها قبل الميلاد بنحو ألف عام . وماذا عسى أن أقول في قصائده وكيف أوفي عبقريته مدحا وثناء . كل ما أقرر أن هوميروس لا يقصر أمره على أنه أكبر الشعراء بل هو أعظمهم فلسفة . وإن بلدا ينتج باكرا أمثال تلك البدائع لحقيق بأن ينتج بعد ذلك عجائب العلم والتاريخ .

بعد هوميروس أقص نبأ قَلِينُوس الإيفيزوسى الذى هو حربى مثل طورطائس والذى شهد وقت إغارة القِمِيرِيِّين وشدا بها في شعره . ثم أَلَكَّان السردى الذى حق له أن يعلم لقدمونيا وطن لوكورغس ويهرها على ما بها من جفاء . وأرخيلوخس الباروصى وألقايوس اللسبوسى ذى الربابة الذهبية كما قال هوراس . وسافو الميتيلينية أو الإيريزية التى لا يكاد يستحق أحد الثناء أكثر منها إلا هوميروس^(١) . ثم مِيمَنَرُوس الأزميرى شاعر انتصارات يونيا على الليديين . ثم فوكليديس الملطى الذى حمل الشعر قواعد الأخلاق . ثم أنا كرىون الطوسى . وقريب من الشعراء تريندرس اللسبوسى مبدع الموسيقى وواضع طرائقها الثلاث الأصلية : الليدية والفريجية والدورية . ويمكن أن نضيف الى هؤلاء أريون الشاعر الذى هو من لسبوس مثل تريندرس .

(١) ر . كتاب فيلهين على عبقرية بِنْدَار ص ١٠١ وما يليها . ر . أيضا تاريخ الآداب الإغريقية

الذى ألفه أوتفريد موللر . ترجمة إيليراند ج ١ ص ٢١٨ وما يليها .

ذلك في الشعر . وكـم الى جانب الشعر من الكـنوز التي لا تقـل عنه في نفـاستها وان قلـت عنه في البهاء : علم الفلك والجغرافيا أبـدعهما أنكسيمندروس وسكولاكس من كارثوندا على خليج يسوس . والرياضيات التي أبـدعها فيثاغورث وتلاميذه أسلاف أرسـتارخس السـموسى معلم أرخميدس وهيبـارخس الرودسى . والتاريخ أبـدعه إكسـنطس السردى وهيكاتيوس المـلطي وهـيـلانـيكوس المـيتيلنى ، وعلى الأخص هيرودوت الهالـيكارناسى الذى لقب منذ زمان طويل أبا التاريخ . وبودى لو أعطيه لقبا آخر لو فقت الى لقب أجمل من هذا وأدخل منه فى الحق . والطب انتقل من جزيرة سموس الى كورينا وقروطون ورودس وكـنـيدس قبل أن يقر قـرارـه فى قـوص بـفضل بـقراط الذى لا يقـل عـظما فى فـنه عن هـومـيـروس فى شـعره . وفن عـمارة المـدن أبـدعه هـيـوداموس المـلطي الذى كان مع ذلك كاتبا سياسيا حلل مؤلفاته أرسطو فى كتابه " السياسة " (ك ٢ ب ٥) . وفن الحفر والصب أبـدعهما تيودور السـموسى ابن روكوس . وفن التـعـدين أبـدعه اللـيدىون ... الخ .

أقف هنا لـكيلا نـجـاوز بـهذا التـعـديد الخاف أبـعد مما يـنبغى . ولكنـه يـجب التـنـبيه الى أن هـذا الخـصـب البـالـغ حد الإعـجاز لم يـنتـه بانقضاء تلك الأزمان التي ذكرناها . فان تيوفراسط هو من ايريزا ، وأبيقور ربى فى سموس وكولوفون ، وزنون نـحـر الرواق ولد فى كتيون من قبرص ، وايفورس من كومة ، وتيوپومبس من شيوز ، وبرهاسيوس وأپيلس من إيفيزوس وكولوفون ، وإسترابون من أماسية على الجسر (البحر الأسود) مستعمرة إحدى المـدن اليونانية من الشاطئ الغربى لآسيا الصغرى ... الخ .

تلقاء هـذا المجد السامى الذى لم يـمـحـه ما ظـهر بـعدـه لا يـسـعـنى إلّا أن أقف مأخوذاً أتساءل : هل عرف الناس أن يوفوا هذه العبقرية وهذا الكمال وذلك الإبداع حقوقها من الإعـظام ؟ لا أظن ذلك . وتلك فى رأينا داعية الى تعديل تاريخ هذه

المستعمرات الإغريقية من آسيا الصغرى في بعض أجزائه على الأقل . تلك المستعمرات التي ندين لها بكل شيء . ولكنني إذا قربت هذا العمل وحاولت هنا عجالة فذلك لا لأرفع ظلما مررت عليه القرون اضيق دائرة موضوعي ، بل ليحسن فهم الناس لتلك الحركة الخارقة للعادة والتي هي فذة في تطور العقل الانساني ، ولأبين حق واضعي الفلسفة وآباء العلم .

لذلك أعرض ، دون مجاوزة الحدود المشروعة ، ماذا كانت هذه المستعمرات التي نرحت من إغريقيا على شواطئ آسيا الغربية قبل المسيح بأحد عشر أو اثني عشر قرنا ، وماذا كانت الحوادث السياسية الرئيسة التي اعتورت تلك الأصقاع مدة قرنين آثنين من عهد إكسينوفان الى ميليسوس ، ومن طاليس الى حرب بيلوبونيز . وسنرى أن فلاسفتنا أخذوا بقسط وافر من هذه الحوادث بل صرّفوها في بعض الأحيان مع أنهم في الغالب كانوا لخرها صالين .

وإني راجع في كل ما أقدم من القول الى هيرودوت وطوكوديدس وإكسينوفون وما حفر على رخام پاروص أو رخام آرونديل^(١) .

كانت المستعمرات الإغريقية على شواطئ آسيا الصغرى مقسمة الى ثلاثة أجناس متميزة تؤلف اتحادات منفصلة : الأيوليون في الشمال ، واليونان في الوسط ، والدوريون في الجنوب . يقطن هؤلاء وهؤلاء أوطانا متقاربة المساحة . فأما الأيوليون الذين هم أول من هاجر من الوطن الأصلي المشترك فانهم حطوا رحالهم واستوطنوا آسيا بعد فتح طروادة بقرن تقريبا إذ طردوا من بيلوبونيز عند إغارة الهيرقليديين . وأما اليونان فقد جاءوا بعدهم بأربعين سنة تقريبا . وأما الدوريون فكانوا آخر المهاجرين .

(١) من بين المؤرخين الحديثين أستند على الخصوص في تاريخ إغريقيا الى ج جروت الذي هو أتم وأحسن ما أعرف .

كان الأيوليون الذين هم أقل الشعوب الثلاثة شهرة وأضعفها امتيازاً يقطنون اثنتي عشرة مدينة^(١) وهي كومة فريكيون، ولاريسا فريكيون، ونيونتيكوس، وطمنوس، وكيلا، ونوسيون، وإيغروسا، وبيطاني، وأيغاي، ومورينا، وغروناي، وأزمير . ولكن هذه المدينة الأخيرة قد نزلت من أيديهم وأضيفت إلى الاتحاد اليوناني بفضل الذين نقوا من كولوفون والتجئوا إلى أزمير واستولوا عليها في غفلة من أهلها . وقد ضاع من أيدي الأيولين أيضا بعض المدن الأخرى التي أسسوها على جبال إيذا . وكان لهم خارج القارة خمس مدائن بجزيرة لسبوس ، وواحدة بجزيرة طندوس ، وأخرى في مجموع الجزر الصغيرة التي كان يطلق عليها اسم مائة الجزيرة منذ زمان هيرودوت . ولم يكن للمدائن الأيولية من الاسم إلا الخمول . وكانت أرض أيوليس أحسن من أرض يونيا ولكن جوقها كان أقسى من جوق الأخرى خصوصا في سرعة التقلب .

وأما اليونان فكان لهم اثنتا عشرة مدينة كلها على التقريب مشهورة . وهي : ملطية وميوس وپرينسة في قاريا ، وإيفيزوس وكولوفون وليبيدوس وطبوس وكلازومين وفوكاية في ليديا وإيروطراي على اللسان الذي يكونه جبل ميماس . وكان لهم جزيرتان : سموس في الجنوب ، وشيوز في الشمال . ومن الغريب أن اليونان كان لهم أربع لهجات متباينة جد التباين : لهجة سموس وكانت لا تشابه واحدة من الثلاث الأخرى ، وملطية وميوس وپرينسة كان لها ثلاثها لهجة واحدة . وللدن الست الأخرى لهجتها ، وكان أهل شيوز وإيروطراي يتكلمون بلسان واحد .

أما الدور يون الذين جاءوا بعد الآخرين فكان قرارهم في الجزء الجنوبي ، وليس لهم إلا ست مدن نزل عددهم إلى خمس بعد قليل ، وهي : لندوس ، وياليسوس ، وكاميروس في جزيرة رودس ، وقوص ، وكنيدس ، وهاليكارناس . على أن هذه المدينة

(١) أتبع في ذكر هذه المدن الترتيب الذي وضعه هيرودوت . ولكن أخذنا من الجنوب إلى الشمال يجب أن ترتب هكذا : طمنوس ، نيونتيكوس ، لاريسا ، كومة ، أيغاي ، مورينا ، غروناي ، بيطاني ، كيلا ، ولا يعرف مكان الأخيرتين .

الأخيرة قد عزلت عن الاتحاد الدورى عقابا لها على أن أحد أهلها كان اتهم بانتهاك بعض الحرمات المقدسة .

كل واحد من هذه الاتحادات الصغيرة كان له معبد جامع مشترك يجتمعون فيه : فللدوريين معبد طريويون، ولليونان معبد نبتون هليكونى على رأس موكالى فى مواجهة سموس تقريبا، وفى هذا المعبد كان يجتمع مجلس الاتحاد اليونانى المسمى پانيونيون والذى كان يرأسه دائما شاب من شبان پرينة . ولا يعرف بالضبط معبد الأيوليين . كانت هذه المعابد لإقامة الأعياد الدينية عادة، غير أنهم فى الظروف الخطيرة كانوا يتداولون فيها فى أمر أخطار الحلف وفيما يمس منافعهم الكبرى .

لم تك هذه المستعمرات لتشغل جغرافيا إلا مساحة ضيقة . فلو أن شهرة المدائن والممالك كانت تقاس بمقدار امتدادها لظلت هذه المستعمرات مجهولة فى التاريخ، فإن مساحة المستعمرات الأيولية واليونانية والدورية لا يكاد يتجاوز مجموعها ٧٠ فرسخا فى الطول على ١٥ أو ٢٠ فرسخا فى العرض، أى أقل من ثلاث درجات فى خطوط الطول وأقل من درجة فى خطوط العرض . ومساحة لسبوس خمسة عشر طولا على خمسة عرضا . وسموس لا يبلغ محيطها ٣٠ فرسخا . وشيوز أكبر منها قليلا .

ومن الطبيعى أن أهتم بأمر اليونان أكثر من الآخرين ، فإنهم كانوا أكثر نشاطا وحثقا فى الملاحة والتجارة والسياسة والفنون والعلوم والآداب . ومن الأهم كثيرة العدد من كان أثرهم أقل ألف مرة من أثر اليونان .

لما ترك اليونان أشاية الواقعة شمال پيلوبونيز على خليج كريسا كان لهم فيها اثنا عشرة مقاطعة أو مدينة . واستصحبها لتذكار وطنهم الأول لم يشاءوا ان يؤسسوا فى آسيا من المستعمرات عددا أكثر مما كان لهم فى إغريقيا . ولما طردهم الدورىون الذين أغاروا على پيلوبونيز من الشمال اجتازوا برزخ كورنتة واحتموا الى أجل ما على الأقل فى أطيقا، وهى الملجأ العادى لجميع المنفيين كما نبه إليه طوكوديدس

في مقدمة تاريخه . وعمّا قليل ضاقت أطيقا القليلة الخصب ذرعا بأهلها وأضطر نازحو أشاية الى البحث عن ملجأ آخر . وصادف وقتئذ أن قدروس مات ميتة الأبطال دفاعا عن وطنه ، ولما ألغى نظام الملوكية لم يتيسر لأبنائه أن يقيموا في بلد انقطع فيه رجائهم من ميراث أبيهم ، فرأسوا المهاجرين في هجرتهم . فأما نيلاؤس فوّلّى وجهه شطر ملطية ، وأما اندركلوس فاتجه الى إيفيزوس . ولو صدّقنا رخام پاروص لقلنا إن نيلاؤس هو الذي أسس المدائن الاثنتي عشرة اليونانية وأسس رابطة اتحاد تحت ظل الدين هي الپانيونيون الذي لم يكن بعد من القوة على ما كان يرجو مؤسسه .

يظهر أن المهاجرين الذين اقتفوا آثار ابني قدروس كانوا خليطا ولم يكونوا من صميم اليونان كما يمكن أن يظن . فإن الذين أتوا من أشاية الى أطيقا اختلطوا فيها بأجناس مختلفة مختلطة جدّ الاختلاط ليس بينهم وبين اليونان جامعة مشتركة بل لا يشابه بعضهم بعضا ، انما كانوا أبانطة من أوبويا ، ومنجينيون من أرخومنس ، وقدميين ودريوبين وفوكيين ومولّوس وأرقديين وپلاسيجة ودوريين من أبيدورس وطائفة من أجناس أخرى . وكان كل هؤلاء الرّحل يعامل بعضهم بعضا على حدّ المساواة ، ومع ذلك كان اليونان الذين هم من نسل شيوخ آتينا يعتبرون أشرف هذا الخليط وإن كان ذلك لم يستتبع أية مزية عملية . وإن تلقيهم بلقب "اليونان" كان في ذلك الحين وفيما بعده أيضا قليل الرفعة ، فكان الآتيون ينجلون منه ، وكان الملطيون في أوج قوتهم يحبون أن ينفصلوا من بقية هذا الاتحاد الذي كان دائما قليل الاحترام . وأما اليونان فكانوا من جهتهم أيضا يفخرون بأصلهم وقيمون مثابرين الأبتوريا الآتينية ، تلك الأعياد الخاصة بالعائلة ورابطة الأخوة الشعبية التي كانت موجودة في آتينا ، ماعدا أهل كولوفون وإيفيزوس فإنهم حرّموها على أثر قتل حرام ارتكبهوه .

لم تكن المهاجرة هينة ولو أنه كان يرأسها أبناء ملك . فلم يحمل المهاجرون الى ملطية معهم نساءهم واتخذوا زوجات بالإكراه ، بل عمدوا الى القاريين فذبّجوا منهم

الآباء والبعول والأولاد ، واستحيوا النساء واتخذوهن زوجات لهم ؛ ولكنهم انتقموا لأنفسهم فأقسموا الأيمان على ألا يطعموا مع غاصبيهن طعاما ولا يدعونهن أزواجا حتى لا يذقنهم حلاوة هذا الداء ؛ واستنت بناتهن هذه السنة مع أزواجهن عدة أجيال .

والواقع أن البلد الذى احتله المهاجرون كان محتلا قبلهم زمانا طويلا . فقد كان فيه ، غير أهليه ، خليط من البلاسجة والتوكريين والموصيين والبيثونيين فى الشمال ، ومن الفريحيين والليديين والمايونيين فى الوسط ، ومن القاريين والليليج... الخ فى الجنوب . وكان هؤلاء قبائل منقسمين على أنفسهم أكثر مما هو الشأن فى الإغريق ، ولو أنهم كانوا يقتربون القاريين بالاشتراك ؛ مثال ذلك قرايبنهم الى "مولاسا" فى معبد "المشتري" القارى . فى أوائل الأمر لم تكن الممالك التى كملكة ليديا قد اتخذت نظمها بعد . ولو أن الليديين لما زحزحوا بعد ذلك الى الوسط نشروا سيادتهم بادئ الأمر على تلك الجهات الى الشواطئ ، وبعثوا منهم طوائف المستعمرين الى إغريقيا الكبرى وإلى أمبريا وعلى شواطئ البحر الترهينى . وأما الموصيون الذين كانوا الى شمال ليديا وغربها فكانوا أنزع هذه الأمم الى الحرب . والفريحيون الذين هم أكثر توغلا فى الجهة الشمالية من هؤلاء كانوا يثرون من تربية القطعان ، يبيعون من أصوافها وأجبانها ولحومها المملحة بأثمان غالية جدا فى أسواق ملطية . وكان الليديون مشغولين على الأخص بصناعة المعادن ، لأن نصف أرضهم بركانية تخرج الذهب والفضة والحديد والنحاس ... الخ . وكانت أخلاق الفريحيين والليديين أخلاق تهيب وحياء ، ومن بلادهم يأتى أكثر العبيد .

ومع أن اليونان جاءوا الى آسيا بالبحر فلم تكن تظهر عليهم المهارة فى فن الملاحة . وعلى قول طوكوديدس لم يكن تفوق البحرية اليونانية حقيقة إلا تحت حكم قيروش وابنه قمبيز ؛ ومع ذلك فقد كان شأنهم أن أقبلوا بجدة على أن يتلقوا دروسا عن الكورنتيين الذين كانوا وقتئذ أعلم الناس بإنشاء العمارات البحرية وانتفعوا بتلك

الدروس . على أنهم قد ألجأتهم الحاجة منذ بداية أزمانهم الى الترام الشواطئ في ملاحظتهم . كانت هذه المدائن التي تستجلب كل شيء من داخلية البلاد لا تستطيع أن تحصل على الثراء إلا بتجارة كبرى في الصادرات والواردات . فكانت كينوك ومراكز معاوضات بين الأهالي والبلاد التي كان يأتي منها الأجانب . فلم يمض على هذه المدائن زمان حتى ظهرت ثروتها على صورة رائعة . ولما ازدحمت بالسكان وفاضت بالثراء استطاعت أن تنشئ أساطيل قوية ، وعمرت كل شواطئ البحر الأبيض المتوسط شمال إفريقيا حيث كان لصور وسيدون من قبل منشآت في إفريقيا الكبرى وصقلية وفي بلاد الغالة وفي أسبانيا أمام عمدة هيرقليس وفيما وراءها ، وعلى الأخص في القسم الشمالى لبحر أيغاي وفي هيلسبنتس^١ ، والبروبونتيد ، بل في البحر الأسود الذي كان يسمى وقتئذ " البحر " ، حتى لقد قيل إن ملطية وحدها كان لها خمس وسبعون أو ثمانون مستعمرة .

هذا النماء الأول للمستعمرات الإفريقية بآسيا الصغرى ، وعلى الخصوص المستعمرات اليونانية ، غير معروف إلا قليلا مع أنه استمر على الأقل ثلاثة قرون أو أربعة ، فإن التاريخ لم يبتدئ حقا إلا حين دخلت المدائن الهلينية الحرب مع المملكة الليدية أى حوالى القرن الثامن قبل الميلاد ، أعنى من عهد حكم المرمادة .

روى هيرودوت على طوله تاريخ جوجيس الذى ارتقى عرش لىديا بقتله قندولس ملكها . وهذه الحكاية ليس عليها إلا مسحة الصدق وإن كانت ليست مطابقة لرواية أفلاطون التي هى بالبداهة أسطورة . فإن غضب الملكة زوجة قندولس وغدر جوجيس عشيقها ليس فيه شيء من المستحيالات . وأما حكاية الخاتم فليست إلا أسطورة عامية وجدت بعد ذلك بكثير على صورة أخرى في " ألف ليلة وليلة " . ولقد حدث أرخيلوخس وهو معاصر لقندولس وجوجيس عن ذلك العسكرى الذى صار ملكا وعن إقدامه وظفره في إحدى القطع الشعرية

(١)

التي كان لا يزال يقرؤها هيرودوت. وقد انتهت بموت قندولس العائلة الليدية الأولى التي تدعى أنها سلالة هيرقليس، والتي دام ملكها خمسمائة وخمسة أعوام مدة اثنين وعشرين جيلا من عهد نصف الإله الذي وصلها بنسبه كبريائها. وكان جوجيس هو أول الدولة الثانية دولة المرمنادة.

افتتح جوجيس في أول القرن السابع قبل الميلاد عهدا جديدا، إذ أخذ يغير على المدائن الإغريقية ملطية وأزمير وكولوفون. وربما كان الحامل له على ذلك أنه أراد أن يبرر اغتصابه للملك ومطوعة لبعض الضرورات السياسية، في حين أن ليديا كانت وقتئذ بينها وبين الإغريق، خصوصا إغريق القارة، علاقات أقرب ما تكون إلى السلام. وقد كان جوجيس، كسائر الإغريق في آسيا وفي غيرها، يعتقد وحى دلفوس ويخضع له. ولما كان محاطا بالملكيد من كل ناحية منذ تبوؤه العرش، وخائفا من سخط الليديين الذين كانوا شديدي التعلق بالملك الذي ذبحه، أراد أن يدخل الإله في قضيته، فاستشاره وقدم إليه الهدايا الغالية. وقد أقر الإله هذا الغاصب القاتل على عمله. ولكن بوثيا كاهنة دلفوس كانت قد أنبأت بأن عائلة هيرقليس سوف ينتقم لها من شخص الولد الخامس من ذرية جوجيس. وكان هذا الخليفة الخامس هو كريزوس السيئ البخت المشهور بمصائبه أكثر من شهرته بكنوزه التي تضرب بها الأمثال. ولكن لم يك جوجيس في أوج ملكه ولا الليديون في سخطهم ليعبثوا بإنذار الكاهنة، وملك ذلك العسكري الزاني القاتل ثمانية وثلاثين عاما آمنا مطمئنا ما عدا حروبه مع مدن الشاطئ. والظاهر أن ملطية وأزمير وكولوفون سلمت له وخضعت لسلطانه.

وقد حكم أردوس خلف جوجيس أكثر منه أيضا أي مدة تسعة وأربعين عاما. فاستولى على بريئة وهاجم ملطية بلا جدوى لأنها استطاعت رد هجماته. وخلفه ابنه سدواتيس، فلم يمكث على العرش إلا اثني عشر عاما ومات، وكانت سنوه

(١) ر. هيرودوت ك ١ ب ١٢؛ وأفلاطون، الجمهورية ك ٢ ب ٦٩ ترجمة فكتور كوزان.

الست الأخيرة كلها مشغولة بحاربة ملطية كما كان يفعل أبوه . ولكن هذه المدينة التي لم يكن يستطيع أن يأتيها من البحر نجحت في الدفاع عن نفسها ، على رغم أن عدوها كان يهلك حشدا كل سنة وكان دائما على قدم الاستعداد ليكرر هجماته المخربة . وفي كل مرة حاول الملطيون الحرب في العراء كانت هزيمتهم أمرا مقضيا . وقد منقهم العدو كل تمزق مرتين على أرضهم في ليمنيون وفي سهول مياندروس حيث صادف منهم غفلة وسوء احتياط .

وقد واصل أليات بن سدواتيس محاربة مدينة ملطية خمس سنين ، وكان يظن وقوعها في يديه بالقطط وشيكا لولا أنه استشار وحى دلفوس ، كما كان يفعل أجداده ، فخرج لعقد الصلح معها . وساعد على ذلك مهارة طراسوبولس طاغية ملطية وقتئذ . إذ أنبأه جلية الأمر صديقه برياندروس بن كوبيسيوس طاغية كورنتا ، فأخفى عن سفير ليدا حقيقة الحال السيئة التي وقعت فيها المدينة من جراء الحصار ، وأوهمه أن في باطن أسوارها من الأرزاق والذخائر ما لم يجتمع لها مثله من قبل . وبذلك آخذع أليات بما خبره به سفيره المخدوع وأمضى عهد ملطية في حين أنه لم يكن يدينه وبين الاستيلاء عليها إلا القليل . وقد استمر هذا السلام الذي يرجع الفضل فيه الى الوحى ودهاء طراسوبولس زمانا طويلا . ومات أليات بعد أن حكم سبعة وخمسين عاما حكما مملوءا بالاضطراب . وفي هذا الزمن لم يقطع صلاته الحسنة بكاهنة دلفوس . وقد اعتراه مرض طالت مدته ، فلما برئ باستشارة الوحى قدم الى إله دلفوس كأسا جميلة من الفضة قاعدتها من الحديد فنية الصنع صاغها جلوكوس الشبوزى مخترع ذلك النمط الحديث الذى بالغ الناس فى الإعجاب به .

لم تكن حرب ملطية هى الوحيدة التى أيجج نارها أليات ، بل استولى على أزمير مستعمرة كولوفون ، وهاجم مدينة كلابزومين الواقعة على مسافة قليلة الى الغرب فى الخليج بعينه ، ولكن كلابزومين ردتته عنها وحملته خسائر عظيمة . غير أن أليات ألهم التوفيق وخدم أسيا كلها خدمة حقيقية بأن حول قواه الى محاربة القميريين

الذين استولوا في عهد جدّه أردوس على تلك الولايات الآمنة المخصصة . فإنهم لما طردهم السيتيون الرّحل من مواطنهم اضطروا الى التّروح جهة الجنوب ونفذوا من قوقازيا وولّوا وجوههم جهة الغرب وجازوا هالوس وتقدّموا الى قلب آسيا الصغرى ، وكانوا قد دخلوا سرديس عاصمة ليديا على حين غفلة من أهلها وأحرقوها إلا القلعة القائمة على صخرة شاهقة يجري من تحتها نهر يكتول فهى وحدها التى استعصت عليهم ، ثم ردّوا عن المدينة بعد ذلك ولكنهم ظلوا يهدّدون الأمن : يخيفون السابلة وينهبون الأماكن المجاورة ، حتى طردهم أليات من آسيا الصغرى ودرّهم الى الشرق وقذف بهم بين الأجناس السامية التى كانت حدود أوطانها تنتهى الى هالوس . ومن يومئذ يظهر أن علاقته بهم صارت من السهولة والعطف بمكان .

لكن هذه العلاقات التى كانت بين ليديا وبين السيتيين هى التى جرت على آسيا الصغرى جيوش الميديين ثم جيوش الفرس الذين هم أشدّ بأسا . فإن فصيلة من السيتيين لما طردوا من إقليمهم القاسى المناخ هبطوا الى أرض ميديا فى الشمال الغربى من نهر الفرات ، فأحسن كواكراريس ملك الميديين وفادتهم ؛ ولم تقتصر حفاوته بهم على أن مكّن لهم فى وطنه ، بل دفع اليهم صبيانا من الميديين ليعلموهم لغتهم وليتعلّموا فى مدرستهم فن الرماية . ولكن بعض هؤلاء المتوحشين المقترين من ملك ميديا غاظهم منه شدة فى قول وجهه اليهم ؛ فشفوا غليل صدورهم من هذه الإهانة بأن قتلوا الصبيان الذين هم فى رعايتهم واحتتموا بمعية أليات ليتقوا شرّ العقاب الذى كانوا يتوقعون . فطلب كواكراريس تسليم الجناة وأبى ملك ليديا تسليمهم . ومن ذلك قامت بين الليديين والميديين حرب لم تحبّ نارها خمس سنين أو أكثر . وهذا السبب كان تافها جدا ، بل يظهر أن الخلاف قام على سبب آخر ، لأن الملكيتين متجاورتان ؛ والاحتكاك بين أمم ما زالت متوحشة مثار خلاف لا يتقّى . هنا أستوقف النظر لحادثة فى غاية الخطر من حيث تاريخ تلك الأمم ومن حيث تاريخ علم الفلك ومن حيث تاريخ الفلسفة جميعا : كانت تلك الحرب

في سنتها السادسة والتقى الجمعان وجنودهم على أشد ما يكون التحام بين المحاربين ،
وإذا بالشمس قد كسفت فغشيم ليل مظلم اضطهرهم الى وقف القتال . ليس
في هذه الحادثة ما يبعد احتمال وقوعها ، وليس من الغريب أن تأخذ ظاهرة من
هذا النوع بالعقول مأخذا عميقا . غير أن هيرودوت الذي حفظ لنا ذكرها زاد
على حكايتها أن طاليس الملقى كان قد تنبأ بهذا الكسوف الشمسي ونبا اليونان به
وبالسنة التي يقع فيها ^(١) .

لا شبهة لدى في رواية المؤرخ تلك التي قد أفسحت من البحث محلا لنظريات
كثيرة على غاية الخطورة . فقد بحث العلماء أخيرا في حساب هذا الكسوف
بالآلات الفلكية التي بين أيدينا الآن والتي تكاد تكون معصومة من الخطأ رجاء تعيين
تاريخ صحيح ثابت بين تلك الروايات المختلطة المشكوك فيها ، ولكن لم يمكن الإجماع
على أمر علمي محض ولا الاهتداء الى الغرض المطلوب . فإن الأب يتوقد حسب
أن هذا الكسوف ينبغي أن يكون قد وقع في السنة الرابعة من الأولبياد الخامسة
والأربعين ، يعني السنة ٥٩٢ قبل الميلاد . وأما سان مارتان الذي هو آخر من عني
بهذه المسئلة فإنه وجد أن كسوفاكليا يرى في هالوس حيث ملتقى الجيشين لا يمكن
أن يكون إلا في ٣٠ سبتمبر سنة ٦١٠ ق م (ر . مذكرات مجمع الرسوم الخطية
والفنون الجميلة — السلسلة الجديدة — الجزء ١٢) وإذا يكون الفرق بين التقديرين
ثمانية عشر عاما . ويمكنني أن أسرد آراء آخرين من المؤلفين الحديثين ليسوا أقل اختلافا
من السابقين . أما پلاين عند القدماء فإنه عيّن هذا الكسوف بغاية الضبط في السنة
الرابعة من الأولبياد الثامنة والأربعين وفي السنة ١٧٠ من تأسيس روما ^(٢) . وهذا
التوافق المشكوك في ضبطه بين التاريخين يجعل ذلك الكسوف في سنة ٥٨٠ تقريبا .
ولست أريد الدخول في هذه التفاصيل لأنني لا أنطلع الى إمكان الفصل فيها وإستجلاء

(١) هيرودوت ك ١ ب ٧٤

(٢) پلاين . التاريخ الطبيعي ك ٢ ب ٩ ص ١٠٦ طبعة وترجمة لهرى .

غوامضها، بل أقف عند حدّ الرجاء في أن علم الفلك يستطيع أن يضع رأيا قاطعا في هذه المسئلة التاريخية .

أما المسئلة الأخرى التي أثارت هذه الحادثة نائرتها فهي : أيكون من الممكن أن طاليس حسب حقيقة هذا الكسوف وتنبأ به كما سمع بذلك هيروودوت ؟ شك المؤرخون الحديثون في ذلك . وفي هذه الأيام أنكر ج . جروت ^(١) أن العلم كان وقتئذ من التقدم بحيث يسمح بنبوءات مثل هذه وحسابات علمية الى هذا الحد . لا أبغى أن أعارض هذا المؤرخ وهو حجة ، ولكنني أنبه الى أنه يؤخذ من رواية هيروودوت عنها، صادقة كانت أو كاذبة، أنه في زمانه أى بعد طاليس بقرن تقريبا كان الناس يعتقدون إمكان حساب الكسوف . هذا وحده يكفي في إثبات أن العلم كان متقدما الى قدر الكفاية فإن مثل هذا الفرض يشهد بتقدم هو غاية في الحد لأنه لأجل أن يقبل العامي إمكان حساب الكسوف ويصدقه ويتحدث به لا بد من أن يكون العلماء قد وفوا الموضوع بحثا . ومما لاجدال فيه أيضا أن شهرة طاليس بين تلك الشعوب كانت من الرفعة بحيث إنهم نسبوا اليه من غير تردد هذه المعجزة العلمية . ولقد قرر بلاين أن هيبأرخس الرودسى أمكنه أن يضع فهرسا لكسوف الشمس وخسوف القمر مدّة ستمائة عام . وفي زمن هذا الكاتب الرومانى لم تكن الحسابات الفلكية لتخطئ مرة واحدة . حتى قيل : ” إن هيبأرخس كان يحضر مداولات الطبيعة “ . وكان هيبأرخس بعد طاليس بأربعمئة عام تقريبا . وربما كانت المسافة بين علم أحدهما وعلم الآخر متناسبة مع المسافة الزمنية بينهما ؛ لأنه ليس في يوم واحد يمكن الوصول الى نتائج علمية مضبوطة الى هذا المقدار . فلست أرى من المستحيل في شيء أن طاليس في عهد أليات قد فتح باب علم بلغ به هيبأرخس هذه الغاية البعيدة سنة ١٥٠ قبل الميلاد .

(١) ر . م . ج . جروت . تاريخ اليونان ج ٣ ص ٣١١

أعود الى ما كنا فيه :

بعد قليل عقد الصلح بين الليديين والميديين بوساطة سونيزيس ملك كيكليجا ولا بينيوس ملك بابل . وزفّ أليأت ابنته زوجة الى أصطياغ بن كواكراريس ، وأقسم الطرفان على احترام المعاهدة . واتباعا لعرف هذه الشعوب قد فصد سفراء الصلح من الجانبين أذرعههم ومضّ كل فريق من دم الفريق الآخر . ولكن هذه المحالفة التي عقدت على أكل ما يمكن من الإخلاص كانت طائر نحس على ليديا ، إذ جرّتها الى حرب جديدة انكسرت فيها وفقدت وجودها .

ذلك أنه لما مات الملك أليأت خلفه ابنه كريزوس الذي قدّر عليه أن يكون آخر ملك لجنسه وحقت بذلك نبوءة هاتف دلفوس . وكان كريزوس هذا الذي صار اسمه مرادفا للغنى أميرا من خير الأمراء المتنازين . ومع أنه كان شديد الإعجاب بكنوزه الوراثة التي جمعها أجداده الهيرقليون والميرمناديون لم يكن رجلا مترفا ولا ضعيفا كما يندر للذهن عادة ، فما كاد يلى الملك حتى فكر في أن يتم عمل أسلافه ويخضع نهائيا جميع المدائن الإغريقية على الشاطئ ، فتجنّى عليها بعلل مختلفة حقا أو باطلا بادئا فتحه بإيفيزوس ، وعمّا قريب أخضع الى سلطانه كل المستعمرات إذ قهر يونيا وأيولس جميعا . ولكن كريزوس أحس أنه لم يصنع شيئا ما دامت الجزر خارجة عن قبضة يده ، فجهر أسطولا ليجاوز عليه بجيشه البحر ، ثم عدل عن هذه الغزوة التي هي قليلة الجدوى عند أمة كالليديين بنصيحة بياس الپرييني ، وفي رواية أخرى بنصيحة بطاقس الميتيليني ، إذ جاء الحكيم الى سرديس فسأله الملك عن ماجريات الحال في اجزائر ، فأجاب بياس : ” إن أهل الجزائر يتأهبون لمهاجمة سرديس في عشرة آلاف فارس “ . فأجاب كريزوس : لتشأ السماء أن يركبوا هذا الشطط . فقال الحكيم : ” أيها الملك لك الحق أن ترغب في أن أهل الجزر يرتكبون خطأ كهذا ، ولكن ما ظنك بما سيقولون من جانبهم عند ما تأتيهم الأنباء أنك تفكر في غزوهم من طريق البحر ؟ “ . ففهم كريزوس الدرس على مرارته ، وقنع بأن عقد عهد محالفة ومودة بينه وبين يونان الجزر .

لما أرتاح كريزوس وأطمأن من هذه الجهة بحث في بسط سلطانه الى جهة الشرق وفي آسيا الصغرى ، وعما قليل وضع يده على جميع الشعوب النازلة الى هنا من نهر هالوس دون ماوراءه ، وهم الفريجيون والميزيون والمارياندينيون والخالوبس والبفلاغونيون وتراقيون وثينيا وبيثينيا والقاريون والبنفيليون حتى الدوريون واليونان والأبوليون . ولم يفلت من قبضته إلا كيليكيا وليكيا في الجنوب . وكان نهر هالوس هو أحد الثلاثة أو الأربعة الأنهر التي تحدّد هذه البقاع المسماة آسيا الصغرى وتروياها ، فهو ينبع من جبال إرمينية ويسير من الشرق الى الجنوب الغربى وينفرج على نحو زاوية قائمة ليتجه من الجنوب الى الشمال فيصب في البحر الأسود شرقى سينوب وطن ديوجين . وبعد نهر هالوس ثلاثة أنهر أخر عظيمة النفع لتلك الجهات لتقاسم بينها شبه الجزيرة ، جارية كلها الى الغرب وصابة في البحر الأبيض المتوسط يوازي بعضها بعضا تقريبا ، وهى المياندرس الذى يصب في خليج ملطية ، والقاوسترس في خليج إيفيزوس ، والهرموز في خليج أزمير الى الشمال الغربى قليلا . وكان لكريزوس أن يفخر بأنه تفرد بالملك في آسيا الصغرى ، وأنه وصل بالملكة الليدية الى حد من رفاهة العيش وقوة البأس لم يكن لها مثله من قبل . ولكن ذلك هو في الواقع كان السبب في خرابها .

في هذه الأثناء حصلت تغيرات وآنقلابات عظيمة في الشرق وفي البلاد المجاورة للمملكة الليدية المترامية الأطراف . فان قيروش خرب مملكة أصطياغ صهر كريزوس ، وقهر ملوك آشور ، وعاهد ملك هرقانيا ، وفكر في مهاجمة ليديا التي كان يظهر عليها أنها كانت متحدة مع أعدائه . وبعد أن بسط سلطانه على جميع البلاد شرقى نهر هالوس لم يكن هناك محل للتأخر عن عبور ذلك النهر ؛ كذلك لم يكن لقوة الفرس الهائلة مدفع عن أن تمتد الى البحر وأن تفتح شبه الجزيرة وكل ماتحويه من الشعوب سواء في ذلك البرابرة والإغريق . ولقد أدرك كريزوس للحين خطر الموقف الذى يتهدده ، فلما علم بهزيمة أصطياغ استكمل عدته للحرب بقدر ما يستطيع .

فما كاد يتعزى عن موت ابنه الذى قتل فى حادثة فى الصيد، حتى عزم على أن يقف تقدم الفرس بأن يحالف إغريق الشواطئ وجميع إغريق بيلوبونيز والغرب . ولهذا الغاية أرسل بادئ الأمر يستشير الوحي ليحصل على تأييد الآلهة والاعتقاد العام . وذهبت وفوده فعلا الى دلفوس ودودون، وإلى أباس فى فوكيدا، وإلى غار طرو فونيوس ومعبد انقياراس ومعبد البرنثيد على مقربة من ملطية، بل الى معبد المشتري آمون نفسه . وكان كريزوس يريد أن يضع لهم بادئ الأمر أسئلة يختبر بها صدقهم ثم يستفتيهم بعد ذلك بصورة منظمة فى المسئلة الكبرى مسئلة الحرب مع الفرس التى كانت تقلق باله . فوجد أن هاتين دلفوس وانقياراس أكثر إخلاصا ، فحمل إليهما الهدايا الباهرة التى يمكن قراءة وصفها التفصيل فى هيرودوت الذى رأى بعض هذه النفائس الغالية فى المحارب . وعند ما قدم ملك ليديا تلك الهدايا الثمينة استشار الهاتين فى أمر الحرب فكان جوابهما مبهما كله تورية، إذ قالا : ” اذا اشتبك كريزوس فى الحرب مع الفرس خربت مملكة عظمى “ . أيهما ؟ أدولة الفرس أم دولة ليديا ؟ لم يقل الإلهيان بالتعيين ولكنهما نصحا لكريزوس أن خير وسيلة أن يتخذ حلفاء ونصراء من أقوى الشعوب الإغريقية . فعاد كريزوس هاتف دلفوس فى هذه النقطة فعين له الهاتف اللقدمونيين من الجنس الدورى والآتينيين من الجنس اليونانى ، يعنى الهلنيين والبلاسية ، فأوفد سفراءه الى الأجزاء المختلفة لبلاد الإغريق ليخطب ودهم فلم يجب دعاءه إلا اللقدمونيون الذين هم مائون إليه لخدم أذاها لهم قبل ذلك . أما بقية الإغريق، وعلى الخصوص الآتينيين، فلم يدركوا حقيقة الخطر المقبل ولم يجيبوا داعى ملك ليديا . واستجد كريزوس، على ما يقول سيروبيديا، حتى بأهل مصر . ولكن من المشكوك فيه أن مصر وجهت لمساعدته مائة وعشرين ألف مقاتل كما يروى الرجل الطيب إكسينوفون .

ولقد أول كريزوس جواب الهاتف لمصلحته خطأ وأغار على كبادوس من أرض ميديا التى افتتحها قيروش قبل ذلك بقليل، وكان من الضرورى له أن يعبر

نهر الهالوس وهو في هذا المحل واسع المجرى، ووقع بذلك في صعوبة كبرى لم يتغلب عليها إلا بجذق طاليس الذي كان قد تبع الجيش الليدي في عدد غير قليل من مواطنيه؛ فانه اصطنع جسرا عرسا ايضا فصل النهر الى عدة فروع سهل اجتيازها. تلك هي الرواية التي وصلت الى هيرودوت في حادثة عهدها. ولكن هيرودوت يظهر عليه أنه يعتقد أن الجيش عبر النهر بالبساطة على قناطر لم تنشأ في رواية العامة إلا بعد هذه الواقعة بزمان. ولما عبر كريزوس النهر استولى على المنطقة التي كانت تسمى بطيريا وخرتها.

سارع قيروش الى لقاء الغائرين بجميع جيوشه ومن انضم إليهم من أهل البلاد، ولكن قبل أن ينازل الليديين أرسل الى اليونان يستميلهم الى التخلي عن جيش كريزوس، ولكن اليونان بقوا على عهدهم مع كريزوس لاعتقادهم أن خيانة مخجلة لا تأتي إلا بالعار المحزى من كل منفعة، لأن الإغريق لا يستطيعون أن يقفوا وحدهم في وجه الفرس اذا سقطت ليديا في يده كما كانوا يتوقعون. وإن هزيمة عامة لكل أجناس الإغريق خير من العار ما داموا مصرين على ألا يسلموا بلادهم الى الفرس لأول وهلة. ولما آلتى الجمعان في سهول بطيريا شرق هالوس جرت بينهم حرب طاحنة استمرت ناراها طول اليوم الى المساء لم يظهر فيها نصر نهائى لأحد الفريقين على الآخر.

ولكن أضرارها كانت على كريزوس أكبر، لأن جيشه مع بسالة قواده كان قليل العدد جدًا بالنسبة الى الجيش الآخر. ولما رأى قيروش ما مس جيشه من القرح لم يشأ أن يبدأ بالقتال في اليوم التالى، فانتهاز كريزوس تلك الفرصة للتقهقر الى سرديس وعزم على أن يبلغ من الدفاع عنها غاية.

ثم استنجد حلفاءه وأما زيس ملك مصر ولا بنطوس ملك بابل واستنفر لقدمونيا لنصرته، واعتمد على أنه متى اجتمعت له هذه القوى كلها يحدد الكرة على جيوش قيروش في الربيع القادم، وجعل ميعاد حلفائه ونصرائه على تمام خمسة أشهر من يوم الدعوة في عاصمة ملكه. ولقد أصاب كريزوس الحكمة في هذه التدابير، ولكنه ارتكب خطأ جماً في صرف جنوده ظناً منه أن قيروش لا يستطيع أن يطلع

على سرديس بجنده الذى نال منه القرع ما نال . وقد خاب ظنه لأن قيروش احتفظ
بجنوده وسار بهم بعد أن أخذوا قسطا من الراحة الى ليديا ، فلم يلبث أن نزل السهل
الفسيح القائمة فيه مدينة سرديس .

أما كريزوس وإن كان قد أخذ على غرة فانه لم تتحل عزيمته بل اعتمد على
ما هو مشهور عن أهل ليديا من الإقدام خصوصا كآثب فرسانهم ، فإنهم كانوا
مقطوعى النظر لمهارتهم فى سوس الخيل وفى حسن استعمالهم الرماح الطوال التى
كانوا يعتقلونها . ولكن قيروش من جهته قد فكر فى تقليل قيمة تفوق فرسان
العدو ، فسير فى مقدمة جيشه جماله كلها التى لم تعتد خيل ليديا رؤيتها ولا رائحتها
بخفت وصعبت رياضتها ، فترجل الليديون وأبلوا على الرغم من ذلك بلاء حسنا ،
لكنهم بعد التحام هائل انهزموا فلم يجدوا لهم موئلا إلا أسوار مدينتهم .

لما رأى كريزوس أنه محصور بجنود منصوره عجل إلى حلفائه وعلى الأخص
اللقدمونيين ، لكن هؤلاء بعد أن تأهبوا لنصرته حسب نص المعاهدة جاءهم نبأ
سقوط سرديس عنوة فى يد قيروش بعد حصار دام أربعة عشر يوما ووقوع
كريزوس فى الأسر . لما وقع ملك ليديا التعس فى أيدي أعدائه مثقلا بالسلاسل
وحكم عليه بأن يحرق حيا هو وبعض أبناء العائلات الكبرى الذين كانوا معه
وسعرت له النار وكادت تصل الى جسمه ، رق له قلب قيروش وأخذته الرحمة على
هذا الملك البائس الذى كان يحتمل تصاريق القدر بالرضا والتسليم ، والذى كان
فى هذه اللحظة الرهيبة يذكر نصيحة سولون له حينما وفد عليه وأقام فى معيته . وكانت
سن كريزوس وقت وقوعه فى الأسر تسعة وأربعين عاما حكم منها أربعة عشر عاما
منذ وفاة أبيه ، وبقي بعد ذلك زمنا طويلا فى معية قيروش مراققا ومعينا له فى غزواته .

إن تاريخ سقوط سرديس ليس أقل اضطرابا من تاريخ كسوف طاليس .
وأخذا بما على رخام باروص تكون سرديس سقطت فى السنة الثالثة من الأولمبياد
التاسعة والخمسين أى سنة ٥٣٧ قبل الميلاد . أما فريريت فإنه يقول إنه وقع

في سنة ٥٤٥ أخذنا بشهادة سوسيقراط الذي استشهد به ديوجين اللايرثي في كتابه "حياة بيرياندر". وأما قولني فانه أخره إلى سنة ٥٥٧ في كتابه "أخبار هيرودوت". وعلى كل حال فإن هذا التاريخ على خطره محوط بالشكوك، ولا يزال محلا للتحقيق. لما غلب الليديون على أمرهم أحست المدائن الإغريقية خطر مركزها، فعرض الأيوليون واليونان الطاعة على الشروط التي كانت بينهم وبين كيزوس، فرفضها قيروش مزدريا إياهم، وذكر اليونان إعراضهم عنه حين خطب ودّهم قبل ذلك ببضعة أشهر، فلم يبق لهذه المدائن إلا خوض غمار الحرب بعد ذلك الرفض المهيمن، فدُعيت ندوتهم (الپانيونيون) وحضرها أهل المدائن كلها إلا الملقطين الذين كانوا اتخذوا للحرب عدتها من قبل، ولكن حظ الجميع منها لم يكن أحسن من حظ مملكة ليديا.

من المحتمل أن يكون هذا الحين هو تاريخ النصيحة التي قدّمها طاليس للاتحاد اليوناني، فانه لبصره بالعواقب آرتأى ألا يكون للذن اليونانية إلا جمعية واحدة تعقد في طيوس، لتوسط مركزها، على أن تحتفظ كل مدينة بنظمها الخاصة، لأنهم متى اجتمعت قواهم كانوا بالضرورة أقدر على مقاومة عدوهم المشترك، فان الاتحاد وحده هو الذي ينجيهم ما دامت المنازعات الداخلية هي التي أضعفتهم. ولكن هذا الرأي السديد لم يكن ليطاع فيهم مع أنه لم ينجح بعد الأوان، فإن حال اليونان لم يكن بعد من السوء بحيث لا يمكن إصلاحه. ولقد نصح لهم طاليس بعد ذلك نصيحة في وقت أشد حرجا فلم تقابل إلا بما قوبلت به سابقها من الإعراض. ثم نصح لهم بعد ذلك بياس الپريني أحد أعضاء الندوة (الپانيونيون) أن يترك اليونان جميعا آسيا ويتخذوا أسطولا كبيرا يركبونه إلى "سردينيا" حيث يؤسسون جمهورية قوية. وأبان لهم بياس أنهم إن بقوا في آسيا لا يستطيعون أن يحمو حريتهم. يرى هيرودوت أن اليونان لو كانوا قترروا هذا القرار الباسل لصاروا أسعد الشعوب الإغريقية كلها، ولكنهم قنعوا بمفاوضة الأيوليين ليرسلوا سفراء إلى إسبرطة يطلبون باسمهم وباسم اليونان إعانة الجمهورية إياهم.

لم تشأ جمهورية إسبيرة أن تدمهم بقوة حقيقية، بل أرسلت رجلا ثقة من رجالها يقال له "لقرين" الى سرديس يطلب الى الفاتح ألا يسئ الى أية مدينة إغريقية ويهدده بسخط لقدمونيا . غير أن قيروش الذى ما كان يعرف الى ذلك الوقت ما هى إسبيرة ، أخذ يسأل بها وأعلن — وهو هازئ بهذه الشعوب التى يخالها متأنة فى أمورها — أنه أولى بها أن يشغلها الخطر المحدق ببلادها عن الخطر الذى يهدد يونيا . فى هذا الوقت دعا قيروش اختلاف الأحوال فى بابل وبكترين والساسيين بل وفى مصر أيضا ، الى التعجل بالسفر من سرديس الى إقبطان ، وخلف على المدينة فارسيا يدعى طابالوس ، وجعل على نقل الكنوز التى جمعها ملوك ليديا منذ عدة قرون ليديا يقال له بكتياس .

انهز بكتياس غيبة قيروش فى حصار بابل ، ووضع يده على الكنوز التى أوتن على نقلها ، وانتبذ بها مكانا بعيدا على الشاطئ ، ودعا الليديين الى الثورة والاتقاض على قيروش ، وألف بالمال جندا ساربه الى حصر مدينة سرديس التى كان يحجمها طابالوس . ولكن هذه الثورة لم تلبث حينما حتى جاء مزاريس أحد قواد قيروش بالمدد ، واضطر بكتياس الى الهرب والاختفاء فى "كومة" . فلما طلبه مزاريس هم الكوميون بتسليمه اليه بنصيحة هاتف البرنشىد ، لولا رجل شجاع منهم يقال له أرسطوديقوس حى الزيل ونجاء من الهلك واستحب عصيان الإله على انتهاك حرمت الضيافة فى حق مستجير . ونجا بكتياس الى ميتلين حيث عادت لأهل كومة نخوتهم ، وأرادوا هم أيضا حمايته . غير أن هذا السبي الحظ قد أخذه الشيزيون بالقوة من معبد مينرفا وسلموه الى الفرس ، لأن قيروش أمر بأن يحضر لديه حيا . وقبض الشيزيون ثمنا لهذا العار مقاطعة أطرنة الواقعة فى ميزيا تجاه لسبوس ، ولكنهم لم يسعدوا فى هذه الأرض التى امتلكوها بذلك الثمن المخجل ، فقد أكد هيرودوت أنه مر زمن طويل على أهل شيز لا يستطيعون أن يقرّبوا للآلهة قربانا ولا أن يضحوا بشيء مما كان يأتهم من غلة ذلك البلد الملعون .

قسا مزاريس في التنكيل بالذين خرجوا على الملك في ثورة بكتياس ، وكتب الرق على سكان پرينة وباعهم بالمزاد ؛ وخرّب بلا رحمة سهول مياندرس جميعها وأباحها لنهب عسكره ؛ ولكن منيته صادفته أثناء هذا الانتقام . ولقد أراد الفرس بهذه الفظائع أن يغلّوا أيدي المغلوبين عن الثورة ، ولكن إغريق الشاطئ ومستعمرات أيولس ويونيا ودوريدا لم يخفهم ذلك بل أخذوا عدتهم واستجمعوا بأسهم الى حرب غير متعادلة القوى ولا ملحوظ في نتيجتها الا الفشل والخذلان .

بذلك يتبدى العهد الثالث والأخير لتاريخ الإغريق في آسيا الصغرى ؛ فان العهد الأول لبث من وقت نزوحهم اليها الى حكم جوجيس غاصب ملك ميديا ، وهو أطولها ، لأنه لا يقل عن ٥٠٠ سنة . والثاني الذي كان مملوءا بالتنازع بين مدائن الإغريق ومملكة ليديا ، ويمتد الى هزيمة كرزوس وسقوط سريديس . ولم تكن قوة ملوك الليديين تلقاء قوة الفرس شيئا مذكورا ، لأن الفرس كانوا أمة حرب ملكت جزءا عظيما من آسيا ، وتقدّموا تقدّما كبيرا في فنون الحرب بفضل قيادة قيروش .

أما الذي خلف مزاريس على التنكيل بالثائرين واستمرار الفتح فهو رجل خليق بكل أنواع الفظائع واقتراف الدنيا يقال له هر بغوس اشتهر بعمل مقطوع النظر في الحسنة حتى في معرض دنيا البلاط الفارسي ؛ ذلك أن "أصطيغ" ملك الميديين ، كان قد أزججته رؤيا ، فكلف هر بغوس أمينة أن يحتال لقتل الولد الذي ولدته حديثا ابنته مندان من قبيز ، وكان هذا الحفيد المقصود بالوقعة هو قيروش ، فقبل هر بغوس هذا الأمر ، ولكنه لم يشأ أن يقتل الصبي بيده ، فوكل ذلك الى راع أخذته الرحمة من توسلات زوجته ، فاستبدل صبيه الذي ولد ميتا بالذي دفع اليه ليقتله ، ودخلت هذه الحيلة على هر بغوس ؛ فلما استكشف "أصطيغ" خفية الأمر وعلم بكل ما جرى كظم غيظه ، ولكنه انتقم من هر بغوس شر انتقام ؛ فأمر بقتل ابن هر بغوس سرّا ، ودعاه الى طعام قدّم اليه فيه لحم ابنه فأكله ثم أمر فأحضر رأس الغلام ويده وقدمت أثناء المأدبة تحت غطاء الى هر بغوس ؛ فلما

كشفت عنها الغطاء رأى هذا المنظر الفظيع فلزم السكينة؛ فسأله "أصطياغ" في ذلك فقال : إنه تعترف باللحم الذى أكله ولا يسعه إلا الشناء على الملك على ما تفضل به .

ومع ذلك فإن هر بغوس قد أصرّ على الانتقام من "أصطياغ" بأن يثّل عرشه من تحته ، فخرّض قيروش سرّاً على العصيان . ولم يصادف هذا الأمير الشاب عناء فى حمل الفرس على نبذ نير الميديين الثقيل . ولقد بلغت العناية "بأصطياغ" أنه لما جاء حفيده على رأس الجيش الفارسى أمر على الجند هر بغوس الذى كان قد نكّل به ذلك التنكيل ، فلم يلبث هذا الأخير أن خانه وانخدل بالجيش ؛ وقهر قيروش "أصطياغ" ولم يقتله بل تركه يعيش فى الخزى . وسقطت مملكة الميديين بعد أن أقامت ٣٢٨ سنة من ديجوسيز بن فراورط . وبقي هذا القسم من آسيا من يومئذ تابعا للفرس الذين لم يحتفظوا به إلا أقل من تلك المدة حتى سقطت مملكتهم باغارة إسكندر .

ذلك هو هر بغوس الذى رمى به قيروش مدائن الإغريق ليخضعها .
ولقد عُنيت بذكر هذه التفاصيل على شهرتها لأين أى الأمم وأى الأخلاق
سيكون ليونان الشاطئ علاقة بها .

أخذ هر بغوس يبتكر طرائق لفتح المدائن ؛ فكان كلما وصل مدينة أحاط بها ثم حفر حولها خندقاً يحصر أهلها فيضطرهم الى التسليم . فبدأ بمدينة فوكاية ، تلك المدينة التى كان لها اسم كبير فى ذلك العهد والتى تهمنا بوجه خاص جد الأهمية ، لأن أحد فلاسفتنا اكسينوفان كان بها منذ نفى من كولوفون وهرب مع مواطنيه على الشواطئ البعيدة لبحر طرهينيا . ولقد كان أهل فوكاية أول من أزعج السياحات الكبرى المقرونة بالأخطار من جميع الجنس الهلّينى ، فانهم أول من علم الناس ما هو البحر الأدرىاتيكى وبحر طرهينيا وإيبيريا وطورطيس ، تلك الأصقاع السحيقة فى حدود الأرض وراء عمده هيرقليس ؛ وهم الذين حوّرُوا طريقة صنع السفن فرغبوا عن السفن الغليظة المستديرة إلى سفن ذات خمسين صفا من المجاذيف . وهى المسماة « البانيكوتور » . ولما كان لأهل فوكاية صلات مودّة ومعاملة

ببلاد طورطاليس عرض عليهم أرغانتونيوس ملك هذه الجهة أن يهاجروا إليه إذا شاءوا أن يتركوا يونيا عند ما هدد الفرس مدينتهم . ونظرا إلى أنهم لم يكونوا قد عزموا على الهجرة بعد ، أعطاهم حليفهم الملك مبالغاً عظيماً من النقود ليساعدهم على إقامة سور منيع حول مدينتهم ، فأقاموا هذا السور الواسع الامتداد من أحجار كبيرة محكمة الرصف جداً .

وقف هر بغوس أمام هذا الحصن العظيم الذي لم يستطع النفوذ منه إلى داخل المدينة ، وبقى محاصراً لها حتى أرهاق أهلها إرهاقاً ، ثم عرض عليهم عرضاً يوافقهم وهو أن يهدموا جزءاً من الحصن الأمامي تحتله الفرس إشارة إلى أن أهل المدينة أطاعوا فطلب إليه الفوكيون الذين أعياهم الحصار جواباً على هذا العرض هدنة يوم واحد ، وأن يتبعد الجيش الفارسي عن مراكزه ، فأجابهم هر بغوس إلى ذلك مع توقعه ما سيحصل ، فأغتم الفوكيون هذه الهدنة ، وحملوا على السفن نساءهم وأولادهم وجميع ما يستطيعون حمله خصوصاً الأمتعة المقدسة التي جمعوها من المعابد ، وسافروا إلى شيوز ، فلما جاء الفرس في اليوم التالي وجدوا المدينة خلواً ليس فيها أحد من أهلها .

كان الفوكيون قد رغبوا بادئ ذي بدء في أن يشتروا من أهل شيوز الخبز التي تسمى اينوزوس ، لكن هؤلاء قد رفضوا الصفقة حتى لا يخلقوا لأنفسهم مزاحمين لا يستهان بأمرهم على مرافق التجارة ، فاضطر الفوكيون إلى أن يوجهوا سفنهم نحو جزيرة قورسقة (المسماة وقتئذ سيرنى) حيث أسسوا فيها قبل ذلك منذ عشرين عاماً مدينة « علالية » بإشارة الهاتف ، ولكنهم قبل أن يذهبوا إلى هذا المنفى النهائي رجعوا إلى فوكاية على غرّة من حرسها الفارسي وذبحوهم ، ومع ذلك فإن هذا العمل الجريء لم يمكنهم من البقاء في وطنهم القديم بل ارتدوا إلى أسطوطهم . وليثبتوا أنهم لن يتركوه ألغوا في البحر كتلة من الحديد وأقسموا ألا يعودوا قبل أن تطفو هذه الكتلة الثقيلة على سطح الماء . وعلى رغم هذا القسم زين لنصف النازحين أن ينزلوا إلى البر ويدخلوا فوكاية ، وأما النصف الآخر الذي

بتريقسمه فقد اعتمد على ألا يبقى تحت نير المتوحشين الذى لا يطاق، وأبحروا الى قورسقة، فدخلوها آمنين وأقاموا كما يشتمون فى سكة مئة خمسة أعوام مع مواطنيهم الذين سبقوهم اليها قبل ذلك بسنين طوال . ولكن أهل طرهينيا وقرطجنة هاجموا الفوكيين، إما حسدا من عند أنفسهم، وإما اضطرارا للكسب وحبا فى السلب والنهب . ولم يكن لدى الفوكيين إلا ستون سفينة ضد مائة وعشرين لخصومهم، ولم يتر لهم ذلك التردد فى منازلهم، بل ذهبوا يبحثون عن عمارات لخصومهم فى بحر سردينيا، وتحشروا بهم وطلبوهم للقتال، ولكنهم خسروا فى هذا الظفر ثلثى سفنهم فرجعوا عجلين الى "علاية"، واحتملوا عائلاتهم وأموالهم ليلجئوا الى موئل آخر آمن من هذا . والظاهر أن جزءا من هؤلاء المهاجرين قد وقع فى يد الطرهينيين والقرطجنيين فقبضوا عليهم وذبحوهم، وذهب الجزء الآخر الى رغوم فى صقلية، ومن هناك اتجهوا الى الشمال وأسسوا على أرض أوترى مدينة كانت تسمى فى زمن هيرودوت "مدينة هيللا" وهى المعروفة بمدينة إيليا الشهيرة بمدرستها الفلسفية التى شيدت فيها بعد تأسيسها بقليل .

فى نحو هذا الحين لجأ اكسينوفان الى إيليا هاربا من كولوفون التى وقعت فى قبضة الفرس، وانضم الى الفوكيين الشجعان الذين كانوا مثله يكرهون العبودية . من الواضح أن ماورد فى شعر اكسينوفان خاصا بإغارة الفرس الذين ما زال يسميهم الميديين، إنما يراد به واقعة هربغوس تلك لا حرب الميديين^(١)، كما ظن ذلك أحيانا . وقد يظهر أن تأسيس إيليا الذى شدا به اكسينوفان كما شدا بتأسيس كولوفون كان فى سنة خمسمائة وست وثلاثين أو خمسمائة واثنين وثلاثين قبل الميلاد، بل قد يكون أدنى من ذلك . وعلى كل حال فإنه قبل إغارة مردونيوس وداتيس على بلاد الإغريق بثلاثين سنة على الأقل . وليس عندنا ما يفيد أن اكسينوفان عاش الى ذلك الوقت .

(١) ولقد جلا الشك فى هذه النقطة فكتور كوزان . راجع القطع الفلسفية والفلسفة القديمة طبعة

ولسنا نرى فيما حفظ لنا التاريخ من التفاصيل ماذا جرى على كولوفون بخصوصها، وهي من ليديا كمدنية فوكاية، ولكن المفهوم ضمنا هو أنها وقعت فيما وقعت فيه فوكاية، وأن أهلها الذين لم يقبلوا حكم المتوحشين ركبوا البحر ليلجئوا الى جهات أكثر طمأنينة. حق أن هيرودوت لم يذكر بعد أخبار الفوكيين إلا أخبار أهل طيوس الذين فعلوا مثل ما فعل أولئك، فحملوا ما قدروا عليه في سفنهم وقصدوا تراقيا حيث أسسوا مدينة أبدير، وقد كان سبقهم في الهجرة الى تلك البلاد أحد مواطنهم المدعو كلازومين. أضاف هيرودوت الى هذا أن بقية مدن يونيا خضعت لحكم الفرس بعد مقاومة عنيفة. ولا مانع من افتراض أن إكسينوفان كان أحد هؤلاء الأبطال الذين أثنى عليهم المؤرخ، والذين لم يلقوا قيادهم الى الفرس إلا بحكم الضرورة. إلا الملطيين وحدهم فانهم اتفقوا مع قيروش كما ذكر آنفا، وبذلك احترم هربغوس حيادهم اكتفاء بما شئت وأذل من سائر يونان القارة. وأما أهل الجزائر فانهم بوضعهم كانوا في مأمن من الغارة، لأن الفرس لم يكن لديهم بعد أسطول يطولون به الجزائر ويلقون على أهلها نير العبودية. وأما يونيا وأيولس فانهما أطاعتا غاية الطاعة حتى جند منهم هربغوس حين مشى الى قاريا التي وقعت في قبضته بعد قليل. وأما الكنيديون فانهم حاولوا الدفاع بالاسراع في قطع البرزخ الذي يصلهم بالقارة، ثم بدا لهم أن يستسلموا الى الفرس أخذا بنصيحة كاهنة دلفوس. وأما البيديازيون من ضواحي هاليكارناس فانهم قاوموا حتى حين، ولكنهم قهروا كما قهر الليقيون الذين أبلوا بلاء حسنا في الدفاع عن وطنهم. وبذلك تم النصر لقيروش، وكان يستطيع أن يغتبط وهو سائر الى إخضاع بابل بأن كل آسيا الدنيا ملك له الى البحر. كانت جزيرة سموس وقتئذ أقوى الجزر ذات مركز سام بما لها من الروابط بإغريقيا وبمصر. وبينما كان قبيز المفتون ابن قيروش يغزو مصر ليقضى على نفسه فيها كان بوليقراطس يحكم سموس، وقد مكن له فيها بحسن إدارته وقلة تحرجه ومبالاته، حتى جعل الجزيرة من الرخاء محسودة الوفير من كل نظائرها. وكان من أمره أنه أقام فيها ثورة انتهت باستيلائه فيها على السلطان هو وأخويه ينتنيوت

وسيلوسون ؛ إذ أقتسم الإخوة الثلاثة حكم المدينة لكل منهم قسم معلوم . ولكن بوليقراطس لم يلبث أن تخلص من أخويه إذ قتل أحدهما وشرّد الثاني وخلص له الحكم وأطاعه أهل المدينة . وقد أراد أن يثبت لنفسه الملك المغصوب فارتبط بآمازيس ملك مصر ، وتبادل وإياه الهدايا النفيسة . ولم يمض عليه حين حتى نبه ذكره ، وعمت شهرته بلاد الإغريق ، وكان سعيد الطالع موقفاً في مشروعاته إلى غاية المنى ؛ وكان أسطوله مؤلفاً من مائة سفينة من ذوات الخمسين صفاً من المجاذيف ، وكان يبلغ عدد رماة وحدهم ألفاً .

ولم يكن مع ذلك ليرعى لجيرانه حرمة بل كان يضرب عليهم الإتاوة بغاية الجراة ، وكان من مبادئه السياسية ألا يبق حتى على أصدقائه متى قضى الظرف إلا أنه كان يعوّض عليهم بعد ذلك . وكان قد غزا عدّة جزر حوالى سموس ، بل عدّة مدن في القازة . ولما ساعد السبوسيون الملطيين عليه حاربهم وقهرهم في وقعة بحرية ، وسخر جميع الأسرى مصفدين بالأغلال في حفر الخندق العميق الذي كان يحيط بأسوار المدينة . وكان من نتائج ظلمه أن بعض أهل سموس هجروها من هول ما يلقون من الجور واستجاروا بإسبرطة ، فأبحر اليه اللقدمونيون في أسطول قوى ، وحاصروا المدينة أربعين يوماً ، ولكنهم ارتدوا على أعقابهم بفضل بأس بوليقراطس أو بفضل ماله . وبقي هذا الطاغية مستبداً بالحكم مهيب الجانب لا يغلب على أمره ، حتى إن من لم يريدوا من السموسيين الاستسلام لمظالمه لم يكن لهم وسيلة إلا الهجرة بعيداً عن ملكه إلى حيث ينزلون منزلاً يرضونه . ولم يكن لياً من على نفسه الطوارئ بذلك الخندق العميق الواسع ، بل اتخذ نفقا تحت الجبل سلك فيه إلى المدينة ماء غدقا ، وبني رصيفاً شاهقاً متقدماً في البحر ، جعل به المرفأ أكثر ملائمة لرسو السفن ، ثم بنى معبداً اشتهر بأنه أكبر المعابد المعروفة . وقد ذكر أرسطوطاليس أيضاً هذه الأعمال العظيمة التي عملها بوليقراطس .

وكان هذا الطاغية محباً للآداب والفنون ، ويقال إنه أول من أنشأ مكتبة . وكان مثل ذلك في تلك القرون زخرفاً نادراً ، كانت مصر وحدها هي صاحبة الإبداع

فيه . وكان يؤوى إليه الشعراء ، وكان أنقريون الطيوسى بعض جلسائه ومادحيه .

في صدد الكلام على عهد طغيان بوليقراطس هذا ، ينبغي أن نورد خبر الصلات التى كانت لفيثاغورث به والى لدينا عنها معلومات مضبوطة ، فان يميلك وفريريوس وديوجين لايرث يلتقون فى هذه النقطة ، وليسوا بالضرورة إلا صدى كثير من المؤلفين الذين هم أقرب عهدا بزمان فيثاغورث وكتبوا ترجمته مثل أرسطوكسين الموسيقى تلميذ أرسطو وأبلانيوس الصورى وهرميب وديوجين وأنتيفون ... الخ . كان فيثاغورث بن منيزارخس يدلى بأمه إلى أكبر عائلات سموس ، ويمكن أن يتصل نسبه بأنضى مؤسس المستعمرة ، ويظهر أن أباه قد جمع مالا وفيرا من تجارة القمح وكان صوريا على رأى بعض المؤرخين ، وطرهينيا على قول البعض الآخر . وكان يستصحب ابنه معه فى سياحاته منذ حدثته ، فطاف الصبي مع أبيه تلك البلاد التى عني بدرسها بعد ذلك ؛ فلما صار فى سنّ التعلم ، ورأى أبوه فيه مخايل وعليه سيما النجابة ، وصله بأعلى الرجال امتيازاً فى زمنه : طاليس — على ما يقال — وأنكسيمندر وأنكسيمين الملطى وفرقليد السيرونى . وقد عرف فيثاغورث فيثيقيا وهو شاب إذ صحب أباه إليها . ولما أراد السفر الى مصر زوده بوليقراطس بكتاب توصية الى أمازيس ، وذلك يثبت أن رأى فيثاغورث فى بوليقراطس وقتئذ على الأقل لم يكن كراهيه فيه بعد ذلك .

لم تكن مدة إقامة فيثاغورث بمصر محل اتفاق فى التاريخ ، فمن مترجميه ، مثل يميليك ، من حددها باثنين وعشرين عاما وإن كان ذلك قليل الاحتمال . لما أسر عسكر قمبيز فيثاغورث سيق الى بابل ، وهناك اتصل بالمجوس كما اتصل بكهنة مصر مدة إقامته بها ، إذ كان محل إعجاب بذكائه ورجاحة عقله وحسن روايته . ولما رجع الى وطنه وهو متقدم فى السن ، أى كانت سنّه ستا وخمسين سنة على قول يميليك ، فتح فيه مدرسة . وظل السموسيون الفخورون بمواطنهم يعقدون مداولاتهم السياسية قرونا عدة بعد

ذلك في مجلس نصف حلقى مسمى باسم فيثاغورث . وقد قال أرسطوكسين :
 إن فيثاغورث لما ترك سموس فرارا من ظلم بوليقراطس لم يكن يتجاوز من العمر
 أربعين سنة ؛ وربما كان قوله أوجه ، لأنه أقرب عهدا الى هذه الأحداث من
 بمبليك ، ومن المحتمل أن يكون أعلم بها منه ما دام أنه تلميذ أرسطو الذى كان
 يشتغل كثيرا بفلسفة فيثاغورث . وأما شيشيرون فانه ذكر في كتابه "الجمهورية" :
 أن فيثاغورث وصل الى إيطاليا في الأولمبية الثانية والستين أعنى في سنة ٥٢٨ قبل
 الميلاد، أى في السنة التى جلس فيها طرخان العظيم على العرش . ولما كان شيشيرون
 (على لسان سيبيون) يقصد الى تصحيح خطأ تاريخى شائع . فمن الراجح أنه يعرف
 حق المعرفة صحة ما ذكر وأنه غير مخطئ .

ومهما تكن حياة فيثاغورث محجوبة عنا مع ما كان من اشتغال كثير من الكتاب
 الأقدمين بها ، فالظاهر أن من المحقق أنه هاجر من سموس المحرومة الحرية ليجد
 بلدا في إغريقيا الكبرى لا تشتمر فيه نفسه من مشاهد الظلم ويستطيع أن يتمتع فيه
 بالاستقلال الذاتى الذى كان فى حاجة إليه . وكذلك فعل إكسينوفان فى نحو هذا
 الزمن ، إذ كان يفتر من اضطهاد الفرس الذين كانوا أشد ظلما من طغاة الإغريق .
 كان ذلك هو الحظ المشترك لأمثال هؤلاء ؛ فليس من السهل أن يبقى المرء وطنيا
 أو فيلسوفا ينوء بحمل الضغط الذى يأتیه أمثال أولئك الأسياد . وعلى ذلك حمل
 فيثاغورث الى قروطون والى سيبارس مذاهب عجيبة فيها بلا شك شىء من الديانات
 الشرقية التى اتصل بأهلها ، ولكنها حقيقة باحترام كل من يحبون الحكمة والانسانية .
 ولم تصل إلينا مذاهب فيثاغورث إلا عن طريق الوسطاء ، إذ لم يجتمع لنا
 شىء من مؤلفاته الكثيرة التى وضعها فيما يظهر على ما يقول هيلير قليطس ،^(١) والتى مع كون
 فيلولوس أذاعها لأول مرة بعد ثلاثة أو أربعة قرون من وضعها كان يطلبها
 أفلاطون بأعلى ثمن .

(١) ديوجين اللايرى . حياة فيثاغورث ف ٦ ك ٨ ب ١ . وان الرسائل بين أنكسيمين وفيثاغورث
 ربما لا تكون متحلة . ديوجين اللايرى فيما كتبه عن حياة دينك الفيلسوفين .

أما بوليقراطس الذى شاطر فى أسباب تعليم فيثاغورث فانه لقي حتفه على أسوأ ما يكون بعد سنين قلائل من اعتقال الحكيم سموس التى صارت أخط من أن تكون وطناله ، ذلك بأن أورطيس الذى رسمه قيروش مرزبانا على سرديس حاول أن يوسع سلطان الفرس ويدخل الجزائر تحته ، فعزم على أن يوقع بالطاغية الذى أتى سموس الواقعة أمام حكومته قوة ومنعة ، فأرسل الى بوليقراطس سرا رسولا يخبره عنه بأنه مهتد شخصيا بغضب قبيز البالغ حد الصرع ، وأنه يريد أن يودع ماله مكانا آمينا ، ويرجو السيد أن يقبل إيداعها عنده ؛ وليكلا يتظن فى قوله طلب إليه أن يرسل ثقة له ليريه خزائنه المملوءة بالذهب المضروب ، على شريطة أن يبقى نصف المال للمرزبان والنصف الثانى يكون لبوليقراطس ينفقه على مشروعاته الواسعة المدى إلى حد فتح إغريقيا كلها .

لم يطق شره بوليقراطس صبرا ، فأرسل أمين أسراره مندر يوس الى "سرديس" ليحقق خبر كنوز أورطيس الذى خدع الرسول وأراه صناديق مملوءة حجرا مغطاة سطوحها بالذهب ، فرجع الرسول إلى سيده وقتر له ما رأى ، ففرح بوليقراطس وعول على أن يذهب بنفسه لإحضار الذهب ؛ وعبثا حاول أصحابه وعائلته منعه ، حتى لقد كان منه أن هدد آبنته بالآل يزوجه إلا بعد زمن طويل حين تشبثت بمنعه وقت ركوبه الفلك . ومضى وفى صحبته عرافه المدعو هيل الذى لم يصل علمه الى كشف هذه الأجبولة . فلما وصل الى حيث ينتظره أورطيس أمر الغادر بالقبض عليه وصلبه . ومع أن هيرودوت لم يكن به مظنة ضعف للطغاة ، فإنه رثى لحال بوليقراطس الذى كان من العبقريّة والسؤدد بحيث لا يستحق هذه الميتة الشنعاء . وكان فى معية بوليقراطس فى هذه السفرة المشعومة ، غير ذلك العزاف المغفل ، ديموكيد الطبيب الشهير من قروطون الذى وقع هو أيضا بهذه الأجبولة فى الرق ، ثم دعى بعد

ذلك بقليل الى بلاط دارا ليعالجه من التواء مفصلي أصابعه ، وذلك حين أمر دارا مهلك المجوس بقتل أورطيس لارتكابه فظائع لا مصلحة في ارتكابها^(١) .

لما خلت سموس من بوليقراطس لم تستأنح عن الوقوع في قبضة الفرس ، لأن الطاغية لما ذهب الى حيث لقي حتفه كان قد خلف على الجزيرة أخاه مندريوس الذي هو أقل كفاية من أن يلي الحكم ، وجاءت جنود أوطانيس المرزبان الجديد تحت قيادة سيلوسون أخى بوليقراطس الذى نال حظوة عند دارا بسبب أنه عرفه في مصر حيث منفاه ، فهرب مندريوس وترك الجزيرة ، فتولى أخوه شاريلوس قيادة الحامية ، وبعد مقاومة عنيفة سقطت الجزيرة في أيدي الفاتحين ، ودخلها سيلوسون فوجدها خلواً من سكانها .

ولما انتصر دارا على بابل بفضل إخلاص زوبير وجه قواه الى محاربة السيتين ، فصنع له مندروكليس المهندس السموسى القنطرة المشهورة التى عبر عليها جيشه بغاز البسفور ، وهى قنطرة من المراكب لم يكن طولها أقل من أربع غلوات أى نحو ٨٠٠ متر . ولا بد أن يكون اتخاذ مثل هذه القنطرة من أصعب ما يكون ، وكانت واقعة ، على رأى هيرودوت ، بين بيزنطة وبين معبد قائم على مصب البسفور . ولكى يخلد هذا الملك العظيم ذكرى هذا العمل أغدق على المهندس السموسى نعمة ، وأقام عمودين على جانبي الشاطئ كتب عليهما باللغتين اليونانية والآشورية . وقد رسم مندروكليس فى معبد چونون لوحة تمثل القنطرة وجيوش الفرس تعبر فوقها تحت نظر دارا جالسا على عرشه . وقد شفع دارا جيشه البرى بأسطول عظيم يقوده اليونان والأبوليون وفريق من أهل هلسبون ، وأمر الأسطول أن يدخل البحر الأسود ، ثم يدخل مجرى الدانوب ونهر الإستر ، ويقم قنطرة على النهر فى محل تفرعه الأول الى عدة فروع . واتجه دارا بجنوده فى البر من تراقيا الى تلك

(١) السنة ٢٣٠ من تأسيس روما أو ٥٢٣ قبل الميلاد على رأى بلاين ك ٣٣ ب ٦ ص ٤٠٣

طبعة ليرى .

النقطة ، وكانت عدة جنوده البرية سبعمائة ألف مقاتل وعدة سفن أسطوله ستمائة سفينة ، وكانت هذه الجيوش البرية والبحرية مؤلفة من جميع الأمم التي تشملها مملكة الفرس المترامية الأطراف من شواطئ آسيا الصغرى الى الهندوس .

وتقدم الملك العظيم ، على بعد الشقة وصعوبة المسالك ، في طريقه بين تلك الأمم الجافلة التي كانت تولى الأدبار أمامه وتستدرجه شيئاً فشيئاً الى مفازاتها الواسعة وتلك المهامه التي لا تجاز ، كما وقع في أيامنا هذه لفتح أخريش أكثر منه بصراً بالعواقب ولا أقل منه نحساً في الطالع . وقد عني دارا في انتصاراته الموهومة بأن يقيم في طريقه أعلاماً وأعمدة نقش عليها بالعبارات الفخمة : « إخضاع الجيئين » . وكان يبني آثاراً سهلة البناء ، فانه أمر بأن يلقى كل جندي من جيشه العرمرم وهو سائر حجراً في مكان معين ، فيجتمع من هذه الحجارة أكمة عظيمة يخيل أنها هرم . ولقد وجد جيش دارا حتى في هذه المجاهل بعض آثار النفوذ الإغريق ، فان أولئك الرجل الذين كانوا يعبدون « ذالمكسيس » الذي كان ، كما يقال ، عبداً لفيثاغورث بن منيزارخس في سموس ، والذي بعد أن صار حراً وغنيا عاد الى موطنه بشتات من المدينة الهلينية إذ نقل اليهم شيئاً من عقائد سيده العالم . غير أن هيرودوت لم يقبل هذه الرواية وردّها بأن « ذالمكسيس أو غيليزيس » كان أقدم من فيثاغورث بكثير ، وأن فيثاغورث أعجب بحكمته العالية . ولكن تلك الرواية المشهورة مهما كانت كاذبة تدل على الأقل على ما لآسم الفيلسوف من الاحترام منذ تلك الأزمان ، فإليه تنسب الثقافة الأخلاقية والإصلاح الموفق الذي وإن لم يتم كان سبباً في التهذيب من حال أهل تراقيا المتوحشين .

على أن دارا لما وصل الى المحل المعين على نهر الدانوب ، وجد اليونان نفذوا أمره بإقامة قنطرة المراكب ، كما أقاموا قنطرة البسفور . ولما عبر الجنود النهر أراد دارا رفع القنطرة حتى يتبعه الإغريق في غزوته ، ولكن قويس رئيس

المتالفة كان لحسن الحظ أسد رأيا من الملك ، فانه وصل إلى اقناعه ببقاء القنطرة لأنها طريقه الوحيد عند التفهقر، وعلى ذلك أمر دارا اليونان أن ينتظروه ستين يوما فان لم يعد في هذه المدة هدموا القنطرة وسافروا .

حدث ما كان سهلا توقعه ، فان جيش دارا بعد أسفار نحو الشمال متعبة عديمة الفائدة اضطر إلى أن يعود خاسرا تاركا مرضاه وجرحاه . وكانت حاله حال ذلك الجيش العظيم لسنة ١٨١٢ الذي كان في تلك البلاد تقريبا يقاتل أولئك الأعداء أنفسهم الذين خدعوه الخديعة عينها . ولما انتصر السيتيون على دارا من غير حرب تقدموه إلى قنطرة الدانوب ، وكان دارا سيلاقي مالاقي نابليون في عبور نهير بيريزينا لولا أمانة الإغريق الذين وكل إليهم حراسة القنطرة ، فان السيتيين حرضوهم على كسرهما قائلين : إن ميعاد الستين يوما قد مضى ، وإنهم قد أوفوا بعهدهم . وقد نصح لهم ملتباد الآتينى الذى كان قائد أهل شرسنيز وهاسبون وطاغية عليهما والذي صار بعد ذلك فاتح مرطون ، أن يهدموا القنطرة وينسحبوا الى بلادهم وبذلك يهلك الجيش الفارسى ويسترد اليونان حريتهم ، وكانت نصيحته ستجد آذانا صاغية ، ويكون لها من الأثر ما لم يكن لاغراء السيتيين ، لولا أن اجتمع رؤساء اليونان وقضروا بناء على رأى هستيا الملطى أن ينتظروا دارا ويخلصوه . وكان مع هستيا من رعوس اليونان سطرابطيس الشيوخى وأوسيز السموسى ولوداماس الفوكى . وكان أرسطاغوراس الكومى وحده رئيسا للأبوليين . ولم يكن الوفاء بالعهد هو الذى حمل أولئك الرؤساء على هذا القرار الغريب ، بل هى المصلحة الشخصية ، فان هستيا لم يصادف عناء فى إقناع زملائه الذين مصلحةهم كمصلحته بأنهم إذا فقدوا تأييد الفرس لهم لم يلبث واحد منهم سييدا على مدينته التى يحكمها ، بل إن الأمة متى تخلصت من حكم الأجنبي تسارع الى حكم الديمقراطية ، وتحرم رؤساءها الحاليين كل سلطان عقابا لهم على قبولهم المزايا التى خصهم بها الملك الكبير . وقد رجح لدى الرؤساء هذا رأى وأمكن لدارا ، وقد اقتفى السيتيون أثره ، أن يقر منهم بعبور النهر .

ما ذا كان عساه أن يقع لو أن اليونان كسروا القنطرة وهلك بذلك دارا وجنوده ؟ تكون داهية دهياء على مملكة الفرس من غير شك ، ولكن هذه الضربة مهما كانت خطورتها لا تكون هي القاضية ، لأن هنائم مرطون وسلامين وبلاتة لم تكن لتكفي لهذا الغرض . حقا ربما كانت يونيا تستطيع أن تتنفس من ضيق الخناق بعض الزمن وتسترد استقلالها ، ولكن إغارة جديدة أكثر حدة بالضرورة من سابقتها ترجعها الى الخضوع . فلم يكن حان الوقت لسقوط الفرس الذين كانت أمتهم وقتئذ في قوة الشباب وطور النمو الأول ، ولكن هذا لا ينفي الإجماع عن أنانية الرؤساء اليونان فانهم كانوا يستطيعون البقاء على عهد دارا بأسباب أشرف من الأسباب التي اتخذوها .

لما وصل دارا الى سستوس ركب البحر الى آسيا وخلف مغباز على الجنود في أوروبا ، وليفتح تراقيا ومقدونيا . وبعد قليل دعى مغباز الى صوص ، وكذلك هستيا الذي ظهر أن من عدم التبصر تركه وحده في تراقيا ، حيث أقطعه دارا إقطاعات واسعة في مرسيئة جزاء له على خدمته .

ولقد منيت بلاد اليونان بجهد جديد ومصائب جدد تتخمر في باطنها ، فان هستيا لما ترك ملطية نزل عن السلطة الى أرسطاغوراس صهره وابن عمه ، فجاء الى هذا الأخير بعض المنفيين من نكسوس يستنجذونه ، وأحس من نفسه قلة الحول في أن يقوم بمشروع فتح نكسوس وحده ، فرجع في الأمر الى أرتافرن أخى دارا ومرزباناه على سرديس وجميع تلك الجهات التي هي أول مرزبانية في المملكة ، فطمع أرتافرن في الاستيلاء على نكسوس وما يليها من مدن السكلاد وحصل من دارا على الاذن بتسيير مائتي سفينة تحت تصرف أرسطاغوراس ، ولكن الشقاق قد دبت عقاربها بين الأحلاف فاستطاعت نكسوس أن تدافع عن نفسها وأن تصد هجمات محاصريها وتردّهم بالخيبة بعد حصار أربعة أشهر ، وعلى ذلك لم يوفق أرسطاغوراس الى تحقيق شيء مما وعد به مرزبان سرديس ، فخاف من ذلك على سلطانه الخاص ، وعقد

العزم على ألا يكون نصف مذب فغلظ ذنبه ، وأوقد نار ثورة صريحة دفعه اليها أيضا سلفه هستيا الذى كان لا يزال فى صوص عند الملك الكبير ، ولكي يجذب قلوب الملطيين اليه نزل عن حكومة الطغيان ، ورتب بدلها حكومة الشعب ، ودعا المدائن اليونانية الأخرى الى العصيان ، فاستجابت لدعائه وطردت جميع الطغاة الذين نصبوا عليها تنصيبا .

ان ما أتاه أرسطاغوراس من الإقدام الكبير كان بعد استشارة أصحابه . فأما هيقات الملطى المؤرخ فكان رأيه ألا يوقدوا نار الحرب فى الحال وليس لديهم المال الضرورى ، فلما لم يستطع الإقناع برأيه ألح فى وجوب توجيه كل قواهم نحو البحر ، بفكرة أنهم فيه أقدر على الهجوم منهم فى البر ، ولهذا الغاية نصح بأن يأخذوا جميع أموال كريزوس التى جمعها فى معبد البرنشىد ، ولكنهم أصدوا أذانهم عن الاستماع لهذا رأى السديد ، وأصرروا على الثورة على أى حال . وكان أرسطاغوراس يشعر تماما بضعف يونيا فذهب إلى أسبرطة ليتخذها حليفة له .

واقصد عني أرسطاغوراس إيزيد كليومين ملك أسبرطة علما بحقيقة مشروعاته بأن يبين له فى أثناء المفاوضة مواقع البلاد التى كانت موضوع الحديث وهى ليديا وفريجة وقبادوس وفارس ... الخ . بينها له مرسومة على صحيفة من النحاس حملها معه ، وكان وقتئذ من أحدث ما يكون رسم خريطة جغرافية . ويظهر أن أنكسيمندروس هو صاحب هذا الاختراع البدع ، ولكن كليومين لم يفهم إلا بسؤال واحد : "ما هى المسافة بين بحر يونيا وبين المحل الذى يقيم فيه الملك ؟" فأجابه ببساطة : "مسير ثلاثة أشهر" وكان ينبغى لأرسطاغوراس أن يحسب وقع هذا الجواب فى نفس رجل أسبرطى ، لأن كليومين بعد أن سمع هذا الجواب أمر نزيله أن يبرح لقدمونيا قبل غروب الشمس ، ورفض مع الازدراء المال الذى حمله إليه ليحاول إغواءه به . وكان ما قاله أرسطاغوراس عن المسافة حقيقة واقعية ، فان هيرودوت قد عدد بالضبط والعناية المائة والإحدى عشرة محطة الواقعة على الطريق

الجميل الذى أنشأه دارا من سرديس إلى صوص على نهر كواسب أو كراسو البعيد جدًا من مدينة بابل نحو الشرق . فكان ١٣٥٠٠ ذلوة أو ٤٥٠٠ برزنج والبرزنج هو فى المتوسط ٣٠ غلوة أو بعارة أخرى ٦٠٠ فرسخ ، فكان لا بد للقيام بمشروع ضخم كهذا عبقرية اسكندر ومائتا عام حرب على مملكة الفرس الضخمة ، ولم يكن لكليومين من خلقه ولا من زمانه ما يجترئه على معاناة أمثال هذه المشروعات .

لما فشل أرسطاغوراس فى أسبرطة قصد آتينا لأنها صارت شيئاً فشيئاً أقوى مما كانت عليه منذ قلبت طغيان البيستراتيين ، وأخذت ترسل السفراء إلى أرتافرن مرزبان سرديس حتى لا يصغى إلى مزاعم هيبياس الذى التجأ إليه . ولما لم ينجح أرسطاغوراس فى استمالة كليومين ، ونجح فى استمالة سكان آتينا ، وعدتهم ثلاثون ألفاً — كما ذكره هيرودوت بعارة مأوها التهم ، إذ ذكرهم بأن ملطية كانت مستعمرة لاجدادهم — فقرر أن يرسلوا إلى يونيا عشرين سفينة لنصرتها . وكان ذلك — كما رواه أيضاً هيرودوت ، بداية الحرب التى فيها ابست الجمهورية حلل الفخر بتحليص الإغريق والتى فيها لاقت دولة الفرس هزائم قاسية كانت طلائع لخرابها العاجل . وقد حمل أرسطاغوراس البيون أيضاً على الثورة ، وهم أولئك الذين أخرجوا من ضفاف إستريمون إلى فريجة بأمر دارا ، وهربوا منها إلى شيوز وسافروا من شيوز إلى لسبوس ومنها إلى دوريسكوس ومنها عادوا إلى بلدهم الأصل .

لما وصلت السفن العشرون إلى إيفيزوس وانضم إليها خمس سفن أخرى من إريتريا لا قوا إخوة أرسطاغوراس يقودون جند ملطية لأن أخاهم أقام بالمدينة يباشر بنفسه حركة التعبئة وقد ترك الجيش البرى الأسطول فى مياه إيفيزوس وتقدم هو على ساحل "قايستر" يحوس خلال طمولوس حتى وصل إلى سرديس ، فأخذها من غير حرب تذكر وحرقها بغاية السهولة ، لأن سطوح منازلها مغطاة بالقصب اليابس . ولم يتمكن أرتافرن إلا من الاستعصام هو وجنوده بالقلعة . وقد انزعج الفرس والليديون لما رأوا المدينة غنيمة النار ، ولكنهم استجمعوا شجاعتهم وخرجوا إلى المحاربين وثبتوا

أمامهم حتى اضطروهم الى التقهقر نحو الشاطئ ، ونهض الفرس المرابطون على الهالوس الى المعركة فلم يجدوا اليونان في سرديس فاقتفوا آثارهم الى ايفيزوس حيث نالوا منهم نيلا في واقعة كبرى .

ولقد أخذ اليأس من الآتينيين كل مأخذ من جراء هذه الهزيمة فانسحبوا على رغم رجاء ارسطاغوراس وإلحاحه ، ولكنه هو لم ييأس . بل اعتمد على جنوده الخاصة وعلى مساعدة مدن هلسيون وقاريا وجزيرة قبرص العظيمة وإذ ذاك كان أونيزيلوس طاغية سلامين منتقضا على الفرس .

لما علم دارا بما أتاه الآتييون من المشاطرة في إحراق سرديس أقسم أن ينتقم منهم ويجزيهم على هذه الاساءة شر الجزاء ، وأرسل هستيا بدياً ليعيد اليونان الى الطاعة بفضل دسائسه ، ولم تكن مع ذلك أحوال اليونان بخير . بل إن قبرص سلمت بعد مقاومة شديدة ، وقاريا التي كانت ثائرة ردت الى الطاعة وكلازومين سقطت في قبضة أرتافرن وأوطانيس ، وكذلك سلمت كومة أوليد ، فلم يستطع ارسطاغوراس احتمال هذه الخيبة فانزوى في مرسين بلد حميه هستيا . وكان هيكاط الملطي يرى أن الأوفق لهم الالتجاء الى جزيرة ليروس حيث يمكنهم البقاء حتى يعودوا الى ملطية في الوقت المناسب . ولما سافر ارسطاغوراس الى تراقيا قتل أمام قلعة وهلك جيشه .

ولم يكن حظ هستيا بأحسن حالا من ذلك فان أرتافرن تظن في أمره ، واطلع على دسائسه فقرر بعد عناء من سرديس الى جزيرة شيوز فانتبذوه بفكرة أنه صنعة الفرس ، ولكنه بعد ذلك كسب جاذبيتهم بأن أظهرهم على ما فعل لاقامة ثورة اليونان فحملوه الى ملطية حيث قابله أهلها بفتور ، لأنهم بعد أن نالوا حريتهم كانوا يخشون أن يعيد اليهم أيام طغيانه ، ولما نفى من وطنه حصل من أهل لسبوس على بعض السفن يطوف بها جهة بيزنطة ينهب أموال الذين لا يريدون أن ينضموا اليه .

أخذت العاصفة التي أثارها ثورة ارسطاغوراس تهمي على رأس يونيا التي لم تتقهقر أمام هذا الخطر المزعج . انعقد البانيونيون وقرر الحرب ؛ ولم تكن هناك

فكرة في حرب برية فلم يؤلف جيش ما وعوّلت ملطية على أن تتفرد بحماية أسوارها التي يهددها العدو، ولكنهم رتبوا أسطولا عظيما تجتمع سفنه في لادى وهى جزيرة صغيرة قبالة ملطية، فاجتمعت اليه السفن من كل ناحية حتى إن الأيوليين أرسلوا سبعين سفينة فكان الملطيون ومعهم ثمانون سفينة فى الجناح الأيمن جهة الشرق، وكان مع البريين اثنتا عشرة سفينة، ومع الميونتين ثلاثة، ومع أهل طية سبع عشرة، ومع الشيوزيين مائة سفينة، ومع الاريتريين ثمان، والفوكيين ثلاث فقط كالميونتين، وكان مع أهل سموس فى آخر الجناح الأيسر الى جهة الغرب سبعون سفينة، فكان هذا الأسطول الكبير العدد فى طاقته أن يقاوم حلفاء الفرس الذين هم الفينيقيون والقبارصة والصقليون والمصريون، ولكن تسلل الشقاق بين اليونان، وحققت بعضهم على بعض حتى يوم الواقعة فلم يتناصروا كما ينبغي. وكان السموسيون واللسبوسيون أول من فر من حومة القتال. وبكاد الشيوزيون أن يكونوا وحدهم هم الذين صلبوا سعير الحرب وقاموا بواجبهم ولكنهم كانوا أضعف من ألا يهزموا. وختمت الحرب بهزيمة تامة. وكان دينيس رئيس الفوكيين بطلا مغوارا، وكانت عزيمته بحيث يضمن الظفر لو أطاعوا أمره، فلما انهزم لم يجد مناصا من الهرب على شواطئ فينيقيا، ومن هناك الى صقلية حيث يشن الغارة على القرطاجنيين والطرهينيين.

بعد هزيمة لادى حوصرت ملطية برا وبحرا فأحسنّت الدفاع عن نفسها، ولكنها أخذت عنوة بعد حصار مهلك، فذبحت رجالها وسبيت نساؤها وأطفالها، وسبق بهم أرقاء بأمر دارا الى مصب نهر دجلة، واحتل الفرس المدينة والسمل الذى يحيط بها وأعطوا بقية ما كان يتبعها من الأرض الى بيدازي قاريا. أما آتينا التى تحاذلت عن ملطية وتركها، فانها أَلِمت لمصائبها التى هى نذير بمصائب أدهى وأمر. ولقد صاغ هذه الواقعة المحزنة الشاعر المأساوى فرينشوس فى رواية تمثيلية أبكت جميع شهود تمثيلها، فحكم على الشاعر بتغريمه ألف درهم ومنعت الرواية منعاً باتاً.

ثم قصد الفرس جزيرة سموس فلما رآهم أهلها ومعهم أقيس بن سيلوزون طاغيتهم القديم الذى كان نفاه أرسطاغوراس تفرسوا ماسينزل بهم القدر فاستحبوا

الرحيل من أوطانهم على أن يحتملوا ظلمه مرة أخرى ، فهاجروا من جزيرتهم الى قَلْقَطَة حيث كان يدعوهم الى صقلية أهل زنكل . وكان السموسيون هم وحدهم اليونان الذين هاجروا هذه المرة هم والملطيون الذين استطاعوا أن يفروا من المذبحة . ودخل أقيس سموس تحت حماية الفرس الذين آستثنوا معابد هذه المدينة وحدها من الإحراق اعتدادا بجيمل السموسيين الذين تحاذلوا عن اخوانهم يوم لادى .

وقد حاول هستيا أن يقاوم من جديد بعد أن آنضم إليه بعض اليونان والأبوليين ، ولكنه قُبض عليه قرب أطرنة في ميزيا وسبق إلى أرتافرن في سرديس فقتله صلبا وأرسل رأسه مصبرة بالملح إلى دارا في صوص .

ولما قضى الأسطول الفارسي فصل الشتاء في ملطية فتح جميع الجزر شيوز ولسبوس وتسدوس ... الخ في حين أن الجيش البرى يستكمل فتح جميع المدائن الإغريقية .

ولقد كان لا تنصار الفرس نتائج فظيعة ، كما أئذ الفرس بذلك قبله بست ستين حين بدأت ثورة أرسطاغوراس ، فإنهم كانوا يذبجون الرجال ويخصون أجمل الفتيان ويرسلون أجمل الفتيات الى صوص ، ويحرقون المدائن وما فيها من المعابد ليتقموا لحرق معبد سيبيلا إلهة سرديس . وفي أثناء ذلك كان أرتافرن عامل أخيه دارا يدخل في إصلاح الشقاق بين اليونانيين ، وكان يضرب عليهم الجزية التي بق مقدارها ثابتا لم يتغير إلى زمن هيرودوت أى بعد ستين سنة ، ثم أخذ مردنيوس صهر دارا قيادة جيش جرار في البر والبحر وسار به في يونيا يقيم حكومة شعبية متجها الى أوروبا ليعاقب آتينا وإريتريا على مساعدتهما في عصيان مستعمرات آسيا الصغرى . فأما إريتريا فقد أسلمها بعض الخونة فقهرها داتيس ، وحرقت معابدها وصعد رجالها في الأغلال يساق بهم أرقاء الى صوص . وأما آتينا التي هتدها الخطر بعد إريتريا بأيام فانها اقتحمت الحرب وحدها هي والپلاتيون اقتحام الأبطال ، وصدت الغازين في مرطون . وعلى ذكر مرطون أمسك عن القول لأننى لا أقصد رواية عجائب

الشجاعة والوطنية . وما ذا أنا قائل في الوطنية ! آتينا التي سيكون من أمرها أن تثير العالم بكائها قد خلصته وقتئذ بعزيمتها التي لا تتزعزع ، فإذا كان قدر للفرس أن ينتصروا ما كان عسى أن تصير إليه المدينة الغربية ؟ وما ذا يكون مصير أوروبا ؟ الله وحده يعلم ذلك ولكن آتينا تستحق اعترافا أبديا بجميلها . وقد صيرت مرطون بلوغ الطرموفيل وأرتيميزيوم وسلامين وبلاتنه وميكال تجاه سموس من الممكنات . وكان أول شرط لقهر المتوحشين هو عدم الخوف منهم ، ذلك هو السنة الحسنة التي استنتها يونيا والتي أخذت بها آتينا في هذا الظرف أمام خطر مزعج . لقد افتدنا مدينة مينرفا (آتينا) من الاستعباد الأسيوى منذ اثنين وعشرين قرنا . نحن الذين نعرف اليوم آسيا بعلاقة أننا نمدنها نستطيع أن نرى أكثر من اغريق ملتياد وطمستوكل من أية هاوية انتشلونا . ونستطيع أن نحلف كما فعل ديمستين بأسماء الأبطال شهداء مرطون .

في كتاب هيرودوت ينبغي أن تقرأ هذه الحكاية الخطيرة على بساطة في سردها كتبها بعد الواقعة بأقل من ثلاثين سنة ، وإنه ليخاطب في أولييارجالا أخذوا بحظ من ذلك الانتصار ومن الحوادث التي كان يمكن أن يكون هولها شاهد عيان . فلا أريد أن أكرر ما حدث به ذلك المؤرخ الشريف من سيرة المجد ، ولكن لي بعض كلمات على يونيا لآتمشي بالحوادث إلى العهد الذي كان فيه ميليسوس آخر من علم من فلاسفتنا في سموس مذاهب مدرسة إيلي .

لما قهر اليونان اضطروا إلى أن يخدموا سادتهم ويتبعوهم في حروبهم ضد إغريقا ، ففي سلامين كان من سموس اثنان من قواد الأسطول الفارسي : طيومستور بن اندروداماس وفيلاقس بن هستيا ، وقد ألبيا بلاء حسنا ضد سفن لقدمونيا حين كان الفيدقيون يحاربون سفن آتينا ، ولكنه مهما كان لإغريق آسيا الصغرى من العمل في تأليف جزء عظيم من أسطول دارا وإكراركسيس ، فانهم لم يكونوا إلا ليربصوا الفرصة المناسبة للعصيان . بعد هزيمة سلامين جاء أسطول الفرس

يقضى الشتاء فى كومة وفى سموس بعد أن وصلت الملك المغلوب ومعيته . فلما جاءت السنة التالية حضر الأسطول الإغريق تحت قيادة ليوتيجيدس ملك أسبرطة يبحث عن أسطول الفرس فى مياه آسيا الصغرى أظهرت له جميع مدائن الشاطئ والجزر استعدادها لمظاهرتة والعصيان على الفرس ، وعلى الأخص جزيرة سموس ، فانها كانت تلهب شوقا إلى خلع طيومستور الذى رماهم به المتوحشون طاغية عليهم . فأرسلت لهذا الغرض رسلا إلى ليوتيجيدس سواء فى أسبرطة أو ديلوس ، ليؤكدوا له استعدادها . وربما كانت هذه المخبرات هى التى قوت رئيس الإغريق على الحضور لمهاجمة الفرس فى موضعهم ، ولكن المتوحشين منذ الدرس القاسى الذى تلقوه فى سلامين لم يكونوا ليجروا على اقتحام حرب بحرية . وقد أذنوا للأسطول الفيقيق أن ينسحب ، ولم يكذب معهم إلا يونان وإغريق من الشاطئ ، فغيروا مركزهم من سموس إلى ميكال حيث جزوا سفنهم إلى البر وأحاطوها بسور يصح أن يكون خط دفاع ، وإلى جانبها جيش مؤلف من ستين ألف مقاتل تحت قيادة تيجران الذى عهد إليه إكرار كسيس فى المحافظة على يونيا . وكان الفرس يظنون أنهم من موضعهم هذا فى حصن حصين . ولزيادة الحيلة قد نزعوا السلاح من أهل سموس الذين كانوا يهتمونهم بأن لهم ضلعا مع ليوتيجيدس والذين كان منهم أن افتدوا بملهم أسرى آتينا وردوهم إلى وطنهم ، وفوق ذلك فقد كلف الفرس الملطيين بحماية الطرق المؤدية إلى قم ميكال ، وعلى ذلك لم يكن لديهم أدنى ريب فى أن يصدوا من حصنهم كل هجمة عليهم من العدو ، ولكنهم مع ذلك قد أهلكهم الآتينيون والقورنتيون بفضل شجاعتهم وبانتقاض أهل سموس وأهل ملطية ، فدمر جيشهم تدميرا ، وقتل قائده تيجران وحرقت أسطولهم ورجع الإغريق ظافرين من هذه الموقعة مثقلين بالغنائم .

كانت يونيا قد تخلصت من حكم الأجنبي بعد واقعة ميكال ، ولكن هل تستطيع أن تقوم قائمتها بنفسها وتدفع عنها حلق المتوحشين متى تركت إلى قواها وحدها ؟ . كان من المشكوك فيه أن لها طاقة على المقاومة ، فاجتمع القواد فى سموس وتداولوا فيما إذا كان الواجب على اليونان أن يهجروا نهائيا سواحل آسيا الصغرى

ويلتجئوا الى قسم من إغريقا يعين لهم ، فعارض الآتيون جد المعارضة في هذا القرار مع أنه كان من الميسور تعويض اليونانيين على حساب الخونة الذين كانوا قد اتخذوا عن الدفاع في القضية العامة عند الغارة الميدية . وأما الپلوبيونيزيون فانهم انضموا الى هذا الرأي من غير مشقة ، ووقف الأمر عند عقد معاهدة محالفة مع السموسيين والشيوزيين واللسبوسيين وجميع الذين شاطروا في الظفر . وقد كان الجيش الفارسي قد التجأ الى سرديس حيث كان أكراركسيس باقيا منذ رجوعه المنجل ثم تركها توا الى صوص ليستتر عاره ويكظم غيظه . ولما أصبح الأسطول الاغريقي سيدا على بحر إيجه كله لا يهاب فيه عدوا رجع الى جهة پيلوبيونيز سائرا على امتداد كل الشواطئ حاملا من أبيدوس بعض بقايا قنطرة اكراركسيس المشهورة لجعلها في المعابد تذكارا لذلك الانتصار .

لما أمنت يونيا شر غارات الفرس أخذت تعمم ما تحزب ووضعت نفسها تحت حماية آتينا التي تربطها بها تذكارات الماضي ومنافع الحال وضعا تاما بقدر الإمكان ، وبهذه المثابة تحزبت يونيا مع آتينا ضد اسبرطة التي كان ملكها ليوتيخيدس وبوزانياس موضعا للتظن فيما يتعلق بعلاقاتها مع المتوحشين . لقد كانت آتينا قوية جدا في البحر بحيث تستطيع أن تقدم ليونيا مساعدة عاجلة مفيدة في حين أن اسبرطة لا تستطيع أن تقدم هذه المساعدة ولو أرادت . من أجل ذلك أخذ اليونان بحظ عظيم في اتحاد ديلوس وشاطروا بمقدار وافر في النفقات العامة التي أنفقها الحلفاء للتحصن من هجوم المتوحشين كرة أخرى ، وكان ذلك على أثر حوادث پلاتة وميكال أى في نشوة الاستقلال المسترد وبجوحة الثقة المتبادلة (نحو سنة ٤٧٧ قبل الميلاد) .

ولكن آتينا كان من شأنها أن جاوزت في استعمال السلطان الذي أوتيته عفوا فجرت على نفسها الغيرة والأحقاد التي سببت بعد ذلك حرب پيلوبيونيز في وقت كان عدوهم المشترك لا يزال فيه بقية . وأخذ سلطان آتينا ، كما نبه اليه أرسطو ،

يثقل على نفوس حلفائها الذين هم مساوون لها لا رعاياها ، وبخاصة أهل نكسوس وطاشوز الذين عوملوا معاملة قاسية ظالمة (٤٦٧ - ٤٦٥) ولم يكونوا لينتسبوا الى غطرسة الآتينيين في أوامرهم . غير أن الأسطول الآتينى وهو مؤلف من مائتى شراع كان ينخر دائما على شواطئ آسيا عريز الجانب مهيبا من الأسطول الفينيقي الفارسى الذى هرب أمامه حتى بلغ مياه النيل . كانت تلك خدمة حيوية ليونيا . من أجل ذلك كانت يونيا من جانبها تتسامح في كثير من الامتهان الذى كانت تجنيه عليها حليفها القوية في مقابل هذه الحماية المستمرة التى تنالها . والظاهر أن اعترافها بجيئها كان الى الغاية القصوى حين رأت أن استقلالها مضمون بمعاهدة استكرهت آتينا على عقدها الملك الكبير بعد عدة انتصارات داوت الهزيمة التى وقعت في مصر (٤٥٥ قبل الميلاد) . وهذه المعاهدة التى يرجع الفضل في نصوصها الى دهاء سيمون وأعماله في قبرص ، كانت تنص على أن فارس تترك شواطئ آسيا الصغرى التى يقطنها الإغريق حرة تمام الحرية فلا تضع عليهم جزية ولا تدنو بجنودها الى خط على مسافة معلومة من الشاطئ ، وفي مقابل ذلك يتعهد الآتينيون وحلفاؤهم ألا يغزوا بعد الآن قبرص ولا صقلية ولا فينيقيا ولا مصر . وقد أرسل الإغريق سفراء الى صوص حيث صدق على المعاهدة وكان قَلَّاس هو الممثل لآتينا (نحو ٤٤٩ قبل الميلاد)^(١) .

صارت جمهورية آتينا وقتئذ في أوج قوتها ، فانها كانت على رأس اتحاد بحرى تكاد تنصرف فيه على هواها ، مؤيدة بطائفة من الأحلاف في القارة ، سيدة على مستعمرات عديدة على جميع سواحل بحر إيجه وعلى الهلسبون وبحار الإغريق ، يضطلع بأعبائها رجل مثل بيريكليس . فهى لذلك كانت تتطلع الى بسط سلطانها المطلق على جميع الجنس الإغريق . وهذا الطمع هو الذى أعماها وذهب بها . من بين حلفائها كانت سموس وهى أشدهم بطشا وكانت تحتفظ هذه الجزيرة الكبيرة تلقاء آتينا بنوع من المساواة في المعاملة قد لا يألف وما تضمهر الجمهورية من مشروعات بسط سلطانها ،

(١) ألخ ج جروت إلخا شديدا في بيان الأهمية الكبرى لهذه المعاهدة . (تاريخ الإغريق ج ٥ ص ٤٥١ وما بعدها) .

فحدث شجار قليل الخطورة بين سموس وبين ملطية بشأن أرض پرين الصغيرة
جرّ الى المداخلة الآتينية فان الجمهورية قد دعت الفريقين الى التقاضى أمامها .
وكانت سموس تخشى تحيز پيريكليس للمطية التى هى وطن أسپاسيا فرفضت قبول هذا
التحكيم المريب فأرسلت آتينا لفورها أربعين سفينة لإرغام سموس على الطاعة ،
فقبلت حكومتهم من الأوليجارشية الى الديموقراطية ، وأخذ خمسون من أعيان
الاهالى وعدد مثله من أبناء العائلة الرفيعة رهائن وضعوا فى جزيرة لمنوس . وبقيت
حامية فى سموس لتحقيق نظام الحكومة الجديدة (نحو ٤٣٩ قبل الميلاد) .

كان هذا التصرف من جانب آتينا فظيعا فقبول بمثله لأن منفي سموس
ذهبوا الى يسوتيس مرزبان سرديس يستجدونه فأمدّهم ببعض مقاتلين فقصدوا
سموس وعدّتهم سبعائة رجل ، وأنقضوا على حرس الجزيرة الآتيني بياتا وأسلموهم
إلى يسوتيس . وفى الوقت عينه كرة رابحة مثل الأولى على جزيرة لمنوس ردت اليهم
رهائهم ، وفوق ذلك تحالفوا مع بيزنطة التى تكاد تكون مثلهم فى التبرم بحكومة آتينا ،
وكان ذلك مفيدا لهم . كل هذا إنما هو خطر جدى يتهدد الجمهورية ، فلو احتملت
عصيان سموس لذهب ذلك برأسها وبسلطانها الذى كانت تؤيده هدنة الثلاثين عاما
التي عقدت قبل ذلك ببعض سنين مع اسبرطة عدوها الوحيد المريب ، لذلك عقدت
آتينا العزيمة على التنكيل بسموس تنكيلا يمنع سواها من أن يهمل بتقليدها .
ستون سفينة أرسلت سراجا الى الثائرين انفصل منها ست عشرة إما لمراقبة الأسطول
الفينيقى على شطوط آسيا ، لأن يسوتيس لا يفوته أن يضعه تحت تصرف الثائرين ،
وإما لياتى بالمسدد من جزيرتى شيوز ولسبوس اللتين بقيتا تحت الطاعة ، ولكن
من الجائر عليهما أن تقلبا ظهر المجن . وبقي الأربع والأربعون سفينة أمام سموس
تحت قيادة پيريكليس أحد القواد العشرة السنويين الذين من بينهم سوفكل الشاعر
الذى نشر " أنتيجون " السنة الماضية . ومع أن السموسيين كانوا يتوقعون هذا
الهجوم ، فانهم كانوا ذهبوا محاصرة ملطية ، وكانوا عائدين إذ ألتقوا مع پيريكليس

بالقرب من جزيرة تراچيا ، ومع أنه كان لديهم سبعون سفينة من بينها عشرون تحمل رجال حرب فان بيريكليس لم يتأخر عن منازلهم وانتصر عليهم ، وعوضت خسارة سفنه بالمدد الذى جاءه وقدره أربعون سفينة جاءت من آتينيا وخمس وعشرون من لسبوس وشيوز اللتين قدمتاها باخلاص .

وقد تلت الواقعة البحرية واقعة برية ، إذ نزل الآتيونيون الى الأرض ، وانتصروا على الثائرين وأسرعوا في إقامة أسوار عالية تحصر المدينة من ثلاث جهات في حين أنها مضيق عليها من جهة البحر أيما تضيق . وفي هذا المركز الحرج تثنى السموسيين أن يرسلوا خمس سفن تحت إمرة استيزاغوراس يستعجل الأسطول الفيني الذى كانوا أحوج ما يكونون إليه . وليتدارك بيريكليس خطر تجمع هذا الأسطول أسرع بستين سفينة مما معه أمام سموس متجها الى قونوس في قاريا حيث كانت هى موطن الاجتماع كما كان يقال . فلما بعد بيريكليس نرح السموسيون مستقلين ، ولم يكن خط دفاع الآتيينيين قد تم بعد فانهزموا وخربت بعض سفنهم ودارت عليهم الدائرة في البر والبحر ، ولكن نجاح السموسيين لم يكن ليلبث مدة فان بيريكليس لما رجع بعد غيبة أربعة عشر يوما غير مجرى الحال ، ولكن في تلك المدة كانت المدينة قد استطاعت أن تدخر الزاد وفيرا وأستعدت لمقاومة حصار جديد . عاد الحصار كما كان وقوى الحصار البحرى بستين سفينة جاءت من آتينيا وثلاثين من لسبوس وشيوز فكادت تكون عدة مجموع السفن مائتى شراع تحيط بسموس .

في هذه الحادثة نال ميليسوس القدح المعلن في الوطنية وسعد الطالع ؛ إذ كان على رأس الأسطول والجيش فانتز غيبة بيريكليس وحرك حمية مواطنيه بغاية الاقدام وكسب الظفر الذى تكلمنا عنه آنفا . ويظهر على قول بلوتارخس في ترجمة بيريكليس مستندا الى أرسطو : أن ميليسوس هزم بيريكليس نفسه في واقعة بحرية أولى ، غير أن طوكوديدس الذى شهد هذه الوقائع لم يقل شيئا من ذلك فتكون هذه الرواية محلا للشك ؛ ومع ذلك فان النجاح الأول لميليسوس لم يكن من شأنه أن يخلص

وطنه، فإن بيريكليس لما جاءه نبأ هزيمة جيشه عجل الى سموس فخرج ميليسوس للقائه، ولكنه انهزم في حرب برية، ويمكن أن يكون هزم أيضا في واقعة بحرية. وقد استمر الحصار على أضيق مما كان. وبقيت سموس وفيها ميليسوس تقاوم تسعة أشهر، لأن بيريكليس كان أحب إليه أن يأخذها بالأناة حتى مع إنفاق المال والزمان من أن يسفك الدماء الآتية.

فلما جاء السموسيون على آخر زادهم سألوا ودك بيريكليس أسوارهم وأخذ سفنهم واضطروهم الى دفع نفقات الحرب التي قدرت كما قيل بألف طالنطن، أى خمسة ملايين من الفرنكات في زمننا، فدفعت سموس على الفور جزءا من هذا المبلغ الطائل وقتئذ، وتعهدت بدفع الباقي مؤمنا عليه برهائن قدموها. ويقال إن بيريكليس أبدى في هذا الظرف ما تقشعر له الأبدان من الفضاغة في معاملة بعض الأسرى الذين ماتوا تحت العصا بعد تعذيب عشرة أيام، ولكن الذى روى هذه الفظائع مؤرخ متأخر من سموس وهو دوريس في عهد بطليموس فيلادلفوس. ولا شك فى أن روايته تشفى عن الحق الوطني، فان بلوتارخس زيف هذه الرواية التي لم يجد لها أصلا فى طوكوديدس ولا فى أرسطو ولا فى إينفورس وهم الذين استرشد بمؤلفاتهم فى ترجمة بيريكليس.

يظهر أن آتينا كانت تعلق أكبر أهمية بقمع ثورة سموس، لأن مثلها من شأنه أن يُحتذى. فاذا قلد سموس غيرها تداعت مشاريع الجمهورية الآتينية رأسا على عقب. من أجل ذلك قبل هذا الظافر فى آتينا عند عودته إليها بأجل مظاهر التحمس، وأقيمت حفلات المآتم الفاخرة لشهداء هذه التجريدة ووكلت المحكمة المقدسة أمر تأييدهم الى بيريكليس. ليس لدينا نص هذا التأيين، ولكننا يمكن أن نأخذ عنه فكرة من التأيين الذى نقله لنا طوكوديدس من حيث المعانى على الأقل، ذلك التأيين الذى أقيم لشهداء حرب البيلوبونيز، فان بين الحربين علاقة مشابهة، لأن كليهما فتنة داخلية تمزق وحدة الإغريق. وقد قبل مدح شهداء حرب سموس

بغاية الحفاوة، فان بيريكليس لما نزل عن منصة الخطابة قامت اليه النساء جميعهن متأثرات بالاعتراف بفضله يعانقنه ويتوجنه بالأزهار والعصائب، كما كان يصنع بالمصارع المنتصر في حفلة الألعاب العمومية، إلا امرأة واحدة لم تشرك الجماعة في ذلك الإعجاب المجمع عليه، تلك هي إيلينس أخت سيمون الذي كان زمنا طويلا منافس بيريكليس وأقبلت عليه تقول له: "حق إنها أعمال مجد حقيقة بهذه الأكاليل! ولقد أضعنا رجالنا لا في حرب الفينيقيين أو الميديين، كما فعل أنخي سيمون، ولكن في تخريب مدينة مخالفة تدلى بأصلها إلينا وجعل عاليها سافلها".

لم يكن هذا الانتقاد إلا مصداق الحقيقة، ولكن الظافرين قد كانوا سكارى بجمرة الظفر. ولم يكن حظ سموس إلا نذيرا بما غيبه القدر لكثير من المدائن الإغريقية الأخرى في الحرب الكبرى التي كان يتوقعها بيريكليس. والظاهر أنه هو أيضا كان متأثرا بنجاحه الى حد لا يأتلف مع اعتدال أخلاقه المعروف. فاذا صدقنا فيه الشاعر يون الشيوزي حسبنا بيريكليس يفخر بأنه فاق أغامنون الشير الذي قضى عشرين سنين في فتح مدينة أجنبية، مع أنه لم يقض إلا تسعة أشهر للاستيلاء على أكثر المدائن اليونانية مالا وأعزها نفرا، ولكن كلمة بيريكليس هذه إنما نقلها صديق لسيمون خصمه فهي بذلك بعيدة الاحتمال، لأن كلمة كهذه تخرج من فم رجل سياسة لاتعد إلا غشما، إنها نفر شخصي سيئ الذوق ومعاجرة في غير موضعها موجهة للخلفاء، ولكن مهما كان انتقاص هذا الشاعر له حقا أو باطلا، فانه كاف في الدلالة على معلقته آتينا من الأهمية على هذه الحرب قصيرة العمر غزيرة الدماء. وعلى رأى طوكوديدس الذي هو مؤرخ شاهد عيان أن السموسيين لو كانوا انتصروا في هذه الحرب لأخذوا من آتينا سيادة البحر، فكانت هذه الحرب على ما هي محل للأسف حرب موت وحياة بالنسبة للجمهوريتين. فلما خضعت سموس رغم مقاومة ميليسوس العنيفة لم يسبق لآتينا شيء تخشاه الا شر نفسها، وذلك نوع من الخطر تلهو عن الشعور به المدائن كما تلهو عنه كبرياء الأفراد.

لا أريد أن أجاوز بهذه الاعتبارات التاريخية الى أبعد من ذلك بل يظهر لي أنها على إيجازها كافية لأن تكشف بوضوح عن حالة الوسط الحقيقي الذي نشأت فيه الفلسفة والذي عاش فيه الأعيان الذين نشغل بأمرهم وعملوا أعمالهم . وإني ملخص أبرز رسوم هذه اللوحة التي رسمتها لانعاش حياة تلك الأزمان أو بعض أجزائها على الأقل .

أجل ظهرت الفلسفة لأول مرة في آسيا الصغرى قبل الميلاد بستة أو سبعة قرون ، انها المستعمرات الاغريقية التي خرجت من يونيا بيلوبونيز ، وهى التي أشعلت هذا المصباح في أقطار نصف متوحشة ونقلته الى آتيننا حيث كان الاستعداد للانتفاع به تاما ، فان أنكساغوراس الكلازومينى عاش مع سقراط ، وسقراط هو أب لأفلاطون ، ويمكن أن يقال إنه أب لأرسطو أيضا ، ولكن قبل أرسطو وقبل أفلاطون وقبل سقراط كانت بذور الفلسفة مبدورة على أرض أخرى ، وكان من اللازم أن تنقل الى أطيقا حيث تؤتى ثمراتها . نعم إن الفلسفة كانت مسبقة هناك كما هو شأنها في كل ناحية بالشعر ، فان هوميروس أنشد من قبل أن يفكر فيثاغورث بأربعمائة أو خمسمائة عام ، ولكن العلم بجميع صوره : الفلك والرياضيات والطبيعة والتاريخ والطب ، كل ذلك تبع الفلسفة وناصرها ، لأن الفلسفة هى التي نفخت روح الحياة في كل هذه الفروع وأكتسبت بها قوى جديدة .

في وسط المنازعات المدنية والحروب الأجنبية والتجارة والصناعة والملاحة الى الجهات السحيقة والوقائع والأخطار المتنوعة ، في وسط حروب الأبطال التي كان يذكى ناراها فئة قليلة من الرجال الأذكياء الأحرار على دولة نخمة ، في وسط كل ذلك يجب أن يوضع مهد الفلسفة الخاشع المجيد . لم يكن هاجر فيثاغورث وإكسينوفان الى شواطئ إيطاليا وإلى إغريقيا الكبرى إلا سخطا على الطغيان أو الاضطهاد . وما لقحت إيطاليا إلا بهذين الأستاذين اللذين جاءها من الشاطئ الآخر للبحر ، ولكنها لم تثمر لأن النبات الغريب لم يجد فيها الأغذية الضرورية

لنضججه . فكان أن ترجع الفلسفة الى منزلها الأول الذى منه درج أوائل المهاجرين لتكسب فيه صورتها الحقيقية وتكتسى ثوب جمالها وتستوفى قسطها من العظمة وحقها من الاستقلال الذى كللها به استشهاد أهلها . غير أن هذه الفلسفة ذاتها مهما دعا الظاهر الى أنها ابتدعت فى إغريقيا أفلا يكون من المحتمل أن تكون اقتبست الشرارة من قبس الاختلاط مع جيران إغريقيا ؟ فان طاليس قد عاش مع الليديين ، وأصل أجداده من فينيقيا . وفيثاغورث الذى يمكن أن يكون هو أيضا من أصل فينيقي زار حقيقة سوريا ومصر وكلاهما ماذا تعلم هناك ؟ وماذا جلب منها ؟ أو بعبارة أخرى بماذا تدين الفلسفة الإغريقية جدة فلسفتنا وأم غربنا للعلم الشرق ؟ هل من عليم يحل هاتين المسألتين ؟ هل العقل اليونانى بل العقل الغربى اقترض شيئا ما من العقل الشرق العتيق ؟ هذه أيضا مسألة مظلمة على ما لدينا من النور الحديث ، وسأحاول الجواب عليها بعد ، غير أنى بادئ ذى بدء أبغى تكملة لما سبق أن أثير مسألة أقل بسطا ولو أن لها أهميتها وفائدتها فإنها مع قلة تسديدها جوهرية .

نحن نعرف فلا سفتنا ونعرف بعض الحوادث الرئيسة فى حياتهم . نعرف بعض مؤلفاتهم إن لم تكن لدينا كلها . وإذا كان هوميروس هو وحده الذى وصل إلينا كاملا تقريبا بفضل أفلاطون فقد كان يمكن أن يصل إلينا الآخرون اذا لم تكن المصادفة أعدمت تأليفهم التى هى مستودعات أفكارهم . إذا فقد كتب الأقدمون ! ومن ذا الذى يجعل ذلك موضعا للشك ! هذه النظرية التى أقربها هنا ليست قاصرة على ما يتعلق بطاليس وفيثاغورث وإكسينوفان ومعاصريهم ولكنها تنسحب أيضا على من قبلهم وعلى من بعدهم إلى مسافات طويلة ، كيف خرجت من أيدي مؤلفيها تلك المؤلفات التى هى الآن تحت أيدينا كاملة أو آثارا ناقصة ومخرومة . وعلى أى مادة كتبت بادئ الأمر وماذا كانت وسائط الكتابة فى عهد إكسينوفان بل فى عهد ليكورغوس أو هوميروس ؟ ولأجل أن يكون بحثنا فى حدود وضعية ضيقة

تساءل كيف كانوا يكتبون في المستعمرات الإغريقية بآسيا الصغرى في حاجات تجارتهم النشطة ومقتضيات سياستهم المعقدة الحازمة وشعرهم الحاد وعلمهم العجيب وبالجملة في سائر حاجات عيشة اجتماعية راقية مليئة بالأعمال .

أظن أننا الآن بحيث نجيب على هذه المسئلة بطريقة قاطعة واضحة تمام الوضوح . ولكن قبل أن نقول كلمتنا في هذا اللغز نرى من الحسن تقديم حوادث مسلم بها لنبين أن استعمال الكتابة قبل الميلاد المسيحي بسبعة قرون في آسيا الصغرى بل في فارس نصف المتوحشة كان من الانتشار والسهولة على ما هو عليه عندنا الآن . كانت موادها أشياء أخرى ولكنها تكاد تساوى المواد التي نستعملها اليوم إلا عجوبة المطبعة . لم يكن للناس في تلك الأزمان البعيدة ورق كالأوراق التي عندنا، ولكنهم كان لديهم ما يساويه وما يؤدي لهم المطلوب من الورق .

أفتح بالمصادفة هيرودوت وطوكوديدس وإكسينوفان وأفلاطون وأرسطو وأخذ الأشياء كما رووها بل كما رأوها وكما استعملوها .

أضمر هربغوس وهو في معية أصطياغ ملك الميديين أن ينتقم من سيده القاسى انتقاما وينتصف لنفسه ، وأراد أن يتفق مع قيروش الذى على حداثة سنه كان له بين الفرس من النفوذ ماسيخرج منه مملكة فسيحة الأرجاء . لما لم يسع هربغوس أن يتصل مباشرة بالأمير الشاب الذى يحمل هو أيضا ما يدعوه للانتقام ، أرسل خادما أميناً يحمل اليه بعض الصيد ، وجعل فى بطن أرنب كتاباً أخفاه فيه يخترص به قيروش على الثورة ، ويؤكد له مساعدته إياه . ما ذا فعل قيروش ؟ لما فتح بطن الأرنب بيده ، كما أوصى المهدي خادمه به ، وقرأ الكتاب بمعزل ، وضع كتاباً مزوراً يفيد أن أصطياغ قد عينه رئيساً على الفرس التابعين وقتئذ للميديين . وقرئ ذلك الكتاب المزور على أعضاء عائلة الأشميين فصدقوه ، وبهذه المثابة قادهم قيروش على غير علم منهم وحارب بهم أصطياغ^(١) وخلعه . ولم يكن هربغوس وقيروش مع ذلك

(١) هيرودوت ك ١ ب ١٢٣ وما بعده

إلا متوحشين ، ولكن ها نحن أولاء بصدد أناس متعلمين في آسيا الصغرى وفي مصر .

وهذا بوليقراطس طاغية سموس وهو على سرير ملكه متمتعاً بالرفاهية الى غايتها والناس الذين يعجبون به أو يخافون بطشه يكبرون منه حذقه وسعاده . وكان له بأمازيس الحكيم ملك مصر رابطة اتفاق بل صلة صداقة نخاف أمازيس على صاحبه ذلك الموقف المهييب مما اجتمع له من التوفيق المستمر أن يتغير له الدهر ، وهو يعلم أنه لا ثبات للحظوظ الانسانية فنصح له أن يحذر الغير في تقلب القدر ، كتب له بذلك خطاب عطف ونبوة أوصاه فيه أن يضرب على نفسه قربانا يتقى به سخط الحظ الخادع الخائن إن استطاع . فأجابه بوليقراطس الذي يخشى على نفسه ما يخشاه صاحبه بخطاب أرسله اليه في مصر ، ذكر له فيه الوسيلة التي اتخذها ليصيب نفسه بحض اختياره بمصيبة موجهة . والمصادفة الخارقة للعادة هي التي صيرت قربانه عبثا . فكان أمازيس و بوليقراطس يتبادلان الرسائل بين سموس ومنفيس على نحو السهولة التي يتخاطب بها التجار في وقتنا الحاضر بين أزمير والاسكندرية ^(١) . لست أدعى أن الخطاب الذي نسبه هيرودوت الى أمازيس صورة رسمية من خطابه الأصلي لا يتطرق اليها الشك ولكنه لا محل لأدنى شك في أن الملكين كانا يتبادلان الرسائل الكتابية .

كذلك كان بوليقراطس نفسه قد جمع مكتبة كثيرة الكتب كما ذكرنا آنفاً ، وقد كانت في العالم الإغريق احدى الباكورات التي استمتع بها بوليقراطس وأنفق في جمعها مالا طائلا . ويقولون نحو ذلك بالنسبة الى بيزيسطراط المتقدم بالزمان على بوليقراطس . يقولون إنه أنشأ مكتبة في آتينا وجعلها مكتبة عمومية لياطف من حال الشعب بهذه المزية وبغيرها ، ولكن ناقل هذا الخبر اليها هم من المتأخرين ، لأن أحدهما أطيني والآخر أولوجل ، غير أني لا أجد أسبابا تحمل على الشك

(١) هيرودت ك ٣ ب ٤٠ وما بعده .

في روايتهما . فأما بوليقراطس فإن مصر كانت له قدوة ما كان أسهل عليه تقليدها كما سنبينه بعد ، وكان في استطاعته أن يجمع آثار المؤلفين الذين يعجبون سكان الشواطئ الذين يطربون للشعر ويتذوقون طعوم العلم منذ عهد هوميروس . وأما بيزيسطراطس فمن المؤكد أنه إذا لم يكن فتح مكتبة للجمهور فهو على الأقل قد اقتنى الكتب واشتغل بنفسه فيها لغرض سياسي محض . وروى بلوتارخس في كتابه "حياة طيسى" أن بيزيسطراطس سأل من "هيزيود" بيت شعر كان يمكن أن يجرح صائف الآتينيين ، وأنه زاد على قصيدة هوميروس بيتا من شأنه أن يسرهم ، فذلك الحذف وهذه الإضافة كيف يمكن إثباتهما إلا أن يكون لديه نسخ من تلك القصائد يمكن فيها التغير والتبديل .

نرجع الى استعمال الرسائل في العهد الذى نحن بصددده .

إن أوريطيس مرزبان سرديس الذى عامل بوليقراطس بتلك القسوة القظيمة استوجب بسلوكة الوحشى سخط كل من حوله ، فإن أحد زملائه عاب عليه أحبولته التى نصبها لطاغية سموس ، فقتله هو وابنه . وكان دارا الذى ارتقى عرش الملك حديثا ساخطا على أوريطيس الذى فوق ما قارف من الآثام تلكا فى حرب المجوس والفرس بعد موت قمبيز ، وكان ذلك أكثر مما يلزم للملك الجديد من الأسباب التى تحمله على التخلص من مرزبان قوى يسوس فريجة وليديا ويونيا جميعا ويقود جيشا عمر مرما . ولأن يقبض عليه جهرا بالقوة فيه ما فيه من عدم التبصر خصوصا فى ابتداء حكم جديد . ومع ذلك فإن أوريطيس دس على سفراء دارا الذين جاءوا يدعونه الى مقابلة الملك من قتلهم سرا ، فصار بجيلة ما فعل مستحقا للعقوبة ، ولكن كان يلزم مداراته بعض الشئ وتجنب ثورة أصبح حدوثها قريب الوقوع ، فدعا دارا أكابر الفرس وطلب اليهم أن يخلصوه من ذلك العاصى إما بقتله وإما بالقبض عليه وإحضاره ، وفى كلتا الحالتين لا ينبغي اتباع غير طريق الحيلة ، فتقدم اليه منهم ثلاثون دفعة واحدة كلهم يعرض قيامه بهذا العمل وحده ، فلم يشأ دارا أن يختار من هذه العروض الصادرة عن الاخلاص واقترع بين أصحابه فصادفت القرعة باجى بن أرطوطيس .

ما ذا فعل باجى؟ كتب كثيرا من الأوامر تتعلق بمسائل شتى، وختم كل واحد منها بختم دارا، فلما وصل الى سرديس سلم هذه الأوامر الى سكرتير الملك بحضرة أوريطيس، لأن كل مرزبان كان لديه ممثل للملك، ففوض السكرتير الخاتم عن تلك الأوامر وقرأها على الضباط العظام الذين كانوا حول أوريطيس. وكانت تلك الأوامر موجهة اليهم بنوع أخص، فتلقوا جميعا أوامر الملك بغاية الطاعة والاحترام. فسر باجى بهذه المحنة الأولى ورأى أن في استطاعته الاعتماد على طاعتهم، فأفوض اليهم سرا ببعض الأوامر التي يأمرهم فيها دارا بالانفضاض عن أوريطيس والانقطاع عن خدمته، فأطاعه الضباط أيضا وألقوا رماحهم دلالة على أنهم تركوا المرزبان، فلما تحقق باجى من تأثيره فيهم جعل سكرتير الملك يقرأ عليهم أمره إياهم بقتل المرزبان، فهجموا عليه نحر صريعا تحت طعنات سيوفهم، وبذلك أخذ منه القود ليوليقراطس، ونال دارا بغيته من الانتقام^(١).

على ذلك كان الفرس أنفسهم في زمن دارا يستعملون الكتب بالسهولة التي يستعملها بها الإغريق الذين هم أرقى منهم تعلما وأكثر مدنية، فان الملك الكبير كان يرسل أوامره الى جميع أجزاء مملكته الفسيحة الأرجاء. وكانت هذه الأوامر مكتوبة بالأوضاع وبالمواد التي ربما لا تزال تستعملها الى الآن تلك البلاد القليلة المدنية.

لما اتهم الإغريق پوزانياس بأن له ضلعا مع الفرس وكرهوه عزم فعلا على خيانة قضيتهم الشريفة التي طالما خدمها في بلاطة، فراسل اكراركسيس بكتاب يعرض عليه فيه أن يخضع له أسبرطة وبقية بلاد الإغريق، فقبل ملك الفرس عرض ذلك الخائن، وكتب إليه بخط يده كتابا أرسله إليه مع أرتباز مرزبان دسكيلينس. فلما أحسن أهل إيفورس خيانة ملكهم، كتبوا اليه يندرونه بأن يغادر طروادة ويعود الى أسبرطة حيث يستطيعون مراقبة سلوكه. فلم يجرؤ پوزانياس على

(١) هيردوت ك ٣ ب ١٢٦ وما بعده.

مخالفتهم ، وعاد الى مقر ملكه ، ولكنه لم يكف مع ذلك عن مراسلته الجنايية ، ولكن الرجل الذى سلم اليه آخر الرسائل خاف على نفسه لأنه لم يعد ولا واحد من الرسل الذين حملوا أمثال هذا الكتاب الى دارا ، ففَضَّ غلاف الكتب بعد أن قلد الختم الموضوع عليها ليقلها كما كانت ؛ فتحها ليرى ما اذا كان لخوفه محل ، واذا به يقرأ توصية على قتله ، فحمل الكتب الى أهل إيفورُس وبلغهم أمر الملك الذى كان يسلم إغريقا للتوحشين .

إن تاريخ طيميستوكل أشبه ما يكون بتاريخ پوزانياس وإن كان أقل منه جنائية ، لأن الآتينيين كانوا عرضوه على الخيانة بأن عاقبوه بالنفى ظاهرا فكاتب أرطقزاركسيس . ولما هرب من أرغوص الى قرقيرو ومنها الى الملك أدميت ملك الملوص ، ومن عنده الى اسكندر ملك مقدونيا جاء آخر الأمر الى إيفيروز حيث كتب الى الملك الكبير يطلب اليه ملجأ أباه عليه الإغريق . وقد روى طوكوديدس صورة ذلك الكتاب ولا محل للتظنن في صحته ^(١) .

من غير النافع أن نعدّد الأمثلة لأنها مستفيضة في جميع المؤرخين الذين لم أذكرهم وليس من الضروري أن نذهب بالتمثيل بعيدا ، فقد وضع أن الناس في إغريقيا وفي آسيا الصغرى كانوا يستعملون الكتب في الأعمال العمومية والخصوصية على نحو ما نستعملها نحن تقريبا ، وبوسائل أشبه ما تكون بوسائلنا من حيث المادة التى كان يسهل الحصول عليها من غير عناء ، وأنهم يهتمون الأوراق على نحو ما نهتم أوراقنا بالطوابع الرسمية ، وبالأختام التى يمكن تقليدها من غير أن تكسر ... الخ .

وماذا كانت تلك المواد ؟ — .

تجيبنا على ذلك عبارة هيرودوت الصريحة ، فإن ذلك المؤرخ العظيم للأزمان الأولى للعالم الإغريقى قال فى عرض حديثه عن كيفية نقل "قدموس" الحروف الهجائية من فينيقيا الى القارة عند اليونان ما يأتى :

(١) طوكوديدس ك ١ ب ١٢٨ وما بعده .

” يطلق اليونان على الكتب من قديم الزمان اسم الدفاتر أو الجلود لأنهم “
 ” لما لم يكن عندهم ورق في تلك الأزمان كانوا يستعملون للكتابة جلود المعزى “
 ” والغنم ، بل في أيامنا ما يزال كثير من المتوحشين يكتبون على الدفاتر أو جلود من “
 ” هذا النوع “^(١) .

وقد أتى هيرودوت بما لا يقل عن ذلك عجباً ، فانه ذكر أنه رأى بنفسه عند
 زيارته طيبة في بيوسيا في معبد أبولون الأسميني ثلاثة نصائب منقوشا عليها
 بالحروف التي كانت تستعمل في يونيا . وهذه النقوش بالغة في القدم الى لا يوس
 أبى أوديب أى بعد قدموس بأربعة أجيال .

إن الكلمة التي يستعملها هيرودوت عبارة عن الكتب هي كلمة ” بيلوس “
 ودلالاتها معروفة بصورة مضبوطة ، فان هذه الكلمة تدل على جزء معين من بردى
 مصر . ولم يترك تيوفراسط محلاً لأقل شك في هذا الصدد ، فانه في كتابه ” تاريخ
 النباتات “^(٢) قد وصف النباتات المائية ، وتبسط في وصف البردى الذي ينمو في ماء
 النيل ، وعدد الاستعمالات المهمة المتنوعة التي يصاح لها البردى ، وبعد أن قال : إن
 من الخشب تصنع المراكب ، قال : ” ومن البيلوس تصنع الشرع والحصر والملابس
 أحياناً والنعال والحبال وأشياء أخرى كثيرة أهمها الكتب ” بيليا “^(٣) المعروفة عند
 الأجانب حق المعرفة . وعلى ذلك يكون معنى بيلوس الذي ذكره تيوفراسط هو
 ذلك الجزء من ساق البردى الذي لمرونته ومقاومته يقبل هذه الاستعمالات المختلفة
 بالنسج واللى .

وخلاف مكتبتي بيزيسطراط وپوليقراطس ، فالثابت من الأدلة التفصيلية التي
 أتى بها أفلاطون أن الكتب في زمنه على المعنى الذي نفهمه نحن من هذا اللفظ
 كانت منتشرة جد الانتشار بآتيننا . وقد روى سقراط نفسه في كتاب ” فيدون “^(٤) أنه
 سمع ذات يوم انساناً يقرأ كتاب انكساغوراس وفيه أن العقل هو نظام كل الأشياء

(١) هيرودوت ك ٥ ب ٥٩ وما بعده .

(٢) تيوفراسط وتاريخ النباتات ك ٤ ب ٩

ومبدؤها . ولما قرعته هذه الحكمة البالغة رجا أن يجد في انكساغوراس حل كثير من النظريات بعد ما سمع من براعة الابتداء ، فجذ في طلب مؤلفاته وهو يظن أنه سيتعلم منها علم الخير والشر ، فقرأها على شوق الفهم ، ولكنه كلما تقدم في القراءة خاب من رجائه فألقى بها الى جانب ليعود الى تفكره الذاتي ؛ اذا كان اسقراط كتب يراجعها ويتركها ، كما يفعل بيننا عشاق العلم والحكمة سواء بسواء ، يرجعون الى كنوز دور الكتب فلا يجدون فيها شفاء الغلة الذي يطلبونه .

وروى أنتيفون في أول كتابه « پرمينيد » نقلا عن رواية فيتودور أحد أصحاب زنون الإيلي قال : ” لما أتى پرمينيد وكان قد تقدم في السن الى آتيننا مع تلميذه أقام في حي السيراميك خارج الأسوار فانتقل إليه سقراط في رفقة ليسمع قراءة كتب زنون “ وكانت تلك هي أول مرة حمل فيها زنون و پرمينيد هذه الكتب الى آتيننا . وكان سقراط وقتها صغير السن . وكان زنون نفسه هو الذي يقرأ كتابه لأن پرمينيد كان غائبا في تلك اللحظة وكان على وشك أن يفرغ من القراءة إذ عاد فيتودور ومعه پرمينيد ومستمع آخر هو أرسطوطاليس الذي صار بعد ذلك أحد الثلاثين ، ولم يسمع فيتودور إلا قليلا مما كان باقيا ، ولكنه أقام الى آخر التلاوة التي كان قد سمعها قبل ذلك في جلسة أخرى .

لما أصغى سقراط الى النهاية طلب الى زنون أن يتفضل بإعادة القضية الأولى من الكتاب الأول فأجاب طلبه مع الارتياح ، وأخذ الكتاب وأعاد الجملة التي وقف فيها سقراط والتي أراد سقراط استحضار ألفاظها حتى يدخل في مناقشة المعاني : ” اذا كانت الموجودات متعددة لزم عليه أن تكون متشابهة وغير متشابهة في آن واحد فيما بينها ، وهذا مستحيل لأن غير المتشابه لا يمكن أن يكون متشابها ، وما هو متشابه لا يمكن أن يكون غير متشابه أيضا “ وأبدأ الجدال وقتئذ فكرر سقراط قضية زنون ، وسأله اذا كان هذا حقا هو ما يريده ؟ فأكد زنون أن ذلك هو غرض كتابه ، فالتفت سقراط الى پرمينيد وقال له : ” أرى واضحا أن زنون متصل بك لا بصلات الصداقة فقط بل بكتاباته . فالواقع أنكما تقولان جميعا معني

واحدا، وإن اختلفت العبارة، فإن أحدا كما يثبت أن الكل هو واحد، ويثبت الآخر أن التعدد ممتنع“ فأعترف زنون بأن الحق في جانب سقراط، وأنه ما كتب كتابه إلا انتصارا للمذهب پرمينيد ضد أولئك الذين ييغون جعله سخرياً، وأن كتابه جواب على نصراء التعدد، وأن الغرض منه أن يبين لهم أن مذهبهم نفسه له نتائج أسخف من المذهب المضاد. وزاد على ذلك زنون بقوله: ”إنى ألقت هذا الكتاب مدفوعا بدافع المجادلة، فسرق منى قبل أن أسائل نفسى عما إذا كان ينبغي نشره أو لا ينبغي. على هذا كنت يا سقراط تخدع نفسك إذ اعتقدت أن هذا الكتاب إنما أملت على رغبة رجل ناضج بدلا من أن تنسبه إلى شاب يميل به ما لطبع الشباب من حب المغالبة“.

وأستمر حديثهم دأرا على موضوع الوحدة والتعدد بما هو معروف لديهم من الموارد والمغالطة مما أكف عن الاسترسال فيه، فحسبنا هذه التفاصيل دلالة على أن زنون وپرمينيد لما جاء من إيليا إلى غرب إغريقا الكبرى كان في بلدهما كتب كما في آتينا، وأن هؤلاء المتناظرين كانوا يتخذون الكتب لما يتخذونه من الأغراض يقرءونها ويعيدونها ويقفون ببعض جملها للتحقق منها. ونحن في شأننا لا نقلب إلا على مثالهم صفحات ما لدينا من الكتب التي في حجم الثمن أو الاثنى عشرى التي ليست بأكثر مطاوعة للتقليب من كتبهم.

وفي مقدمة فدر الرشيقه قابل سقراط ذلك الشاب الذى خرج يتنزه في الخلاء بعد أن مضى صباحه قاعدا. فیم قضى فدر صبحه إذا؟ في استماع قطعة كان يقرؤها له ليزياس بن سيفال، وما زال مأخوذا بما قرأ عليه. وقد كان ليزياس أتى خصيصا لهذا الغرض من بيره إلى مونيشيا، فطاب سقراط من صديقه الشاب أن يفسر له ذلك الكلام العجيب، فامتنع فدر بفكرة أنه أقل علما من أن يكرر مثل تلك العبارات الجميلة، ولكن سقراط الذى كان عاليا بشغف صاحبه رقيق الحاشية أكد له أنه لا بد أن يكون قد حفظ تلك القطعة عن ظهر قلب، لأنه لا بد أن يكون استعداد

من مؤلفها أن يقرأها عدة مرات وأنه لم يقنع بذلك بل لابد أن يكون أخذ الكراسة المكتوبة فيها حتى يقرأها على خلاء ، وأن ذلك كان شغله الشاغل الذي ألهاه عن الخروج صبيحة يومه ، فأخذ فدر يتنصل بحجج ضعيفة ، ولكن سقراط ألحف في المسألة فأظهره فدر على الرسالة المخطوطة التي كانت بيده مخبأة تحت طرف رداءه ، وأخذ الصاحبان يبحثان وهما سائران على شاطئ الألووص حيث كان يغمر فيه سقراط قدميه ليتردد ، عن مكان يناسب القراءة بالراحة حتى وصلا الى مجلس تحت شجرة ساج عالية ظليلة بجانب شجرة كف مريم يعطر نورها الهواء على مسمع من خري عين صافية بين التماثيل والأصنام القائمة للخور ولنهر أخلاوس ، فجلس فدر وسقراط في الظل على الحشيش الغض وقرأ الشاب كتاب ليزياس في النسخة التي معه .

فأثنى سقراط على بلاغة ليزياس ، ولكنه لم يصل الى حد إعجاب صاحبه الشاب وقال له : إن هذا الموضوع قد كتب عليه الحكماء في الأزمان القديمة بما لا يقل إجادة عن هذا ، وحسبك منهم الحسناء سافو الشاعرة أو الحكيم أنقريون بل حسبك أى كاتب من الكتاب ، فلم يصدق فدر من ذلك شيئا وسأله أن يأتي بأحسن مما أتى به ليزياس ، وإن لم يفعل على الفور فلن يقرأ له شيئا بعدها ، فأخذ سقراط لفوره في مسابقة ما ظنها مستحيلة عليه . وأعاد كلام ليزياس في نفس الموضوع على ما فيه من الشطط والإشكال ، ولكنه ارتقى كثيرا عن هذه المنافسة التافهة في موضوع مطروق ، واتهز هذه الفرصة ليعطى الشاب درسا في الخطابة والدوق . إن ليزياس يكتب أكثر مما ينبغي فيجب تعلم الحكم على مؤلفاته حتى لا تعطى من القيمة أكثر مما تساويه في الحقيقة ، وإن رجال السياسة البصراء يربثون بنفوسهم عن تأليف مؤلفات تكون بعدهم موضوعا لانتقاد الخلف انتقادا قاسيا ، فاذا كتبوا بالمصادفة شيئا كتبوه بكل عناية حتى لا يعاب عليهم . وهذا بيريكليس أخطب الخطباء وتلميذ أنكساغوراس العظيم لم يترك شيئا مكتوبا .

وبينا سقراط يرسم قواعد الخطابة الحقيقية إذا به يصل الى اختراع الكتابة والكتب . على حسب أسطورة محفوظة في تفرانس ، احدى مدائن الدلتا ، ربما كان سولون قد وعاهها من هناك ، أن الكتابة من اختراع الإله توت وهو أفضى بها الى الملك طاموس الذى كان يحكم فى طيبة . ولم يعجب طاموس بهذا الاختراع كما أعجب به مبدعه ، وخشى على المصريين من الكتابة التى يبعد عليها أن تصيرهم أكثر حكمة بل تضرهم متى جعلتهم يعتقدون أنهم يعلمون ما يقرءونه قراءة سطحية فى كتبهم . قال سقراط معضدا رأى طاموس : "يكون الانسان" "من البساطة بمكان اذا تصور أنه يمكن إيداع أى فن من الفنون فى الكتب . وأنه" "يمكن تعلمه منها ، كما لو كان قد نخرج يوما من الكتب شئ بين متين ، إلا ما يكون" "من تنشيط الذاكرة عند الذى كان يعلم من قبل ما تحويه الكتب . وإن محصلات" "الكتابة أشبه بمحصلات الرسم . سل لوحات الرسم تجبك بسكوت جليل ، وسل" "الكتب تجبك دائما بهذا الجواب . وقد تعتقد عند استماع ما فيها أنها عليمه ،" "ولكن مقالا متى كتب دار فى كل ناحية ، فيقع فى أيدى من يفهمونه كما يقع" "فى أيدى الذين لم يكتب لأجلهم ، وانه لا يعرف لمن يتكلم وأمام من يلزم الصمت ."

"فاذا آحقره أو عابه أحد بغير حق التجأ الى أبيه ليساعده ، لأنه لا يستطيع أن" "يقاوم ولا أن يساعد نفسه " .

فسقراط يحط من شأن هذه المقالات الميتة فى طى الكتابة التى يحويها ويرفع فوقها قدر المقال الذى ينقشه العلم فى نفس الذى يتعلم ، ذلك المقال الحى الملىء بالحياة هو الذى يبقى فى الذهن ، وما منزلة المقال المكتوب منه إلا الشبح الباهت . هذا هو ما ينصح لفسدر أن يكثر العناية بمزاولة . ان الشاعر والناثر يصححان ويحززان ألف مرة ما قد كتبا ، يزيدان عليه أو ينقصان منه ، ولكن يلزمهما قبل كل شئ أن يهتما بما فى نفسيهما ويرعيانه حق رعايته ، تلك هى الوسيلة لاستحقاق ذلك اللقب الجميل لقب الفيلسوف . ذلك هو رأى الذى يمكن أن يعطيه فدرالى

ليزياس ، وذلك هو الرأى الذى يعرف سقراط كيف يجعل أصحابه الشبان يتذوقونه ، وعلى الأخص إيزقراط الجميل الذى عليه مخايل النبوغ .

أنا لا أناقش رأى الحكيم الآتينى مهما ظهر لى منه عدم ائتلافه مع ذوقه السليم المعروف ، ولكن أيا كانت قيمته فانه ينتج منه أن سقراط وفيدر وجميع أصحابهما يستعملون الكتب كما نستعملها نحن ؛ يكتبون مقالاتهم ومؤلفاتهم كما نفعل نحن ، ويدرسونها ويصححونها ويهذبونها كما نفعل نحن . وينتج من هذا فوق ما تقدم أنه منذ زمن أفلاطون كان ينسب اكتشاف الكتابة واختراع الكتب الى مصر . ولا شك فى أن أفلاطون وهو من ذرية سولون يجب أن يعلم أكثر من غيره شأن تلك الأسطورة التى جاء بها جدّه الأجد من البلد الأجنبى .

وعلى هذه الوقائع القاطعة نزيد وقائع من العصر ذاته . لما وصل إكسينوفون رئيس تفهقر عشرة الآلاف من بيزنطة الى ساميديس آخر نقطة وصل اليها فى الشمال ، حكى أنه عند دخوله فى البحر الأسود وجد سفنا كثيرة جانحة فى الرمل تحت جرف الشاطئ ، وأن أهل تراقيا سكان تلك المنطقة يسارعون الى نهب أولئك الغرقى التعساء ويتقاتلون على أيهم يسرق من السلب أكثر من غيره . ولذلك توجد منقولات كثيرة على هذا الشاطئ الخبيث ينقلها الملاحون فى صناديق من الخشب ، ومن بينها كتب لا شك فى أن أولئك المتوحشين ما كانوا يفهمونها ، ولكنهم يحفظونها لبيعوها . ونظرا الى أنه كان يوجد عدد عظيم من الجاليات الاغريقية فى تلك الجهات بيزنطة وغيرها ، فليس مستحيلا أن فكر أولئك الملاحون فى الاتجار بالكتب ، وربما كانوا ينقلونها من الشواطئ الآسيوية ومن آتيننا والمدائن الأخرى لليونان النازلين والمهاجرين الذين مع بعدهم عن وطنهم تتوق أنفسهم الى الاقتباس من نوره الذى هم أحوج ما يكونون اليه فى غربتهم . لا أقول بأنه فى زمن أفلاطون بل فيما قبله لم يكن يوجد فى آتيننا أصلا كتب يبيعون الكتب ويشترونها فذلك محتمل جدا ، ولكنه ليس عندنا على ذلك شهادات

(١) إكسينوفون . أنا باز . ك ٧ ب ٥ ف ٤ ص ٣١٣ طبعة فرمان ديدو .

تقارن في قدمها ذلك الزمن . فان أول شهادة من هذا النوع تنسب الى زنون الستيومي ، فان زنون قبل أن يترك مدينة ستيوم وهي مستعمرة فينيقية في قبرص اشترى حمولة من الأرجوان ليربح فيها في آتينا وذهب يستفي الهاتف عن أحسن طريقة للعيشة ، فنصح له الهاتف أن يصير في لون الموتي . وفسر زنون هذه النصيحة بأنه يجب عليه أن يعكف على قراءة كتب الأقدمين حتى يشحب لونه . فلما وصل الى آتينا بعد غرق محزن دخل عند كتي وأخذ يقرأ بلذة شديدة الكتاب الثاني من مذكرات إكسينوفون على سقراط ، فسأل الكتي وهو مسحور بلذة ما قرأ : أين يمكنه أن يقابل المؤلفين الذين يكتبون مثل هذه المالح ؟ فأشار له الكتي باصبعه الى «قراطيس» الذي كان مارا وقتها في الشارع ، فعجل زنون الى الأستاذ يتعقب خطاه حتى وصل اليه وتلمذ عليه ، ولكن لما لم يستطع ذلك الحفاء الغليظ اعتزل قراطيس إذ أصبح في قدرته أن يضع مؤلفات لا تقل عن مؤلفات أستاذه وأخصها كتابه على فيثاغورث^(١) . وكان عمر زنون وقتئذ ثلاثين عاما ، وعلى الاحتمال الغالب أن أرسطو وقتها كان لا يزال حيا ، فان ذلك كان في آخر ملك اسكندر .

أقص حادثة أخيرة أستعيرها من نظريات أرسطو في الفصل السادس عشر الباب السادس (ص ٩١٤ ف ٢٥ طبعة برلين) يتساءل المؤلف : لماذا قطع الكتب يعطى هيئات مختلفة على حسب ما اذا كان هذا القطع مستقيما أو بانحراف ؟ أترك التفسير الى ناحية لأنه لايهمنا هنا ، ولكن ذلك يبين أن أرسطو كان لديه كتب من جنس كتبنا وعلى الأقل من جهة كونها مقصودة على صورة منتظمة قليلا أو كثيرا . بعد ذلك في الفصل الثامن عشر يبحث أرسطو : لماذا تنيم القراءة بعض الناس ؟ ولماذا بعضهم على الضد من ذلك يتناول الكتاب حين يريد أن يبقى ساهرا ؟ كل ذلك يعين استعمالات للكتب أشبه ما تكون بما نفعل نحن .

(١) ديوجين اللايرثي ك ٧ حياة زنون الستيومي .

كان في آتينا بعضهم يقرأ في سريره وليس معدوما فيها هذا الصنف من الناس الذين يأتون هذه البدعة عندنا .

من أين جاءت هذه الكتب ؟ وعلى أى مادة كانت مكتوبة ؟ لا أتناخر في الجواب : كانت مكتوبة على ورق البردى ، وكان البردى يجرى من مصر . منذ أقدم الأزمان كان بين مصر وبين إغريقيا روابط مستمرة ، ومن باب أولى كان بين مصر وآسيا الصغرى . وإن أقدم الهجرات التي اتبع فيها سبيل إناخوس وسكروفس وكثير غيرهم إنما عادت من شواطئ النيل جالبة معها إلى الهلين في عداد ما جلبته لهم أسماء جميع آلهتهم المتنوعة إلى اللانهاية ، وبعد ذلك ضاعفت العلاقات دواعى التجارة والحروب . وفي تلك القرون التي نحن بصدددها كانت مصر متدخلة دائما لمصالح شتى في سياسة جميع الأمم المجاورة لها ، وعلى الأخص سياسة المدائن الاغريقية التي على الشاطئ . ولما أن فتح الفرس مصر صارت هذه العلاقات أكثر توثقا واستمرارا ، فإن أسطول المصريين وجيوشهم كانت تشهد كل حين وقائع البر والبحر . ومن البديهي أن الأمم المختلطة على هذا النحو تتبادل كثيرا من الأشياء بحكم الضرورة . وكانت مصر وقتئذ الوحيدة تقريبا في إنتاج البردى فكانت تصدر منه كميات وفيرة إلى بقية العالم .

قد كان من السهل على مصر وهي التي اكتشفت الكتابة وهي التي تخرج البردى وتستعمله تلك الاستعمالات الصادرة عن المهارة والذكاء أن تصوّر أيضا إنشاء المكاتب ، فإن الكتب متى كتبت وجب جمعها وحفظها لحفظ الذكر لكل ما اشتملت عليه . وعلى الرغم من قول طاموس وأفلاطون وسقراط فقد ظهر أن تلك المحفوظات مفيدة ونفيسة جدا . ذلك ما كان هو الواقع . فإن أوزيمندياس أحد ملوك مصر يعتبر أنه أول من اقتنى مكتبة أو من أوائل من اقتنوا مكاتب . وتذكر هذا الحادث العجيب نقله إلينا ديودور الصقلي الذي زار مصر في الأولمبية ١٨٠ كما كان زارها هيرودوت من قبله بأربعائة وخمسين عاما ورأى بعينه كل ما يتكلم عنه تقريبا .

بعد أن قال كلمة عن قبور الملوك التي كان عددها سبعة وأربعين على رواية الكهنة والتي لم تكن إلا سبعة عشر حين زارها ديودور، وصف بغاية التفصيل الأثر الشهير لأوزيمندياس، ومن بين العائر التي تنسب إلى هذا الملك دار الكتب المقدسة المنقوش على وجهتها: "دواء النفس". ولا يستنتج من كلام ديودور نفسه أن هذه المكتبة كانت لا تزال قائمة في زمنه، فأما أنها وجدت فذلك ما لا يكاد الشك يتطرق إليه. ولقد كان لدى الكهنة المصريين كتب بالغة في القدم مسجل فيها تاريخ البلاد سنة فسنة تسجيلات منتظما والوراثة غير المنقطعة على عرش مصر لأربعمائة وسبعين فرعوناً وخمس ملكات، ولم يشأ ديودور أن يكرر بالنسبة لعهد كل فرعون ما كانت تحويه هذه الكتب التي يظهر أنه اطلع عليها، ولكنه وضع خلاصتها وعلى تلك الوثائق بنى عمله. فإذا لم تكن هذه المكتبة موجودة قبل المسيح بخمسين عاماً فلا أقل من أن يكون ذكرها وارداً في تلك السنويات الرسمية التي كان لا يزال يمكن الاطلاع عليها مهما كان مبلغها من الضبط قلة أو كثرة^(١).

وعلى رأى علمائنا المشتغلين بالآثار فإن أوزيمندوس الذي كان يسميه الإغريق أوزيمندياس هو فرعون من العائلة السادسة عشرة. وهذه العائلة يقترب عهدها تقريباً بعهد إناخوس أى بتاريخ نحو ألفى سنة قبل الميلاد. فإن الهكسوس أو عرب الرعاة تكون العائلة السابعة عشرة.

مثل هذه الأحاديث ربما كانت تظهر لنا حديث خرافة، إذ لا يمكن التصديق بوجود كتب في زمن بالغ من القدم حد الغاية، إذا لم تكن حاصلين الآن في متاحفنا على

(١) نزلت إليها بنفسى في السنة ١٨٥٤ عند سياحتي في مصر ووجدت أن إنجاب ديودور كان أقل من حقيقة الواقع بكثير. (ر. رسائل على مصر طيبة وقيل ص ٢٧٤ وما بعدها) (بارتلى ساتنلير).

(٢) يتكلم ديودور على الأقل مرتين أو ثلاثاً على سياحته في مصر. ر. المجموعة التاريخية لك ١ ب ٤٤ ف ٦١ ب ٤٦ ف ٧٠ وفيما يتعلق بمكتبة أوزيمندياس راجع الكتاب عيه ب ٤٩ ف ٣٠. وإذا ما حدث سولون كهنة سايس ذكروا له كتبهم المقدسة وفيها سنويات البلد منذ ثمانية آلاف عام (رطياوس ترجمة فنكور كوزان ص ١٠٩).

الأدلة، التي لا تقبل التهم، المثبتة لهذه الحوادث، ففي باريس وفي تورينو وفي ليدن وفي برلين ... الخ أوراق البردى والمخطوطات التي يصل تاريخها الى ثلاثة عشر وأربعة عشر قرنا قبل الميلاد المسيحي بل الى أبعد من ذلك . ولكل أن يراها ولعرفة تاريخها ليس عليه إلا أن يستقى شموليون ودي روجي ومارييت وأميدى بيرون وليمانس ولپسيوس ... الخ . إن بردية تورينو الشهيرة التي تكلم عنها شموليون في خطابه الى دى بلاكاس (ص ٤٢) هي على الأقل من القرن الثالث عشر قبل المسيح كما بينه لپسيوس (تودتنبوخ ص ١٧) وفي كتاب الملوك نقل لپسيوس (لوحة ٦) مخطوطة يصل تاريخها الى العائلة الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة، وذلك ما يبلغ بنا الى أقصى مما ذكرنا . ووصف مارييت في مذكرته عن دار الآثار ببولاق (ص ١٤٨) برديا وجد في طيبة في نحو المترين طولاً يتعلق بأحدى الثلاث العائلات الأولى للأمبراطورية الجديدة ، وهذه المخطوطة لا يقل عمرها عن ١٢٨٨ سنة قبل الميلاد بل يمكن أن تكون من سنة ١٧٠٠ ومخطوطة أخرى (ص ١٥٣) طولها أربعة أمتار ونصف على ٣٥، ارتفاعاً وهي من متعلقات العائلة الثامنة عشرة فتكون من سبعة عشر قرناً قبل الميلاد . ويمكن إيراد أمثلة من هذا النوع الى ما يشاء، ولكن حسبنا ما أوردناه وما أظن بنا حاجة الى المجاوزة بالإيضاح الى أبعد من ذلك فقد كل .

أكثر من ذلك . قد وجد بجانب المخطوطات الأدوات التي تصلح لكتابتها فناجين تحوى المادة الملونة وقصب الأقلام، وذلك ما يعدل عندنا الحابر والریش، والمصاقل التي تصقل البردى قبل الكتابة عليه ، والمقالم التي توضع فيها الأقلام . وفي دار الآثار بليدن توجد ألواح الكتابة ومعها دوى فيها يميز المرء بغاية الوضوح الحبر الأسود أو الأحمر وقد جف في باطنها ودوى من البرنز ... الخ . وكل هذه الآثار إنما هي سابقة على العائلة السادسة عشرة على رأى ليمانس (ص ١٠٨ ف ٢٤٥) وفي دار الآثار ببولاق توجد ألواح الكتاب، ومعها كل لوازمها وهي كما قرر مارييت سابقة لعهد ابراهيم (ص ٢٠٩) وعلى ذلك يكون عمرها من ٣٥ الى ٤٥ قرناً .

وفي باريس في متحفنا المصرى أيضا جميع الأدوات اللازمة للكتاب (القاعة المدنية - دولا ب P . درج X) . وكذلك في قاعة الموقى (درج LM) ترى المخطوطات إما على ورق البردى أو على القماش ، كل ذلك غير أوراق البردى الكبيرة المنشورة المحبوكة بالأظفر المغطاة بالزجاج والتي تبلغ أطولها عدة أمتار . وفي ليدن مخطوطات تبلغ أطولها الى اثني عشر مترا . والواقع أنه كان يمكن صنع ورق البردى الى طول غير متناه ، لأن العرض وحده هو المحدود ولا يكاد يزيد عن ٣٠ سنتيمترا .

من التفاصيل التي تقدمت والتي يمكننا أن نزيد في إيضاها عند الحاجة أظن أننا نستطيع استنتاج النتائج الآتية التي هي كذلك ، كما يظهر لي ، حوادث ثابتة - :
إن فلاسفتنا للقرن الخامس والسادس قبل الميلاد كتبوا مؤلفاتهم سواء في آسيا الصغرى أو في إغريقيا الكبرى ، وقد وصل إلينا بعض أجزاء هذه المؤلفات من خلال الصعوبات التي كانت تقترن بنقل الكتب ، قبل اكتشاف المطبعة واختراع الورق من القطن ومن الكتان أو استعمال الرق . وإن كتب إكسينوفان وميليسوس بل ربما كتب طاليس وفيثاغورث أيضا كلها كتبت كما يكتب كل الناس وقتئذ على ورق البردى المصرى . ولا بد أن تكون صورها على شكل ورق البردى المحفوظ في دور الآثار . ومن الممكن أن تكون أوراق البردى رتبت ، منذ عهد قديم وبالتحقيق منذ عهد أرسطو ، بحيث يكون شكلها كشكل كتبنا الحاضرة . ومن ثم تيسر جمع الكتب في المكاتب ، فإن المكاتب التي ينسبونها الى بوليقراطس وبيزيسطراط لم تكن بلا شك إلا تقليدا للمكاتب المصرية التي كان أشهرها دار الكتب التي أنشأها أوزيمندياس .

ما الذي بق علينا تعزفه ؟ ربما كان شيئا واحدا هو الذي تقتضيه نفوسنا الطلعة بحكم عاداتنا الجديدة في دقة التحرى وهو صنع البردى المخصص للخطابات ولؤلفات الكتاب . ومن محاسن المصادفات أن پلاين الذي ليس أقل منا حبا للاطلاع قد نقل إلينا هذه المعلومات اذ يقول لنا كيف كان يصنع ورق البردى في زمنه .

ومن المفهوم ضمنا أن هذه الصناعة قد نالها بعض التحسين بمرور الزمن الطويل الذى يبتدىء من عهد أوزيمندياس الى القرن الأول ليلاد، ولكن الأصول الرئيسة لهذه الصناعة لا بد أن تكون قديمة جدًا بل الظاهر أنه لم يكد يدخل عليها أقل تغيير.^(١)

وقد عني پلاين عناية كبرى بوصف هذا القصب المسمى برديا نظرا الى "أن المدنية وتذكارات الأشياء مرتبطان باستعمال الورق، وبهما يتعلق تخليد ذكري الرجال". أما قرون فانه لم يبلغ بتاريخ استعمال الورق الى أبعد من عهد اسكندر الأكبر وتأسيس مدينة الاسكندرية. وقد يكون ذلك صحيحا فيما يتعلق باستعمال الورق فى روما، ولكننا قد رأينا أنفا أنه لا يمكن أن يكون صحيحا بالنسبة الى مصر ولا الى إغريقيا، وپلاين لا يشاطر رأى قرون مهما كان معتبرا. وهاك ما يقوله فى ذلك النبات النفيس الذى يريد درسه :

ينبت البردى فى المستنقعات أو مياه النيل الرائدة على عمق لا يزيد على ذراعين، جذره المعوج فى ثخن الذراع تقريبا، وساقه مثلث الأضلاع ويندر أن يعلو أكثر من عشرة أذرع يتناقص سمكه من تحت الى فوق. فأما جذره فيستعمل وقودا وقد تتخذ منه بعض الآنية، وأما ساقه الخطي فتتخذ منه القوارب، ومن قشرته تنسج الشراع والحصر والملابس والأغطية والحبال. وذلك ما قرأناه آنفا عن تيوفراسط ونقله عنه پلاين بلا شك. وإن بردى مصر فى كل الاستعمالات التى ذكرناها خير من كل بردى آخر، فان البردى الذى ينبت فى سوريا أو على شواطئ نهر الفرات بقرب بابل بعيد عليه أن يساوى البردى المصرى خصوصا فى صنع الورق. ولصنع الورق يقسم البردى الى أشرطة رقيقة جدًا وعريضة بقدر الممكن. وأحسن شريط منها هو شريط قلب النبات ثم الذى يليه على هذا الترتيب. وبهذه الطبقات الداخلية وحدها كان يصنع ورق الكتب المقدسة وسمى الورق من ثم باسم هيراتى.

(١) پلاين. التاريخ الطبيعى ك ١٣ ب ٢١ وما بعده ترجمة وطبع ليرى.

(٢) وهذا ما كان يبصره هيرودوت حينما كان يسبح فى مصر ك ٢ ب ٩٦ وعندنا فى متحف اللوفر

نعال من البردى.

وبعد حين أعطى لأعلى درجة من الورق المنق بالغسل اسم أغسطس، كما سميت الدرجة الثانية من الورق باسم ليثى امرأة أغسطس، وكان الهيراقى إذاً فى الدرجة الثالثة، وورق الدرجة الرابعة سُمى أنفتياترى نسبة الى المكان الذى كان يصنع فيه . ومن أنواعه المتدركة الى أسفل ورق سايس الذى يصنع من قراطة البردى ثم وراق الطينوطيق من مدينة قريبة من سايس ويباع بالوزن، ثم ورق الأنبوريتيك أو ورق المتجر، ولا يصلح إلا للظروف أو لف البضائع، وبعد هذه الأشرطة تأتى قشرة البردى وهى أشبه ما تكون بقشرة الخيزران لا تصلح إلا لصنع الأحبال التى لها خاصة البقاء فى الماء .

كل أنواع الورق كانت تصنع بطريقة واحدة، ولا يكون الاختلاف الا فى مادة الورقة . ومتى أخذت الأشرطة بعناية تنشر على نحوِ خوانٍ مندى بماء النيل، فإن هذا السائل الحامل للطمي يصلح كنزاق لتقوية الأشرطة وضمها بعضها الى بعض . وعلى هذا الخوان الممال نوعا تلزق الأشرطة على طولها وتقرض من نهايتها حتى تصير منتظمة ومتساوية فى الطول ثم يؤتى بأشرطة أخرى توضع بالعرض على شكل تعريش، ولوقاية الورق من التمزق كانوا يضعونه تحت المكيس فيحصلون منه على الورق الذى يعرضونه بعد ذلك للشمس ليجف . ثم يضعون هذه الأوراق بعضها فوق بعض لتكون منها فرائد الورق التى لا تتجاوز عدة الواحدة منها عشرين ورقة . وكان الورق مختلف العروض، وأحسن ما كان فى عرض ثلاثة عشر إصبعاً، والهيراقى لم يكد يتجاوز عرضه الأحد عشر، وقال فانيوس أن هذا الورق الهيراقى الذى اشتق اسمه من اسم ذلك الصانع الماهر الذى أبدعه لا يتجاوز العشرة . والورق المتجرى كان فى عرض ستة أصابع . وكان يمكنهم أيضاً أن يصلوا الأوراق أطراف بعضها ببعض ليحصلوا على ورق لا نهاية لطوله كما عندنا .

وكانوا يقدرون الورق كما نقدّره نحن برقته ومتانته وبياضه وصقله . وقد اهتم الإمبراطور كلود بتحسين ورق أغسطس الذى كان يجده أرق مما يلزم وأكثر شفافية

بجعل منه ورقا جديدا بأن جعل السدى من أشرطة الدرجة الثانية واللحمة من أشرطة الدرجة الأولى ، وبهذه الطريقة زيد في عرض الورق إذ بلغ عرضه ذراعا في الفرخ الكبير. وكانوا يفضلون ورق كلود في الكتب ويستعملون ورق أغسطس في الخطابات .

وكانوا يصقلون الورق بقطعة من العاج أو بحجارة ناعمة، ولكنه كان من اللازم الوقوف بهذه العملية عند حد معين ، وإلا زلق الحبر فلا يأخذ في الورق وتكون الحروف المكتوبة معرضة لأن تتمحى عما قريب ، وذلك هو الذى يحصل في ورقنا حين يجاد صقله أكثر مما يلزم . ربما يكون حسنا في مرأى العين، ولكنه لا يطيب الانتفاع به . وقد كان يحدث ماء النيل الحى ضرا من هذا النوع متى صب من غير احتراص في ابتداء العملية اذ يجعل الورق غير قابل للكتابة بل يترك فيه رائحة يعرفونها له وبقعا كان يلزم لازالتها أن يخرقوها من مواقع البقع ويرقعوها بغاية الدقة حتى لا يفطن لها المشتري ، لحسن سبك الغش فيها ، إلا بالاستعمال إذ يشرب الورق الحبر في مواضع الرق ويجعل الحروف سائحة لا تقرأ إلا قليلا .

لذلك قال پلاين إنه لتوقى تلك العيوب المختلفة كان يلزم الورق بكيفية تجعله أطرى من قماش الكتان نفسه، ووجد أن هذه الطرائق فعالة جدا قال : إنه رأى عند أحد أصحابه وكان مغرما بخطوط المؤلفين مخطوطات لشيشيرون ولأغسطس ولفرجيل على ورق من هذا النوع ، بل رأى عنده مخطوطات لطيريروس وقايوس غراكوس مضى عليها مائتا عام مما يدل على أن لصق الورق كان من الجودة بحيث يقاوم كثر الزمان .

وبعد أن أورد پلاين هذه التفاصيل عاد ينقض رأى فزون في أن استعمال الورق حديث في إيطاليا وحاول أن يثبت ، ضد مذهب ذلك العالم ، أن الكتب كانت معروفة منذ زمن "نوما بومپيليوس" فقد عثر في تابوت هذا الملك الذى وجد في زمن قنصلية ستيغوس وبيديوس طينيلوس ، بعد موته بخمسة وخمسين وثلاثين سنة ،

على كتب من الورق . كذلك ثلاثة كتب جاءت بها العزافة الى طرخان الأجل كانت مكتوبة على ورق حرق منها اثنين والثالث الذى قبله هذا الملك البصير قد حفظ الى عهد سيلا ثم بادى حريقه روما . واذا أريد برهان دامغ غير منقطع الأثر على استعمال الورق فى الزمن القديم فما على المرید إلا أن يتصفح رسائل شيشيرون فيجد فيها المعلومات المضبوطة القوية فى هذا الموضوع . فان الناس ما زالوا يستعملون الأوراق مع السهولة القصوى ، ويسرفون فى استعمالها الى الغاية . كتب شيشيرون الى أطيقيوس كل يوم بل مرات عديدة فى كل يوم تارة رسائل طويلة ، وتارة أخرى تذاكر بسيطة ، يرسل إليه مع رسوله بعض أسطر أو صحيفة إذا لم يكن لديه ما يقوله أكثر من ذلك أو سلسلة من الصحائف لا آخرها إذا انطلق قلمه يتدفق أو اذا حضرته مناقشة مسائل هامة . ومتى كان موضوع الكتاب يهم عدة أشخاص عمل منه نسخ بعددهم أو صرح للرسل إليه باتيان هذا العمل ، أما اذا كان موضوع الكتاب دقيقا يشطب الكاتب غير مرة العبارات الناقصة عن تأدية المعنى المراد تماما ، ويرجع مرات على ما كتب ويهذهبه ويحرره . واذا كان الكاتب قد أخذ منه التأثير مأخذا يبيكه ترك دموعه أحيانا تمحو الكتابة ، ومتى فرغ من الكتاب طواه وختمه . فاذا نسي الكاتب شيئا أو أهمل تفصيل معنى من المعانى فتح الكتاب من جديد ، فان كانت الورقة لا محل فيها كتبت الزيادة بالعرض . ومتى قرأ الكاتب المرسل اليه وكان لا يتضمن شيئا يراد حفظه مرقه . ولا يتساهل فى ذلك اذا كان المرسل قد أوصى بحفظ سره . فاذا طرح الكتاب مطرعا من غير أن يمزقه فيمكن ردّه إلى مرسله اذا طلب ردّه اليه . فاذا لم يجد أحدهم ورقا مسح الكتابة من على ورقة أخرى وكتب عليها بعد غسلها أو كشطها . متى فرغ الكاتب من كتبه جمعها وسلمها الى البريد يوصل كل كتاب الى المرسل إليه بغاية الأمانة . وقد تنهز الفرصة فيكتب الى أصحاب متعددين فى جهة واحدة ، فاذا فك المرسل إليه الصرة وزع الكتب على المرسل إليهم ، وعند الحاجة قد تُرسل الرسل الى الأشخاص البعيدين .

ويمكن أن يحمل الإنسان بنفسه كل هذا التعب ، يكتب كتبه بيده ويختتمها ويرسلها ، وقد يتخذ له سكرتيرا يكل اليه كل ذلك ، يملى عليه الكتاب ويوقع عليه بتوقيعه . فاذا كان المرء متعبا ، وعلى الأخص اذا كان به رمد اضطر الى تكليف غيره ، وفي هذه الحالة يعتذر لصاحبه بعجزه عن أن يمسك القلم ، كما نقول نحن في هذا المقام . وهؤلاء السكاترة هم محل أمانة بالضرورة متى كانوا يطالعون على أسرار العائلة والأعمال الخصوصية والسياسية . وفي الغالب يستحقون هذه الكرامة التي يؤتون إياها ، ولكنهم أحيانا يخونون ساداتهم ويفترون بما معهم من الأوراق . ولما أنهم عادة من الأرقاء يقتفى أثرهم ويقبض عليهم إلا اذا أبعَدوا في فرارهم بحيث لا يمكن الوصول اليهم . ويخلف الخادم غير الأمين أو العاجز خادم أكثر أمانة وأوفر كفاءة ، كل ذلك على عجل بحيث لا ينقطع سير المراسلة زمنا طويلا .

وإذا كان استعمال الكتابة في الشؤون الخصوصية من السرعة والسهولة على ما وصفنا فقد كان استعمالها في الشؤون العامة لا يقل عن ذلك الوصف ، فان تحرير جميع العقود الرسمية يحصل بغاية السهولة . ومتى استملت هذه العقود الشرائط المطلوبة عمل منها نسخ بقدر عدد المستفيعين بها . كذلك الأوامر تصدر الى الموظفين القائمين بالأعمال التنفيذية من كل الطبقات والمخاطبات الادارية تحصل بوسائل سريعة مأمونة يظهر أنها تشبه على الأقل ما هو عندنا الآن . فإلى أقاصى حدود الجمهورية تصل الأوامر العالية التي يصدرها مجلس الشيوخ ويتخذ من هذه الأوامر صور رسمية تحفظ بحافظ السجلات ، ولولا المحن المتنوعة التي قلبت حال العاصمة الرومانية الخالدة من فتن داخلية ونهب وحرائق وحروب خارجية وهجوم وغارات ... الخ . لولا ذلك كله لكان المرجح أن تكون بين أيدينا تلك الوثائق التي هي أنفس للتاريخ منها لارضاء حبنا الاطلاع على ذخائر الفن . فان المادة التي كتب عليها كل ذلك يمكن حفظها بدون أن تتغير مدة ثلاثين قرنا ، كما تشهد به أوراق البردى المحفوظة في دور الآثار عندنا . فاذا أصابنا ما أصابنا من فقد معالم من ذلك القدم المحترم المخصب فانما كان ذلك من خطايا الناس لا من خطيئة الزمان .

كذلك كان استعمال الكتب منتشرا عاما في عهد شيشيرون كاستعمال الخطابات كما هو الحال في أيامنا، فلم يكن أحد من الأهلالي ذو ميسرة وعلى شيء من العلم إلا له مكتبة على شكل المكاتب التي كانت لأهلالي الاسكندرية وفي سائر مدائن الاغريق من قبل ذلك بقرنين أو ثلاثة قرون^(١). كان لكل امرئ في روما مجموعة من الكتب يختارها لنفسه بنفسه أو بواسطة صديق له عوضا عنه اذا كان لهذا الصديق من مركزه مكنة من ذلك أو كان معترفا له بحسن الذوق في هذا النوع. وقد كان من شيشيرون أن كلف أطيقيوس إذ كان في آتينيا أن يرسل اليه تماثيل وزخارف ليزين بها مكتبته التي كان يسميها الاكاديمي. ولما كان أطيقيوس يريد أن يتخلص من بعض كتب نسخها ويريد بيعها رجاء شيشيرون في ألا يبيعها من غيره لأنه كان معجبا بمكتبة أطيقيوس، وكانت مؤلفة بعناية خصوصية، فطلب اليه تلك النسخ ليجعلها أساسا لمكتبته، ولا يكون عليه بعد ذلك إلا أن يكملها على حسب ما تقتضيه حاجته ودراسته وهوواه، كان ذلك في سنة ٦٨٦ ولم تكن سن شيشيرون تجاوز الأربعين، ومع ذلك يفكر في أن يتزوى من ميدان العمل الى مسكن جميل هادئ يعيش فيه مع كتبه "تلكم الصحب القدماء" التي يحب مخالطتها جبا جما، كما كان يقول ذلك لفزون الذي هو أيضا يفوق شيشيرون في الشغف بالعلم والأبحاث المتنوعة في قديميات وطنه وقديميات الأمم الأجنبية. حينئذ تمكن شيشيرون من بعض ساعات الراحة والعزلة حبس نفسه في مكتبته التي زخرفها وزينها، واختفى وسط كتبه حتى كان يجعل منها ركاما عظيما يحيط به من كل ناحية. ومتى لم يكن لديه ما يرغب في مراجعته استنسخه عند أحد أصحابه، فاذا كان لبعض الأصحاب مثل هذه الحاجة قضاهم على خير وجه فيكلف مكتبته ومقربيه وسكاترته بنسخ الكتاب المطلوب، ويجد لذة في إهدائه كما كان يسره أن

(١) نقل سويتون أن قيصر كلف فزون بإنشاء مكتبات عامة فيها الكتب الاغريقية واللاتينية.

وقد وضع فزون مؤلفا خاصا بالمكتبات ولكنه مفقود مع الاسف. راجع كتاب جستون بوازير ص ٢٢.

يتقبل كتابا يرسل اليه . وكان من الجارى فى عرفهم أن الرجل يهدى الى صاحبه الكتاب الذى يعرف أن له فيه رغبة مستترة أو كان له به حاجة من غير أن يطلبه . وإذا زار أحدهم آخر فوجد كتابا يوافقه أعير إياه فيردّه بعد أن يقضى منه حاجته الخ .

يمكننى أن أضاعف هذه التفاصيل الى غير نهاية ، ولكن ما الفائدة فى ذلك والناس يعلمون أن الرومان فى آخر الجمهورية وقبل پلاين الذى أجاد لنا فى كيفية صنع الورق بمائة وخمسين عاما كانوا قد اتخذوا من البردى كل ما نتخذة الآن نحن من الكتان ومن القطن ، فكان الناس يكتبون فى روما بمقدار ما نكتب نحن فى الأغراض الاجتماعية عينها وبنفس السهولة والحدّة ، بل مع تشابه تام فى الشبوات والمباراة . كانت المادّة مختلفة ولكن الموضوع واحد . ولا أجد بين الحالىين خلافا إلا الخلاف الكبير الذى هو المطبعة التى لم تكن لتستكشف إلا بعد ذلك بنحو خمسة عشر أو ستة عشر قرنا . كان نسخ الكتب والأوامر الادارية والخطابات أمرا غاليا وبطيئا ، وذلك يستتبع أن تكون تلك النسخ قليلة العدد وفى غاية التعرّض للضياع . جاءت المطبعة فجعلت النشر والنقل والحفظ ألف مرة أكثر أمانا وألف مرة أكثر سرعة وألف مرة أرخص ثمنا . بيد النساخ استبدل ضبط المكيئة المعصوم وقوتها التى لا تعرف حدّا ورخصها الذى لا ينافس ، ولكن ذلك لم يكن مهما قيل فيه إلا تغيرا ماديا صرفا ، فان المقصود متوفر فى الأزمان الغابرة . على ذلك يكون المخترع الحقيقى الكبير لا يزال هو الشيخ توت أو أىّ ساحر آخر من السحرة المصريين الذى أنطق البردى والحروف التى رسمها عليه قلم الكاتب مغمورا فى مادة ملوّنة . وعلى الرغم مما كان يفكر فيه البصير طاموس فان المقالة المكتوبة فى الذهن لم تكن لتكفى إلا الذى يحملها فى طيات نفسه لأنها منعزلة وشبه صماء . وما كانت المقالة لتعيش إلا بالكتابة ، ويمكنها أن ترجو من العمر ما لا ينبغي للفرد الفانى أن يرجوه أبدا ، فان أوراق البردى لا تزال تكلمنا ، وسوف تكلم أحفادنا أزمانا طويلا مع أن طاموس قد حبس عن الكلام منذ أربعين قرنا .

من ذا الذى كان يعرف ما افكره لو لم يكن أحد الكتبة الأقل حذرا منه قد سجل لنا أقواله التهمكية على صفحات البردى التى شد ما كان يستهين بشأنها ذلك الفرعون الحكيم المسرف فى الحكمة .



بعد أن ثبتنا فلاسفتنا فى نصابهم من حقيقة الحوادث التى كانت تعتور حياتهم فى حال الدراسة أو فى حال الحرب ، فى حال الإقامة أو فى حال التشريد . وبعد أن بيننا الظروف الحسية التى ألفوا فيها مؤلفاتهم صار جائزا لنا عن بيعة وشىء من الاطمئنان أن نتساءل الى أى حد كانت أصلية هذه الفلسفة ؟ انها كما يظهر لنا نبتت نحو القرن السابع قبل الميلاد فى آسيا الصغرى المرتبطة بروابط وثيقة مع جميع البلدان المحيطة بها فبأى شىء هى مدينة لها ؟ وهل استعارت منها شيئا ؟ أم هل هى مستقلة تمام الاستقلال لم تتبع سواها ؟ وهل لم تنهل شيئا من غير مناهلها الذاتية ؟ أكانت مذاهب طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان محض إبداع لها من الأصلية ما لشعر هوميروس وسافو وأرخيلوكس وألكايوس ؟ وبعبارة أخرى هل الغرب الذى فتح صدره للحياة العلمية يدين بشىء للشرق الذى هو مخالط له والذى هو معتبر أنه متقدم عليه بكثير فى هذا الطريق الوعر الذى حده النهائى هو الفلسفة ؟

أجيب من غير تردد بالسلب وأن إغريقا لم تدن لأحد غيرها ، وإن المساعدات التى وردتها تكاد تكون من خفة الوزن بحيث يمكن الجزم بأن إغريقا فى العلم أيضا كانت ذات إحداث وإبداع ، شأنها فى بقية الأشياء الأخرى ، وإذا كانت تفتت شيئا عن جيرانها فما هو إلا أصول عديمة الصور فصورتها هى وبلغت من تصويرها حد التمام بحيث يمكن القول بحق إنها هى التى أوجدتها فى الواقع .

وعلى أن أقدر بادئ ذى بدء ماذا يعنى بالفلسفة ؟ وحسبى هذا وهو :
” اتجه العقل اتجاها نزويا الى العلم “ . المشاهدة لأجل العلم من غير غرض آخر إلا فهم العالم الذى نعيش فيه وظواهره وأصله ونهايته . هذا هو المعنى الذى تولد

وقتئذ لأول مرة في العقل الانساني والذي ، من طالس وفيثاغورث وإكسينوفان الى عهدنا، لا يزال ينمو من قرن الى قرن، والذي ينمو في المستقبل بلا انقطاع ما دامت القرون وما دام الزمن الذي يقاس بها على بقاء النوع الانساني . ذلك هو ما أجادت الفلسفة في بداية أمرها عمله أن اعتنقت جميع العلوم بلا استثناء. وما هو إلا بسبب ضعف عقلنا وضرورات البحث العام أن انفردت العلوم الخصوصية شيئا فشيئا وانعزلت أمها الفلسفة عن أولادها، ولكنها ما زالت تغذيها وتوكلها عليها . ولم تلبث الفلسفة أن حددت دائرتها الخاصة المتوزعة أجزاؤها في العلوم المختلفة التي الفلسفة أصلها وتماها، ولكنها في تلك الأيام الأولى كانت مختلطة بجميع العلوم، لأن العلوم لم تكن بعد قد خرجت منها . من هذا سمت نفسها بذلك الاسم الجميل المتواضع ، فإن فيثاغورث لما سأله ليون طاغية الفلياز (سيقونيا) أجاب بأنه فيلسوف وهو اسم لم يسمع من قبل . الفيلسوف ليس إلا صاحب الحكمة أى صاحب العقل ذلك العقل الذى يدرس الأشياء ويدرس نفسه أيضا . وقد كان فيثاغورث يقول : ” حال الناس في الحياة يسعون فيها يشبه حال الجمهور يتقاطرون الى الأعياد الرسمية . ففي جمعيات الجمهور الفسيحة لكل واحد من الساعين اليها أغراض مختلفة ، أحدهم يقصدها لبيع فيها بضائعه مدفوعا بحب الكسب ، وآخر لا يقوده اليها إلا حب المجد والرغبة في أن ينال قصب السبق في القوة أو في المهارة . وطائفة أشرف من هؤلاء لا يظهرون فيها إلا لمشاهدة جمال محال تلك الاجتماعات وعجائب الصناعة المعروضة لأنظار الجميع . كذلك في الحياة ، للناس الذين تضمهم الجمعية الانسانية مشاغل متباينة . فمنهم المحررون بجواذب الثروة والتمتع التي لا تقاوم . وآخرون مملوك عليهم أمرهم بالطمع في السلطان والشرف وهما لا ينالان إلا بالحروب الحادة والمنافسات التي تسفك الدماء، ولكن الغرض الأسمى للرجل هو إمعان النظر فيما في هذا الكون من الجمال المتنوع الذى يقدمه لأنظارنا وبذلك يستحق عنوان فيلسوف . فمن الحسن أن ينظر المرء الى أفطار السموات الفسيحة يتتبع سير الأفلاك التي تتحرك فيها على قدر غاية في النظام، ولكنه لا يستطيع فهمه جيدا

إلا بالمبدأ المعقول المجرد الذى يسير الكون ويحصى كل شىء عددا ومقياسا،
فالحكمة تنحصر فى التعرف بقدر الممكن لهذه الظواهر الإلهية الأبدية الأولية التى
لا تتغير. والفلسفة ليست إلا التبع المستمر لهذه الدراسة الشريفة التى تنير الناس
وتصلحهم^(١).

منذ البداية قد علمت الفلسفة ما كانت تفعل. منذ خمسة وعشرين قرنا لم
تبحث الفلسفة إلا فى تحقيق الفكرة التى قامت بها عند خطواتها الأولى بالتدرج
تحقيقا كاملا. وما زالت حكمة فيثاغورث هى حكمتنا وإن كانت العلوم قد رقت
رقيا كبيرا جدًا، ولكن الفيلسوف لم يتغير فانه سيبقى دائما هو الذى يتأمل فى الأشياء
ويلاحظها ليفهمها ويفهم نفسه، هذا هو معنى العلم والفلسفة الذى أنسب شرفه
الى إغريقيا دون سواها. فمن إغريقيا تلقيناه من غير أن يكون افكره أحد من قبلها
فى هذا الشرق الذى كانت تعتقده ويعتقده غالب أهل زماننا ينبوع كل نور وحكمة.

من كانت تستطيع إغريقيا أن تستعير هذا المعنى وقتئذ؟ أمن مصر أم من
فينيقيا أم من الفرس أم من الهند؟ لا أرى غير هذه الأمم أحدا كان يستطيع أن
يعلم الاغريق شيئا وأقول: إن هذه الأمم ولو أنها علمتهم أشياء كثيرة فلم تعلمهم
الفلسفة أصلا. لاشك فى أن كثيرا من فلاسفتنا وفيثاغورث على الأخص ساحوا
سياحات طويلة فى تلك البلاد وأنهم ذهبوا اليها ليتعلموا، فان فيثاغورث الذى ربما
كان يبدى الى فينيقيا بعائلته ذهب الى مصر كما فعل طاليس من قبل وكما فعل
هيرودوت بعده بقرن وأقام فيها ويقال: إنه لقن الأسرار الخفية. وقد يمكن تصديق
ذلك بسهولة، لأن سولون ذهب اليها أيضا. والظاهر يدل على أنه لم يقف عند
محادثة كهنة سايس^(٢) فى أمر الأطلانديد، ومن المحتمل أيضا أن فيثاغورث جاوز مصر
الى كلدة وتحادث مع المجوس كما كان قد تحادث مع الكهنة المصريين. والفضل

(١) بميليك، حياة فيثاغورث ب ٧ ف ٥٨، ٥٩ طبعة فرمان ديدو على أثر ديوجين اللايرتى.

فبكل هذه الوثائق وثائق بميليك وفريريوس يمكن جمع حياة فيثاغورث المهمة ونبذة تامة عن مذاهبه الأصلية.

(٢) راجع طماوس أفلاطون ترجمة فكتور كوزان ص ١٠٧ وما بعدها.

في ذلك يرجع الى الطريق الملكي الذي أنشأه دارا يصل به المسافرين سرديس الى صوص في أعماق فارس وراء دجلة والفرات من غير مشقة إلا طول السباحة التي تقطع في ثلاثة أشهر . وليس يرى لماذا لا يدفع حب العلم الى إزراع مثل هذه السباحات في حين أن السياسة، حتى قبل فتح ذلك الطريق، كانت تقتضي كلَّ وقت علاقاتٍ من هذا النوع . وقد كان حكماء الإغريق مشوقين دائماً الى زيارة مصر وفينيقيا وكلدية وهي البلاد الشقيقة التي كانوا يؤمنونها ليجدوا فيها كنوز العلم . والواقع أنهم جابوا تلك الأقطار الشاسعة مع ما عليه الوصول إليها من المشقة .

ماذا جلبوا منها؟ الآن وعلى أثر الاكتشافات اللغوية والأثرية التي جاء بها قرنا الحاضر والمعلومات الهيروغليفية والكتابات وأوراق البردى المصرية وكتب زورواستر وكتب الهند المقدسة ودين البراهمة والبوذيين، نقول إن طريق الجواب مفتوح أمامنا، ونستطيع أن نرى فيه أحسن مما رأى الإغريق، نرى ما ذا كانت حكمة الشرق المزعومة . تلقاء الآثار المفسرة بالضبط الكافي إن لم يكن بالكل فعلى الأقل بالجزء نعلم ما ذا تساويه وما ذا يمكنها أن تؤتية، يبحث فيها عبثا عن الفلسفة وهي عنها غائبة فكيف يكون الإغريق حتى مع تناول الأسرار الخفية قد وجدوا الحكمة فيها ما دامت لم تكن فيها .

نطرح الى جانب فينيقيا ويهودة جميعا، فإن التوراة أثر ذو قيمة لا نقدر إن بما تشتمل عليه وإن بما خرج منها، ولكنى لا أرى أن إغريقا استعارت منها شيئا أيا كان، وإذا كانت كتب اليهود المقدسة قد وصلت إليها بأية طريقة كانت فلماذا تخفى ذلك وهي قد أعلنت إعلانا عاليا بل عاليا فوق ما يلزم حكمة مصر وحكمة المجوس؟ أى عقبة اعترضتها في اطراء الحكمة العبرانية اذا كانت عرفتها؟ يمكن أن يؤسف على أنها جهلتها، وأنا أظن أيضا أن إغريقا التي كانت مستعدة للرق بنفسها كانت تجد من دراسة كتب موسى مساعدة قوية، ولكنها ما علمت منها شيئا .

والقول بضد ذلك يمكن أن يكون دليلا على إيمان حاد ، ولكنه ضلال مبين لا ينهض واقفا أمام أدلة الحوادث . فلما ترجم التوراة السبعون بعد ذلك أى فى عهد بطليموس الثانى فيلادلفى (٢٧٥ قبل الميلاد) أمكن الإغريق أن يقرءوها وليس يرى أنهم تحزكوا لها ولا استناروا بها ، ولو قرئت عليهم فى زمن طاليس وفيثاغورث لكان أثرها أقل من ذلك أيضا ، ولو فسرت لهم لما كادوا يفهمونها ولا يصغون إليها . والواقع أنها لم تقدم شيئا .

أقول عن مصر ما قلته عن فينقيا ويهودة تقريبا ، فمن عهد الاكتشاف العظيم الذى أتاه شمسوليون ومن كل الأعمال التى تبعتها وأيده يعلم ماذا كانت أرض الفراعنة القديمة ، فقد يكون الانسان واثقا من أنه لن يصادف فيها ما يدل على الفلسفة إلا بيانات غير منتظرة من نوع جديد . كانت الاعتقادات الدينية مستفيضة فيها ، وكانت عريقة فى أصليتها جميلة على ما فيها من شذوذ ، ولكن العلم بالمعنى الخاص لم يكن بها ، وكل شئ يساعد على إثبات أنه لم يكن فيها أصلا بل لم يكن ممكن الوجود بها على رغم ما عليه أهلها من الذكاء الحقيقى ، إن ذلك لا يقلل من أهمية دراسة مصر ، ولكنه لا ينبغى أن نتظر منها ما ليس فيها . لها سنوات وليس لها تاريخ . يمكن أن يكون لها مشاهدات مضبوطة لبعض الحوادث الطبيعية والفلكية على الأخص ولكنها ليس لها علم . لها مذاهب دينية وليس لها فلسفة . حالها كحال فينقيا جارتها وحال يهودة التى كانت خاضعة لها وتخلصت منها منذ عهد موسى . يمكن أن يكون لها معلومات كبرى ولكنها لم تمذهبها ولم تركزها على مبادئ معينة .

وللحكم على مجوس كلدة لدينا ما ذكره هيرودوت وما كتبه الكتاب المعاصرون وما تعلمنا إياه الكتب الدينية المجوسية التى فتح لنا مغالقتها حديثا علماء اللغات وفى مقدمتهم إيجين بورنوف .

أما على قول هيرودوت الذى يظهر أنه رأى المجوس عن كثب فانهم لا يكادون يكونون إلا عراقيين . عند ما أراد أصطياغ ملك الميديين أن يفسر الحلم الغريب الذى

رأته أبنته مندان قصد الى المجوس المحترفين بتعبير الرؤيا واتبع نصيحتهم مع التحقج ،
 إذ أمر بقتل حفيده قيروش . وعند ما يريد قبيز أن يجمع حملته الجنونية على مصر
 يعهد الى مجوسى القيام بأعباء الدولة مدة غيابه فيسىء المجوسى فى ثقة الملك به ويجلس
 على العرش أخاه سمرديس الكاذب ، ولكن الفرس غاظمهم هذا الاغتصاب الذى يقضى
 الى خضوعهم للمجوسى ، فاتفق سبعة منهم تحت إمرة الفارسى دارا بن هستاسب
 وذبحوا الأخوين اللذين تبوءا الملك غصبا . وهم هم المجوس الذين يفسرون حلم
 اكراركريس ، إذ يهيم بحاربة إغريقيا وعلى رأيهم يمضى ؛ وبينا هو فى الطريق على
 ضفاف الستريمون ، اذا بالمجوس يذبحون الخيل البيض يستفتحون بها باب النصر .
 فلما شنت الأسطول (٤٨٠ قبل الميلاد) بريح عاصف على شاطئ تراقيا فى رأس
 سيباس ، غير بعيد من أطوس حيث هلك أسطول آخر قبل ذلك بعشر سنين ، اذا
 بالمجوس يقربون قرايين للريح ليهبطوا ثأرتة فى اليوم الرابع . وبالجمله لا يقرب
 قربان إلا بحضرة مجوسى لينشد ما يسميه هيرودوت تيوجونى (أنشودة الآلهة)
 ليتم بذلك الاحتفال الدينى .

من أجل ذلك كانت فى إغريقيا القديمة وعلى الخصوص فى روما شهرة للمجوس
 وكراهة لهم فى آن واحد ؛ ومن أسمهم اشتق اسم ذلك الفن الخفى الذى هو "السحر"
 وهو مخوف عند العامة وطالما غرر بهم . وقد أنحى عليه بلاين بالسخط فوق ماقد^(١)
 يستحق . ومنذ عهد أرسطو كانت تلصق هذه التهم بمجوس الفرس والكلدان ، فان
 هذا الفيلسوف قد أفرد مؤلفا خصيصا بذلك وسماه "الماجيك"^(٢) ليدفع عنهم التهم
 التى ظهر له فسادها . وفى تابه المسمى "فى الفلسفة" ظن أن من الواجب عليه أن
 يشتغل بأمر المجوس الذين يعتبرهم أقدم عهدا من كهنة مصر ، ولما وصل الى لاهوتهم
 تكلم عن الأصليين اللذين يعترفون بهما : الحسن والقيبح "أوروماز - وأريمان" .

(١) بلاين التاريخ الطبيعى ك ٣٠ المخصص كله لهذه المسئلة .

(٢) ديوجين اللايرثى فى مقدمته ف ٨

ومن الكتاب المتأخرين عن أرسطو من جعل المجوس آباء الجنوزوفست (فلاسفة الهند المتريزيين) بل آباء اليهود أيضا . وفي كتاب دانيال الذي كتب في عهد دارا أن مجوس بابل ليسوا إلا منجمين وسحرة ومفسري أحلام . ومع ذلك كانوا يلقبونهم بالحكماء ، ولكن الخدم التي تطلب منهم لا تكاد تل على أنهم أرفع درجة من المحتالين والسحرة الدجالين ، فهل هم أنفسهم أولئك الذين كان لهم أرصاد فلكية في بابل قدراها أرسطو خير تقدير^(١) ؟

ولكن المجوس اذا كانوا فلكيين مهرة فليسوا فلاسفة ، وكتبهم الدينية (زند) التي نعرفها الآن بطريقة أكيدة تين لنا ذلك بغاية الوضوح . فان الثنديداد واليسنا واليشت وجميع القطع المنسوبة الى زورواستر (زاراؤسترا) تشتمل على آثار من ديانة ظاهر عليها الجلال والقوة في خلال تلك الظلمات ، ولكنها لا تشتمل على مذهب فلسفي . وهذه الكتب هي كل ما يمكن اسناده الى مجوس ككدة . فاذا كان فيثاغورث قد اطلع عليها بالمصادفة فإنه لم يدخل منها شيئا في مذهبه الخاص : صلوات وأدعية وأناشيد وعقائد مبهمة وغير مستقرة وآثار من سير مقدسة وخرافات ليست هي خرافات الفيداس وليست كذلك من خرافات الإغريق ، ذلك على الأخص هو كل ما يمكن أن يقرأ في كتبهم . وهذا في الحقيقة لا ينقص من أهميتها الكبرى ، فإن تاريخ الديانات يمكن أن يكتشف فيها الأصول النفيسة للغاية ، ولكن تاريخ الفلاسفة لا يجد فيها شيئا يجنيه ، وعلى ذلك لم يكن المجوس ولا المصريون قد أوحوا الى إغريق يونيا شيئا .

أفتكون الهند؟ ولا هي أيضا .

ليل حالك لا يزال يغشى الأصول الهندية وأخبارها ؛ ولأن هذه البلاد ما كتبت قط تاريخها نصا داف أكبر العناء في ترتيب الحوادث والوقائع المتنوعة التي تتعلق بها . كذلك الحوادث الخاصة بالعلوم والآداب لا تخرج عن هذا الخفاء

(١) أرسطو كتاب السماء ك ٢ ب ١٢ ف ١ ص ١٧٨ من ترجمتي .

العام . ومع ذلك يبين لنا، وسط هذا الاختباط الذى يكاد لا يخلص أبداً، بعض الأصول الرئيسة الحققة على ما فيها من شدة الابهام، فيمكن الجزم بأن آثارا بعينها من آثار العقل الهندى أقدم أو أحدث عهدا من بعض آثاره الأخرى . من ذلك أن أنواع الثيدا، وعلى الأخص الثيدا التاريخى الذى لقب مع التسامح بلقب "الريك" هى متقدمة على سائر البقية . وجماعة الثيدا أو على الأقل تلك المتقدمة لا يكاد يقل عمرها عن خمسة عشر قرنا قبل الميلاد، غير أن هذه الأناشيد الشعرية ليس فيها شئ من الفلسفة . أما الخرافات الفياضة النامية فيها فانها تشبه الخرافات اليونانية، كما أن بين لغتى اليونان والهند البرهمانية مشابة أخوة، ولكن الطابع الفلسفى معدوم منها بالمترة . وأما الأوپانيشاد التى يمكن أن يوجد فيها هذا الطابع بعد البرهمانيات فمن المؤكد أنها متأخرة عن الأزمان التى نحن بصدددها، فمع أن طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان هم من القرن السادس قبل المسيح فإن الأوپانيشاد لا يمكن إبلاغ أقدمها إلا الى القرن الرابع .

وعلى ذلك لم يكن الإغريق ليستعيروا شيئا من الهند مع افتراض أنه كان من الممكن فى ذلك الزمان أن يكون لهم مخالطة مستمرة بحكماء شواطئ الهندوس، بله حكماء أواسط شبه جزيرة الهند أو شرقها . وما عرف العالم الإغريق بجماعة الچمنوزوفست إلا بتجريدة الاسكندر وسفارة ميغاستين، ولكن الاسكندر وميغاستين هما متأخران بمائتى عام عن حكاء سموس وملطية وكولوفون .

حق أن الهند خلافا لمصر ويهودة وفارس لها فلسفة حقيقية نعرفها فى مجموعها ونعرف منها آثارا تفصيلية . وريثما ندرسها دراسة تامة نقرر منذ الآن أننا نعلم أن هذه الفلسفة مستوفية كل الشرائط اللازمة للعلم على النحو الذى نعينه نحن اليوم، والذى كان يعنيه الإغريق دائما . انها لمستقلة تمام الاستقلال، وغرضها كغرض حكمة الإغريق تفهم العالم والانسان . ولاشك فى أنها درست كليهما على غير الوجه المفيد، ولكنها جعلتهما شغلها الوحيد، فينبغى أن يكون لها بمذاهبها الستة التى تتقاسمها وتؤلفها مركز عظيم فى التاريخ العام للعقل البشرى .

ما هو تاريخ هذه الفلسفة ؟ وإلى أى زمن تنسب ؟ ذلك هو كل ما يهمنا في هذا المقام .

قد كان يظن أن أحد هذه المذاهب الذى هو مذهب سَعَنْخِيَا الملاحد من كَلَّا كان سابقا على البوذية . ولما أن بوذا مات سنة ٥٤٣ قبل الميلاد يكون سَعَنْخِيَا معاصرا لطاليس ومعاصريه الآخرين . وكانوا يُقَفُّون مذهب سَعَنْخِيَا بالمذاهب الأخرى على ترتيب معين لا يخلو من التحكم كثيرا أو قليلا ، باعتبار أن كل هذه المذاهب متأخرة عنه . وبالتبع تكون متأخرة عن فلسفة آسيا الصغرى ، ولكن يظهر أن هذا الترتيب أصبح الآن معدوم النصير ، لأن أغزر البراهمة علما متفقون على ترتيب سَعَنْخِيَا بعد البوذية بزمان طويل . إن الفلسفة لم تظهر في الدين القديم إلا لاستئصال شأفة الإلحاد أو على الأقل لتفيل من غربه . وإن مذهب سَعَنْخِيَا الذى هو ملحد وروحاني معا ما يكون إلا طليعة التوفيق بين اعتقادات الدين الجديد وبين الاعتقادات الجاثية من فيدا ، ويكون ” النِّيَا ” أو المنطق جاء نفسه قبل سَعَنْخِيَا لحاجات المناظرة وتكون القيدعتا متأخرة عن الاثنين ^(١) .

ليس بى من حاجة إلى الدخول في مناقشات من هذا النوع ، ولا أريد أن أجاوز بالبحث حدود ما قدمته من القول ، وإلا كانت إفاضة في العبث ، فإن من البين أننا حتى اذا وضعنا سَعَنْخِيَا في الترتيب الوجودى قبل ظهور البوذية وجدنا أن الاغريق لم يكن في وسعهم أن يعرفوا من مذهبه شيئا عند ما أخذوا يفلسفون لأول مرة . ومع افتراض أن سياحة فيثاغورث بلغت به بابل وصوص ، فإنها لم تعلمه مذاهب لم تكن خلقت في بنجاب أو على شطوط نهر الجنج .

ينبغي أن يزداد على هذا أن ” داراسانا ” الفلسفة الهندية على ما هى معروفة عندنا منذ كولبروك وما تلا مذكراته المشهورة من المعلومات ليس بينها وبين الفلسفة الإغريقية في تلك الأزمان الأولى علاقة مشاركة . فلا فى طاليس ولا فى فيثاغورث

(١) ر . مؤلف بنرجا « حوار على الفلسفة الهندسية » لندن ١٨٦١ فى قطع الثمن ص ٥٠ وما بعدها .

وكان الأستاذ بنرجا أستاذا فى مدرسة بيشوب بكاسكا أهدي مؤلفه إلى جون مور .

ولا في إكسينوفان يمكن العثور على أثر للشابهة أو التقليد . وهذا مفهوم بالبداهة مادام الظاهر كله يدل على أن الفلسفة البرهمانية لم تتم إلا بعد ذلك بقرنين أو ثلاثة . ومتى خرجنا بالهند من الموضوع صار من العبث أن نبلغ بالبحث الصين ، فإن لاوتسو معتبر أنه عاش في القرن السادس قبل الميلاد ، ولكن الفلاسفة الاغريق الأول لو كانوا قرءوا الثاوتي كنيچ وهو كتاب الطريق والفضيلة لما استطاعوا أن يجدوا فيه ما يصلح لهم^(١) .

على ذلك لا الصين ولا الهند ولا فارس ولا مصر نفسها لم تلهم الاغريق شيئا من فلسفتهم . وسأبين فيما يلي أى حظ من التأثير كان للذاهب المصرية في مذهب فيثاغورث ، ولكنه يمكن الجزم بصورة عامة أن الفلسفة الاغريقية باعتبار أنها في مهدها فلسفة بالغة في الأصلية غايتها . وبأن معنى العلم على الصورة التي صورتها بها هذه الفلسفة وقتئذ كان باكورة فهم العقل البشري للعلم ، تلك هي نتيجة كبرى أعترف بغاية الارتياح أنها ليست أمرا جديدا ، كما قد بين من الاعتبار التي تقدمت . بل قد تقدمني بزمان رجال ارتأوا هذا الرأي من غير أن يكون قد توفر لديهم كل ما لدينا من الأدلة .

فإن العالم المحقق بروخر كان يكتب منذ قرن كامل في هذا الموضوع . وقبل أن يصل الى الفلسفة الاغريقية بحث عن بدايات الفلسفة في الأرض جميعها . فراح يستجوب على التعاقب العبرانيين والكلدانيين والفرس والهنود والعرب والفينيقيين والمصريين وطائفة من أمم أخرى ، فلم يعثر فيها على الفلسفة التي ينشدهم إياها عبثا ، حتى بلغ الاغريق فقال : ” الآن لنبلغ الاغريق هذه الأمة المشهورة منذ كانت صبية في المهدي بدرس الحكمة والفنون ، والتي عندها وجدت الفلسفة مقرها الذي بفته زمنا طويلا بعد أن تلقت هذه الأمة عن المتوحشين بعض الجرائم من المعارف الالهية والبشرية“ .

(١) راجع مؤلف استانسلاس جوليان ” لار — تسين — ق — كنيچ “ المطبعة الملكية

ثم بعد أن درس النظريات القديمة لأنساب الآلهة التمثيلية والفلسفة السياسية للحكماء أضاف هذا العالم الرصين مؤرخ الفلسفة الى ما تقدم ما يلي محدثا عن مدرسة يونيا :
 " الى هنا لم نقدر فلسفة الاغريق إلا وهي صبية ترت في مهدها ، ولكنها قد بلغنا الآن منها الطور الذى فيه بدأ العقل البشرى يزاول الفلسفة الحقة ، ويظهر بالأفكار المرتبة مظهر المشغوف بالنفوذ في حقيقة الأشياء . فإلى العبقريّة الاغريقية ينبغي أن ننسب هذا المجد كما بينته آنفا وفي أول هذا التاريخ عند البحث في الأصول الصحيحة للفلسفة^(١) " .

وأما أنا من جانبي فلا أزيد على ترديد عبارة بروخر ، وأعدنى سعيدا باستنادى الى هذا الحجة المحترم المتين الذى تقدم بمائة عام ما لدينا في هذا العصر من المعلومات البينة . نتيجتي كنتيجته . نعم إغريقيا أصيلة على الاطلاق . أعطت كل العالم ولم يعطها العالم شيئا إلا ما ربما يكون من بذور كانت عقيمة في غيرها فعرفت هي وحدها أن تنبت .
 لن أتوسع في الكلام على مذاهب طاليس وفيثاغورث وإكسينوفان ؛ بل أقترض أنها معروفة بمقدار ما يمكن أن تعرف من القطع النادرة التي نجت من البلب وأقف عند بعض الملاحظات العامة الى غاية العموم . من البين أن أكل هذه المذاهب الثلاثة على نسبة كبيرة هو مذهب فيثاغورث . ونحن لا نستطيع أن نتعرفه إلا من خلال الشروح التي وضعتها عقول قليلة التفوق جاءت بعد المصنف بستة أو سبعة قرون ، ولكنها مع ذلك كافية في بيان أن الدراسة التي كان يزاولها حكيم سموس شدد ما كانت أفسح ميدانا وأكثر ضبطا من دراسات معاصريه ، فيها الفلسفة بتمامها تقريبا مع أجزاءها الأصلية التي تتألف هي منها . وفوق ذلك فإن دراسة العلوم وعلى الأخص العلوم الرياضية بلغت فيها شأوا بعيدا . ومن البلية أن شخص فيثاغورث كمنه لا يزال يحيط به من الظلام حجاب لا شيء يمزقه ، ولا شك في أن هذا الحجاب العظيم إنما جاء كبره من السكوت الذى آلتزمه فيثاغورث وألزم إياه تلاميذه الذين بقوا محتفظين بتنفيذ أمره مدة عدة أجيال . وكان فيلولوس

(١) بروخر تاريخ الفلسفة سفر (١) ص ٣٦٤ ، ٥٧٠

السابق لأفلاطون بقليل هو أول من علم القاعدة — على ما يؤكدون — ونشر المذهب بل ربما نشر كتب الأستاذ أيضا .

ومما لا يقل عن هذا مطابقة للواقع هو أن فيثاغورث على فلسفته كان يحتفظ في نظرنا بشيء من النحو الديني إن لم يكن في أفكاره فعلى الأقل في الجمعية التي ألفها والتي لا يدخل إليها الا بعد امتحان قاس يجوزه المريد، فليست الفيثاغورية مفتوحة للكافة كالمذهب الطبيعي لطاليس، ولا كالمذهب ما وراء الطبيعة لإكسينوفان. لفيثاغورث تلاميذ، ولكنهم بعض أعضاء الجمعية منتظمة خاضعة للملاحظة شديدة ومحصورة في حدود لا تتجاوز، إنها نوع من مدينة فلسفية دينية سياسية قاسية وضيقة الحدود . فلم تلبث أن آرتاب في أمرها جيرانها فخربوها بالحديد وبالنار وما كان أسهل عليهم ذلك نظرا الى أن هذه الجمعية من الوداعة بمكان . ومن البديهي أن نظام المدرسة الفيثاغورية كان على مثال مدارس الكهنة المصريين، وربما كانت على مثال مدارس المجوس أيضا . وإن تناسخ الأرواح هو عقيدة شرقية صرفة لم تنأقلم في العالم الهليني، مع أن أفلاطون وضعها تحت إشرافه . كان فيثاغورث مؤسس مدرسة ورئيس جمعية معا ومبدع مذهب لا يتلقاه إلا أشياعه، وبهذه المثابة كان بين فلاسفة الإغريق وحيدا في هذا الباب . وينبغي أن يرجح أن سياحاته في مصر وكلدة هي التي أوجدت في نفسه مقاصد من هذا النوع فنقلها الى بلاد قلما توافقها وتنجح فيها، ولكنها مع ذلك جعلت لفيثاغورث مركزا قدسيا علميا معا فبقى به علما فردا متميزا عن قبله ومن بعده . مذهبه العلمي غير تام، ولكنه عظيم جليل . ومذهبه الأخلاقي طاهر لا غبار عليه حتى إن مذهب أفلاطون مع كونه أشد منه تعمقا لم يرجح عليه في طهره .

ولندع الى جانب شخصيات الفلاسفة وننصبه الى أن الفلسفة الإغريقية بتمامها كانت موضوعة في وضع استثنائي أفادها جدا وهو أنها لم يكن أمامها أبدا ديانة مبنية على كتب مقدسة، وقد كان الأمر على ضد ذلك في مصر ويهودة وفارس وفي الهند حيث لم تكن الحال قاصرة على أن الدين قد سبق الفلسفة في تلك

البلاد، كما هو الحال عادة في كل زمان . بل إنها اعتمدت فوق ذلك على أسس معتبرة أنها إلهية ، ومع ذلك أقامت قرونا طويلا كافلة لسد الحاجات الأدبية والأخلاقية في تلك الأمم . وبعد ذلك خرجت الفلاسفة من المحاريب فمثلا في بلاد الهند البرهمانية أو البوذية استطاعت الفلسفة أن تنمو نموا كبيرا متحللة من القيود الأولى وإن كان نجاحها لم يكن عظيما . أما في بلاد الاغريق فلم يكن ما يشبه ذلك ، لأن الاغريق لم يكن لهم كتب إلهية ولا موحى بها . وقد كان أرفي ولينوس وسائر المرتلين الأقدمين الذين كانوا ينشدون آيات الأسرار الأولى كلهم ما كان يتكلم إلا بأسمه هو دون أن يسند ما يقول الى الإله . ولما كان الاشرار بالله متغير الصور منشورا في البلاد لا ينتظمها على حال واحد لم يستطع الوصول الى تأليف جسم من المذاهب قد يصير ديانة ذات قوام خاص ، فلم يكن للكهنة نقابة قوية ذات سلطان وكان الناس يحترمونهم ولكن لا يطيعونهم ، ولم تكن الروابط بين الهيئتين إلا مفككة العرى ، لأنها إنما تبحث عن معتقدات عامة يغير من عمومها في كل جهة أساطير محلية لا نهاية لها ، وعن بعض احتفالات عامة لم تكن إلزامية ، وهواتف يستشيرها الناس وقتما يريدون ، وألعاب عمومية . والكتاب الوحيد الذي أخذ يجامع قلوب الاغريق إنما هو قصيدة حماسية . إن قصيدة من شعر الحماسة تسحر العقول ولكنها لا تهديها ، تأخذ بالقلوب ولكنها لا توجب الايمان ، إنها تملئ الاحساسات الشريفة بما تقدم من التذكارات الوطنية ، ولكنها لا تسوى سبل السلوك . فما قصيدة حماسية بالتوراة ولا هي بالزانداستا ولا بمنتراس البراهمة ولا بالقربان المثلث عند البوذيين . فالواقع أن الفلسفة كانت هي وحدها دين الهلنين .

وما تنسب عظمة الفلسفة الاغريقية التي لا تزال تدهشنا وتعلم منها بعد خمسة وعشرين قرنا إلا الى استقلالها المطلق . ولو أنها كانت تحت وصاية ديانة حسنة النظام أفكانت تظهر قواعدها بهذه السهولة التي ظهرت بها ؟ أو كانت تحيا تلك

الحياة الطيبة القوية ؟ أو كانت تلد للعالم تلك الملح من التأليف وتوتى ذلك الثمر اللذيذ ؟ من ذا الذى يعرف ذلك ؟ لا شك فى أن الجنس الهلنى كان عجيب الاستعداد فقد نجح فى ميدان الفلسفة ، كما نجح فى ميادين الأعمال الأخرى ، ولكن أما كانت تذبل هذه الخواص العجيبة لو أن العُصارة التى تغذيها جرت فى قنوات أخرى من قبل وخصوصا فى قنوات الديانة ! ولم يكن تاريخهم الخرافى إلا لعبا تلعب به الملوكات ، فكانت الخواص العليا للنفس فى سعة من أن نتخذها نوحا جديا آخر وتبحث عن غذاء لها أغزر مادة وأدخل فى باب الحق . بعيد على أن أنكر نعم الديانات على الناس ، وأرى أن من الخير أن تكون قد سبقت الفلسفة دائما ، وعند جميع الشعوب ، ولكنى لا أستطيع أن أحجم عن القول بأنه إذا كانت ديانة الهلن أكثر جدية مما كانت عليه لأوشكت فلسفتهم وعلومهم أن تكون أقل فى الحد مما كانت عليه بكثير ، وتلك خسارة لا تعوّض على الاغريق وعلينا أيضا لأننا نحن أبناءهم ومظهر استمرار حياتهم .

ولئن أنسب الى آسيا الصغرى وتلك الجمهوريات الاغريقية الصغيرة التى كانت مقيمة على شواطئها كل المجد الطارف فى اختراع الفلسفة والعلم والشعر والموسيقى وكثير من الفنون الأخرى ، فإنى لا أقصد الى أن أعظم آتيننا حقها من المجد المقطوع النظير ، ذلك لأنه من آتيننا خرج فى زمن قدروس أهل بعض هذه المستعمرات التى جمعت بين النشاط والذكاء والشاعرية والحربية ، وفى آتيننا اجتمع اليونان . بل يمكن القول بأن آتيننا أعطت من دمها ومن روحها تلك الجاليات التى لم تستطع أن تظلمها تحت سمائها بعد أن أقاموا بها زمنا طويلا . ثم ان تلك المستعمرات لم تستطع أن تحفظ فى أوطانها جرائم للفلسفة التى تمخضت هى عنها ، فإنه اذا كان طاليس يبق فى ملطية فان فيثاغورث قد هاجر من سموس الى سياريس وقروطون ، واكسينوفان ترك كولوفون الى ايليا . فلما نقيت الفلسفة موقتا من اغريقا الكبرى بما فيها صقلية وجدت سلطانها الحقيقى فى آتيننا آخر مطافها ،

وجدته بسقراط وأفلاطون في عهد أنكساغوراس وپيريكليس وفيدياس وسوفكل ، على ذلك تكون آتينا قد حوت أسمى مظهر للذكاء الإغريقي ، وتكون الأم المخصصة التي ولدت المُلح من كل نوع ، فان الفلسفة لما اقتلعت مرتين رجعت الى الأرض الأولى التي منها خرجت المستعمرات اليونانية لتؤتي فيها أجمل زهرها وأنضج ثمارها . ولم تكن الفلسفة في آسيا الصغرى إلا عارضا جاءت به المصائب السياسية ، فأقامت فيها قليلا ولكن بعد أن انبعث نورها الساطع . فلما استقرت بآتينا مكثت بها أكثر من ألف سنة من عهد پيريكليس الى عهد جستنيان فهي معلمة روما وجدة الاسكندرية ومنافستها الجديرة دائما بالاحترام .

من أجل ذلك يظهر لنا أن آتينا ويونيا أو بلفظ واحد إغريقيا كان لها على من عداها فضل وسؤدد لا يطاول ، ومن أجل ذلك نضع منزلتها من سماء المجد في أوجها ، لا يقار بها فيه ولا على مسافة كبرى تلك الأمم التي حاربتها ومزقتها ولكنها لم تقهرها مع أنها تربي عليها في العدد ألف مرة . فمن ذا الذي يقام له وزن بجانب الإغريق في باب الشعر والفنون والعلم والفلسفة ؟ لست أعني السيتين ولا سائر تلك الشعوب الرحل في شماليها ، ولكننا أعني الفرس والهنود بل المصريين أيضا . ماذا عسى أن تكون القرون الأولى لولا الهلين ؟ ما هي تلك المعارف الانسانية التي ليس لهم فضل في أمرها ؟ ولقد أراد مؤرخو الانسانية ومنهم هرردر أن يتلمسوا أسباب هذا التفوق الخارق للعادة من ظروف وأوضاع كلها مادية كشكل أرضهم وحال جوهم وحاجات تجارتهم ... الخ ؛ ولكن مع أن تأثير هذه الظروف لا ينكر إلا أنها لا تستطيع أن تحل لنا مشاكل هذه النظرية الدقيقة ولا أن تفسر لنا سر هذا التفوق تفسيراً مقنعا ، فان شواطئ آسيا الصغرى وضاف بحر إيجه وأطيقا ، وپيلوبونيز وإغريقيا الكبرى لم تتغير عن أصلها ، ومع ذلك أين هي تلك الروح التي كانت تتعش الهلين في تلك العصور الخصبية ؟ ماذا صارت روح تلك الشعوب التي لم تتغير أوطانها المخصبة الجميلة منذ ذلك العهد الى اليوم فان أخلافهم لا يعدون الآن شيئا فيما يتعلق بارتقاء المدارك الانسانية .

لا نكاد نجد لهذا السؤال جواباً ممكناً إلا الواقع نفسه ، فإننا لنرى كيف كانت اغريقا فوق كل الأمم حتى بالبقايا القليلة التي وصلت إلينا من أعمالها ، ولكن لماذا اصطفى هذا الشعب الصغير في زمن معين خلال قرون عديدة ليكون عنوان النور الأبدى الهادى لجميع الأمم فيما يتعلق بالمعقولات ؟ ذلك سر من أسرار العناية الإلهية ليس لنا بالنفوذ في كنهه يدان ، بل هو كسائر أسرار الله تال إعجابنا ولا ينالها فهمنا . ان الإغريق ، الذين لم يكن لهم على النوع الإنسانى سعة النظر التى تقدمها لنا اليوم فلسفة التاريخ مدعمة بشقى الملاحظات ، قد حاولوا مع ذلك أن يفسروا لأنفسهم أعجوبة عبقريتهم . وانى أوترأى أيضاً فى هذا المقام أن أستجوبهم بدلاً أن أجيب عنهم فى هذه المسئلة ، أولئك هم ثلاثة شهود عدول من عصر واحد تقريباً وهم بقراط وأفلاطون وأرسطو ، يشهد أحدهم باسم علم وظائف الأعضاء ، والثانى باسم الفلسفة والوطنية ، والثالث باسم السياسة . ولا بأس من أن نتخذ بجانب هؤلاء شاهداً على الشعر إيشيل الذى كان يقاتل فى مرطون .

فمن كتاب بقراط على الأهوية والمياه والأماكن ، ذلك الكتاب الذى يتخيل قارئه كأنما مدده فيما أتى به من النظريات هو العلم الحديث ، استطرد فيه المؤلف بحكم ضرورة استيفاء موضوعه الى المقارنة بين الجنسيتين والوطنين اللذين يعرفهما حق المعرفة ، لأنه عاش فيهما فقال :

” أريد بالمقارنة بين آسيا وأوروبا أن أبين كيف أن كليهما تخالف الأخرى “
 ” فى كل شئ ، وأنه ليس بين الأمم التى تقطن كليهما أية مشابهة فى البنية . وقد “
 ” يكون من التزام ما لا يلزم تعديد جميع الفروق ، بل أكتفى بأكثرها أهمية ، وأشدّها “
 ” بروزاً للعيان ، لأعرض رأيى الذى آرتأيت به فى ذلك ، فأقول : إن آسيا تختلف عن “
 ” أوروبا اختلافاً عظيماً بطبيعة حاصلاتها جميعاً ، سواء فيها ما تخرج الأرض وما يخرج “
 ” من ظهور الناس الذين يزرعونها . فكل ما يتولد فى آسيا يفضل ما يتولد فى أوروبا “
 ” فضلاً كبيراً فى الجمال وفى بسطة الجسم . جوها أكثر اعتدالاً ، وأمها أدمث “
 ” أخلاقاً وأسهل قياداً ، والعلة فى ذلك هى التوازن التام بين الفصول ... فان المشية “

”التي ترعى فى أرض آسيا حسنة المنظر خصبة التكاثر إلى حدّ مدهش، وتربيتها“
 ”ناجحة إلى الغاية. وأما الناس فيها فنموهم عظيم، يمتازون عن الأجناس الأخرى“
 ”بجمال صورهم وفضل قامتهم، ولا يختلف بعضهم عن بعض فى الرّواء ولا فى الصورة.“
 ”ويمكن أن يقال: إن مثل هذه الجهة بينها وبين الربيع نسب يكاد يكون متصلاً“
 ”بالنظر لتأليف فصول السنة ولطف آثارها، ولكن لاشجاعة الرجولة ولا مصابرة“
 ”المشاق ولا إجهاد النفس فى العمل ولا شدة البأس كل هذه الصفات لا تنمو“
 ”فى مثل هذه الطبيعة، سواء فيه الوطنيون والمستوطنون، بل إن حبّ الملاهى“
 ”عندهم يتغلب على ما عداه من الميول الأخرى“.

”أما من جهة ضعة النفس وعدم الشجاعة فإن الآسيويين إذا كانوا أقل ميلاً“
 ”للحرب وأكثر سلاماً فى الطبع من الأوروبيين فعلة ذلك إنما هى على الخصوص“
 ”فى حال إقليمهم حيث لا توجد تقلبات شديدة لا فى الحرّ ولا فى البرد بل“
 ”قليلاً ما يشعرون بتغير الجو، وحيث لا يعترى العقل صدمات ولا يعرفون الجسم“
 ”تغيرات. وتلك أفعالات من شأنها أن تكسب الخلق وحشة وتمزج به ميلاً“
 ”للجراح والعصيان أكثر مما تفعل الحال الجوى دأمة التماثل. ألا إنها التغيرات“
 ”من النقيض إلى النقيض هى التى تنبه العقل الإنسانى وتمنعه من أن ينام“
 ”فى ظلال السكون. تلك هى الأسباب التى يتعلق بها على ما يظهر لى ضعة“
 ”نفوس الآسيويين“.

”ينبغى أن يضاف إلى ذلك حال النظمات، فإن جزء آسيا الأكبر خاضع للملوك.“
 ”وحيثما كان الناس لا يملكون حرية أشخاصهم لا يعينهم المرون باستعمال السلاح، بل“
 ”يصرفون كل عنايتهم فى أن يظهروا بمظهر العجزة غير الصالحين للخدمة العسكرية،“
 ”ذلك بأن الخطر ليس مقسوماً بينهم قسمة عادلة؛ إذ يسعى الرعايا إلى خوض غمار“
 ”الحرب يذوقون فيها من المتاعب ألواناً يموتون فيها من أجل أسيادهم بعيدين عن“
 ”أبنائهم وعن نساءهم وعن كل ما هو عزيز عليهم. وفى حين أن كل ما يأتونه من“

”ضروب النشاط والبسالة انما ينجي أسيادهم ثمرة يكبر به قدرهم وتشتد به عصبيتهم“
 ”فإن أولئك المحاربين لا ينجون من وراء كل ذلك الا الأخطار والهلاك . وفوق ذلك“
 ”فإن هؤلاء الرعايا لا بد لهم من أن يروا في الغالب دخول الأعداء وانقطاع الأشغال“
 ”سببا لجعل غيظانهم حصيدا جريزا . بهذه المثابة ترى الذين آتتهم الطبيعة في هذه“
 ”الأمم قوة في القلب وميولا حسنة قد تمنعهم تلك النظمات السياسية من الانتفاع بها .“
 ”وإن أكبر برهان على ما أقدم هو أن في آسيا جميع الأمم الإغريقية والمتوحشة“
 ”المتحللة من نير السيادة والتي تضع قوانينها بنفسها لنفسها وتشتغل لحسابها هي أكثر“
 ”الأمم الآسيوية ميلا الى الحرب . ولما أنها كانت تتعرض لأخطار الحروب لحسابها“
 ”الخاص فكانت تتمتع بثمره شجاعته أو تحتل سوء نتائج جنبها ليسوا كالأسيويين“
 ”المحكومين بالملوك ، فإن الشجاعة تفقد وجودها بالضرورة في قلوب الرجال الخاضعين“
 ”لحكم الملوكة ، نفوسهم مستعبدة فلا يكادون يهتمون بمعاونة الأخطار بمحض“
 ”إرادتهم من أجل توسيع سلطان غيرهم . ولكن الأمر على ضد ذلك إذا كان الانسان“
 ”غير خاضع إلا الى قوانينه الذاتية وإذا كان يعرض نفسه للخطر من أجل منفعة“
 ”الخاصة لا من أجل منفعة غيره . من هذا شأنه يقتحم المخاوف طائعا مختارا ويلقى“
 ”بنفسه بكل قلبه في جميع مهاوى المصادفات ، لأنه سيجنى لنفسه ثمرة انتصاره .“
 ”من أجل ذلك كانت القوانين مساعدة عن سعة على تكوين الشجاعة“ .

”تلك هي المقارنة العامة التي يمكن تقريرها بين أوروبا وآسيا في كل الأشياء“^(١)
 ذكر أفلاطون في كتابه المينكسين حيث لا يزيد سقراط على أن يكرر مقالات
 أسبانيا الشاعرة الملطية تمجيذا للاغريق الذين قهروا قبائل آسيا ما نصه :

”لما جاء الفرس الذين هم سادة آسيا وحكامها يسعون لإذلال أوروبا قائلهم“
 ”آبائنا أبناء هذه الأرض فقهرهم ودحروهم . ولتقدير قيمة هذا العمل العظيم ينبغي“

(١) بقرات كتاب الأهوية والمياه والأماكن ب ١٢ ، ١٦ ، ٢٣ ، ص ٥٣ ، ٦٣ ، ٨٧

(١)
 "أن ننتقل بالفكرة الى العصر التي كانت فيه آسيا كلها خاضعة الى ملكها الثالث،"
 "فأولهم قيروش الذي لما مكنته عبقريته من تحرير مواطنيه الفرس أخضع اليه"
 "سادتهم الميديين، وحكم بقية آسيا الى حدود مصر. ثم فتح ابنه مصر وسائر الأقطار"
 "الافريقية التي استطاع أن يصل إليها . وثالثهم دارا قد بسط حدود مملكته"
 "ومدّها الى سبتيا بفتوحات جيشه البري، وأما أساطيله فجعلته سيد البحر والجزر،"
 "وإذا كان لا يجرؤ أحد على مقاومته وقد ذلت له هامات الأمم فكم من أمة قوية"
 "حربية ألقت عنانها الى الفرس ودخلت تحت نير سلطانهم ... ! اذا استحضر"
 "الانسان هذه الظروف في ذهنه أمكنه أن يقدر حقا البسالة التي أتاها يوم مرطون"
 "وأولئك المقاتلون الذين صبروا على مهاجمة المتوحشين، وعاقبوا تبجح آسيا وكبرياءها،"
 "والذين أثبتوا للاغريق بما جاءوا به من الأنفال والغنائم أن قوة الفرس لا تستعصى"
 "على المقاومة، وأنه لا شيء من كثرة العدد ولا من سعة الثروة يقف أمام الشجاعة ..."
 "لذلك ينبغي أن يسند ثناء هذا النصر الأول الى أولئك المقاتلين . وأما الثاني فثناؤه"
 "مسند الى الظافرين في الوقائع البحرية بسلاطين وأرطيميس . وقد ضرب أبطال"
 "مرطون مثلاً للاغريق عامة أن فئة قليلة حرة تكفي لرد غارة جيوش المتوحشين"
 "البرية، مهما كانت لا تحصي عددا، ولكنه لم يكن ليثبت أن ذلك ممكن أيضا"
 "في البحر كما أمكن في البر حتى وقعت الوقائع البحرية فاستحق بها أولئك"
 "البحارة المهرة ما أحرزوا من المجد لتخليصهم الاغريق من الخوف الأكبر، ولأنهم"
 "صيروا الأساطيل الفارسية لا تريد مهاجمة على الجنود الفارسية . أما الواقعة الثالثة من"
 "وقائع الاستقلال الاغريقي من حيث الترتيب التاريخي ومن حيث شدة الإقدام"
 "فهي واقعة پلاتة، وهي أول واقعة اشترك فيها اللقدماتيون والأتينيون وباءوا"
 "بمجدها جميعا، وقد كان اللقاء فيها حرجا والخطر محيقا فتغلبوا على كل شيء . وياله"
 "من فضل يستأهل مدائحنا ومدائح قرون المستقبل ."

(١) إيشيل . (الفرس البيت ٧٦٥ وما يليه) يذكر عددا آخر . يرى أن آسيا في عرف إيشيل
 وأفلاطون كان حدّها الشرق أرض فارس .

الى أى شىء فى الاغريق نسبت أسباسيا هذه الشجاعة وهذا المجد؟ الى علة واحدة، الى الحرية التى كانت نمتع بها آتينا . قالت : ”ها أنتم هؤلاء ترون كيف أن أجداد هؤلاء المقاتلين وأجدادنا وهؤلاء المقاتلين أنفسهم الذين ولدوا بالطالع المسعود وربوا فى مهد الحرية قد أتوا هذه الفعال الجميلة العمومية والخصوصية لغرض واحد هو خدمة الانسانية^(١)“ .

وما كان هذا النشيد الا أليق ما يكون بالأعمال التى يشدو بها . وحقيق بأسباسيا أن تمتدح آتينا وأبناءها . ولما قام مينكسين يشكر سقراط عند انصرافه لم يتمالك نفسه من أن يجهر بهذا القول : ”وحق المشتري إن أسباسيا لسعيدة بأنها وهى امرأة تقدر على كتابة مثل هذه المقالات“ .

ولا شك فى أن هذا الشاب قد أصاب فيما قال ، إلا أنه فاته أن هذه المرأة كانت من ملطية وأن أجدادها ، مع أنهم كانوا لا يزالون أضعف من الآتينيين ، قد حاربوا الفرس غير مرة من قبل أن تتولى آتينا أمر قهرهم . وأخيرا فان أرسطو يشرك أفلاطون وبقرات فى رأيهما ، فانه لما تكلم على الصفات المطلوبة فى سكان المدينة فى حكومة منظمة قال :

”لكى يلم المرء بهذه الصفات ما عليه إلا أن يطرح نظره الى أشهر المدائن“
 ”الاغريقية والى بقية الأمم المختلفة التى تنقسم سطح الأرض ليرى أن الأمم التى“
 ”تسكن الأقاليم الباردة حتى فى أوروبا هى على العموم مملوءة بالشجاعة ولكنهم“
 ”على التحقيق أقل ذكاء فى العقل ومهارة فى الصناعة ، وبهذه المثابة يحتفظون“
 ”بجريتهم خيرا احتفاظا ، ولكنهم من الجهة السياسية غير قابلين للنظام ، ولم يستطيعوا“
 ”مطلقا أن يقهروا جيرانهم . أما فى آسيا فالأمر على ضد ذلك ، فان أممها أكثر“

(١) مينكسين أفلاطون ترجمة فكتور كوزان ص ١٩٦ وما بعدها . ذلك هو الذى ذكره أيضا إيشيل على لسان جماعة المنشدين يحيون آتوسا أم اكرار كسيس : ”لا يستطيع مخلوق أن يقول إن الآتينيين عبيده أورعاباه“ الفرس البيت ٢٤٢

”ذكاء وقابلية للفنون، ولكنهم تنقصهم قوة القلب ويصبرون على البقاء تحت نير“
 ”العبودية المؤبدة . أما الجنس الإغريق الذى هو بموقعه الجغرافى وسط بين هؤلاء“
 ”وهؤلاء فإنه يجمع صفات الطرفين ويجمع بين الذكاء والشجاعة ؛ يعرف كيف يجمع“
 ”بين حفظ الحرية وبين تأليف حكومات غاية فى النظام . فهو جدير إذا“
 ”توحدت كلمته فى حكومة واحدة أن يفتح العالم“^(١) .

هذا رأى ثلاثة رجال ، أولئك هم أرسطو وأفلاطون وبقراط فى عبقرية
 اليونان، إنهم لم ينفوا عن الإغريق المؤثرات الخارجية التى آثارها أظهر من أن
 تحفى، ولكنهم اهتموا على الخصوص بالأسباب الأخلاقية . وما ضلوا فيما ذهبوا
 إليه، لأننا نحن الآن مع أننا أكثر تنورا، بما أصبنا من التجربة الطويلة، لا نستطيع
 أن نزيد شيئا على هذه الاعتبارات الصادقة المستمدة وجودها بنوع ما من الحس؛
 فلتبقى إغريقيا إذا ما كانت فى العصور الأولى مدفونة فى طيات مجدها، ولكن
 خالدة ما خلدت أعمال الانسان التى تقع فى يوم من الأيام ثم تتلففها أيدى البلى
 مهما كان موضعها من الجمال والكمال .

كنت أريد أن أفرغ من هذه المقدمة التى طالت أكثر مما ينبغى، ولكنها
 لا تكون كاملة إذا لم أرجع بها إلى الكلام على الكتاين اللذين نتقدمهما وإذا لم أبسط
 القول على المسألة الكبرى التى تشبثت بها مدرسة إيليا، تلك المدرسة التى يمثلها
 إكسينوفان وميليسوس أعنى بها وحدة الوجود وعدم تغيره . وما أدراك ما هى
 تلك المناقشة التى ثار ثائرها فى بداية الفلسفة وقام بها رجال تقلبوا فى الأعمال الحيوية
 من حرب وسياسة وسياحة واستعمار؟ وإذ نراهم فلاسفة ونظرين نراهم جميعا يزاولون
 المقاصد العملية بهمة مدهشة، وأنى لنا إدراك التوفيق بين الحالين إذا لم نلم بالأخلاق
 والعادات والضرورات التى كانت فى تلك الأزمان المضطربة! كان طاليس فى جيش
 ألياط وكان أحد المؤتمرين فى الهانيونوم؛ وفيثاغورث يحوب البلاد الأجنبية زمنا

(١) أرسطو . السياسة لك ٤ ب ٦ ف ١ من ترجمتى ص ٢١٧ من الطبعة الثانية .

طويلا على كثرة الأخطار وبعد الشقة ؛ وإكسينوفان الذى نفى نفسه طوعا من وطنه المقهور بالفرس يذهب للانضمام إلى الفوكيين فيما وراء البحار ؛ وميليسوس يدافع عن سموس ضد الآتينيين بعزيمة لم يتغلب عليها بيريكليس إلا بعد طول العناء ، أولئك قواد وساسة يشتغلون بما وراء الطبيعة ! أمر شديد الندرة دائما ! وفوق ذلك فإنهم يظهر عليهم أنهم فنوا فى دقة التدليل ، تلك الخاصة التى كانت تهم بها عن بيئة مدرسة إيليا . إذا سلمنا بما ذكره أفلاطون فى كتابه المسمى "پرمينيد" فإن ذلك الانتقاد والتهمة كانا من الصحة بمكان ولا شك أن من الغريب أن تملك التدقيقات المنطقية على مثل هؤلاء الرجال عقولهم ، غير أنه يجب التنبيه إلى أن پرمينيد مع كونه تلميذ إكسينوفان وخليفته قد شرع لنفسه طريقا غير طريقه فسخ من أفكاره وغلا فيها ، وربما كان ذلك أثرا من آثار الروح العامة المنتشرة وقتئذ فى إغريقا الكبرى ، تلك الروح التى كانت وقتئذ تبذع فى صقلية فن الخطابة والتى غلت فى نظريات فيثاغورث على العدد إلى حد الإفراط .

ليست تلك روح إكسينوفان التى نتجلى فى المقطوعات التى بقيت لنا من آثاره وفى الكتاب الذى أترجمه الآن فى هذا المجلد . وعلى رأي أن هذه النقطة هى التى ينبغى أن نوجه النظر إلى الإمعان فيها للإصابة فى تقدير قيمة هذه المذاهب الناشئة وقتئذ ، والتى لم تكن لتأخذ بعد مركزا ثابتا فى العقل الإنسانى فى بداية هبوه من سباته .

أول نظرة فى الطبيعة التى تحيط بنا تظهر لنا بادية الأمر وحدة الوجود ، وما يكون إلا بعد ذلك بالزمان أن نميز بالجهد والتحليل أجزاء مختلفة فى هذا المجموع العام الذى يسحر جلاله أبصارنا ويعبى إدراكنا . ولم تستطع الهند لا قبل الفلسفة الإغريقية ولا بعدها أن تخرج من تأثير فكرة الوحدة بل فثبت فيها بكيبتها وبقى العلم على المعنى الخاص غريبا عنها على الإطلاق طول حياتها ، كان لها نظريات للتهجم فيها نصيب قليل أو كثير ، وتصورات للعقل فيها حظ وفير أو ضئيل ، كلها قائمة على

الأصل العام للأشياء، ولكن لم يكن فيها دراسة خاصة وضعية للظواهر الطبيعية، ذلك هو أساس العبقرية الهندية وعظمتها. لا يوجد شيء أكثر من ذلك في القيدا والبرهمانا والأوبانيشاد والأناشيد الحماسية والقوانين ولا في الدراسات الفلسفية. أما العبقرية الإغريقية فإنها اتقت أن تسحرها ظواهر النظرة الأولى في الوجود، ودفعت بذلك الخطر عن نفسها، ولئن كانت قد اتجهت وقتاً ما إلى فكرة الوحدة فإنها قد عرفت لحسن الحظ كيف تختلص منها لتدرس عن قرب دراسة متجة بعض الأجزاء الأصلية لهذه الوحدة التي ليست في الواقع إلا صورة اللانهاية عنها.

ذلك هو الواقع حتى أن طاليس حين بحثه في التعبير عن ماهية العالم كان يدرس الأصل المادى الذى تكون منه، ومع أنه قد أخطأ هذا الأصل الذى ظنه الماء فإنه على كل حال كان يعتمد على ما يشاهد بالحس في الطبيعة ليتعرف أسرار الأشياء. يشتغل بالهندسة ويتتبع جريان الكواكب في أفلاكها ما دام أنه كان على وشك أن يتنبأ بكسوف الشمس. وعلى رأى أرسطو، وشهادته قاطعة في هذا المعنى، أن طاليس كان يسلم بأن العالم مملوء بالآلهة القائمة بأمر النفس وبالحركة، وليس فيثاغورث بأقل استمساكاً بفكرة الوحدة مع أنه كان يحزنها، ولم تلهمه استكشافاته الرياضية والفلكية لحظة واحدة عن النظر في توافق النظام العالمى، فكان يعترف بوجود طوائف متخالفة في هذا النظام، ولكنه مع ذلك يعترف على وجه الخصوص بوحدة عجيبة، وعلى رأيه أن الأضداد اثنين اثنين تكون كلاً واحداً يكون أرقى منها. وأن الوحدة هى الأصل الحقيقى في العالم المادى كما هى في العدد، وبذلك ارتقى فيثاغورث إلى تعريف الله دون أن يميزه تمييزاً تاماً عن العالم الذى ينظمه ويسيره.

أما عند إكسينوفان فإن فكرة وحدانية الله وقدرته هى ظاهرة بغاية الوضوح دون أن يتعمق فيها كما تعمق فيها أفلاطون من بعده وكما هو الحال على الخصوص في اللاهوت المسيحى. وأظن أن هذه النظرة الأولى في الوحدة الإلهية هى التى

ألفت جلالها الباهر وخفائها في نظريات مدرسة إيليا . وعندى أن ذلك هو الذى يفسر أغلاط هذا المذهب الشريف . إن نظر إكسينوفان لم يكن بعيد المدى ، إن شئتم ، ولكنه على الأقل لا يضل . أما برمينيد فإن به ميلا إلى السفسطة التى حملت تلميذه ذنون على أن ينكر الحركة وحملت غرياس على تأييد أبعد مذاهب العدمية ضلالا وأقلها تنزهًا . وأما ميليسوس فإنه لزم الحد الوسط بين الأستاذ صاحب المذهب وبين الذين غلوا به حتى وقعوا فى المحال . وإلى مقارب بين إكسينوفان وميليسوس وذاكر الفروق الأساسية بينهما على ما يظهر لى :

لقد كان إكسينوفان مليئا باحترام هذا المذهب الذى لم يدركه أحد من قبله بمثل ما أدركه هو من الوضوح والجلاء ، لذلك نفى عنه خيالات الشعراء اللطيفة التى تحط من مقامه كما نفى عنه الأتروپومورفيزم الجافى الذى هو مذهب العوام (تصور ذات الله تعالى على صورة الإنسان) . تعالى الله عما يصفون من النقائص وعن صور الكائنات الفانية وعن صور هؤلاء النساء الذين يجعلونه على صورتهم . ليس كمثله شئ فى الوجود لأنه لماذا يكون المثل خالقا بدلا من أن يكون مخلوقا ؟ وإن الله الذى لا يمكن أن يأتى من موجود يشابهه لا يمكن من باب أولى أن يأتى من شئ يكون دون مقامه . إذاً هو لم يخلق من شئ فيكون بالضرورة أزليا . وأخذا بنتيجة ليست أقل ضرورية من الأولى يكون قديرا على كل شئ . لو كان آلهة متعددون لكانوا أقوى أو أضعف بعضهم من بعض ، وعلى ذلك لا يكون إله ، لأن خاصة الإله أن يملك كل شئ ولا يملكه شئ أيا كان . ولما كان الله أزليا قديرا على كل شئ لزم على ذلك أن يكون واحدا ، لأنه لو كان له منافسون لما أمكنه أن ينفذ أحكامه ويحقق إرادته العليا .

من ذلك ترى أن فى إكسينوفان بعض مبادئ جلييلة لم يرفضها اللاهوت المسيحى بل قبلها بالعناية قبولاً حسناً ، ولكن نظر إكسينوفان قد اضطرب فى هذه النقطة ، وليس فى ذلك ما يوجب الاستغراب . ولقد أراد أن ينفذ نظره فى حقيقة

الذات الإلهية فأخذه العثار في هذا الطريق الوعر الذى ضل فيه كثير غيره، فانه يقول : الله الذى لا يشابهه شيء من الحوادث هو على الأقل يشبه ذاته، وهو هو في جميع أجزائه وهو بأكمله هو في كل جزء منها . قد يكون ذلك مقبولا ولكن إكسينوفان لما وقع في الاستعارات التى لا تساوى قيمتها إلا ما تساويه الأتروپومورفيزم التى انتقدها بحق أخذ يشبه الله بفلك ، وكانت النتيجة عنده أن الله لا يمكن أن يكون لا لا متناهيا ولا متناهيا، وأنه لا يمكن أن يكون له حركة ولا سكون، كما أنه لا أول له ولا وسط ولا آخر . ومع ذلك فإن إكسينوفان لم يندع نفسه في أمر الصعوبات غير المتناهية التى تقف في حل هذه المسئلة، ودليل ذلك ما قاله في هذه الأبيات الجميلة التى نقلها الينا سكستوس أميريكوس .

” لا أحد من الكائنات الهالكة يستطيع أن يرى جليا في هذه الأعماق، وإن ”
 ” يستطيع أحد أن يعرف حقيقة ماهية الآلهة والعالم، تلك الماهية التى أحاول ”
 ” الكلام عليها . فاذا لقي أحد يوما بالمصادفة الحقيقة التامة لمّا عرف هو نفسه ”
 ” أن يقدر ما وصل اليه منها، وليس في كل ما يقال في هذا الشأن إلا محض ”
 ” تشبيه وتقريب ” .

والظاهر أن پرمينيد لم يتمش بالبحث في هذا الموضوع الكبير الى الحد الذى وصل اليه أستاذه . وأما ذنون تلميذ پرمينيد وواضع فن الجدل فإنه ، على ما قال ديوجين اللايرثى نقلا عن أرسطو، قد وصل في هذا الموضوع الى لا أدريّة غلا فيها غرغياس الى أقصى حدّ ، ولكنى أكرر أنى لا أشتغل بذنون ولا پرمينيد بل أخطأهما الى ميليسوس فهو الذى أقصد درسه بعد إكسينوفان .

مع أن ميليسوس يفصله عن رئيس المذهب ثلاثة أو أربعة قرون ، فانه أحرص الناس على أن يحذو حذوه ويلتزم تعاليمه ، إلا أنه ، عوضا عن أن يبقى متمسكا بإله إكسينوفان الواحد الأزلى القادر على كل شيء بل والمدرّك لكل شيء أيضا، زاغ عن الطريق ووضع الموجود موضع الإله فاشتغل بالموجود آخذا إياه

في كل تجزئه وفي كل عقمه . غير أن التأملات الميتافيزيقية مهما قل فيها الضبط فان ذلك لا يقلل من جمالها ولا من تعمقها الاستثنائي .

الموجود لا يأتي من الموجود وإلا لزم عليه أن يتقدم نفسه وهذا تناقض . ومثل ذلك في التناقض أن يتولد الموجود من المعدوم . على ذلك لم يكن الموجود قد وجد في زمن ما ، وعليه يكون الموجود أزليا وفوق ذلك لا يعتريه الفساد ولا الانتهاء ، لأنه إما أن يتغير الى معدوم وهذا محال ، وإما أن يتغير الى موجود آخر وإذا فلا يكون منعما ، فالموجود على ذلك كان دائما ويكون دائما ، وما دام أنه لم يوجد من العدم فهو لا أول له ، وما دام لا يمكن فناؤه فهو لا آخر له ، وما دام لا أول له ولا آخر له فهو حتما لا متناه ، وما دام لا متناهيا فهو واحد ، لأن اللانهاية منافية للتعدد ، إذ لا يمكن تصور اثنين أو عدة لا متناهية . ومتى كان الموجود أبديا واحدا لا متناهيا كان بالنتيجة غير متحرك ولا قابل للتغير ، لأنه في أى مكان غير ذاته يمكنه أن يتحرك ؟ ولما كان موصوفا بالوحدانية المطلقة فأى تحوّل أو تبدل أو تغير يمكن أن يلحقه ؟ ولو أمكن أن يتبدل بغيره أيّا كان لانتفى أن يكون شبيه نفسه ولأنعدمت صورته الأولى وجاءته صورة أخرى . ومع تقدّم الزمن ينعدم هذا الموجود الأبدي واللانهاى ويتحوّل الى لا شىء . ولما كان الموجود أبديا لا متناهيا واحدا كان لا يمكن أن يكون له جسم ، فلا يمكن أن يكون ماديا ، لأنه اذا كان ذلك لزم عليه أن يكون ذا أجزاء متميزة بعضها عن بعض ، وهذا يناهى وحدانيته ولا نهايته وأبديته . لا شىء كائن حقيقة الا الموجود . وجميع الأشياء التى تؤكّد لنا حواسنا وجودها ليست إلا مظاهر خداعة متحوّلة كثيرا أو قليلا ، فهي غير موجودة بالمعنى الخاص ما دامت متغيرة وما دام أنها تهلك بعد أن تولد . أما الموجود الحقيق فانه لا يتحوّل ولا يتغير أبدا ولو أن الأشياء التى تظهر أمام حواسنا كانت موجودة كما نظنها لزم على ذلك أن تكون غير قابلة للتغير وأبدية كالموجود نفسه ، فلا شىء بموجود إلا الوحدة ، وأما التعدّد فلا وجود له أصلا .

أما أنا فاني أجد أفكار ميليسوس هذه خليقة به ، وبالمدرسة التي هو أحد أعضائها . لا شك في أنها متناقضة من بعض الوجوه ، ولكننا من خلال هذه الرسوم البالية والمقطوعات القليلة نشعر لها بعظمة وقوة لم يوفهما تاريخ الفلسفة حقهما من حسن التقدير، وربما كان هذا الغمط منذ أرسطو .

وإني أعترف بأن أنكساغوراس مفهوم خير فهم بعد إكسينوفان وميليسوس ، فإن أنكساغوراس الذي هو معاصر لقائد سموس (ميليسوس) هو الذي جلا الغوامض عن علم الطبيعة وقواعد نظام الكون في عصره بأن أدخل عليها تلك الفكرة الصالحة : أن العالم يديره العقل المدبر .

ولقد أعجب سقراط بهذا المذهب مع أنه يرى أن أنكساغوراس لم يكن ليستقصى كل نتائجه ، كما أننا نعلم ما صرح به أرسطو من الشناء الجميل على أنكساغوراس إذ يقول : لقد جاء أنكساغوراس بعد كثير من الضلالات ، أشبه ما يكون برجل سليم العقل يتكلم وسط المجانين^(١) . فمن البغي أن ينتقص فضل أنكساغوراس أو أن ينازع فيه بعد ما كان من شهادة سقراط وأرسطو ، فإن له الفضل الأوفى في هذا المذهب ، وليس شاذاً عن المألوف أن كلمة من عبقرى تكشف القناع عن المغيبات العلمية . قد يقال إن إكسينوفان وميليسوس هما اللذان وطّأ لهذا المذهب بنظريتهما التي هي أقرب ما يكون منه . ولا مشاحة في ذلك فإن لهما نصيبهما الوافر من ذلك الفضل .

ذلك هو المعنى الحقيقي لمذهب الوحدة في مدرسة ايليا التي طالما حُجب من نورها وصُغر من قدرها على نسب غير مضبوطة ، وما الوحدة الإيلية إلا الله طلبوا معرفته يتلمسونها بين حجب الجهالة الأولى ويدرسونها ، كما يمكن أن تدرس في تلك الأزمان اذ العلم والملاحظة العلمية لا يزالان في بدايتهما . فلم تكن تلك الوحدة قد وصلت بعد إلى ما قرره أنكساغوراس من الإدراك الإلهي ولا ما قرره سقراط وأفلاطون من العناية

(١) أرسطو الميتافيزيقا ١ ب ٣ ترجمة فيكتور كوزان . وقطع فلسفية الطبعة الخامسة ص ٢٠٤

الربانية . غير أن تقرير تلك الوحدة مع ذلك كان الجسرثومة الأولى لكل هذه المذاهب . ومهما يكن من صدق الانتقادات التي يمكن توجيهها الى المذهب الذي يرأسه إكسينوفان ، فلا شك في أن تلك التوجهات السامية هي التي آتته عظمته وخطره في تاريخ الفلسفة .

أقف عند هذا الحد وألخص ببيان أوفى تلك المعاني التي جئت على إيضاها بشيء من الضبط ربما كان أقل مما كنت أريد .

قد ظهر لي أن مجيء الفلسفة الى عالمنا الغربي حادثة من الخطر بحيث أردت أن أحيطها بكل ما يحلو خفاءها معتمدا في ذلك على استجواب التاريخ عن الأمم وعن الظروف التي اعتورت هذه الحادثة . ومما ينبغي التنبيه اليه أن هذه الحادثة إنما كانت من احتكاك أوروبا بآسيا، وإن كان ذلك قد حصل من قبل في حرب طروادة إلا أن ظروف هذه الحرب مطروحة جانبا لأنها خرافية أو قللة العلم بها . ذلك الاختلاط حصل في بقعة من الأرض ليس فيها من السعة إلا بمقدار ما يلزم لتحرك الجاليات الإغريقية وفي عصر يعتبر نسبيا عصر توحش ولكنه كان مملوءا بالخصب الذي لم يتجدد بعد من وقتئذ الى الآن . على ذلك كانت آسيا الصغرى هي السابقة على آتينا التي فاقتها من بعض الوجوه ، كما يشهد بذلك هوميروس ، ولكن آسيا التي حملت بهذا الأصل العجيب تحت تأثير أعم غربية عنه لم تستطع تعهده وإثماؤه ، فعاد منها يستكمل قوته وكماله الى الأرض العتيقة التي كان قد خرج منها منذ خمسة أو ستة قرون .

ولقد تصدّيت فوق ذلك لتبيين أن العبقرية الإغريقية هي التي دانت العالم بهذا النفع العالمي الجليل دون أن تكون مدينة فيه لغيرها . فإذا كانت الشعوب المجاورة لها آتتها شيئا من العلم فما هو إلا مدد مبهم غاية في الإبهام . لا مرأى في أن المصريين والكلدان والهنود لهم في ماضي الإنسانية مقام كبير ، ولكنهم مع ذلك في الفلسفة أوفى العلم بعبارة أعم ليسوا شيئا مذكورا في جانب الإغريق الذين لم يكونوا ليتعلموا

منهم . ولقد أثبتت مقارنة اللغات في أيامنا هذه أن لغة الإلياذة ولغة القيدا كانتا في الأصل لغة واحدة ، وأن اللسان الإغريقي والسنسكريت أخوان ولدتهما أم واحدة ، ولكنه إذا كان الأصل الذى أطرح في أزمان ما قبل التاريخ واحدا ، فإن ما قدّر على الأخوين كان مختلفا جد الاختلاف ؛ لأن العالم الإغريق قد أنتج الآداب والعلوم والفنون التى ننسج الآن على منوالها ، وشاطر بحظ عظيم في تقدّم المدنية المسيحية حتى وصلت الى ما هى عليه الآن ؛ في حين أن العالم الهندى ما أنتج إلا البرهمانية والبوذية ؛ فهو نازل عنا بمراحل على الرغم من المزايا المتعددة التى يكون من الظلم عدم الاعتراف له بها . بين العالم الإغريق وبين العالم الهندى تأتى بلاد فارس التى توسطت بين العالمين في المكان كما هى في الزمان ، ولكنها لم تشغل مركزا يذكر لها ولم تستفد منها الإغريق إلا المجد الخالد الذى أحرزه أمثال ملتياد وليونيداس وطيمستوكل والإسكندر .

ومع ذلك فإن الهند وفارس وإغريقيا ومصر ويهودة نفسها ، مهما كانت الفروق بينها في المعقولات ، كلها هى الخمسة فروع متفرعة عن جنس واحد . فإن علم أنساب الشعوب ووصفها الذى لا ينبغى أن يكون له أهمية عظمى في هذه الأبحاث ، لكنه مع ذلك لا ينبغى أن يغفل أمره فيها قطعا ، هذا العلم قد كشف الغطاء عن مشابهة تامة بين هذه الشعوب منظوية تحت فروق في الأخلاق وفي العقل وفي اللغة ، وهذا الجنس الرفيع الذى يجمع الخمسة الشعوب المذكورة هو ما يسمونه بالجنس الهندى القوقازى . وإن الأمم السامية نفسها متفرعة منه أيضا كالأخرى وإن كانت قابلياتها تخالف قابليات الأخرى على الإطلاق فهى قوية فيما يتعلق بالدين عقيمة فيما عداه تقريبا ، ولكن في هذه العائلة الكبرى الجميلة التى كأنها احتكرت لنفسها الذكاء الحقيقى يقف الإغريق بجلتهم في صفها الأول . وحينما كانوا يسمون من عداهم بالمتوحشين لم تكن كبرياؤهم بالغة من السوء الحد الذى كان يظن بهم . ومع أنه كان خيرا أن يكونوا أكثر تواضعا فأن الهلّين المدفوعين الى هذه الكبرياء بدواعى غرائزهم الصادقة لم يكونوا مخدوعين على شرف مقامهم أكثر مما ينبغى .

والآن ونحن في وسعنا أن نحكم حكما خلوا من الغرض نقول إنهم أحق من سواهم بقصب السبق . ومهما يكن من حال المستقبل فليس من الهين عليه أن يتزعم من هذا المقام . أما أنا فلست أتردد في إسناد هذا المجد إليهم ، مع أنى لا أنكر ما كان لمنافسيهم من العظمة بل من التفوق في بعض الوجوه ، ولكن من الذى يمكننا أن نضعه في حلبة المجد في مستوى فوق مستوى الهلين وقد جاءونا يقدمون بين يدي دعواهم الشعر والآداب والفنون والعلوم والفلسفة والتاريخ ؟ .

ولقد بينت ، على مهد الفلسفة الناشئة ، مقام مدرسة إيليا وما لإكسينوفان وميليسوس من الأهلية الخاصة بين طاليس وفيثاغورث .

ينبغي أن نكرر أن كل ما نسرده من هذه الحوادث التاريخية إنما هو تاريخنا ولو كان منذ خمسة وعشرين أو منذ ثلاثين قرنا ، ذلك بأننا أبناء الإغريق ، ولولاهم لما وصلنا الى ما وصلنا إليه ، فان إغريقيا هي التي علمت روما ، وبواسطة روما وإغريقيا فتحت المسيحية بلادنا ومدننا بعد أن انتفعت بكل ما تقدمها ومهد لها السبيل . وإن العلم على جميع صورته كان معدوما في الشرق ، فاخترعه الإغريق ونقلوه إلينا^(١) . وما كان من روما والعالم الحالى بتمامه منذ إغارة المتوحشين إلا أن اقتفوا هذا الأثر الذى عفا رسمه أحيانا ولكنه لم ينعدم أبدا .

وإني إذ عنيت ببيان هذه الآثار الأولى أردت أن أوفى أجدادنا حقهم وأن أذكر بما علينا من الواجب نحوهم بأن بينت مراكرهم وخدماتهم للإنسانية . ن العقل الانسانى بطيء في سيره فيحسن به وهو سائر في طريقه غير المتناهي أن يلقى نظره الوقت بعد الوقت الى الوراء ليرى من أين ابتدأ سيره وليسدد خطاه في المستقبل غير المحدود الذى ينتظر قدومه ! .

فبراير سنة ١٨٦٦

(١) راجع مقدمتى لكتاب السماء لأرسطو ص ٧٩

الكون والفساد

الكتاب الأول

الباب الأول

الموضوع العام لهذا الكتاب - تمحيص المذاهب السابقة - آراء مختلفة - تمحيص نظريات أنكساغوراس ولوكيس وديمقريطس - نقض خاص لمذهب أمبيدقل - الاستشهاد ببعض أبياته - المعاني المختلفة التي يحمل عليها كون الأشياء تبعا لما يسلم به من الوحدة أو التعدد للعناصر الأولية .

§ ١ - لأجل أن ندرك الكون والفساد في الأشياء التي تتولد وتهلك بالطبع يلزمنا، كما هو الحال في البقية ، أن نقدر على حدة علمها ونسبها . وسننظر أيضا عند معالجة النمو والاستحالة ما هي كل واحدة من هاتين الظاهرتين ونبحث ما إذا

ك ١ ب ١ - أخذ فيلوپون يثبت أن هذا الكتاب متصل جد الاتصال بكتاب السماء . ودليله الأصلي في ذلك أن كتاب السماء ينتهي بجملة فيها أداة استدراك لا يوجد معادها الا في هذا الكتاب . وهذا الدليل ليس قاطعا جدا . ولكن من المحقق أن مواد الكتابين مرتبط بعضها ببعض فضل ارتباط ، وأن أرسطو بعدما درس السماء والخواص العامة للأجرام اللامتنهية التي تولفها أمكنه أن يفكر في تمام هذه الدراسة بدراسة الأجسام التي من شأنها في الطبيعة أن تتولد وتهلك تابعة في ذلك قوانين منتظمة . الصلة اللغوية بين الكتابين موجودة كما نبه اليه فيلوپون ولكن الصلة المنطقية بينهما هي أيضا أحق .

§ ١ - بالطبع - أراد أرسطو ، وهو لا يشتغل الا بالأجسام المكونة أو الهالكة بفعل الطبيعة ، أن يخرج جميع الأجسام التي تكونها أو تهلكها الصناعة الانسانية . فان هذه الاجسام يمكن أن تكون موضوع دراسة خاصة . - علما ونسبا - اللفظ اليوناني الذي عبرت عنه بالنسب هو أيضا مهم

كان طبع الكون وطبع الاستحالة هما واحداً بعينه أو هما متميزان بالحقيقة كما هما متميزان بالاسم الدال على كليهما ؟ .

§ ٢ - من القدماء من رأوا أن ما يسمى كونا مطلقا ليس إلا استحالة والآخرون منهم رأوا أن كون الأشياء واستحالتها ظاهرتان مختلفتان . فالذين يزعمون أن العالم كلُّ ذو صورة واحدة ويجعلون الأشياء كلها تخرج من مبدأ واحد بعينه هؤلاء يلزمهم بالضرورة أن يروا الكون مجرد استحالة وأن يفترضوا أن ما يولد بالمعنى الخاص إنما هو يستحيل . وعلى ضد ذلك الذين يسمعون بأن المادة تتألف من أكثر من عنصر واحد كأبيدقل وأنكساغوراس ولوكيس . هؤلاء

جدا . وقد حاول فيلوبون أن يوضحه فلم يوفق الى ذلك . وربما كان لفظ «تحولات» صالحا أيضا . - النمو والاستحالة - ينبغى الرجوع الى تعريف هذين اللفظين في كتاب الطبيعة لأرسطو ك ٤ ب ٣ ف ٧ وك ٥ ب ٣ ف ١١ وما بعدها . فان النمو هو حركة في الكم وأما الاستحالة فانها حركة في الكيف . - الكون والاستحالة - أما الكون بالمعنى الخاص فهو الانتقال من اللاوجود الى الوجود . وأما الاستحالة فهي ليست الا مجرد تغير في الكائن الموجود من قبل . - بالحقيقة - زدت هذا اللفظ لان تمام الفكرة . لأجل تبين الفرق بين الكون وبين الاستحالة استشهد فيلوبون ببنت شعر لهوميروس . ولكن هوميروس لا يكاد يصلح حجة ذات وزن في هذه الفروق اللفظية والميتافيزيقية .

§ ٢ - من القدماء - سيري أن أرسطو يعني بهم أبيدقل وأنكساغوراس ولوكيس وديمقريطس... الخ . - كونا مطلقا - يعنى الانتقال من العدم الى الوجود . - ليس الاستحالة - يعنى إدماج ظاهرة الكون والاستحالة . - ظاهرتان مختلفتان - هذا الرأي هو وحده الصحيح فان الكون والاستحالة معنيان لا يمكن إدماجهما أحدهما في الآخر . - ان العالم كلُّ ذو صورة واحدة - أو أنه لا يوجد إلا عنصر واحد بعينه هو الذى يكون كل شيء بلا استثناء . وهؤلاء الفلاسفة هم على العموم اليونان وأصحاب مدرسة إيليا التى كانت تؤيد مذهب وحدة الجوهر ووحدة الوجود . - مجرد استحالة - قد زدت على المتن كلمة مجرد . - ما يولد بالمعنى الخاص - هو الذى سماه التولد المطلق كما نبه اليه فيلوبون . - المادة تتألف من أكثر من عنصر واحد - أو أنه «يوجد أكثر من مادة واحدة» . ولقد سمي هنا أنصار تعدد العناصر وأما أنصار الوحدة فلم يسمهم . أقام فيلوبون نفسه مقام أرسطو طالس وذكر بأن طالس لم يك ليقبل إلا الماء عنصرا أوحد ، وأنكسيمين وديوجين الأبولوني يقول كلاهما بأنه الهواء . وأنكسيمندروس يقول بأنه عنصر وسيط بين الهواء وبين الماء . وكان هيرقليطس يقول بأنه

يجب أن يكون لهم رأى مضاد للأول تماما . § ٣ — ومع ذلك فإن أنكساغوراس في هذا قد نكر التعبير الخاص وغلب في لغته الخلط بين ولد وهلك وبين تغير . على أنه يعترف بتعدد العناصر كما يفعل فلاسفة آخرون . كذلك قال أمبيدقل إن عناصر الأجسام كانت أربعة وإنه باضافة العنصرين المحتركين يكون المجموع ستة عناصر . أما أنكساغوراس فإنه ارتأى أنها غير متناهية في العدد كما كان يرى لوكيس وديمقريطس . والواقع أن أنكساغوراس كان يعتبر عناصر الأجسام المركبة من أجزاء متماثلة ، المتشابهة الأجزاء ، مثل العظم واللحم والنخاع وجميع المواد الأخرى التي كل جزء منها مرادف للكل . ٤ — ويزعم ديمقريطس ولوكيس أن جميع الأجسام مركبة في البداية من أجزاء لا تتجزأ أو ذرات وهي غير متناهية لا في عددها ولا في أشكالها . وأن الأجسام لا تختلف في أصلها بعضها عن بعض إلا بالعناصر التي تتركب منها

النار . أما فلاسفة العدد فإن أمبيدقل كان يقبل القول بالعناصر الأربعة كما قال به أرسطو النار والهواء والماء والارض . وأما أنكساغوراس فإنه كان يفترضها تلك الاجسام المتجانسة المتشابهة الأجزاء واللا متناهية . وديمقريطس ولوكيس كانا يفترضان هذا الفرض بالنسبة لذراتها اللامتناهية في العدد وفي اختلاف أشكالها . (ر . الفقرات الآتية) .

§ ٣ — نكر أنكساغوراس التعبير الخاص — في عهد أنكساغوراس لم تكن لغة الفلسفة قد تكونت كما حصل ذلك بعد . — كما يفعل فلاسفة آخرون — يعنى المذكورين بعد ذلك . — العنصرين المحتركين — هذان العنصران المحركان اللذان يقول بهما أمبيدقل هما التنافر والعشق أو لها يفرق الأشياء والثاني يجمعها . — ستة عناصر — يعنى عنصرى الحركة مضافا اليهما العناصر الاربعة العادية الارض والماء والهواء والنار . وعلى رأى أمبيدقل أن هذه الاربعة الاخيرة منفصلة فقط وأما الآخران فانهما فاعلان ومحركان . — من أجزاء متماثلة المتشابهة الأجزاء (هووميريس) — أحد هذين التعبيرين ليس الا ترجمة للاسخر — كل جزء منها مرادف للكل — فان جزء العظم يسمى عظاما وجزء من اللحم يسمى لحما في حين أن جزء اليد لا يسمى يدا ... الخ وعلى ذلك يوجد من العناصر الأولية المتشابهة بمقدار ما يوجد من الجواهر المختلفة . ولذلك كانت عناصر أنكساغوراس غير متناهية في العدد .

§ ٤ — أجزاء لا تتجزأ أو ذرات — كلا الاسمين مرادف للآخر تماما . واسم الذرات أكثر استعمالا وقد بين فيلويون هنا وجه الخلاف بين مذهب أبيقور في الذرات وبين مذهب ديمقريطس فإن أبيقور

وبوضع هذه العناصر وترتيبها . § ٥ — ويظهر هنا أن أنكساغوراس من رأيٍ معارض لرأى أمبيدقل لأن هذا الأخير يقول بأن النار والماء والهواء والأرض هي الأربعة العناصر وأنها أبسط من اللحم أو العظم أو أى عنصر آخر من العناصر المتشابهة فيما بينها أو الأجسام المتشابهة الأجزاء . ولكن أنكساغوراس على الضد من ذلك يزعم أن الأجسام المتشابهة الأجزاء هي بسيطة وأنها هي العناصر الحقيقية بينما أن الأرض والنار والهواء مركبة وأن جراثيم العناصر منتشرة في كل مكان .

§ ٦ — على ذلك متى ادعى أن جميع الأشياء تخرج من عنصر واحد لا غير لازم ضرورة اعتبار كون الأشياء وفسادها كمجرد استحالة . فيكون إذاً الموضوع للظواهر دائماً واحداً ودائماً هو بعينه . فإنما على موضوع من هذا القبيل يمكن أن يقال إنه يعانى استحالة ولكن متى سلم بأنواع متعددة للجواهر وجب التسليم أيضاً بأن الاستحالة تخالف الكون . لأن كون الأشياء وفسادها حينئذ يحصلان باتحاد العناصر أو بافتراقها . وفي هذا المعنى أمكن لأمبيدقل أن يقول :

ليس لشيء من طبع ثابت ، وما الكل إلا اختلاط وافتراق

يقول بعدم تنهى الذرات في العدد ولكنه لا يسلم بأنها غير متناهية في الأشكال . — إلا بالعناصر التي تتركب منها — أو بعبارة أخرى « التي تأتي هي منها » . هذا من أجل التخالف غير المتناهى في طبيعة الذرات . — بوضع هذه العناصر وترتيبها — هذا لعدم التناهي في الأشكال .

§ ٥ — من رأى معارض — لا يجحد فيلويون بين رأى أنكساغوراس ورأى أمبيدقل من مسافة التعارض ما تدل عليه عبارة أرسطو . — النار والماء والهواء والأرض — ذكرتها بهذا الترتيب لأن أرسطو ذكرها كذلك . — أنها أبسط من اللحم — قد يؤخذ من صوغ هذه الجملة أن أمبيدقل كان يعلم مذهب أنكساغوراس وينتقده . ولكن التاريخ الزمني لا يسمح بذلك . ولعل المراد هنا هم أتباع أمبيدقل كما يدل عليه تعبير النسخة الإغريقية لا أمبيدقل نفسه . — جراثيم العناصر — هذه الجراثيم شدة ما تقارب إذاً الذرات التي هي منتشرة في كل مكان على حسب مذهب ديمقريطس .

§ ٦ — ادعى أن جميع الأشياء تخرج من عنصر واحد لا غير — هذا مذهب لم يقبله أرسطو أبداً . — كمجرد استحالة — رف (١) أنفا . — الموضوع للظواهر — قد زدت على النص اللفظ الأخير . — يعانى استحالة — يلزم في الواقع وجود موضوع دائم حتى يمكن أن يكون على التعاقب محلاً للاستحالات التي

§ ٧ - هذا تعبير، كما يرى، يلائم تماما فرض هؤلاء الفلاسفة . وتلك هي أيضا طريقة تعبيرهم . وإذن فإن هؤلاء الفلاسفة أنفسهم مضطرون الى الاعتراف بأن الاستحالة أمر مخالف للكون . ومع ذلك فإن من المحال أن توجد استحالة حقيقية على حسب المبادئ التي يقررونها . على أنه من السهل الاقتناع بصحة الرأي الذي نقرره هنا . فالواقع أنه كما أن الجوهر في حال السكون نجده يعتريه في ذاته تغير في العظم يسمى النمو والنقص كذلك أيضا يمكننا أن نشاهد فيه الاستحالة . § ٨ - ولكن من جهة أخرى ليس أقل من ذلك في باب المحال إيضاح الاستحالة على حسب ما يقوله الذين يسلمون بأكثر من عنصر واحد . لأن التأثيرات التي تجعلنا نقول بوجود الاستحالة هي فصول للعناصر ، أريد أن أقول، الحار والبارد، والأبيض والأسود، والجاف والرطب ، واللين والصلب ، وجميع الخواص الأخرى المشابهة كما يقوله أيضا أمبيدقل :

الشمس في كل مكان بيضاء مملوءة بالحرارة ، وفي كل مكان المطر ينشر غشاء و برده .

تتناهى إذ يمر من البارد الى الحار ومن الأبيض الى الأسود... الخ أو على التبادل . - بأنواع متعددة للجواهر - عبارة النص بالضبط « أجناس متعددة » . - باتحاد العناصر أو بافتراقها - تحت تأثير العشق والتنافر كما يريد أمبيدقل .

§ ٧ - فرض هؤلاء الفلاسفة - الذين يقولون بتعدد العناصر - . وتلك هي أيضا طريقة تعبيرهم - أو بعبارة أخرى « ان الفرض الذي نستند اليهم هو الذي يسلمون به » . - مضطرون الى الاعتراف - لا يظهر أن أمبيدقل أنكره بالضبط ، ومن حق هذا القول أن يوجه الى ديمقريطس وأنصار الوحدة . - أن توجد استحالة حقيقية - النص أقل من هذا ضبطا في التعبير . - نجده يعتريه - إنما يستشهد أرسطو الى المشاهدة الحسية وعلى رأيه أن الاستحالة ليست ظاهرة أقل وضوحا من النمو أو الذبول اللذين تدركما حواسنا بغاية السهولة . ان الفكرة في هذه الفقرة لا تزال مضطربة خافية ولم أستطع جلاها كما أردت على الرغم من تفسير فيلو بوث وتفسير إسكندر الافروديزي الذي نقله بجانب تفسيره . - نشاهد فيه الاستحالة - أو تغير الكيف .

§ ٨ - الذين يسلمون بأكثر من عنصر واحد - قد يظهر من هذا أن الفقرة السابقة موجهة الى الفلاسفة الذين يقولون بوحدة الجوهر ولكن النص لا يساعد على هذا التفسير . - التأثيرات - أو التغيرات . - فصول للعناصر - أو بعبارة أوسع « الفروق التي توجد بين العناصر » . - الحار والبارد - بطريقة عامة

إنه يقرر المميزات عنها لسائر الأشياء . وينتج من ذلك أنه إذا كان الماء لا يخرج من النار، ولا الأرض من الماء . فإن الأسود لا يمكن أن يخرج من الأبيض، ولا الصلب من اللين . وهذا التدليل بعينه قد ينطبق على جميع التغيرات الأخرى . وهذا بالضبط إذا ما كان يُعنى بالاستحالة .

§ ٩ — ولكن أليس من البين أنه يلزم دائماً افتراض وجود مادة واحدة لا غير لأجل الأضداد، سواء أغيرت بالثقل في الآن أم تغيرت بالنمو أو النقص أم تغيرت بالاستحالة ؟ يلزم ألا يكون إلا عنصر واحد ومادة واحدة بعينها لأجل جميع الكيوف التي تتبدل بعضها ببعض . وإذا كان العنصر واحداً فهناك أيضاً استحالة .

§ ١٠ — وعلى ذلك يظهر لنا أن أمبيدقل يناقض الحوادث الأكثر واقعية ويناقض نفسه معا . لأنه يزعم معاً أن العناصر لا يمكن أن ينجى بعضها من البعض الآخر بل على الضد يأتي منها سائر الأشياء ، وفي الوقت عينه بعد أن رد إلى الوحدة الطبيعة كلها كاملة ما عدا التنافر ، قد استخرج بعد ذلك كل شيء من الوحدة التي تخيلها . فعلى رأيه الأشياء بانفصالها عن هذه الوحدة

كل المتقابلات بالتضاد التي تتوارد وتتعاقب على موضوع واحد بعينه . -- ينتج من ذلك — ليست هذه نتيجة تنتج بالضرورة من مذهب أمبيدقل . — وهذا بالضبط إذا ما كان يعنى بالاستحالة — ولا يظهر أن أمبيدقل ينكره .

§ ٩ — ولكن أليس من البين — على هذه النظرية راجع كتاب الطبيعة ك ١ ب ٧ ف ٩ وكتاب المقولات ب ١١ — بالثقل في الآن ... بالنمو ... بالاستحالة — تلك هي أنواع الحركة الثلاثة التي يقول بها أرسطو وقد شرحها في كتاب الطبيعة . — مادة واحدة بعينها — عبارة النص ليست من البيان على هذا القدر . — التي تتبدل بعضها ببعض — والتي هي بناء على ذلك أضداد ، فإن الجسم بعينه هو الذي يكون بالتناوب حاراً أو بارداً أو أبيض أو أسود ... الخ .

§ ١٠ — يناقض الحوادث الأكثر واقعية — بانهكاره وجود الاستحالة وهي ظاهرة مشاهدة بغاية السهولة . — رد إلى الوحدة — ذلك هو (سفيروس) إله المادة المظروف فيه العالم على رأى أمبيدقل بفعل العشق إلى أن يأتي التنافر فيكشفه عنه من جديد بأن يفصل العناصر . — ما عدا التنافر — ما دام هو الذي يجب أن يقطع من جديد الوحدة التي أوجدها العشق . — فعلى رأيه — يظهر أن ما يلي هو نقل حرفي لعبارة أمبيدقل

العنصرية بواسطة بعض فصول وبعض تغاير فهذا الشيء بعينه صار ماء وآخر صار نارا .
وبهذه المثابة يسمى الشمس بيضاء حارة والأرض كثيفة صلبة . ولكن متى محيت
هذه الفصول ، ويمكن أن تحى ما دامت متولدة في وقت بعينه ، أمكن للأرض بالبداية
أن تأتى إذا من الماء كما يمكن أيضا للماء أن يأتى من الأرض . كذلك الحال بالنسبة
لجميع الأشياء الأخرى التى جرى عليها التحول والتغير ، لا فى الزمن الذى يتكلم عنه
فقط بل التى تتغير أيضا فى هذا اليوم . § ١١ - زد على ذلك أن فى مذهب
أمبيدقل توجد مبادئ منها يمكن أن تتولد الأشياء وتتفصل من جديد ، وعلى الخصوص
متى سلمنا بالتنازع الأبدى المتبادل بين التنافر والعشق . فانظر كيف أن الأشياء فيما
يظهر تتولد إذا من مبدأ واحد . لأن النار والماء والأرض وهى لا تزال مجتمعة
لم تكن لتكوّن كل العالم . ولكنه بهذه النظرية لا يعرف إن كان يلزم الاعتراف
بأن هنّ مبدأ واحدا أو مبادئ متعدّدة وأعنى بهنّ الأرض والنار والعناصر التى من
هذا القبيل . ذلك بأنه فى الواقع من جهة ما يُفترض كمادةٍ مبدأً منه تأتى الأرض
والنار متغيرتين بالحركة المتحصلة فانه لا يوجد إذا الا عنصر واحد لا غير . ولكن

ولكن البيان غير جلى وفيه الغموض العادى الذى يوجد فى نقوض أرسطو . - فهذا الشيء بعينه صار ماء -
لا يظهر أن هذا هو مذهب أمبيدقل الحقيقى فان رأيه هو أن العناصر كلها مكوّنة ولا تتغير ، بل هى فقط
تجتمع أو تفرّق تحت التأثير القدير للعشق والتنافر . - ويمكن أن تحى - قد لا تكون هذه هى فكرة أمبيدقل
الحقيقية . - ما دامت متولدة فى وقت بعينه - يظهر أن أمبيدقل على الضد من ذلك يعتقد أن هذه
الفروق أبدية . - بل التى تتغير أيضا فى هذا اليوم - فى مذهب أرسطو ولكن لا فى مذهب أمبيدقل .
§ ١١ - زد على ذلك أن فى مذهب أمبيدقل - ليس النص بهذا الضبط من البيان ، فان المعارضة
الجديدة تنحصر فى أنه فى مذهب أمبيدقل توجد مبادئ سابقة على العناصر وعلى ذلك تكون هذه العناصر
ليست عناصر حقيقية .

- التنافر والعشق - هما مبدأان سابقان للعناصر يجمعانها ويفرقانها . - من مبدأ واحد - حينئذ يتكشف
(سفيروس) إله المادة من جديد بفعل التنافر . - مبدأً واحداً أو مبادئ متعدّدة - يكون على الأقل
الاثنتان التنافر والعشق . - كمادة - يمكن ألا تكون هذه أيضا فكرة أمبيدقل ، فان التنافر والعشق
لا يكونان بالضبط العناصر وإنما يفعّلان بها فقط .

من جهة أن هذا العنصر عينه هو متحصل من اجتماع هذه الجواهر التي نتحد ينتج أن هذه الجواهر قبل اجتماعها هي ذواتها أشد عنصرية وسابقة بطبيعتها .

§ ١٢ - ولكن يلزمنا في دورنا أن نتكلم بطريقة عامة على كون الأشياء وفسادها على معناهما المطلق ، وسنعيد البحث فيما إذا كان هذا الكون أو لم يكن وسنقول كيف يكون هو . ثم نتكلم أيضا على الحركات البسيطة كالنمو والاستحالة .

— أشد عنصرية — هذه هي عبارة النص نفسها . § ١٢ - في دورنا — زدت هاتين الكلمتين للدلالة على الانتقال الذي لم يذكر بالنص هنا ، فانه بعد أن استعرض أرسطو على التوالي مذاهب الآخرين سيدين مذهبه وسيتكلم أولا على الكون مرجعا الكلام على نمو الأشياء واستحالتها الى ما بعد .

الباب الثاني

عدم كفاية نظرية أفلاطون — عود على نظرية ديمقريطس ولوكيبس — نظرية جديدة على كون الأشياء فسادها — النمط المتبع — أهمية مسألة الذرات — رأى ديمقريطس ولوكيبس — رأى أفلاطون في كتابه طياوس — خطأ هؤلاء وهؤلاء — وجوب الأخذ بملاحظة الأحداث على الأخص — فضل ديمقريطس من هذه الجهة — أفكار في قابلية الأشياء للقسمة — يمكن افتراض القسمة لا متناهية — صعوبات هذه النظرية — صعوبات ليست أقل خطرا من نظرية الذرات — نقض هذه النظرية — المعنى العام الذى يحمل عليه كون الأشياء .

§ ١ — لم يدرس إذا أفلاطون الكون والفساد إلا من حيث طريقة وجودهما بالأشياء بل لم يكن ليدرس الكون في كل عمومته بل اقتصر على كون العناصر . ولم يقل شيئا على تكون جميع الأجسام التى هى من جنس اللحم والعظم وسائر الأجسام المشابهة لها ولم يتكلم على الاستحالة ولا على النمو ولم يبين كيفية إدراكه إياهما في الموجودات .

§ ٢ — على أنه يمكن الجزم بأنه لم يتكلم أحد على هذه الموضوعات إلا بطريقة سطحية جدا ما عدا ديمقريطس فإنه يظهر أنه فكر في كل المسائل ولكنه يخالفنا في إيضاح الطريقة التى بها تحدث الأشياء . ولم يفكر أحد كما قلنا آنفا في إيضاح النمو إلا ما ربا يكون على المعنى الذى تفهم الكافة به هذه الظاهرة . أعنى بأن يقال إن

§ ١ — لم يدرس إذا أفلاطون — رجع أرسطو إلى فخص مذاهب أسلافه . — إذا — هذه الكلمة موجودة في النص دون أن يكون لها وجه يبررها . — طريقة وجودهما بالأشياء — يحتمل أن أرسطو يريد أن يقول إن أفلاطون لم يدرس الكون إلا في الحال الراهنة للأشياء من غير أن يحاول الصعود إلى الأصل ، فإذا كانت هذه هى فكرته فقد لا تكون صادقة تماما إذ قد يوجد في طياوس ما يناقضها . — على كون العناصر — دون كون الكيوف التى تناب العناصر . — على الاستحالة ولا على النمو — يعنى النوعين الآخرين للحركة .

§ ٢ — ما عدا ديمقريطس — مدح ديمقريطس هذا يمكن أن يظهر عظميا جدا بعد ذلك الانتقاد السابق الموجه إلى أفلاطون . — كل المسائل — ليست عبارة النص في هذا القدر من الضبط . — التى بها تحدث الأشياء — هذا ليس تام الوضوح ، ولكن عبارة النص أدق من ترجمتنا . ولا شك في أن أرسطو يريد

الأجسام تتولأ الشبيه يأتي فينضاف إلى الشبيه . أما كيف تحصل هذه الظاهرة فذلك ما لم يوضحه أحد البتة حتى الآن . § ٣ - ومع ذلك فلم تُدرس أيضا بعد مسألة الاختلاط ولا أية واحدة من المسائل التي من هذا القبيل ولا مثلا مسألة معرفة كيف تفعل الأشياء وتتفعل وكيف أن شيئا بعينه يفعل الأحداث الطبيعية وآخر بعينه ينفع بها . § ٤ - لما لم يهتم ديمقريطس ولو كيبس إلا بصور العناصر استخرجها منها استحالة الأشياء وكونها . وعلى هذا فمن انقسام الذرات ومن اتحادها يأتي الكون والفساد ومن ترتيب الذرات ووضعها تأتي الاستحالة . ولكن لما كان هؤلاء الفلاسفة يحسبون الحقيقة في مجرد الظاهر وكانت الظواهر متضادة ولا متناهية بالعدد معا اضطروا أن يجعلوا أشكال الذرات لا متناهيا أيضا بحيث إن الشيء الواحد يمكن أن يظهر ضد ما هو لنظر هذا الرأي أو ذلك تبعا لتغيرات وضعه ويظهر متغير الصورة بمجرد أن تختلط به أو تتراد عليه أصغر جزئية أجنبية . ويظهر أنه صار غير ذاته جملة بتغير موضع جزء واحد من أجزائه . ذلك كما أنه يمكن أن تستخدم الحروف بعينها لتأليف مأساة أو فكاهة حسبما يُختار .

أن يقول إن ديمقريطس موافق له فيما يتعلق بكون الأشياء ولكنه يخالفه في كيفية حدوث هذه الظاهرة . - في إيضاح النقو - لا يرى أن أرسطو نفسه قد سد هذا النقص (ر . الطبيعة ك ٦ ب ١٦ ف ٥ من ترجمتنا) . § ٣ - ومع ذلك فلم تُدرس أيضا - بعض هذه المسائل قد درس إما في كتاب الطبيعة وإما في الكتاب الرابع من الميتافيزيقيا (الآثار العلوية) ولكنني لا أعرف إذا كان أرسطو قد تعمق في البحث فيها إلى أبعد مما فعل أسلافه . § ٤ - لما لم يهتم ديمقريطس ولو كيبس إلا بصور العناصر - ليست عبارة النص على هذا القدر من الضبط . وهذا المعنى هو معنى فيلو بون وقد يمكن ترجمته هكذا : " بعد أن نخجل ديمقريطس ولو كيبس صور العناصر " . - الذرات - أضفت هذه الكلمة لأن مذهب ديمقريطس معلوم تماما ومذهب الذرات لا يقبل في الحقيقة إلا القسمة والاتحاد والترتيب والوضع عللا لجميع الظواهر . - يحسبون الحقيقة في مجرد الظاهر - هذا هو المذهب الذي اعتنقه بعد ذلك السفسطائيون وطالما حاربه سقراط (ر . فروطاغوراس لأفلاطون) . - أشكال الذرات - أضفت أيضا هاتين الكلمتين . - تبعا لتغيرات وضعه - مثل فيلو بون لذلك بطوق الحمامة فانه تبعا لمسقط الضوء وموضع الراى يتلون بالألوان المختلفة .

§ ٥ - ولكن لما كان كل الناس من غير استثناء تقريبا يعتقد بوجه العموم أن كون الأشياء واستحالتها هما ظاهرتان مختلفتان جدًّا ، وأن الأشياء لتكون أو لتفسد يجب أن تتحد أو تنفصل في حين أنها تستحيل بتغيرات في خواصها ، وجب علينا من أجل ذلك أن نقف على هذه المسائل التي يعرض منها في الواقع صعوبات حقيقية متعددة . إذا لم يجعل كون الأشياء ، مثلاً ، إلا اتحاداً فإن لهذه النظرية طائفة من النتائج غير القابلة للتأييد . ولكن هناك براهين أخرى قاطعة على صحة المعنى المضاد ، ومن الصعب جداً نقضها ، تثبت أن كون الأشياء لا يمكن أن يكون شيئاً آخر إلا مجرد اتحاد وأنه إذا كان الكون ليس اتحاداً فمن ثم لا يوجد كون أصلاً وأنه ليس إلا استحالة . لذلك يجب أن نعالج حل هذه الصعوبات مهما كانت خطورتها .

§ ٦ - النقطة الأصلية في ابتداء هذه المناقشة هي معرفة ما إذا كانت الأشياء تكون وتستحيل وتنمو أو تعاني الظواهر المضادة لهذه الظواهر بسبب وجود ذرات أعنى أعظما أولية غير قابلة للقسمة أو ما إذا كان لا يوجد أصلاً أعظام غير قابلة للقسمة . هذه النظرية هي من الخطورة بالمكان الأعلى . ومن جهة أخرى بفرض وجود الذرات يمكن أن يتساءل أيضاً عما إذا كانت - كما يريد ديمقريطس ولوكيوس

— جزء واحد من أجزائه — ليست عبارة النص على هذا القدر من الضبط . — تستخدم الحروف بعينها — أو بعبارة أصرح « حروف الهجاء » .

§ ٥ - كل الناس — يشمل أنكساغوراس وأميديقل . — كون الأشياء واستحالتها — من الصعب في الواقع خلط الظاهرتين وجعل أحدهما الأخرى . وإن عبارة النص في التمييز جليسة غاية الجلاء . — وجب علينا أن نقف — سيكون ذلك موضوع هذا الباب والأبواب التالية . — طائفة من النتائج غير القابلة للتأييد — هذا مهم .

§ ٦ — هي معرفة — ما إذا كان يوجد ذرات أو لا يوجد . — تكون وتستحيل وتنمو — تلك هي الأنواع الثلاثة للحركات التي الأشياء قابلة لها . — الظواهر المضادة لهذه — يعني الفساد والاستحالة إلى كيف مضاد القص . — أعنى — أضفت هذه الكلمة . — هذه النظرية هي من الخطورة بالمكان الأعلى — لذلك عاد أرسطو إلى الكلام عليها مرات عدة . — كما ذكر في طيماوس — ر كتاب السماء ٣ ب ٧

— هذه الأعظام غير المنقسمة هي أجساما أو ما اذا كانت مجرد سطوح كما ذكر في طيماوس . ٧٨ — ولكن من غير المعقول ، كما بينا في غير هذا الموضع ، أن نجاوز بتحليل الأجسام الى حد تصييرها سطوحا . وعلى ذلك يكون أقرب الى المعقول القول بأن الذرات هي أجسام . على أنى لأعترف أن هذا الرأى هو أيضا قليل الشبه بالمعقول . ومع ذلك يمكن في هذا المذهب كما قد قيل أن تفسر استحالة الأشياء وكونها بتبدل الجسم الواحد تبعا لدورانه أو لتمامه أو تبعا لاختلاف أشكاله . ذلك ما يفعل ديموقريطس وهذا هو الذى أدى به الى انكار حقيقة اللون مادام اللون في عرفه إنما يكون من حركة الأجسام حول مركزها . ولكن الذين يقبلون قسمة الأجسام الى سطوح أولئك لا يمكنهم بعد ذلك أن يدركوا اللون . لأنه يجمع السطوح ذوات السعة بعضها مع بعض يمكن الوصول فقط الى تكوين جوامد ولكن لا يمكن الوصول الى إيجاد أى كيف جسمانى .

٨ § — والسبب الذى جعل هؤلاء الفلاسفة يرون ، أقل من الآخرين ، الظواهر التى هي محل وفاق بين الناس جميعا هو عدم المشاهدة . وعلى ضد ذلك الذين استرادوا من فحص الطبيعة ، أولئك أحسن حالا فى استكشاف هذه المبادئ التى يمكن أن

ف ١٤ § ٧ — فى غير هذا الموضع — فى كتاب السماء ك ٣ كما يقول أيضا فيلو بون . — الى حد تصييرها سطوحا — هذا الرأى ليس هو رأى أفلاطون فى طيماوس الى حد ما يظهر على أرسطو أنه يذهب اليه هنا . — على أنى لأعترف — عبارة النص أقل وضوحا من هذه . — كما قد قيل — يرى فيلو بون أن الألفاظ التى يستعملها أرسطو فى هذا الموضع على قول ديمقريطس هي الفاظ مأخوذة على الأخص من لهجة أبدير . — دورانه ... تمامه — هذان التعبيران ليسا بالفرنسية أكثر ضبطا فى أداء المعنى من نظيريهما باليونانى . — الذين يقبلون قسمة الأجسام الى سطوح — مثل أفلاطون أو فلاسفة آخرين . — أن يدركوا اللون — أو أى كيف آخر للأجسام . عبارة النص أقل ضبطا من هذه .

٨ § — محل وفاق بين الناس جميعا — عبارة النص مهمة قليلا فلست وانما من أنى حصلت المعنى جيدا . — عدم المشاهدة — يوصى أرسطو هنا بمشاهدة الأحداث كما يوصى به دائما ولكنه لم يكن فى موضع آخر مبينا وجازما كما هو فى هذا الموضع . ر . مقدمة ترجيحى للتييرولوجيا ص ٢٤ وما يليها . — التى يمكن أن تنسحب بعد — أو بعبارة فيلو بون وهى : ” التى يمكن أن تشمل عددا من الحوادث ما أكثره “ .

تتسحب بعد على حوادث ما أكثر عددها . ولكن هؤلاء الذين هم تائهون في نظريات معقدة لا يلاحظون الأحداث الواقعة وليست أعينهم موجهة إلا الى عدد قليل من الظواهر وهم يحكون بسهولة كبرى . § ٩ — هاهنا أيضا يمكن أن يرى كل الفرق الذي يفرق بين الدراسة الحقة للطبيعة وبين دراسة منطقية محضة . لأن هؤلاء الفلاسفة من أجل أن يبينوا مثلا أنه يوجد ذرات أو أعظام غير قابلة للقسمة يدعون أنه اذا لم تكن تلك الذرات فان المثلث نفسه ، المثل الأعلى للمثلث ، يكون مؤلفا مع أن ديمقريطس في هذه المسئلة يظهر أنه لم يعول في حلها إلا على دراسات خصوصية وطبيعية محضة . ومع ذلك فان ما سيلي من هذه المناقشة سيبين لنا ما نريد أن نقول بأوضح من ذلك .

§ ١٠ — من الصعوبة الكبرى افتراض أن الجسم يوجد وأنه عظم قابل للقسمة الى ما لا نهاية وأنه من الممكن تحقيق هذه القسمة . فإذا بقي في الواقع في الجسم الذي يمكن أن يخلص من قسمة كهذه ؟ فإذا افترض أن شيئا قابلا للقسمة مطلقا وأنه يمكن حقيقة قسمته هكذا فلا يكون من المحال في شيء أنه أمكن

والفرق بين العبارتين عديم القيمة . — تائهون في نظريات معقدة — عبارة النص تفيد أيضا "ولكن هؤلاء الذين هم بعيدون عن الأفكار العامة ... الخ" . — بسهولة كبرى — وبخفة أكثر . § ٩ — الدراسة الحقة — أضفت هذه الكلمة الأخيرة . — هؤلاء الفلاسفة — يعني أفلاطون ومدرسته . — اذا لم تكن تلك الذرات — أضفت هذه الكلمات التي يظهر أنها ضرورية . — المثلث نفسه المثل الأعلى للمثلث — هذه الكلمات الأخيرة ليست لإلتفسير لما سبقها . فان المثلث نفسه في لغة مذهب أفلاطون هو المثل الأعلى للمثلث . — مؤلفا — أى قابلا للقسمة وهذا يناقض تماما نظرية المثلث . — ما يلي من هذه المناقشة سيبين لنا ... بأوضح من ذلك — يشعر أرسطو نفسه بأنه لم يقل هنا قدر الكفاية ليكون بنا تماما . يدافع فيلوبون عن أفلاطون ضد أرسطو الذي لم يحصل جيدا فكرة أستاذه . ويظن فيلوبون أن هذه النظرية قد يمكن أنها موجودة على الأكثر في مذاهب أفلاطون غير المكتوبة .

§ ١٠ — من الصعوبة الكبرى — كل المعنى في هذه الفقرة غامض . واليكها بأبسط عبارة : "من الصعب أن يفهم أن الجسم يمكن أن يقبل القسمة الى ما لا نهاية وأن لا توجد فيه الأجزاء التي لا تتجزأ . لأن هذه القسمة تنفي الجسم عن آخره ولا يبقى منه شيء . وبذلك يوصل الى أن الجسم مؤلف من مجرد نقط ليس

قسمته مطلقا مع أنه لم يقسم في الواقع ولا أنه قد قسم فعلا . والأمر كذلك إذا فيما إذا يقسم الشيء بالنصف . وعلى العموم لو أن شيئا قابلا بالطبع للقسمة الى اللانهاية قد قسم لما كان ذلك محالا البتة . كما لا يكون محالا أن يفترض إمكان قسمته عشرة آلاف مرة مضروبة في عشرة آلاف مع أنه لا أحد يستطيع المجاوزة بالقسمة الى هذا الحد .

§ ١١ — ما دام الجسم معتبرا أنه حائز لهذه الخاصة فلنسلم أنه يمكن قسمته مطلقا على هذا النحو . ولكن إذا ما بقي بعد هذه التقاسيم ؟ هل سيكون عظاما ؟ لكن ذلك غير ممكن لأنه إذا يوجد شيء فتر من عملية التقسيم وكان الفرض ، على الضد ، أن الجسم قابل للقسمة من غير أى حد ومطلقا . ولكنه اذا لم يبق جسم ولا عظم وظلت القسمة مستمرة فلما أن القسمة لاتقع إلا على نقط وإذا تصير العناصر التي تتركب الجسم عديمة العظم واما ألا يبقى هناك شيء أصلا . § ١٢ — ينتج من ذلك أنه سواء أكان الجسم يأتي من لا شيء أم يؤلف من أجزاء فالأمر على الحالين تصوير الكل الى ألا يكون إلا ظاهرا . حتى مع التسليم بأن الجسم يمكن أن يأتي

لها أبعاد أصلا . — وأنه من الممكن تحقيق هذه القسمة — عبارة النص أقل من ذلك ضبطا . — الذي يمكن أن يخص من قسمة كهذه — لأنها ستعدم نهائيا كل ما تركب منه الجسم . — فلا يكون من الحال — هذا فرض يمكن دائما فرضه ولا يلزم عليه شيء من المحال . — إذا يقسم الشيء بالنصف — يعني اذا قسم دائما الى اثنين كل ما يبقى من الشيء في التقسيم المتتابع أو اذا قسم الى أجزاء غير متساوية ، بكتنا الطريقتين يوصل الى اعدامه كله بهذا التقسيم غير المنتهى . — المجاوزة بالقسمة الى هذا الحد — لعدم كفاية الآلات التي يستعملها الانسان .

§ ١١ — معتبرا أنه حائز لهذه الخاصة — عبارة النص أقل ضبطا من هذا التعبير . — ماذا يبقى — تكرار للسئلة الموضوعية في الفقرة الماضية . — بعد هذه التقاسيم — زدت هذه الكلمات لبيان الفكرة قليلا . عظاما — يكون أيضا قابلا للقسمة . — من غير أى حد ومطلقا — ليس في النص الا كلمة واحدة . — عديمة العظم — لأن النقط الرياضية مفروض أنها لا عظم لها البتة . § ١٢ — يأتي من لا شيء — أعني من نقط ليس لها أى امتداد . — ألا يكون الا ظاهرا — تلك هي النتيجة التي استنتجها السفسطائيون من مذهب ديمقريطس . — بأن الجسم يمكن أن يأتي من نقط — النص ليس بهذه الصراحة .

من نقط فلا يكون هناك أيضا كم . وفي الواقع لو أن هذه النقط كانت تماس لتؤلف عظاما واحدا وأن العظم كان واحدا وأنها كلها فيه فإن جميع هذه النقط المجتمعة ما كانت لتجعل الكل أكبر لأن الكل بانقسامه الى نقطتين أو عدة لا يكون لا أكبر ولا أصغر من ذى قبل ، بحيث إنه مهما جمع من تلك النقط فلا يمكن الوصول أبدا الى تأليف عظم حقيقى منها . § ١٣ — إذا قيل إنه يوصل بالقسمة إلى ألا يحصل منها إلا كمنشأة الجسم حتى على هذا الفرض لا بد من أن الجسم يأتى من عظم أيا كان ، وتبقى المسئلة كما كانت وهى كيف أن هذا الجسم الأخير قابل للقسمة فى دوره . فاذا قيل إن ما انفصل ليس جسما بل هو صورة ما قابلة للانفصال أو خاصة ما فينتج من ذلك أن العظم يتحول الى نقط وإلى تماسات محولة بهذه الطريقة . وإذا كان من غير المعقول الاعتقاد بأن العظم

— كم — لأن النقط لا تمثل كمية ما . — لا أكبر ولا أصغر من ذى قبل — مهما كان عدد نقط القسمة .
— عظم حقيقى — أضفت لفظ حقيقى .

§ ١٣ — منشأة الجسم — عبارة الاصل دقيقة ويظهر أن الفكرة غامضة ولو أنها فى الحقيقة واضحة .
فإن أرسطو يفرض أنه يراد اثبات وجود الذرات وأن قسمة الجسم لا يمكن أن تمتشى الى اللانهاية .
فاذا وصل بالتقسيم الممكن غاية الامكان الى تصوير الجسم مسحوقا كمنشأة الخشب عند قطعه ولكن قطع المنشأة مهما دق حجمها فإن لها امتدادا وترجع المسئلة بالنسبة لهذه الاجسام الصغيرة الى ما كانت عليه بالنسبة للجسم الذى كانت تؤلفه باجتماعها من قبل . — عظم أيا كان — فإن قطع المنشأة مهما صغر حجمها لها دائما عظم قابل للتقدير . — فى دوره — زدت هاتين الكلمتين . — إن ما انفصل — أى بالقسمة البالغة أقصى حد لها . — قابلة للانفصال — قال فيلويون إن فى هذا رواية أخرى وإن فى بعض النسخ المخطوطة عبارة « غير قابلة للانفصال » بدل عبارة « قابلة للانفصال » . والسياق يقتضى على الظاهر أوفقية العبارة الأخيرة . ومع ذلك فإن فيلويون يفضل معنى عبارة « غير قابلة للانفصال » لأن الصورة فى الواقع غير قابلة للانفصال عن الجسم بمعنى أنها تنعدم بانعدامه ولا يمكن أن تكون شيئا بدونه . ولقد أثبتت فى ترجمتى عبارة الرواية المشهورة ولكن الاخرى هى مناسبة أيضا . — الى نقط وإلى تماسات — نظريات أبطلت آنفا . — أشياء ليست أعظاما — ما دام أن النقط والتماسات لا يمكن أن يكون لها على ما هو المفروض أى امتداد الى أية جهة ما .

يمكن أبدا أن يأتي من أشياء ليست أعظاما . § ١٤ — ولكن فوق ذلك في أى مكان تكون هذه النقط سواء افترضت عديمة الحركة أم افترضت متحركة ؟ إنه لا يوجد أبدا إلا تماس واحد بين شيئين فلا بد أيضا من افتراض أنه يوجد شيء ليس هو التماس ولا القسمة ولا النقطة .

لو قبل إذا أن كل جسم أيا كان مهما كان امتداده يمكن دائما أن يقبل القسمة مطلقا لكانت تلك هى النتائج التى يوصل إليها .

§ ١٥ — من جهة أخرى اذا أمكننى بعد القسمة أن أركب الخشب الذى نشرته أو أية مادة أخرى بأن أعيد إليها وحدتها الأولى وأن أجعلها مثل ما كانت تماما فمن الواضح أنى أستطيع أن أفعل ذلك في أية نقطة بلغت في كسرى الخشب . إذا فبالقوة الجسم قابل دائما للقسمة مطلقا وبدون حد . ماذا يوجد إذا هاهنا خارجا عن القسمة وبمعزل عنها اذا قيل إنها خاصة للجسم ؟ يمكن دائما أن يسأل كيف أن الجسم يتحلل الى خواص من هذا القبيل وكيف يمكن أن يتألف منها وكيف أن هذه الخواص يمكن أن تنفصل عن الجسم .

§ ١٤ — في أى مكان — يعنى : « في أى جزء من الجسم ؟ » — افترضت متحركة — كما يفعل الرياضيون اذ يسلون بأن النقطة متى تحركت أحدثت خطأ كما أن الخط يحدث السطح والسطح الجسم . وقد نبه فيلوبيون الى أنه يمكن اعطاء هذه الجملة صورة الاستفهام أو صورة الايجاب على السواء . — أنه يوجد شيء — يعنى الجزأين الماديين اللذين يتماسان أو أنهما متقاسمان في نقطة تفصلهما . — لو قبل إذا — ر . ما سبق ف ١٠ هذا هو ملخص القسم الأول من كل هذه المناقشة . فانه اذا لم تقبل الذرات وقبل القول بأن كل جسم قابل للقسمة مطلقا فتلك هى النتائج غير المعقولة التى تؤدى اليها هذه النظرية . فيستنتج من هذا مع ديمقريطس حقيقة نظرية الذرات . ومع ذلك فان هذا المخلص يمكن أن يظهر أنه سابق لوقته § ١٥ — من جهة أخرى — برهان جديد لإيضاح وجود الذرات . — مثل ما كانت تماما — يظهر أن هذا مناقض لما قيل سابقا ف ١٣ — في أية نقطة بلغت في كسرى الخشب — وعدد النقط يمكن ألا يتناهى ما دامت النقط مفروضا أنها عديمة الامتداد . — فبالقوة — إن لم يكن بالفعل لعل واحدة هى عدم كفاية الآلات التى يستخدمها الانسان . — خارجا عن القسمة وبمعزل عنها — لا يوجد في النص إلا كلمة واحدة لهذا المعنى . — الى خواص من هذا القبيل — تكرير لما قيل آنفا ف ١٣

§ ١٦ — إذا كان إذا محالا أن الأعظام تتكون من مجرد تماسات أو نقط فإنه يلزم ضرورة أن يوجد أجسام وأعظام لا تتجزأ . ولكن هذا الافتراض عينه للذرات يخلق محالا لا يمكن تخطيه ولو أن هذه المسئلة قد فخصت في غير هذا الموضع إلا أنه يلزم أن يحاول حلها هنا أيضا . وللوصول الى ذلك يلزم أخذها من جديد بتمامها من البداية .

§ ١٧ — نقول إذا بادئ بدء إنه ليس من غير المعقول في شيء تقرير أن كل جسم محسوس هو معا قابل للقسمة وغير قابل للقسمة في نقطة ما ما دام أنه يمكن أن يكون قابلا للقسمة بالقوة المجردة وغير قابل للقسمة بالفعل . ولكن الذي يظهر أنه محال تماما هو أن جسما يكون قابلا للقسمة وغير قابل لها معا بالقوة لأنه اذا كان ذلك ممكنا فلا يكون أبدا بهذا الوجه أن الجسم يجمع بين الخاصيتين بأن يكون غير قابل للقسمة وقابلا لها معا بالفعل . بل أنه يكون فقط قابلا للقسمة بالفعل في نقطة ما . وإذا

§ ١٦ — اذا كان إذا — تلخيص لتأييد نظرية ديمقريطس . — أجسام وأعظام لا تتجزأ — أو بعبارة أخرى ذرات كما كان يقرره ديمقريطس . — للذرات — أضفت هذه الكلمة لزيادة البيان . — غير هذا الموضع — ر . كتاب السماء ك ٣ ب ٤ ف ٥ وراجع كتاب الطبيعة في مواطن عدة حيث نظرية الذرات ملع اليها الماسا لا مبينة بيانا وضعيا . ويستشهد فيلو بون على الأخص بالكتاب السابع من الطبيعة حيث لا أجد فيه أنا شيئا من هذا القبيل . ويستشهد أيضا برسالة الخطوط غير المنتظمة التي ينسبها الى تيوفراست بدلا من أرسطو اتباعا لرأى بعض المؤلفين .

§ ١٧ — معا قابل للقسمة وغير قابل لها — بالفعل هذا محال ولكن يمكن أن احدهما إمكان مجرد والأخرى قسمة بالفعل . وإذا فالجسم في الذهن قابل للقسمة الى اللانهاية . ولكن في الخارج تفك القسمة عند حد بسرعة . — قابل للقسمة بالقوة المجردة وغير قابل لها بالفعل — عبارة النص أقل ضبطا . — يكون قابلا للقسمة وغير قابل لها معا بالقوة — يعنى منقسما وغير منقسم في آن واحد بالقوة . وعلى رغم تفسير فيلو بون ومجهوداتى فإن هذه النقطة فيها من الغموض ما لم أستطع أن أزيله بالمره . واليك البيان الذى يمكن فهمها به : ” إن جسما لا يمكن أن يكون معا قابلا وغير قابل للقسمة حتى بمجرد القوة لأنه اذا كان كذلك بالقوة كان كذلك أيضا بالفعل . وهاتان القابليتان في الخارج لا يجتمعان مطلقا . فكل الذى يمكن حقيقة هو أن الجسم يكون قابلا للقسمة في نقطة ما . وهذا لا يفيد أنه قابل للقسمة مطلقا لأنه حينئذ

لا يبق منه شيء مطلقا ويتحول الجسم إلى شيء غير جسماني . ومع التسليم بأنه يمكنه أن يكون ثانية إما بأن يأتي من النقط أو أن لا يأتي من شيء أبدا على الإطلاق فكيف يصير كون الجسم من جديد ممكنا .

١٨٨ — أما ما هو بين فهو أن الجسم ينقسم بالفعل إلى أجزاء متميزة ومنفصلة وإلى أعظام أصغر فأصغر دائما تتباعد بعضها عن بعض وتنزل . ولكن من المحقق أيضا أن هذه التجزئة البعضية لا يمكن أن يجاوز بها إلى اللانهاية وأنه ليس من الممكن أيضا قسمة الجسم في أية نقطة ما لأن هذه القسمة غير المحدودة ليست ممكنة الإجراء ولا يمكن أن تمتد إلا إلى حد معين . § ١٩ — يلزم إذا أن توجد ذرات أو أعظام لا تتجزأ خصوصا إذا سلم أن كون الأشياء وفسادها يحصلان أحدهما بالانفراق والآخر بالاجتماع ذلك هو الاستدلال الذي يظهر أنه يبين ضرورة وجود الأعظام غير القابلة للقسمة أو الذرات . ونحن نتكفل بإثبات أن هذا الاستدلال يرتكز من حيث لا يشعر على سفسطة مستورة بستر سنكشفه عنها .

لا يبق بعد القسمة شيء أصلا ويتحول الجسم إذا إلى شيء غير جسماني . — الجسم ... غير جسماني — هذا التقابل موجود بلقطه في النص . — من النقط — التي هي ليست محسوسة ما دامت مفروضة عديمة الامتداد . — من شيء أبدا على الإطلاق — أو ربما كان "من العدم . من لا شيء . " — كون الجسم من جديد — عبارة النص ليست بهذا الضبط .

§ ١٨ — ينقسم بالفعل — أضفت هذه الكلمة الأخيرة لبيان المعنى تماما . — أصغر فأصغر دائما — على حسب المادة التي هي موضوع القسمة والآلات التي تستخدم لذلك . — تتباعد — هذه عبارة النص وربما كانت غير مناسبة . — وتنزل — بعد عملية القسمة . — التجزئة — أو التصفير أي تصيير الشيء إلى أجزاء دقيقة ثم إلى أدق منها وهكذا . — إلا إلى حد معين — في الخارج مع أنها في الذهن ممكنة إلى ما لا نهاية . § ١٩ — يلزم إذا — حيث لا يؤخذ إلا بالظواهر المحسوسة القابلة للشاهدة يكون مذهب الذرات مذهبا حقا جدا . لأن التجزئة في الواقع يجب أن تقف عاجلا ثم تصادف على ما يظهر عقبة كثرودا في الجزئيات التي لا تستطيع أن تناهها التجزئة — بالانفراق — لعناصر لا تقبل النقص ولا الزوال . بالاجتماع — بين هذه العناصر بعينها . — الذرات — أضفت هذه الكلمة لأن الذرات غير قابلة للقسمة كما يدل عليه اسمها ونوق ذلك فانها غير قابلة للقسمة بالنسبة لنا بسبب دقتها . — ونحن نتكفل — عبارة

§ ٢٠ — كما أن النقطة لا تتصل بالنقطة فقابلية القسمة المطلقة تكون من جهة متعلقة بالأعظام ومن جهة أخرى غير متعلقة بها . ومن يسلّم بهذه النظرية يظهر أنه يسلّم أيضا بأنه لا يوجد بعد إلا النقطة التي هي في كل مكان وفي كل اتجاه . وبنتيجة ضرورية فإن العظم بالتجزئة يصير لا شيء لأن النقطة ما دامت في كل مكان فالجسم لا يمكن أن يتركب إلا من التماسات أو من النقط . § ٢١ — وحينئذ فمعى هذا هو الرجوع الى القول بأن الجسم قابل للقسمة مطلقا ما دام يوجد في كل محل نقطة ما وأن كل النقط مجتمعة هي ككل واحدة منها على حدة وأنه في الواقع لا يوجد أكثر من واحدة لأن النقط ليست متتابعة بعضها لبعض . والنتيجة أيضا أن الجسم ليس قابلا للقسمة مطلقا . لأنه اذا كان الجسم قابلا للقسمة في وسطه فانه يكون قابلا لها في النقطة التي تتصل بهذا الوسط . ولكن الآن غير متصل بالآن كما أن النقطة لا تتصل بالنقطة . على أنه في هذا تنحصر قسمة الأجسام وتركيبها بحيث إنه يوجد أيضا اجتماع وافتراق للأجزاء . ولكن الجسم مع ذلك لا يتحوّل الى ذرات وأنه لا يأتي من ذرات . تلك النظرية التي تشمل

النص أقل ضبطا من هذا ولكني أردت بهذا التعبير تأدية معنى الحدة التي استعملها المؤلف في عبارته . — سنكشفه عنها — إن البيان الآتي قد بين عليه عدم مطابقته تمام المطابقة لهذا الوعد .

§ ٢٠ — لا تتصل بالنقطة — ما دامت النقط معتبرا أن ليس لها أقل امتداد . — ومن يسلّم بهذه النظرية — التي هي أن الجسم قابل للقسمة مطلقا . — بالتجزئة — في النقط التي يقال إنه مركب منها . — إلا من التماسات أو النقط — ر ما سبق ف ١٦ § ٢١ — بأن الجسم قابل للقسمة مطلقا — هذا هو المعنى الذي اتخذته فيلويون وهو مع ذلك يجد أن المعنى ليس واضحا على قدر الكفاية . وإن هذه المناقشة كلها هي في غاية الاضطراب ومن الصعب الوقوف فيها على الفكرة الحقيقية للمؤلف . — يوجد في كل محل نقطة ما — يعنى أن التجزئة يمكن أن تحصل في أى نقطة كيفما اتفق . — لا يوجد أكثر من واحدة — في الواقع أنه يوجد من النقطة بقدر ما يراد ولكنها كلها متشابهة فلا يمكن أبدا أن يؤخذ منها في الدفعة الواحدة إلا نقطة واحدة . — والنتيجة أيضا — النص ليس كذلك من حيث ضبط العبارة ولكني اضطررت الى زيادة الضبط لأوفق بينه وبين التردد المذكور في الفقرة السابقة . — الآن ... النقطة — الكلمتان المقابلتان لها في النص اليوناني أكثر تقاربا بينهما من الكلمتين اللتين اضطررت لاستعمالهما في الترجمة . —

صعوبات عديدة لا يمكن حلها . كذلك لا يمكن أن يتركب الجسم بطريقة بها تكون التجزئة ممكنة لا الى حد ما . فاذا كانت النقطة تتبع في الواقع النقطة كان الأمر كذلك ولكن الجسم ينحل الى أجزاء متدرجة في الصغر وأن الاتحاد حصل بين أصغر الأجزاء .

§ ٢٢ - الكون المطلق الكامل للأشياء لا يقصر كما زعموا على اجتماع العناصر وتفرقها كما أن الاستحالة ليست مجرد تغير في الكتلة . بل ذلك خطأ تام يقع فيه كل الناس . ونكرر مرة أخرى أنه لا يوجد كون وفساد مطلقان للأشياء باجتماع العناصر وافتراقها . انما يوجدان فقط متى يتغير شيء بأكمله عند ما يأتي من شيء آخر بعينه .

§ ٢٣ - وقد يظن أيضا أن الاستحالة هي تغير ما من هذا القبيل ولكن هاهنا فرقا عظيما . فان في الموضوع جزءا يرجع إلى الكنه وجزءا يرجع إلى المادة فمتى فقط حصل التغير في هذين الأمرين فهناك حقا كون وفساد . ولا يكون إلا مجرد استحالة متى حصل التغير في الخواص والكيوف العارضة للشيء . § ٢٤ - فما هو إلا بافتراق الأشياء واجتماعها أنها تصير قابلة للفساد بسهولة مثال ذلك متى تجزأ الماء الى تقيطات

- للأجزاء - أضفتها من عندي . - صعوبات عديدة لا يمكن حلها - عرض بعضها في الكلام السابق . - ممكنة لا الى حد ما - وذلك يهدم مذهب الذرات . على هذا يكون أرسطو يرفض الكل ويقل هذا المذهب لأنه يجد من كل ناحية صعوبات لا يمكن التغلب عليها . - فاذا كانت النقطة تتبع في الواقع النقطة - هذا يظهر عليه أنه تذييل دس في النص بعض المفسرين .

§ ٢٢ - الكون - كل آخر هذا الباب هو استطراد يعد المؤلف به شيئا فشيئا عن الفكرة التي كان يظهر عليه أول الأمر متابعة القول فيها . - اجتماع العناصر وتفرقها - لأن العناصر حينئذ هي أسبق من المركب الذي يتركب منها . - عند ما يأتي من شيء آخر بعينه - عبارة النص ليست محكمة فان هناك أيضا لا يوجد كون بالمعنى الخاص . § ٢٣ - الاستحالة - الاستطراد مستمر . - عظيما - أضفت هذه الكلمة . - في الموضوع أو في الشيء . - الى الكنه - الحد والماهية . - هذين الشئين - أضفت علامة التثنية وصيغة النص صيغه جمع . - حقا - أضفت هذه الكلمة . § ٢٤ - فما هو إلا بافتراق الأشياء واجتماعها . - ما سبق في آخر الفقرة ٢٢ - متى تجزأ الماء - المشاهدة صحيحة وقد حصلت من زمان بعيد

صغيرات تتحول بأسرع ما يكون الى هواء ، في حين أنها اذا بقيت كتلة تصير هواء
بأبطأ من ذلك .

§ ٢٥ — على أن هذا سيتضح فيما يلي . ولكن هاهنا أردنا فقط إثبات أن
من المحال أن يكون كون الأشياء مجرد تأليف كما زعم بعض الفلاسفة .

لأن هذه الظاهرة تقع تحت النظر في غالب الأحيان (— الميتولوجيا ك ٢ ب ٢ ف ١٨ من ترجمتي) .
— تتحول بأسرع ما يكون الى هواء — أو بعارة أخرى تبخر .

§ ٢٥ — على أن هذا سيتضح فيما يلي — ذلك بأن المؤلف نفسه أحس أنه لم يكن دائماً مبنياً
بقدر ما يطلب منه . — مجرد تأليف — سواء أكان اجتماعاً أم افتراقاً . راجع ما سبق ف ١٩

الباب الثالث

في الكون المطلق وفي فساد الأشياء — صعوبة هذه المسئلة — الكون والفساد الإضافيان — النمط الذي يتخذ في هذا البحث — شواهد من كتاب الحركة — أبدية الكائنات وتعاقبها المستمر — تبادل الكون والفساد — تمييز لفظي مهم — استشهاد بـ برمينيد — الفرق بين الكون المطلق والكون الإضافي — فروق الفساد باعتبار هذين الوصفين — الرأي العام في هذا الموضوع — في أن شهادة الحواس تعطي أكثر مما تستحق — توضيحات مختلفة — طريقة فهم أبدية الظواهر .

§ ١ — متى تقرر هذا يلزم البحث أولا فيما إذا كان يوجد في الواقع شيء يولد ويموت بطريقة مطلقة أو ما إذا كان لا يوجد شيء يولد ويموت بالمعنى الخاص . وفي هذه الحالة يلزم خص ما إذا كان أي شيء ما لا يأتي دائما من شيء آخر هو يخرج منه : مثال ذلك من المريض يأتي الصحيح ومن الصحيح يأتي المريض أو كالصغير يأتي من الكبير والكبير يأتي من الصغير وكل الأشياء بلا استثناء "تكون" بهذه الطريقة عينها . إذا سلم بكون مطلق يلزم حينئذ أن الموجود يأتي مطلقا من اللاموجود أي من العدم بحيث يحق التأكيد بأن العدم يتعلق ببعض الموجودات . والكون الإضافي يمكن أن يأتي من لا موجود إضافي . ومثال ذلك

§ ١ — بطريقة مطلقة — أعني من غير أن يوجد شيء يسبقه ومنه يمكن أن يخرج . — بالمعنى الخاص — يعني بالمعنى المطلق للكلمة . — وفي هذه الحالة — يعني في حالة افتراض أن لا يوجد كون مطلق . وأن الموجود الكائن يخرج دائما من موجود سابق عليه . وقد قطعت الجملة لانها في النص قد طالت أكثر مما يلزم . — من المريض يأتي الصحيح — يعني أن الموجود المريض يرجع صحيحا . أو بالعكس يصير الصحيح مريضا . فالموجود إذا لا يكون بالمعنى الخاص . بل هو فقط يتغير حاله ويمر بكيفيات مختلفة . ولكنه كائن أولا ومن قبل أن يلحقه التغير . — بكون مطلق — يعني أن الشيء الذي لم يكن من قبل قد وجد وهو يخرج من العدم حيث كان فيه قبل الوجود . — من اللاموجود من العدم — ليس في النص إلا كلمة واحدة وعلى هذا المعنى يقال عن شيء ما إنه مغمور في العدم وإن «العدم يتعلق ببعض الموجودات» كما هي عبارة النص . ولقد يظهر على العبارة صورة التناقض على أنها صادقة . — الأبيض يمكن أن يأتي من اللا أبيض — أعني أن شيئا لم يكن أبيض يمكن أن يصير أبيض . وليس ذلك هو الكون بالمعنى

الأبيض يمكن أن يأتي من اللا أبيض أو الجميل يأتي من اللا جميل . لكن الكون المطلق يجب أن يأتي من اللا وجود المطلق .

§ ٢ — حينئذ المطلق هاهنا يدل إما على الأولى في كل مقولة للوجود وأما على الكلي أعني الذي يشمل ويحوى كل شيء . فإذا كان الأولى هو مدلول المطلق فهناك كون للجوهرات مما هو ليس بجوهر . ولكن ما ليس له جوهرية وما ليس البتة شيئاً معيناً بذاته لا يمكنه بالبداهة أن يكون لأى واحدة أخرى من المقولات كالكيف والكه والأين ... الخ لأنه حينئذ يكون معناه التسليم بأن كيف الجواهر يمكن أن تنفصل عنها . فإذا كان اللاوجود هو بصورة عامة مدلول المطلق فذلك هو النفي الكلي لجميع الأشياء وعلى ذلك فما يولد وما يكون يلزم ضرورة أن يولد من لا شيء .

الخاص بل هو مجرد تغير أو مجرد استحالة . — الكون المطلق يأتي من اللا وجود المطلق — يعنى أن شيئاً يكون بعد أن لم يكن ، خارجاً من العدم الذى كان فيه .

§ ٢ — حينئذ المطلق هاهنا يدل إما على الأولى — المطلق يظهر أنه لا يمكن استعماله في هذا المعنى الضيق ولكن هذا هنا هو مجرد تمييز لفظي كله تحكم . — في كل مقولة للوجود — يعنى في جميع المقولات إلا في مقولة الجوهر فان الأولى هو الحسد الأعلى وعلى ذلك ففي مقولة الكيف ليس المقصود واحدة من الكيوف الخاصة بل هو الكيف نفسه . — وإما على الكلي — يعنى الجوهر والى هذا المعنى ينصرف عادة لفظ المطلق . — يشمل ويحوى كل شيء . — ليس في النص إلا كلمة واحدة . ومعنى ذلك أنه يلزم أولاً أن يوجد الشيء حتى يمكن بعد أن يوصف بأى كيف اتفق . — فإذا كان الأولى هو مدلول المطلق — أضفت الكلمات الثلاثة الأخيرة لجعل الفكرة أكثر ضبطاً وجلاء . — فهناك كون للجوهر — التعبير لا يظهر أنه على ما ينبغي . فان المقصود ليس هو الجوهر بالضبط بل هو مجرد وجود مكيف تبعاً لكل مقولة فان شيئاً يصير أبيض بعد أن لم يكن أبيض من قبل . — الخ — وضعت هذه الكلمة للدلالة على أن جميع المقولات ليست مذكورة هنا . — كيوف — عبارة النص أعراض . — مدلول المطلق — رأيت من الواجب تكرير هذه العبارة لتكميل النص . — النفي الكلي لجميع الأشياء — ولعل أحسن من ذلك أن يقال : "النفي الكلي لجميع المقولات" بما فيها مقولة الجوهر . — ما يولد وما يكون — ليس في النص إلا أحد الفعلين .

§ ٣ — على أننا قد تكلمنا على هذا الموضوع في موضع آخر وبحسناه بأطول من ذلك ولكننا نلخص ها هنا فكرتنا ونقول في قليل من الكلمات إن من وجه يمكن أن يوجد كون مطلق لشيء آت من العدم من اللاوجود . ومن وجه آخر لا شيء يمكن أبدا أن يأتي إلا مما هو موجود . ذلك في الحق أن ما هو مجرد القوة وليس بالفعل يجب أن "يكون" أولا وبالضرورة على الوجهين اللذين بينهما آفا ولكنه لا بد مع ذلك من العناية الكبرى في فحص هذه المسئلة التي يمكن أن صعوبتها تدهشنا حتى بعد الإيضاحات التي أسلفناها . وتلك المسئلة هي كيف أن الكون المطلق يحصل سواء أكان يأتي مما هو بالقوة أم يأتي بأى وجه آخر .

§ ٤ — يمكن البحث في الحق فيما إذا كان يوجد فقط كون للجوهر ولشيء معين بالفعل أو ما إذا كان لا يوجد أيضا كون للكيف وللكم ولأئين ... الخ . وهذه المسئلة عينها توجه على السواء بالنسبة إلى الفساد . وإنه إذا كان بالفعل شيء يكون أو يولد فمن الواضح أنه يجب وجود جوهر ما بالقوة على الأقل إن لم يكن بالفعل وبالكمال منه يخرج كون الشيء وفيه يتغير بالضرورة متى فسد . § ٥ — هل من الممكن أن واحدة من المقولات الأخرى التي هي بالفعل وبالكمال المحض تتعلق بهذا

§ ٣ — في موضع آخر — يعنى في الكتاب الأول من الطبعة ب ٨ ف ١ وما يليها ص ٧٣ من ترجمتنا كما نبه إليه فيلو بون . — آت من العدم من اللاوجود — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — لا شيء يمكن أبدا أن يأتي — ليست عبارة النص بهذا القدر من البيان . — ما هو مجرد القوة — الممكن ليس موجودا على التحقيق ولكنه يكفى إمكان وجوده لأجل أن يكون له وجود بنوع ما . — على الوجهين اللذين بينهما — زدت هاتين الكلمتين الأخيرتين ، وبعبارة أخرى الممكن كائن وغير كائن معا .

§ ٤ — إذا كان يوجد فقط — أضفت الكلمة الأخيرة . — كون للجوهر — ويمكن ترجمتها بهذه العبارة « إذا كان الكون يتعلق بالجوهر » . — بالنسبة إلى الفساد — الذى هو ضد الكون . أفلا يوجد كون وفساد إلا في مقولة الجوهر ؟ ألا يوجدان أيضا في المقولات الأخرى . — بالفعل — زدت هذه الكلمة . — جوهر ما — كلمة جوهر بعينها موجودة في النص ولكن يظهر أن الجوهر يجب دائما أن يكون بالفعل لا أن يكون ممكنا مجرد إمكان . — بالفعل وبالكمال — ليس في النص إلا كلمة واحدة . § ٥ — واحدة من المقولات الأخرى — يعنى إحدى المقولات الأخرى غير مقولة الجوهر . — هذا الموجود بالقوة — النص ليس

الموجود بالقوة ؟ أو بعبارة أخرى هل يمكن تطبيق معانى الكيف والكم والأين على هذا الذى ليس شيئا إلا بالقوة وبالقوة فقط بدون أن يكون شيئا بذاته بطريقة مطلقة حتى ولا أن يكون مطلقا أبدا ؟ لأنه إذا كان هذا الموجود ليس أى شيء بالفعل ولكنه كل الأشياء بالقوة فإن الالموجود المفهوم على هذا النحو يمكن أن يكون ذا وجود منفصل وحينئذ يوصل الى هذه النتيجة التى هابها الفلاسفة الأولون أكثر من كل شيء وهى إيجاد الأشياء من العدم المحض . ولكنه إذا لم يسلم أن هذا يكون موجودا حقيقيا أو جوهريا وأنه شيء آخر من المقولات المذكورة فينتئذ يفرض كما قلنا آنفا أن الكيفيات والأعراض يمكن أن تكون منفصلة عن الجواهر .

§ ٦ — تلك هى النظريات التى يلزم مناقشتها هنا بالقدر المناسب كما أنه يلزمنا البحث عما هى العلة التى تجعل كون الموجودات أبدأ سواء الكون المطلق أو الكون البعضى . ما دام لا يوجد على رأينا إلا علة واحدة أوحد منها ينبعث مبدأ الحركة وما دام لا يوجد أيضا إلا مادة واحدة أوحد يلزم إيضاح ما هى هذه العلة .

بهذا الوضوح . — والأين — أو أى مقولة أخرى . — ذا وجود منفصل — وهذا تناقض . — التى هابها الفلاسفة أكثر من كل شيء — الفلاسفة الذين لم يستطيعوا أبدا أن يقبلوا بأية صورة معنى العدم . — من العدم المحض — عبارة النص بالضبط هى « من العدم السابق الوجود » . — كائن حقيقى — يمكن أن يضاف « متميز » فاذا كان الممكن ليس جوهريا أفقال إنه واحدة أخرى من المقولات . — المذكورة — آنفا . — كما قلنا آنفا — ر ف ٢

§ ٦ — بالقدر المناسب — لهذا الموضوع الخاص الذى ندرسه فى هذا الكتاب . — العلة التى تجعل كون الموجودات أبدأ — ليس هذا شيئا آخر إلا الإسناد الى الله الذى هو خالق الأشياء وحافظها كما هو مبين بعد . — سواء الكون المطلق — يعنى الذى يخرج الأشياء من العدم . — أو الكون البعضى — يعنى كون الكيفيات المتعاقبة على الأشياء . — علة واحدة أوحد — هى المحرك الذى لا يتحرك . — مادة واحدة أوحد — فيها يفعل المحرك الأول . — ما هى هذه العلة — هاهنا عبارة النص ينقصها قليل من الجلاء ، لأن السياق يقتضى علتين لا علة واحدة وهما علة فاعلة وعلة مادية .

§ ٧ — ولما سبق بنا أن تكلمنا عليها في كتابنا "الحركة" إذ قررنا فيه أنه يوجد من جهة شيء غير متحرك طول الأبد كله ومن جهة أخرى شيء على ضد ذلك واقع في حركة أبدية . فدراسة المبدأ غير المتحرك للأشياء تتعلق بفلسفة أخرى عليا . وأما المحرك الذي يحرك كل البقية، لأنه هو نفسه قد حرك بحركة مستمرة، فاننا سنتكلم عليه فيما بعد عند ما نوضح ما هي علة كل واحدة من الظواهر الخاصة . وهنا تقتصر على علاج هذه العلة التي تظهر بصورة مادة والتي تجعل أن كون الأشياء وفسادها لا يتخلفان في الطبيعة . ولكن هذه المناقشة قد تجلو أيضا الشك الذي أثارناه آنفا وسيرى كيف ينبغي أن يعنى أيضا بالفساد المطلق وبمطلق كون الأشياء .

§ ٨ — ومع ذلك فانها مشكلة محيرة أن يعرف ماذا عسى أن تكون العلة التي تدبر وتسلسل تناسل الأشياء اذا فرضنا أن ما يفسد يرجع الى العدم وأن الوجود ليس شيئا . لأن ما ليس موجودا ليس جوهرًا ولا كيفًا ولا كمًّا ولا أينًا الخ لأنه حينئذ ما دام في كل آن واحد من الكائنات يبيد وينعدم كيف يتأتى أن العالم بتمامه لم يكن قد فنى منذ زمان طويل ألف مرة اذا كان المنبع الذي يأتي منه كل واحد من

§ ٧ — في كتابنا "الحركة" — هذا العنوان يدل على كتاب الطبيعة . — إذ قررنا فيه — ر . الطبيعة ك ٨ ب ٣ ف ٢ من ترجمتنا . ر . أيضا أوائل كتاب الطبيعة والتحقيق الخاص للعنوانات المختلفة لهذا الكتاب . — بفلسفة أخرى عليا — يعنى ما بعد الطبيعة . ر . الكتاب السابع من ترجمة كوزان . — سنتكلم عليه فيما بعد — ر . الباب العاشر من الكتاب الثانى من هذا المؤلف . — الظواهر — أو الكائنات . — العلة التي تظهر بصورة مادة — يعنى العلة المادية . — لا يتخلفان — هذا هو التعاقب الأبدى للكائنات . ولكن في مذهب أرسطو لما أن العالم ليس له أول ولا ينبغي أن يكون له آخر فتعاقب الكائنات يجب أن يستمر كما نرى . وهذه المسئلة قد بحثت أيضا في الكتاب الثامن من الطبيعة ب ٧ ف ٤ وفى الكتاب الثالث ب ٥ ف ٤ — بالفساد المطلق وبمطلق كون الأشياء . — يعنى إمكان أن شيئا يحى من العدم ويرجع اليه .

§ ٨ — التي تدبر وتسلسل — ليس في النص الا كلمة واحدة . — يرجع الى العدم — أو «يذهب الى العدم» . — ليس جوهرًا ولا كيفًا — أعنى في أى مقول من المقولات . — ولا أينًا — ليس هنا الأربعة مقولات معدودة عوضا عن عشرة . لذلك وضعت لفظ ... الخ . — العالم بتمامه — عبارة النص

هذه الكائنات محدودة ومتناهية؟ في الحق اذا كان هذا التوارث الأبدى لا ينقطع البتة فليس ذلك بأن الينبوع الذى تصدر منه الكائنات يكون غير متناه لأن ذلك محال تماما ما دام أنه في الواقع لا شيء غير متناه . وأنه إنما يكون فقط بالقوة أن شيئا يمكن أن يكون غير متناه في القسمة . وقد وضعنا أن القسمة هي وحدها محل عدم الانقطاع وعدم الفوات لأنه يمكن دائما الحصول على كمية أضعف فأضعف . ولكنا هاهنا لا نرى وجهها للمشابهة . أفلا تصير أبدية التعاقب ضرورية بهذا السبب وحده أن فساد شيء هو ككون شيء آخر وأن العكس بالعكس كون هذا موت ذلك أو فساده ؟ .

§ ٩ — وبهذا تلقى علة يمكنها أن تكفى لتوضيح كل شيء بالنسبة لكون الأشياء وفسادها ، هاهنا في عمومها وهناك في كل فرد من الكائنات بخصوصه . على أنه مع هذا يلزم البحث في أنه لماذا عند الكلام على بعض الأشياء يقال بطريقة مطلقة إنها تكون وتهلك في حين أنه عند الكلام على بعض أشياء أخرى لا يقال ذلك على إطلاقه ، اذا كان حقا أن كون موجود بعينه هو عين فساد آخر واذا كان العكس بالعكس فساد هذا هو كون لذلك . § ١٠ — هذا التباين في التعبير يقتضى أيضا أن يفسر ما دام أننا نقول عن كائن في حالة بعينها إنه فسد . مطلقا لا أنه فسد من وجه بعينه فقط وما دمنا نصرف الكون الى معنى مطلق كما نصرف الفساد سواء بسواء .

بالضبط «الكل» . — محدودة ومتناهية — ليس في النص الا كلمة واحدة . — هذا التوارث الأبدى — عبارة النص ليست بهذا الوضوح . — وقد وضعنا — ر . الطبيعة نظرية اللانهاية ك ٣ ب ٥ ف ٤ . وب ٢ ف ٥ . — أضعف فأضعف — ذلك في الحق هو نظرية أرسطو في الطبيعة . ولكن يظهر أنه يمكن أن يكون نمو الأشياء غير متناه وكذلك قسمتها مادام الموضوع من كل وجه كميات تخيلية محضة . — بهذا السبب وحده أن فساد شيء — هذا الفرض عينه موجود في كتاب الطبيعة ك ٣ ب ١٢ ف ٢ من ترجمتنا . § ٩ — هاهنا في عمومها — النص ليس بهذه الصراحة . — بطريقة مطلقة — من غير تحديد ولا تقييد من أى نوع .

§ ١٠ — هذا التباين في التعبير — عبارة النص هي : «هذا» فقط . — إنه فسد مطلقا — يعنى أنه يمر من الوجود الى الالوجود بوجه تام وينقطع عن الوجود بعد أن يبق فيه زمنا ما . — من وجه

على ذلك فشيء بعينه يصير شيئا آخر بعينه ولكنه لا يصير على الإطلاق . انظر مثلا كيف نقول عن شخص يتعلم إنه يصير عالما ولكننا لا نقول من أجل ذلك إنه يصير ويكون على الإطلاق . وبإدكار ما قلناه غالبا من أن بعض الأسماء تدل على جوهر حقيقي والبعض الآخر لا يدل عليه يمكن معرفة من أين تأتي المسئلة المطروحة ها هنا . لأنه يهم كثيرا أن يعين فيم يتغير الشيء الذي يتغير، مثال ذلك تحول الشيء الذي يصير نارا يمكن أن يسمى كونا مطلقا ولكن أيضا فسادا لشيء للأرض مثلا . وكذلك كون الأرض هو بلا شك أيضا كون، ولكنه ليس كونا مطلقا مع أنه فساد مطلق ومثلا فساد النار .

§ ١١ — بهذا المعنى كان پرمينيد لا يعترف إلا بشيئين في الدنيا الموجود واللا موجود وهما عنده النار والأرض . على أنه ليس من المهم افتراض هذه العناصر أو عناصر أخرى مشابهة لها لأننا لا نبحث إلا في الطريقة التي بها تحصل

بعينه فقط — يعني مثلا أن شيئا يصير أبيض بعد أن كان أسود فإنه لا ينقطع بذلك عن أنه كائن مطلقا . وفقط أنه انقطع عن كونه أبيض . وأنه فسد من حيث إنه أبيض دون أن يفسد حقيقة . — عن شخص يتعلم — وأنه على ذلك لم يكن بعد عالما ثم يصير إذا عالما . ولكن لا يمكن أن يقال بوجه مطلق إنه يصير كما لو أنه ولد مثلا . — إنه يصير ويكون — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — ما قلناه غالبا — يمكن أن يراجع كتاب المقولات ب ٤ ف ١ . — بعض الأسماء — عبارة النص غير محدودة . — جوهر حقيقى — عبارة النص بالضبط "شيء معين" . — فسادا لشيء للأرض مثلا — يعني أن الأرض يجب أن تفسد لتصير نارامع التسليم بأن هذا التحول يمكن كما يفترضه پرمينيد . — فساد النار — الملاحظة بعينها .

§ ١١ — الموجود واللا موجود — في كتاب الطبيعة ك ١ ب ٦ ف ١ هو البارد والحار لا الموجود واللا موجود اللذان اعتبرهما پرمينيد العنصرين الأولين . ومع ذلك فإن البارد والحار هما مرادفان أيضا في ذلك الكتاب للأرض والنار . — على أنه ليس من المهم — يحس أرسطو هاهنا أن تحول الأرض الى نار أو النار الى أرض فرض غريب في بابه . — لا في موضوعها — يعني الموضوع الذى فيه تتحقق الظواهر والذى يمكن أن يكون على السواء الأرض أو النار أو أى جسم آخر كيفما اتفق . فإن الجوهر يمكن أن يتغير ولكن الظاهرة هي دائما هي بعينها . ومع ذلك فإن أرسطو قد بين عبارته بيانا وضعا فما يلي .

الظواهر لا في موضوعها . إذا التفسير الذى يوصل الأشياء إلى الوجود المطلق إنما هو فساد مطلق وبالعكس ما يوصلها مطلقا إلى الوجود هو كون مطلق . ولكن مهما كانت الجواهر التى يعتبر فيها الكون والفساد سواء النار أو الأرض أو أى عنصر آخر مشابه فان الكون والفساد لا يزالان أحدهما للوجود والآخر للآوجود .

§ ١٢ — هذا إذا هو فرق أول فى التعبير يمكن تقريره بين الكون والفساد المطلقين وبين الكون والفساد اللذين ليسا مطلقين . و فرق آخر يمكن أن يميزهما وهو المادة التى يحصلان فيها أيا كانت هذه المادة فالتى تدل فصولها دلالة أكثر على هذه الحقيقة بعينها أو تلك هى أيضا أدخل فى الجوهرية والتى تدل فصولها دلالة أكثر على العدم هى أدخل فى الوجود . وعلى ذلك فالحرارة مقولة ما ونوع حقيقى وعلى الضد البرودة فانها ليست إلا عدما . وبهذه الفصول بعينها تميز الأرض والنار .

§ ١٣ — عند العامى ، إنما يقترن الفرق على الأخص بين الكون وبين الفساد هو أن الواحد مدرك بالحواس وأن الآخر ليس كذلك . ففى وجد تغيير فى مادة محسوسة قال العامى إن الشئ يولد ويكون كما يقول إنه يموت ويفسد حينما يتغير

— التغير الذى يوصل — ليس النص بهذه الصراحة . — سواء النار أو الأرض — كما يريد برمينيد . — أحدهما للوجود — وهو الكون أو التولد . — والآخر للآوجود — وهو الفساد أو التلف .

§ ١٢ — فرق أول فى التعبير — ليست عبارة النص على هذا الضبط . — التى يحصلان فيها — أضفت هذه الكلمات لإيضاح الفكرة . — هذه الحقيقة بعينها أو تلك — عبارة النص هى بالبساطة « شئ بعينه » . — وعلى ذلك فالحرارة مقولة — قد لا يكون هذا المثل مختارا اختيارا حسنا . فإذا كان البرد هو عدم الحرارة فقد يمكن القول أيضا بأن الحرارة عدم البرودة . فان الحرارة والبرودة هما على السواء كيفان أحدهما ضد الآخر . — تميز الأرض والنار — ر . الفقرة السابقة . وعلى حسب تفسير فيلو بون أن النار أدخل فى الجوهرية من الأرض . فانها الإيجاب أو الملكة فى حين أن الأرض ليست إلا العدم . ر . آخر الفقرة الآتية .

§ ١٣ — الفرق بين الكون وبين الفساد — الترجمة أضبط من النص . — ففى وجد تغيير — الترجمة أضبط من النص . — يولد ويكون ... يموت ويفسد — ليس فى النص فى كلا الطرفين إلا كلمة

الى مادة غير مرئية . ذلك بأن الناس يعترفون على العموم الوجود واللاوجود تبعاً لما إذا كانوا يحسّون الشيء أو لا يحسّونه . كما أنهم يعتبرون الموجود ما يعرفونه واللاموجود ما يجهلونه . فينشد الحس هو الذى يؤدى وظيفة العلم . وكما أن الناس لا يدركون حقيقة حياتهم وكونهم إلا لأنهم يحسّون أو يمكنهم أن يحسّوا ، كذلك أيضاً إدراكهم لوجود الأشياء إذ يبحثون عن حقيقتها وما هم بواجديها فيما يقولون . § ١٤ — ذلك أن الكون والفساد المطلقين هما متغايران تماماً تبعاً لاعتبارهما على حسب الرأى العامى أو لاعتبارهما فى حقيقةتهما الواقعية . إذا الهواء والريح أقل من سواهما فى مراتب الوجود من حيث كونهما جسمين إذا كان المرجع فى ذلك الى مجرد شهادة الحواس . ومن أجل ذلك يظن أن الأشياء التى فسدت مطلقاً تفسد بالتحول الى هذين العنصرين فى حين أنه يعتقد أن الأشياء تولد وتكون متى تحولت الى بعض عناصر يمكن لمسها أى الى أرض مثلاً . ولكن فى الحق ذانكم العنصران هما جوهر ونوع أكثر من الأرض نفسها .

§ ١٥ — إذا قد وضع ما يدل على انه يوجد الكون المطلق من حيث كونه فساداً لشيء والفساد المطلق من حيث كونه كوناً لشيء أيضاً . وهذا يتعلق ،

واحدة . — إدراكهم لوجود الأشياء — يعنى على حسب أن الأشياء محسوسة أو غير محسوسة أو لا يمكن أن تحس . § ١٤ — على حسب الرأى العامى — يمكن ترجمتها أيضاً هكذا : « أخذنا بمجرد الظاهر » . — أقل من سواهما فى مراتب الوجود من حيث كونهما جسمين — عبارة النص هى بالضبط « أقل » فقط — الى مجرد شهادة الحواس — ما دام أن الهواء والريح يحسّان أقل من العناصر الكثيفة مثل الأرض والماء . — الى هذين العنصرين — الهواء والريح . — مثلاً — زدت هذا اللفظ لتام الفكرة . — ونوع — أو صورة . وليس لفظ النص بأكثر ضبطاً من اللفظ الذى التزمت استعماله . — أكثر من الأرض نفسها — ربما كان اللازم بيان علة هذه النظرية التى يظهر لأول وهلة أنها مشكلة . أما فيلويون فيزعم أن الهواء على الحقيقة أكثر جوهرية من الأرض لأنه يحيط بها وأن له فوق ذلك خاصّة الحرارة التى تزيد فى تمدده .

§ ١٥ — إذا قد وضع — ليس هذا الإيضاح جلياً كالمغرب . وربما كان هذا الملخص الذى أثبت هنا سابقاً لوقته . — أنه يوجد — يظهر أن الأحسن هو أن يقال : « إنه يظن أن يوجد » .

في الواقع ، بأن المسادة مختلفة إما لأن الواحدة جوهر في حين أن الأخرى ليست
جوهرا وإما لأن الواحدة هي أكثر وأن الأخرى أقل وإما لأن المسادة التي يأتي
منها الشيء والتي يذهب اليها هي أقل أو أكثر حسية . ويقال على الأشياء تارة
إنها تولد وتصير بالاطلاق وتارة يقال بالتعيين إنها تصير هذا الشيء بعينه أو ذاك
من غير أن يأتي واحد من الآخر بالتكافؤ على النحو الذي نعينه هاهنا . ونحن
نقتصر في الواقع الآن على إيضاح لماذا — ما دام أن كل كون هو فساد لشيء
آخر وأن كل فساد هو كون لشيء آخر أيضا — نحن لا نُسند على هذا الوجه عينه
الكون والفساد الى الأشياء التي تتغير بعضها في البعض الآخر .

§ ١٦ — على أن هذا لا يحل المسئلة التي كنا وضعناها لأنفسنا حلا نهائيا .
بل هو يوضح لماذا يقال عن واحد يتعلم إنه يصير عالما لا أنه يصير مطلقا في حين
أنه بالنسبة لشيء ينشأ طبيعة يقال بطريقة عامة إنه يولد ويصير . تلك هي التعيين
أى المقولات المختلفة التي بعضها يدل على الموجود الحقيقي والجزئى والآخر يدل
على الكيف والآخر على الكم . وبالتالي لا يقال البتة على كل الأشياء التي لا تدل على جوهر

ولكني لم أجزئ على الخطرة بهذا التغير . — المادة — عبارة النص هي غير معنية أيضا كاللفظ الذي استعملته
في الترجمة فإنه يمكن أن يسأل : مادة أى شيء هي ؟ . — الواحدة — يعنى من هذين الشئين .
— جوهر — يعنى شيئا شخصا وخصا . — هى أكثر — أو عبارة أخرى « الواحدة لها وجود أكثر بروزا
وللاخرى وجود أقل حسية » . — تولد وتصير — لا يوجد إلا كلمة واحدة في النص الإغريق .
— بالتعيين — أو فقط . — الذى نعينه هاهنا — إذ نقول إن التولد المطلق هو فساد شيء آخر وإن الفساد المطلق
هو أيضا تولد . — نحن لا نُسند على هذا الوجه عينه — كل هذه القيود دقيقة وغامضة . — الى
الاشياء التي تتغير بعضها في البعض الآخر — تلك هى الأحوال المختلفة التي بها يمر جسم بعينه كما يفهم من سياق
الكلام الآتى . وليس هذا بالمعنى الخاص فسادا لكيف أو كونا له بل هو مجرد تعاقب .

§ ١٦ — التى كنا وضعناها لأنفسنا حلا نهائيا — على الروابط الحقيقية بين الكون المطلق وبين
الفساد المطلق . — إنه يصير عالما — إذ أن جهله يتقلب علما كما أن علوه يمكن أن يتقلب جهلا إذا نسي
ما حفظه . — ينشأ طبيعة — كلمة النص يظهر لى أن لها ما لهذا اللفظ الذى استخدمته في الترجمة من
القوة . — إنه يولد ويصير — لا يوجد في النص إلا كلمة واحدة . — بعضها ... الموجود الحقيقي والجزئى —

إنها تصير بطريقة مطلقة بل إنها تصير كذا أو كذا من الأشياء . ومع ذلك فإن الكون في كل الأحوال على السواء لا ينطبق انطباقا صريحا إلا على الأشياء الداخلة في إحدى المجموعتين . مثلاً في مقولة الجوهر يقال إن الشيء يصير إذا تكون نار . ولا يقال ذلك إذا كان الذي يكون هو أرضا . وفي مقولة كيف يقال عن الشيء إنه يصير إذا صار الكائن عالماً لا إذا صار جاهلاً . § ١٧ — إذا فانظر كيف نوضح لماذا بعض الأشياء يكون بطريقة مطلقة وكيف أن البعض الآخر لا يكون لا بطريقة مطلقة ولا أصلاً حتى في الجوهر أعيانها . وقد قلنا أيضاً لماذا الموضوع من حيث هو مادة هو علة الكون المستمر الأبدى للأشياء نظراً إلى أنه يمكن على السواء أن يتغير في الأضداد وأنه بالنسبة للجواهر كونٌ ظاهرة هو دائماً فساد لآخرى وبالتكافؤ أن فساد هذه كون لتلك .

وهو مقوله الجوهر . والنص أقل ضبطاً من ذلك . — والآخر على الكم — لا يوجد ها هنا إلا ثلاث مقولات على التعداد مع أن المقولات عشرة . ر . كتاب المقولات ب ٤ ص ٥٨ من ترجمتنا . — إنها تصير كذا أو كذا من الأشياء — يعني أنها تتغير بالكيف أو بالوضع ما دام المفروض ضرورة أن الجوهر هو ثابت تحت جميع المقولات . — في إحدى المجموعتين — اللتين إحداهما موجبة والأخرى سالبة . ومع ذلك فإن ما يلي كفيلاً بياضاح هذه الفكرة وإن كانت الحدود التي اتخذت أمثلة ربما لا يكون قد توافر فيها حسن الاختيار . — إذا تكون نار — لأن النار معتبرة حداً إيجابياً في حين أن الأرض معتبرة حداً سلبياً . — إذا كان الذي يكون هو أرضاً — ر . ما سبق ف ١٤ — إذا صار الكائن عالماً — هذا هو الحد الإيجابي في حين أن الجاهل حد سلبى ولكن في الحالة الأولى والأخرى يقال أيضاً إنه يصير عالماً أو يصير جاهلاً . وكل هذا هو غاية في الدقة .

§ ١٧ — حتى في الجواهر أعيانها — يعني في حالة ما إذا كان شيء مع كونه موجوداً أقل في مرتبة الوجود من آخر لأنه تابع له . ر . ما سبق ف ١٥ . — الموضوع من حيث هو مادة — الموضوع يبقى لأنه مادياً محل الأضداد التي تحل فيه وتتعاقد عليه . فالموضوع يبقى مع تغيره . — المستمر الأبدى — لا يوجد في النص إلا كلمة واحدة . — كونٌ ظاهرة — أو بعبارة أخرى تغير الكيفيات . فإن كون الأسود هو فساد للأبيض وكون الأبيض هو فساد للأسود . والموضوع الذي يصير على التناوب أسود وأبيض لا يزال باقياً .

§ ١٨ — على أنه لم يبق محل لأن يتساءل لماذا أن هذا الفساد الدائم للوجودات هو الذى يجعل أن شيئا يمكن أن يكون . لأنه كما يقال إن شيئا هو فاسد مطلقا حينما يمر الى الالامحسوس وإلى الالاموجود كذلك يمكن أن يقال إنه يكون ويأتى من الالاموجود متى أتى من الالامحسوس . والنتيجة أنه سواء أكان هناك موضوع أولا أم لم يكن فإن الشيء يأتى دائما من العدم بحيث إن الشيء فى آن واحد حين يكون يأتى من الالاموجود وحين يفسد يعود الى الالاموجود أيضا . وهذا هو الفاعل فى أنه ليس يوجد انقطاع ولا خلق . لأن الكون هو فساد الالاموجود والفساد هو كون العدم . § ١٩ — ولكن قد يتساءل عما اذا كان هذا الالاموجود المطلق هو ثانى الضدين . ومثلا لما أن الأرض وكل ما هو ثقيل هو الالاموجود إذا كانت النار وكل ما هو خفيف هى أو ليست هى الموجود . ولكن يمكن ان يقال أيضا إن الأرض هى الموجود وإن الالاموجود هو مادة الأرض كما أنه هو مادة النار على السواء . ولكن هل مادة أحد هذين العنصرين ومادة الآخر هى إذا مختلفة ؟ وهل من المحال

§ ١٨ — أن هذا الفساد الدائم للوجودات — ليس النص على هذا القدر من الصراحة فى كل هذا الموطن . — حينما يمر الى الالامحسوس — ر . ما سبق ف ١٣ . — فإن الشيء يأتى دائما من العدم — قد اتخذت عبارة كهجاءة النص فى أنها عامة غامضة . وبعبارة أخرى : سواء كان هناك مجزء تغير فى الكيف فالظاهرة تأتى دائما مما لم يكن . — انقطاع ولا خلق — ليس فى النص إلا كلمة واحدة . ومع ذلك فن فرط التعمق أو بالحرى من الإسراف اللغوى أنه يمكن التكلم عن كون العدم أو فساده .

§ ١٩ — هو ثانى الضدين — الذى ليس كائنا بالفعل ولكنه يمكن أن يكون بأن يشغل محل الضد الذى هو كائن . — لما أن الأرض وكل ما هو ثقيل هو الالاموجود — ضد الرأى العامى الذى يسند إلى الأرض وجودا أكثر من وجود الهواء والنار بحجة أن الحواس تدركها أكثر . ر . ما سبق ف ١٣ . — أن الأرض هى الموجود — يظهر فى الحق أنه من الصعب إنكار ذلك . — وإن الالاموجود هو مادة الأرض — لا يظهر أن الالاموجود يمكن أن يكون مادة لأى شىء ما إلا أن يصرف ذلك إلى المعنى المجزء المحض حيث كان القول فيأمر . — وهل من المحال أن يأتى أحدهما من الآخر — هذا ما يشبه أن لا يعتمد إلا على شهادة الحواس . — لها أضداد — قد يكون أضبط من ذلك بيانا أن يقال إنها بعضها لبعض ضد .

أن يأتي أحدهما من الآخر كما هو الحال في الأضداد . لأن النار والأرض والماء والهواء لها أضداد أو هل أن مادتها هي واحدة من وجه وهل ليست مختلفة إلا من وجه آخر؟ لأن ما هو موضوع من وجه ومن آخر هو واحد ولكن شكل الوجود هو وحده الذي ليس واحدا . على أننا نقف عند ما قلناه في هذا الموضوع .

— ما هو موضوع — يعني المادة مأخوذة على معناها المجرد لا على المعنى الحقيقي بالفعل . — شكل الوجود هو وحده — هذا تمييز من لازمات أرسطو وهو في الغالب غاية في الصحة والضبط . — نقف — لا يظهر مع ذلك أن الموضوع قد انتهى ولا أنه على الخصوص قد وضح بقدر الكفاية من الإيضاحات التي سبقت .

الباب الرابع

فصول الكون والاستحالة — تمييز الموضوع ومحمول الموضوع — حد الاستحالة — أمثلة مختلفة — حد الكون المطلق وأمثلة متنوعة — آخر المقارنة بين الكون والاستحالة .

§ ١ — يجب الآن توضيح بماذا يختلف الكون والاستحالة لأننا نرى أن هذين التعبيرين للأشياء هما متميزان تماما أحدهما من الآخر نظرا إلى أن الموضوع الذي هو كائن حقيقي والتكيف الذي هو طبعا محمول على الموضوع هما في غاية الاختلاف وأنه يجوز أن يقع التغير بأحدهما وبالأخر . § ٢ — توجد استحالة متى كان الموضوع ، وهو باق بعينه وهو دائما محسوس ، يلحقه تغير في خواصه المخصوصة التي يمكن أن تكون مع ذلك أضدادا أو أوساطا . على ذلك مثلا الجسم هو صحيح ثم هو مريض مع بقائه هو بذاته . وكذلك أيضا النحاس هو تارة مستدير وتارة ذو ذوايا مع بقائه جوهريا هو بعينه . § ٣ — ولكن حينما الموجود يلحقه التغير بكميته دون أن يبقى منه شيء محسوس من جهة أنه موضوع واحد وبجذبه وأن الدم مثلا يتكون بأن يأتي من كل النطفة وأن الهواء يأتي من كل الماء

§ ب ٤ ف ١ — الكون والاستحالة — الكون أو التولد هو الحركة في الجوهر يعني الحركة التي تسير مما ليس موجودا إلى ما هو موجود أي من اللاوجود إلى الوجود . وأما الاستحالة فهي الحركة التي تغير في الموضوع كقياساته وتعقبها أضدادها . ر . الطبيعة ك ٣ ب ٣ ف ٨ وك ٧ ب ٤ ف ٣ من ترجمتنا . — التغير بأحدهما وبالأخر — لفظ تغير مصروف هنا إلى معنى الحركة .

§ ٢ — توجد استحالة — حد الاستحالة هذا لا يبعد في شيء عن الحد الذي أعطى في كتاب الطبيعة . — وهو دائما محسوس — أو بعبارة أخرى : حقيقة متميزة وشخصية يمكن أن تدركها حواسنا . — أضدادا أو أوساطا — مثلا الجسم وهو يميز من الأسود إلى الأبيض أو وهو يميز بجميع الألوان المتوسطة التي بين ذينك اللونين . — مع بقائه هو بذاته — من حيث الجوهر . وهذا هو الشرط الأساسي وبدونه لا يمكن أن تقع الاستحالة . — جوهريا — أضفت هذه الكلمة لزيادة بيان المعنى .

§ ٣ — ولكن حينما الموجود يلحقه التغير — حد للكون أو لصيرورة الأشياء . — بكميته — هذا هو الشرط الأساسي للتولد وإلا فلا يكون التغير الاستحالة . — الدم يتكون بأن يأتي من كل النطفة —

أو بالعكس الماء من كل الهواء . حينئذ يوجد في هذه الحالة كون للواحد وفساد للآخر . وهذا حق على الخصوص متى كان التغير يمر من اللامحسوس الى المحسوس سواء بالنسبة لحاسة اللمس أو بالنسبة لجميع الحواس الأخرى مثلا حينما يوجد كون الماء أوحينا يوجد تحول الماء الى هواء لأن الهواء هو بالمقارنة غير محسوس تقريبا . § ٤ — ولكن في هذه الأشياء إذا بقي لحدى التقابل كيف ما تماثل في الوجود الذى يتولد وفي الذى يفسد وإذا كان مثلا حينما يتكوّن الماء بأن يأتى من الهواء وهذان العنصران هما على السواء شفافان وباردان فإذا لا يلزم بعد أن أحد هذين الكيفين فقط يتعلق بالجسم الذى فيه يحدث التغير . ومتى لم يكن الأمر كذلك فلا يكون إلا مجرد استحالة . مثلا في حالة ما الرجل الموسيقى ينعدم والرجل غير الموسيقى يكون ويظهر، ولكن الرجل لا يزال دائما هو بعينه . وحينئذ إذا لم تكن أصلا خاصة هذا الموجود أو كيفه إلا المهارة في فن الموسيقى أو الجهل به فإذا

الأمر على العكس النطفة هي التى تأتى من الدم الا اذا كان لفظ " النطفة " هاهنا له معنى خاص . — كون للواحد وفساد للآخر — اتخذت تعابير مبهمّة كتعابير النص . — بالمقارنة — زدت هذه الكلمة . § ٤ — ولكن في هذه الأشياء إذا — يرى مفسر وجامعة " كويمبر " بحق أن المعنى في هذه الفقرة مغلق وتوضيحات فيلويون لا تجلو غموضه . ويظهر أن أرسطو يقصد الرد على اعتراض لم يبيته بالضبط . « في الكون يتولد الكائن بكيّته والتغير يلحقه بكيّته . أما في الاستحالة فالكيفيات وحدها هي التى تكون محلا للتغير وإذا متى وقع كون عنصر جديد يمكن أن يتساءل إذا كانت كيفيات الأول يجب أن تزول هي أيضا جميعها معه » . — يجب أرسطو بالسلب متى كان الكيف مشتركاً بين الكائن الذى يزول وبين الكائن الذى يتولد بالتغير . وعلى ذلك فالماء مع أنه يأتى من الهواء الذى انعدم له خواص الهواء من جهة أنه مثله شفاف بارد . هذا هو تفسير المفسرين نقلته هنا . وقد كان من المرغوب فيه أن يكون النص أكثر توسعا . — فقط — زدت هذه الكلمة . — ومتى لم يكن الأمر كذلك — يعنى متى لم يكن للشئ الكائنات الكيفيات عينها التى للشئ الفاسد . — فلا يكون إلا مجرد استحالة — عبارة النص أقل ضبطا . الاستحالة مجرد تغير في الكيف وليس تغيرا جوهريا . — في حالة ما الرجل الموسيقى ينعدم — حفظت أسلوب عبارة النص مع أنه في اللغة اليونانية شاذ كما تراه في الفرنسية . — ولكن الرجل — يعنى الموجود الجوهرى الذى هو تارة موسيقى وأخرى غير موسيقى . — خاصة... أو كيفه — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — إلا المهارة في فن الموسيقى أو الجهل به — النص في غاية من الإيجاز لم تبلغه عبارتي في الترجمة .

يوجد كون لإحدى الظاهرتين وفساد للأخرى . من ذلك يرى لماذا أن تلك ليست إلا كفيات للرجل في حين أن هذا هو كون وفساد للرجل الذى هو موسيقى وللرجل الذى لا يعرف الموسيقى فليس هناك إلا تكيف للموضوع الذى هو ثابت وهذا هو بالضبط ما يسمى استحالة . § ٥ — وإذا حينما يكون تغير حد ضد لآخر حادثا في الكم فتلك زيادة ونقص . ومتى كان ذلك في الأين فتلك هى نقلة . ومتى كان في الملكية الخاصة والكيف فتلك استحالة بالمعنى الخاص . ولكن متى لم يبق شىء مطلقا من الموضوع الذى أحد أضداده هو تغير أو عرض فذلك أنه يوجد كون من وجه وفساد من وجه آخر . § ٦ — وحينئذ فالمادة التى هى على جهة الأولوية والأفضلية الموضوع القابل للكون والفساد . وبوجه ما هى أيضا التى تعانى أنواع التغيرات الأخرى لأن كل الموضوعات مهما كانت فهى قابلة لتقابلات ما بالأضداد .

على أنا نقف هنا فيما كنا نريد أن نقول على الكون والفساد وعلى الاستحالة أيضا لنوضح ما اذا هى تكون أولا تكون وكيف تكون .

— كون... وفساد — كما فى الجواهر . — كفيات — أو تغيرات . — للرجل — الذى يبقى كما هو مع هذه التغيرات المختلفة . — للرجل الذى هو موسيقى — والذى ليس بعد مجرد رجل على المعنى المطلق والجوهري . § ٥ — حد ضد لآخر — عبارة النص "الضدية" ر . المقولات ب ١١٤١ ص ١١٩ من ترجمتنا لتعرف الفرق بين المتقابلات والأضداد . — فتلك زيادة ونقص — فان الموجود يتغير اذا في الكم . فتلك هى نقلة — فان الموجود إذا يتغير فقط في المكان . — فى الملكية الخاصة — أو فى الانفعال . — بالمعنى الخاص — أضفت هاتين الكلمتين لضبط المعنى . § ٦ — المادة — مأخوذة على وجه غير معين البتة كما هو فى الكتاب الأول من الطبيعة ب ٨ ص ٤٧٣ من ترجمتى . — على جهة الأولوية — أو "على الخصوص" . — للكون والفساد — تبعا لأنها تكون أولا تكون . — وبوجه ما — بطريقة ملزومة لا بالطريقة الخاصة . — أنواع التغيرات الأخرى — الزيادة والنقص والنقلة والاستحالة ، وقد لاحظت بحق فيلوفون أن أرسطو لم يكن يباهى فى أى موضع آخر أجلى منه فى هذا الموضوع فيما يتعلق بمحد المادة الذى هو دائما من الصعوبة بمكان .

الباب الخامس

نظرية النمو — الفروق بينه وبين الكون والاستحالة سواء في موضوع النمو أو في الكيفية التي يحصل بها النمو — نقلة الشيء النامي غير المحسوسة — صعوبة إدراكه من أين يأتي النمو في الجسم — كل أجزاء الجسم نمو دفعة واحدة — الشروط الأصلية للنمو هي ثلاثة — المقارنة بين النمو والاستحالة — نظرية جديدة للنمو — تمييز ما بالفعل من ما بالقوة — يلزم أن ما بالقوة يتحقق حتى يوجد النمو — علاقة العنصر الجديد الذي يحدث نمو الجسم بالجسم النامي .

§ ١ — علينا أيضا أن نتكلم على النمو وأن نقول فيماذا يختلف النمو عن الكون وعن الاستحالة وكيف يمكن الأشياء التي تنمو أن تنمو والتي تنقص أن تنقص .

§ ٢ — يلزم إذاً أولاً أن نفحص ما إذا كان الفرق بين هذه الظواهر بعضها والبعض الآخر ينحصر فقط في الموضوع الذي تتعلق به . إن تغيراً يقع من موجود إلى موجود آخر، مثلاً من الجوهر بمجرد القوة إلى الجوهر بالفعل وبالكال هل هو كون وتولد؟ والتغير الذي يقع في العظم هل هو نمو ونقص؟ أو ذلك الذي يحصل في الكيف هل هو استحالة؟ ولكن الظاهرتين الأخيرتين اللتين ذكرناهما أليستا دائماً تغاير أشياء تمر من القوة إلى الفعل والكمال؟ أو أيضاً أليست طريقة التغير

§ ب ه ١ — النمو — على تقدير « وعلى النقص » الذي هو ضد النمو كما أنه تكلم على الفساد بعد الكون . وليس هناك حد يقابل الاستحالة لأنها يمكن أن تقع على الوجهين . وآخر هذه الفقرة يثبت مع ذلك أن أرسطو يتصدى للكلام على النقص كما يتصدى للكلام على النمو .

§ ٢ — في الموضوع الذي تتعلق به — هذه العبارة غامضة قليلاً لعبارة النص، ويمكن ترجمة عبارة النص أيضاً هكذا : « في الموضوع الذي تحصل فيه » . — من الجوهر بمجرد القوة — من الجوهر الذي ليس موجوداً إلى جوهر حقيقي موجود بالفعل كما يخرج حيوان من حيوان يلد . — هل هو كون وتولد — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — الذي يقع في العظم — على وجهه أو على وجه آخر . — الظاهرتين الأخيرتين — زدت لفظ « الأخيرتين » زيادة في البيان . — إلى الفعل والكمال — ليس في النص إلا كلمة واحدة . وإن الكلمتين اللتين ذكرتهما ليست إحداهما إلا ترجمة للآخرى .

هى التى تختلف ؟ وحينئذ الشئ الذى يستحيل بمنزلة الشئ الذى يتولد ويصير لا يظهر أنه يجب لها التغير بالمكان لزوما . ولكن الذى ينمو والذى يذبل يجب أن يتغير بالحيز تغيرا مخالفا لتغير الشئ الذى يتحرك فى الأين . § ٣ — لأن الشئ المتحرك فى الأين يغير مكانه بكيته فى حين أن الذى ينمو لا يتغير إلا كشيء يزلق ويمتد . والموضوع وهو باق فى مكانه أجزاؤه وحدها تغير مكانها . ولكن هذا ليس كحال أجزاء الكرة الدائرة على نفسها لأن هذه الأجزاء تغير محل جسم الكرة كله مع بقاءه فى الحيز بعينه . وعلى الضد من ذلك أجزاء الجسم النامى تشغل حيزا أكثر فأكثر كما أن أجزاء الجسم الذابل تشغل حيزا أقل فأقل .

§ ٤ — يرى حينئذ أن التغير فى شئ يتولد وفى الذى يستحيل وفى الذى ينمو هو يختلف لا بالشئ الذى يقبل التغير فحسب بل أيضا بالطريقة التى يحصل بها التغير . ولكن أما من حيث الشئ ذاته الذى يلحقه تغير النمو وتغير الذبول — من جهة أن النمو والذبول يظهر أنهما لا ينطبقان إلا على عظم — كيف ينبغي إدراك أنه ينمو؟ هل يجب أن يفهم أنه يتكون فى هذه الحالة جسم وعظم فعلى مما ليس هو جسما ولا عظاما إلا بمجرد القوة والذى هو بالفعل وبالكمال ليس له جسم ولا عظم حقيقى؟

— التى تختلف — من الكون ومن الاستحالة الى النمو والى النقص — يتولد ويصير — ليس فى النص إلا كلمة واحدة . — يجب لها التغير بالمكان — بأن يأخذ أكثر أو أقل من الحيز تبعا لحالى النمو والنقص . — الذى يتحرك فى الأين — أو «الذى تلحقه نقلة» .

§ ٣ — مكانه بكيته — يميز المفسرون هاهنا حالين . إما أن الجسم ينتقل بكيته مارا من مكان الى آخر وإما أن أجزاءه هى التى تغير مكانها كحال أجزاء كرة تدور على نفسها دون أن تغير مكانها كما هو مذكور بعد . — يزلق ويمتد — ليس فى النص إلا كلمة واحدة ليست على هذا القدر من الضبط . — أجزاؤه وحدها — أضفت الكلمة الأخيرة . — الدائرة على نفسها — ر . الطبيعة ك ٨ ب ٤ ف ١ ص ٥٥٤ من ترجمتنا . — الكرة — زدت هذا اللفظ . — حيزا أكثر فأكثر — دون أن تغير مكانها .

§ ٤ — فى شئ يتولد ... والذى يستحيل ... والذى ينمو — تلك هى الأنواع الثلاثة الممكنة للتغير . — بالطريقة التى يحصل بها التغير — كما بين هذا فى الفقرة السابقة . — أما من حيث الشئ ذاته — أضفت هذه الكلمة الأخيرة . — أنه ينمو — أضفت هذه العبارة لأنه ظهر لى أنها ضرورية لتكميل الفكرة . وربما يلزم أن يزداد أيضا "ويذبل" كما فعل ذلك عدة من المفسرين . — بالفعل وبالكمال —

غير أن هذا الإيضاح نفسه يمكن أن يحمل على معنى مزدوج ويمكن أيضا أن يتساءل على أى الوجهين يجب أن يحصل النمو . هل هو يأتي من المادة التي تكون منعزلة ومنفصلة في ذاتها؟ أم هل يأتي من المادة التي تكون في جسم آخر؟ ولكن هذين الوجهين لفهم النمو أليسا هما مستحيلين على السواء؟ فإنه إذا كانت في الواقع مادة النمو منعزلة فما ألا تشغل أى جزء في الأين وإما أن تكون كنقطة أو ألا تكون إلا من اخلو وتكون جسما لا تدركه حواسنا . ففي أحد هذين الفرضين لا يمكن أن تكون موجودة . وفي الثاني يجب أن توجد ضرورة في أين لأن ما يأتي منها يجب أن يكون في أين ما بحيث إن هذا الجسم يكون فيه أيضا إما بنفسه أو بالواسطة . § ٥ — ولكن اذا فرض أن المادة هي في جسم وأنها انفصلت عنه بحيث إنها لا تؤلف البتة جزءا من هذا الجسم لا بذاتها ولا بالعرض فينتج من هذا الفرض طائفة من المستحيلات البينة . وتوضيحه : مثلا اذا تكوّن هواء آتٍ من الماء فذلك ليس لأن الماء يتغير بل لأن مادة الهواء تكون محوية في الماء الذي يكونه كما لو كانت في آنية ما لأنه لا شيء يمنع من أن تكون المواد غير متناهية في العدد بحيث

ليس في النص إلا كلمة واحدة . — يحمل على معنى مزدوج — هذا التعليل ربما كان مجاوزا إلى حد أبعد مما يلزم ويظهر عليه أنه دقيق بعض الشيء . — منعزلة ومنفصلة — ليس في النص إلا كلمة واحدة ومع ذلك لا يرى كيف أن المادة يمكن أن تنزل وتفصل دون أن تؤلف جسما . — لفهم النمو — أضفت هذا لتكميل الفكرة . — أى جزء في الأين — أو "أى حيز" . — لا يمكن أن تكون موجودة — ليس النص على هذه الصراحة . — في أين ما — ليس النص على هذه الصراحة . — ما يأتي منها — التعبير مبهم ولكن النص ليس أقل إبهاما . — بحيث إن هذا الجسم — أو بالأولى : « هذه المادة » المنعزلة التي منها يجب أن يخرج الجسم الحقيقي . — أو بالواسطة — عبارة النص بالضبط « أو بالعرض » ويلزم دائما أن يذكر أن المقصود هاهنا هو مادة النمو لا المادة على العموم .

§ ٥ — في جسم — عبارة النص غير معينة وهي « في شيء ما » ومع ذلك فانه يجب تقدير أن المادة هي في جسم ينو كما يدل عليه المثل الآتي الذي فيه الهواء يتكون بخروجه من الماء . — لأن الماء يتغير وهذا هو التفسير العام والطبيعي . — كما لو كانت في آنية ما — ليس عليها إلا أن تخرج منها جاهزة دون أن تعاني تأثيرا جديدا . — المواد — التي يمكنها أن تفعل النمو . — غير متناهية في العدد — أو فقط « غير

يمكنها أيضا أن تكون بالفعل وبالحقيقة . يلزم أن يضاف زيادة على هذا أنه ليس كذلك أن الهواء يظهر أنه يأتي من الماء كما لو أنه كان يخرج من جسم يبقى دائما على ما كان عليه .

يحسن حينئذ افتراض أن المادة هي غير قابلة للانفصال في جميع الأجسام وهي واحدة ومتماثلة عدديا ولو أنها ليست واحدة ولا متماثلة في نظر العقل .

٦٤ — وبالأسباب عنها لا ينبغي افتراض أن مادة الجسم ليست الا نقطا أو خطوطا لأن المادة هي بالضبط ما تكون النقط والخطوط نهايات لها . فهي لا يمكنها أبدا أن تقوم بدون خاصية ما ولا بدون صورة . وعلى ذلك حينئذ فإن شيئا يأتي دائما من شيء آخر مطلقا كما سبق بيانه في غير هذا الموضع . وهو يأتي من شيء موجود بالفعل وبالكمال إما من جنسه أو من صورته . مثال ذلك النار هي تكون بالنار والرجل هو يكون بالرجل أعني بحقيقة ، بكمال ، لأن الصلب لا يمكن أن يأتي من مجرد كيف الصلب . والمادة هي المادة لجوهر جسماني أعني مادة جسم خاص معين ما دام الجسم لا يمكن أبدا أن يكون شيئا مشتركا . وهي هي ذاتها سواء في العظم

متناهية» كعبارة النص . — بالفعل وبالحقيقة — ليس في النص الا كلمة واحدة . — أن الهواء يظهر أنه يأتي من الماء — يعني أنه يوجد تغير نعل يصير الماء هواء ، وأن الهواء لا يخرج تماما من الماء . — أن المادة — أى مادة النمو . — في جميع الاجسام — ربما يكون الأحسن قصر الفكرة والقول «في الجسمين المذكورين» . — عدديا في نظر العقل — هذه من التمايز التي اعتادها أرسطو .

٦٥ — ليست الا نقطا أو خطوطا — وهذا ما يقول به الى ألا يكون له حقيقة فعلية أكثر من حقيقة الموجودات الرياضية . — نهايات — لأن النقط نهايات للخط والخطوط نهايات للسطوح . — بدون خاصية ما — تصيره مدركا بحواسنا وتجعل منه جسما حقيقيا . — ولا بدون صورة — أسهل للإدراك من مجرد خاصية . — شيئا — أو «كائنا» . — كما سبق بيانه في غير هذا الموضع — يحيل فيلوبيون على الكتاب الأول من الطبيعة حيث درس هذا الموضوع كما يقول . وفي الحق أنه يوجد في الطبيعة ك ١ ب ٨ ف ٩ ص ٧٨ من ترجمتنا مناقشة مشابهة لهذه . — بالفعل وبالكمال — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — من صورته — أو «من نوعه» . — من مجرد كيف الصلب — ليس النص هكذا صريحا . فان الصلابة تخص بجسم حقيق ولا يمكنها بذاتها أن تنتج شيئا . — مشتركا — كالمثل التي قال بها أفلاطون فانها مشتركة

أو في كيف العظم قابلة للانفصال في نظر العقل ولكن غير قابلة للانفصال في الأين إلا أن يفترض أن الخواص يمكنها أن تنفصل عن الأجسام الحائرة لها .

§ ٧ - بين حينئذ على حسب هذه المناقشة أن النمو في الأشياء ليس تغيرا يأتي من عظم بالقوة المحضة دون أن يكون له امتداد ما بالفعل وبالكمال لأن كيف المشترك حينئذ يكون قابلا للانفصال . وقد سبق فيما تقدم في غير هذا الموضع أن هذا كان شيئا محالا . وفوق ذلك فإن تغيرا من هذا القبيل ينطبق على الخصوص لا على النمو بل على الكون . لأن النمو ليس إلا ازديادا في عظم موجود من قبل كما أن الذبول ليس إلا انتقاصا له . فانظر لماذا يلزم أن يكون أولا للجسم الذي ينمو عظم ما . وبالنتيجة لا يمكن أن النمو الذي يمر الى واقعية العظم يأتي من مادة مجردة من كل عظم لأن هذا أولى به أن يكون كوناً لا أن يكون نموا حقا .

§ ٨ - فالأفضل حينئذ أن نأخذ بهذا البحث من جديد كما لو كنا في البداية تماما وأن نبحث ثانيا عما يمكن أن تكون هي أسباب نمو الأشياء ونقصها بعد

بين جميع الكائنات التي تشترك فيها . — إلا أن يفترض — كما يزعم أرسطو أن أفلاطون افترضه في نظريته في المثل . — الخواص — أو الكيف .

§ ٧ - من عظم بالقوة المحضة — ر . ما سبق في آخر الفقرة الثانية . — كيف المشترك — لاحظ فيلو بون أنه يوجد هاهنا رواية أخرى وأن في بعض النسخ الخطية تحريفا في حرف واحد به يكون اللفظ دالا على " الخلو " بدل " الكيف المشترك " . وقد حاول فيلو بون أن يبرر استقامة التعبيرين جميعا . ولكن التعبير الذي اتخذته يظهر لي أنه الأفضل . و " الكيف المشترك " هاهنا يجب أن يصرف الى المثل . والتعبير الثاني يمكن أن يستند الى آخر الفقرة الآتية . — في غير هذا الموضع — على رأى فيلو بون في الكتاب الرابع من الطبيعة . ولكن لم أجد في ذلك الكتاب الرابع هذا المعنى . بل يوجد في الكتاب الأول منها شيء من هذا القبيل ر . ب ه ف ١٢ ص ٤٦٠ من ترجمتنا . — تغيرا من هذا القبيل — يعنى يمر من القوة الى الفعل ، من الامكان المحض الى الوجود الحقيقي . وفي الحق أن هذا يكون كوناً لا نمواً . فإن الشيء يولد لا أنه ينمو . — أولا — أضفت هذه الكلمة لتكميل الفكرة . — واقعية العظم — يعنى الذى يدفع عظم الشيء الى أبعد ما يمكن أن يبلغه في النظام الطبيعى للأشياء . — أولى به أن يكون كوناً — تكرر لما قيل آنفا .

§ ٨ - فالأفضل حينئذ — يظهر أن المناقشة كانت إلى الآن من الجد بحيث لا محل لإعادتها بل يكفى الاستمرار فيها . — بعد أن أثبتنا ماذا يعنى — النص ليس على هذا القدر من الصراحة ولكن الترجمة

أن أثبتنا ماذا يعنى بنا أو نقص . فى شىء ينمو يظهر إذا أن جميع الأجزاء بلا استثناء تنمو . كما أنه فى النقص جميع أجزاء الشىء يظهر أنها تصير أكثر فأكثر صغيرة . وفوق ذلك فإن النمو يظهر أنه يحصل بأن شيئاً ينضم الى الجسم والاضمحلال بأن شيئاً يخرج منه . ولكن النمو لا يمكن أن يحصل بالضرورة إلا بشىء ما لا جسمانى أو جسمانى فإذا كان باللاجسمانى فالجزء المشترك يكون قابلاً للانفصال ومن المحال أن توجد مادة منفصلة عن كل عظم كما قيل آنفاً . وإذا كان بشىء ما جسمانى حصل النمو فينتج عنه أن هناك جسمين فى حيز واحد بعينه أى حيز الذى ينمو وحيز الذى يفعل النمو وذلك هو أيضاً محال . § ٩ — بل لا يمكن أن يقال إن نمو الأشياء ونقصها يمكن حصولها بالطريقة عينها التى بها يأتى الهواء من الماء مثلاً ما دامت حينئذ كتلة الهواء قد صارت أعظم مقدارا . إذاً ليس فى هذا مجرد نمو للماء بل هذا هو كون لجسم جديد فيه تغير الجسم الأول وهذا هو فساد لضده . وليس ذلك نمو لا لأحدهما ولا للآخر . ولكن إما أن ليس هذا نمو لشيء وإما أنه نمو لهذا

التي أعطيها سنداً الى شرح فيلوبون . — يظهر إذاً — سبك العبارة يؤيد تفسير المفسر الاغريقى للفقرة السابقة . — الجزء المشترك — ر . ما سبق فى الفقرة السابعة وما سبيل فى الفقرة التاسعة . فان الجزء المشترك لا يمكن هاهنا أن يدل إلا على الهوى مجردة عن كل صورة ومشترك بالنتيجة لجميع الأجسام . وهذا تجريد محض . وفى هذا الموضع أيضاً يوجد فى بعض النسخ الخطية تحريف فى حرف واحد فيقرأ "الخلو" بدلاً من "الجزء المشترك" وقد عولت على هذه العبارة الأخيرة كما سبق . ويحاول فيلوبون أن يؤول العبارتين كليهما مع أن الأصل الذى تحت نظره يظهر أنه يوجد فيها لفظ "الخلو" لا "الجزء المشترك" . — كما قيل آنفاً — فى الفقرة السابقة . وهذا التفصيل يظهر أنه يؤيد التعبير الذى اخترته . — جسمين فى حيز واحد بعينه — مبدأ قرره أرسطو مراراً فى الطبيعة . وقد احتفظ به علم الطبيعة الجديد فى نظرية عدم قبول الأجسام للداخلية .

§ ٩ — التى بها يأتى الهواء من الماء — يعنى متى أخذ الماء لأى سبب ما أن يتغير الى هواء . ر . الميتورولوجيا ك ١ ب ٩ ف ٢ ص ٥٥ من ترجمتنا . — كتلة الهواء — المشاهدة مضبوطة ولكن لا يظهر لى أن القدماء كان عندهم طريقة ما لتحقيقها . — لجسم جديد — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — لضده — لأن الماء مفروض ضداً للهواء . — لهذا الذى هو مشترك — هذا يؤيد

الذى هو مشترك بين الشيئين الذى كان والذى فسد على السواء . وهذا الجزء المشترك هو جسم أيضا . فلا الماء ولا الهواء نما فقط أحدهما باد وانعدم فى حين أن الآخر كان ويلزم أن يكون هناك جسم ما دام أنه وجد نمو .

§ ١٠ — ولكن هناك أيضا محال جديد لأنه يلزم عقلا حفظ الشروط الضرورية التى بدونها لا يمكن ادراك الجسم الذى ينمو أو الذى ينقص وهى ثلاثة أحدها هو أن كل جزء ما يصير أكبر فى عظم ينمو، مثلا اذا كان من اللحم فان جزءا ما من اللحم ينمو. والشرط الثانى هو أن النمو يحصل بانضمام ما إلى الجسم . وثالثا وأخيرا يلزم أن الشيء ينمو وأن يبقى معا . وفى الواقع حينما شيء يكون أو يبيد مطلقا فهو لا يبقى البتة . ولكن حين يعانى استحالة أو نموا أو نقصا فان هذا الشيء مع أنه ينمو أو يستحيل يمكن ويبقى هو بعينه . فها هنا إنما هو كيف الشيء وحده هو الذى لا يبقى بعد هو هو . وهناك إنما هو العظم نفسه الذى لا يبقى هو بعينه . وحينئذ اذا كان النمو هو بحق ما قد زعم فان الشيء النامى يمكن إذا أن ينمو بدون أن شيئا يأتى وينضم اليه وبدون أن هذا الشيء يبقى كما أنه قد يمكن أن يفنى بدون أن شيئا يخرج منه وبدون أن الشيء النامى يبقى . ولكن يلزم مطلقا حفظ هذه الشروط ما دام أنه افترض أن النمو هو فى الواقع كما قد ذكر .

ترجمنا الجزء المشترك فى الفقرتين ٧ و ٨ . — هذا الجزء المشترك — زدت قليلا على عبارة النص أيضا حاشيا . — فلا الماء نما — لأنه فى الواقع قد باد ليتقلب الى هواء .

— يلزم أن يكون هناك جسم — وهو إذا "الجزء المشترك" أى الهوى التى ليست مع ذلك جسما فعليا . § ١٠ — محال جديد — أضفت هذه الكلمة الأخيرة ما دام أنه قد نبه آتفا إلى محالات أخرى .

— عقلا — عبارة النص بالضبط هى : "بالعقل فى نظر العقل" . — الشروط الضرورية — عبارة النص ليست بهذا الضبط تماما . — الجسم الذى ينمو — عبارة النص أدخل فى باب عدم التعيين لأنه يقول : "هذا الذى ينمو" . — وهى ثلاثة — وهذه الثلاثة الشروط هى حقيقة جدا ولا يكاد يمكن اليوم أن يقال أحسن من هذا . — وأن يبقى — يعنى أنت يبقى هو ما هو كما كان من قبل إلا من حيث امتداداته فانها تكبر أو تصغر . — يكون أو يبيد — تلك هى حركة الكون والفساد أعنى المرور من الوجود إلى الوجود أو من الوجود إلى الوجود . — يمكن ويبقى — ليس فى النص إلا كلمة واحدة . — حفظ هذه الشروط — التكرير ليس فى النص على هذا القدر من التمام .

§ ١١ — وقد يمكن أيضا أن يسأل ما هو بالضبط هذا الذي ينمو؟ هل هو الجسم الذي إليه يأتي وينضم شيء؟ مثلا متى فعل سبب بعينه نمو الفخذ في جسم إنسان فهل الفخذ نفسه هو الذي يصير أسمن؟ ولماذا هذا الذي يسمن الفخذ أغنى الغذاء لا ينمو هو أيضا؟ وفي الواقع لماذا أن الاثنين لا يتموان معا؟ لأن هذا الذي ينمو وهذا الذي ينمو يكونان أعظم كما هي الحال عند مزج الماء والنبيد فان كمية كليهما تصير أعظم على السواء. أليس يمكن أن يقال إن هذا يرجع إلى أن الجوهر في حالة يمكث ويبقى في حين أنه في الحالة الأخرى الجوهر، وهو هاهنا، جوهر الغذاء يبيد؟ وهاهنا أيضا إنما العنصر الغالب هو الذي يعطى اسمه للمزيج كما هي الحال حين يقال على المزيج إنه من النبيد لأن المزيج كله يفعل فعل النبيد لا فعل الماء.

§ ١٢ — والأمر كذلك أيضا بالنسبة للاستحالة فاذا، مثلا، بق اللحم ومكث دائما ما هو وإذا طرأ على اللحم كيف أصلى لم يكن من قبل فاللحم حينئذ بالبساطة قد استحال ولكن أحيانا هذا الذي يحيل الشيء إما أنه لا يعانى شيئا هو نفسه في جوهره

§ ١١ — ما هو بالضبط هذا الذي ينمو — يظهر هاهنا أنه لا محل للشك وأنه هو الجسم عينه الذي ينمو بتمثله هذا الذي يأتي وينضم إليه. — في جسم إنسان — أضفت هذه الكلمات. — لا ينمو هو أيضا — قد يمكن ألا يعطى هذا الجزء من القضية صورة الاستفهام فيقال: "في حين أن هذا الذي يسمن الفخذ لا ينمو". — يكونان أعظم — العبارة مبهمه لأن المزيج من الاثنين هو في الحق أكبر من كليهما على حدة. — ولكن كليهما على حدة لم يكبر إلا أن يكون المقصود هو ذلك المعنى الملتوى في المثال الآتي. — كمية كليهما — هذا ليس صحيحا فان كمية النبيد وكمية الماء بقيان كما كانتا. — ولكن مزيجهما وحده هو الأعظم فاذا قيل إنه يوجد من الماء أكثر أو من النبيد أكثر فليس ذلك الاتجاوزا في اللفظ. — العنصر الغالب هو الذي يعطى اسمه للمزيج — وهذا أيضا ليس من الصحة بمكان اذ لا يقال للمزيج إنه من الماء أو من النبيد بل يقال إنه ماء محمر.

§ ١٢ — والأمر كذلك أيضا بالنسبة للاستحالة — يعنى أن في ظاهرة الاستحالة توجد أيضا الشروط بعينها كما في ظاهرة النمو. — بالبساطة قد استحال — هذا هو المعنى الحق للاستحالة. فان الكيف وحده قد تغير ولكن الجسم بق هو بعينه. — في جوهره الخاص الذي لم يستحل — هذه الجملة لا توجد في بعض النسخ الخطية. — وليست أيضا في شرح فيلوپون. ولكن يظهر لي أنه يمكن قبول المعنى الذي أعطيه في ترجمتي

الخاص الذى لم يستحل وإما أحيانا أنه يستحيل هو أيضا . ولكن هذا الذى يحيل شأنه كشأن مبدأ الحركة هو فى الشيء النامى وفى الشيء المستحيل لأنه فيهما يوجد المبدأ المحرك . وقد يمكن أيضا أن هذا الذى يدخل فى الجسم يصير فيه أعظم كالجسم الذى يقبله ويستفيد منه سواء بسواء مثلا إذا كان العنصر الذى يدخل يصير فيه هواء . ولكنه وهو يعانى هذا التغير يفسد والمبدأ المحرك لا يكون فيه بعد .

§ ١٣ — بعد أن بلغنا الكفاية من بسط هذه الصعوبات يلزم محاولة استكشاف حل هذه النظرية مع التسليم بالشروط الآتية دائما :

أن النمو ليس ممكنا إلا بأن يمتك الجسم النامى ويبقى وأنه لا شئ يمكنه أن ينمو بدون أن شيئا ينضم اليه ولا أن ينقص بدون أن شيئا يخرج منه . وأنه فوق ذلك كل نقطة محسوسة حيثما اتفق من الجسم النامى أو الناقص تصير أكبر

هذه . — هذا الذى يحيل — أو بعبارة أخرى أكثر ضبطا "علة الاستحالة" . — شأنه كشأن مبدأ الحركة — الذى يفعل أن الشئ ينمو ويذبل . — فى الشئ النامى وفى الشئ المستحيل — هذا تطابق أيضا بين النمو وبين الاستحالة . — المبدأ المحرك — هنا للحركة وهناك للاستحالة . ولم يقبل الشراح الإغريق هذه النظرية بتمامها فعلى رأى فيلو بون أن الإسكندر الأفروديزى كان ينازع فى أن مبدأ الاستحالة والنمو موجود دائما فى الجسم الذى يستحيل أو الذى ينمو . وهذا المبدأ هو غالبا فى الجسم الغريب الذى يجلب للاتزان أو الاستحالة . — يصير فيه هواء — هذا موجزا أكثر مما يلزم ولا يزال غامضا . وكان يلزم أن يزداد عليه أن الماء بصيرورته هواء مثلا يمتد وما دام أنه صار أعظم فقد انقطع عما كان هو ما هو من قبل . — وهو يعانى هذا التغير — ليكون المعنى أبين من ذلك كان يلزم إيراد مثال خاص ما كان ليترك أقل شك . — والمبدأ المحرك لا يكون فيه بعد — فانه فى ذلك الجسم الذى يسبب التغير الذى يعانى به .

§ ١٣ — بعد أن بلغنا الكفاية من بسط هذه الصعوبات يرى فيلو بون أن أرسطو لم يبسط إلى الآن إلا الآراء العامة فى علل النمو والذبول وأنه يشرع منذ الآن فى بسط مذهبه الخاص . — استكشاف حل هذه النظرية — على ما يفهمها أرسطو . — بالشروط الآتية — ليست عبارة النص على هذا المقدار من الصراحة . ومع ذلك فإن هذه الشروط قد سبق عدها آنفا ف ١٠ . — محسوسة — يعنى مادية . وقد ألح فيلو بون فى أهمية هذه الكلمة التى بدونها على رأيه لا يستقيم المعنى . — أن الجسم ليس خلوا — لا يظهر أن هاهنا روايات أخرى كما كان فى سبق فى الفقرة السابقة . — أن جسمين لا يمكن البتة أن يشغلا

أو أصغر . وأن الجسم ليس خلوا وأن جسمين لا يمكن البتة أن يشغلا حيزا واحدا بعينه . وأخيرا أن الجسم الذى يحصل فيه النمو لا يمكنه أن ينمو بالاجسامانى .

§ ١٤ — وسنصل الى الحل المطلوب بقبولنا بادئ بدء أن الأجسام ذوات الأجزاء غير المتشابهة يمكن أن تنمو لأنه إنما هى الأجسام ذوات الأجزاء المتشابهة هى التى تنمو لأن الأولى ليست إلا مركبة من الثانية . ويلزم بعد هذا التنبيه إلى أنه متى ذكر اللحم والعظم وأى جزء آخر مشابه لهما من الأجسام فذلك يمكن أن يؤخذ بمعنى مزدوج كما هى الحال بالنسبة لجميع الأشياء الأخرى التى لها نوعها ولها صورتها فى المادة، لأن المادة والصورة هما مسميان على السواء للحما وعظما . فالقول بأن كل جزء كيفما اتفق من جسم ينمو وبأن عنصرا جديدا يأتى وينضم إليه فذلك بيان ممكن باعتبار الصورة ولكنه ليس كذلك باعتبار المادة . ويجب أن يرى أن الحال هاهنا كالحال حينما يقاس الماء بمقياس يبقى هو بعينه

حيزا واحدا بعينه — ذلك ما نسميه الآن عدم مداخلية الأجسام . — بالاجسامانى — قد حافظت على عموم اللفظ الاغريق وهو مفهوم .

§ ١٤ — الأجسام ذوات الأجزاء غير المتشابهة — يمثل لها الشراح الاغريق بالوجه واليد... الخ. التى تنمو بنمو اللحم والدم والعظم التى هى أجسام متشابهة الأجزاء لا أنها تنمو بأن وجهها أو يداها تنضم إليها . ما يلى ف ١٥ . — لأن الأولى ليست إلا مركبة من الثانية — معلوم أن هذا هو مذهب أنكساغوراس فى "متشابهات الأجزاء" ويمكن الاطلاع أيضا على أول "تاريخ الحيوانات" . فان الأجسام المتجانسة الأجزاء هى التى فيها الأجزاء دائما هى بعينها والتى هى مشابهة للكل . على ذلك جزيئة من الدم هى دائما دم . وجزء من العظم هو عظم دائما . ولكن جزء اليد ليس يدا وجزء الوجه ليس وجهها . لذلك ترى لماذا أن هذه الأجسام مكونة من أجزاء غير متجانسة . — بمعنى مزدوج — سيوضح فيما بعد فانه يمكن أن يعنى بها على السواء أن المادة هى التى تنمو أو أنها الصورة فقط . — نوعها وصورتها — ليس فى النص الالكلمة واحدة . — المادة والصورة هما مسميان على السواء — يظهر أن المادة أولى بهذه التسمية من الصورة . — باعتبار الصورة — فى الحق أن الصورة النوعية تبقى ولكن يلزم أيضا أن المادة تنمو . — باعتبار المادة — هذا يظهر عليه أثر الدقة أكثر من أثر الصحة . — بمقياس يبقى هو بعينه — فان الماء الذى يمر على التعاقب من هذا المقياس يمكن أن يختلف ولكن صورة

فان الماء الذى يجمىء بعد هو آخر ودائما آخر . كذلك بهذه المثابة تنمو مادة اللحم ولا يوجد ضم الى كل جزء كيفما اتفق . ولكن الجزء الفلانى يسهل والجزء الفلانى ينضم . فليس يوجد ضم ولا يحصل الضم إلا الى كل جزء كيفما اتفق من الشكل ومن النوع .

١٥٨ — ولكن بالنسبة للأجسام المركبة من أجزاء غير متشابهة مثلا بالنسبة لليد فمن الأشد وضوحا أن كلها ينمو بحالة متناسبة لأنه في هذه الحالة مادامت مادة النوع مختلفة فهي أسهل تميزا عما يكون بالنسبة للحم وبالنسبة للأجسام ذوات الأجزاء المتشابهة . من أجل ذلك حتى على ميت يظهر أنه لا يزال يعرف اللحم والعظم بأكثر سهولة من أن يميز فيه اليد والذراع وبينئذ فمن وجه يمكن أن يقال إن كل جزء كيفما اتفق من اللحم ينمو ومن وجه آخر لا يمكن أن يقال إن كل جزء ينمو . فبحسب الصورة قد انضم شيء ما لكل جزء كيفما اتفق ولكن لا بحسب المادة . ومع ذلك

المقياس لا تختلف وهذا حق ولكن المثل لم يوجد حسن اختياره لأن المقياس لا يمكن أن ينمو والقول وارد بصدد إيضاح النمو . — الماء الذى يجمىء — عبارة النص « الذى يجمىء » فقط . فأردت تحرير الفكرة برفع بعض الشيء من عموم العبارة . — تنمو مادة اللحم — يظهر أن هذا ناقص ما أثبت سابقا وهو أن النمو لا يقع الا باعتبار الصورة لا باعتبار المادة . — لا يوجد ضم الى كل جزء كيفما اتفق — على رغم ما يعتقد العامة . — الجزء الفلانى يسهل — والواقع أن الأجسام الحية هي في سيلان دائم للجزئيات التى تفقد منها والعناصر الجديدة التى تقبلها بلا انقطاع . — الا الى كل جزء كيفما اتفق من الشكل — وضمت لفظ « شكل » لا لفظ « صورة » لأن تعبير النص يختلف أيضا .

١٥٩ — المركبة من أجزاء غير متشابهة — المثل المعطى في النص كاف في البيان . فان اليد لا تتركب من أيد كما يتركب الدم من الجزئيات الدموية . — بحالة متناسبة — هذا ليس من الضبط على الغاية . — مادة النوع — أو مادة « الصورة » . مادة اليد متضاعفة التركيب . جلد وأوتار ودم وعظم وأربطة وعضلات الخ . — فهي أسهل تميزا — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — اليد والذراع — (ر . عبارة مشابهة لهذه في كتاب النفس ك ٢ ب ١ ف ٩ ص ١٧٦ من ترجمتنا) لأن اليد والذراع هما عضوا فعل ففى تعطلا عن العمل فكأنهما غير موجودين . — ولكن لا بحسب المادة — بنفس السبب الذى ذكر فيا سبق في آخر الفقرة ١٤ . — الكل — مركب معا من صورة ومادة . — الضد — هذا التعبير ليس واضحا جدا . والأولى أن تنمو الأجسام

فان الكل صار أعظم لأن شيئا جاء وانضم اليه . وهذا الشيء يسمى الغذاء ويسمى أيضا الضد . ولكن هذا الشيء لا يزيد على أن يتغير في النوع بعينه كمثل ما يأتي الرطب ينضم إلى اليابس و بانضمامه إليه يتغير بأن يصير هو نفسه يابساً . وفي الواقع يمكن معاً أن الشبيه ينمو بالشبيه وبجهة أخرى أن يكون ذلك باللاشبيه .

§ ١٦ — وقد يمكن أيضاً أن يتساءل عما هو بالضبط ذلك الشيء الذي يحدث النمو . واضح أن هذا العنصر الجديد يجب أن يكون الجسم بالقوة . مثلاً إذا كان اللحم هو الذي ينبغي يجب أن يكون لحماً بالقوة مع أنه بالفعل وبالكمال شيء آخر . وهذا الشيء الآخر يجب أن يفسد ليصير لحماً . على ذلك حينئذ ليس هو في ذاته ما يصير إليه . لأنه إذاً يحصل كون لا مجرد نمو . ولكن الشيء الذي ينمو هو بالضبط في ذلك الشيء فماذا لقي الجسم بهذا العنصر الجديد حتى إنه نما هكذا ؟ أعاني اختلاطاً كما يصب الماء في النبيذ بحيث إن المزيج كله يمكن أن يبقى نبيذاً ؟ أم

بالمشابه كما سيحيى . — يأتي الرطب ينضم إلى اليابس — مثال ذلك أن يسقط الماء على سطح جاف ويتبخر عليه . — أن الشبيه ينمو بالشبيه — تكاد هذه أن تكون قاعدة في الفلسفة القديمة . ولكن هذا العموم مبهم قليلاً . ومع أن الأجسام في الحق تنمو بمثل العناصر الجديدة فان هذا الإيضاح ليس كافياً لتعبير ظاهرة النمو المعقدة .

§ ١٦ — الشيء — تمبير النص هو أيضاً أقل تعييناً من ذلك . وان ما ينبغي الجسم يجب أن يكون له صفة خاصة بها يمكن أن يتمثل في الجسم وينقلب إلى جوهره . — هذا العنصر الجديد — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — الجسم بالقوة — يعني بعبارة أخرى أنه يمكن أن يصير الجسم بمثله فيه . — اذا كان اللحم هو الذي ينبغي — كالأغذية التي نأخذها فتتحول إلى دم ولحم لتقويم حياتنا وإتمام جسمنا . — بالفعل وبالكمال — ليس في النص الكلمة واحدة . — أن يفسد — أو « يفتنى » . — كذلك الخبز الذي نطعمه هو بالقوة دم ولحم . ولكنه في حقيقته الخاصة لم يكن بعد أحدهما ولا الآخر . — يحصل كون — أو « تولد » . — في ذلك الشيء — هذه هي عبارة الأصل بنصها ويظهر أن فيها مبالغة لأنه لا يمكن أن يقال إن اللحم هو في الخبز ولو أن الخبز بعملية الهضم يتغير جوهره أو يصير دماً . ومع ذلك زدت كلمة « بالضبط » . — بهذا العنصر الجديد — عبارة النص ليست على هذا القدر من الصراحة . — أعاني اختلاطاً — اضطرت هنا إلى أن أزيد النص بياناً . — يمكن أن يبقى نبيذاً — ذلك ممكن في الواقع

كما أن النار تحرق متى تلامس شيئا قابلا للاحتراق، كذلك الأمر في الجسم الذي ينمو والذي هو لحم بالفعل وبالكمال، الجوهر الباطن الذي له قوة الإنماء هل يفعل للحما حقيقيا بالفعل وبالكمال من اللحم بالقوة الذي اقترب منه؟ يلزم إذا أن يكون هذا العنصر الجديد مع الآخر ومقتربا به في الوجود لأنه لو كان منعزلا لحصل كون حقيقي. وعلى هذا النحو يمكن إيجاد نار من النار الموجودة من قبل بإلقاء الخشب فوقها. وهذا بهذه الطريقة ليس إلا نموا في حين أنه متى كان الخشب نفسه يحترق فهناك كون حقيقي.

§ ١٧ — لكن الكم مأخوذا على معناه الكلي لا يكون هاهنا إلا كما قد يمكن أن يكون الحيوان الذي لا هو إنسان ولا أى حيوان خاص. وبالفعل الحال هاهنا

إذا كانت كمية الماء المصبوب قليلة بحيث لا تغير طبيعة المزيج تغيرا محسوسا. — أم — كلمة النص «و». — كما أن النار تحرق — المقارنة غاية في الصحة على أكثر مما كان يعتقد أرسطو. إن الفسيولوجيا في أيامنا هذه قد وجدت في تمثيل الأغذية نوعا من الاحتراق فان القوى الحيوية هي نوع من النار يحيل الأغذية التي تدخل في أجسامنا. — بالفعل وبالكمال — ليس في النص الكلمة واحدة. — الجوهر الباطن الذي له قوة الإنماء — عبارة النص مهمة جدا وقد اضطرت إلى زيادة ضبطها في الترجمة. — بالفعل وبالكمال — هنا أيضا ليس في النص الكلمة واحدة. — هذا العنصر الجديد — ليس النص على هذا القدر من الضبط. — مع الآخر ومقتربا به — قد زدت على الأصل بل فصلت الجملة لأن النص هنا غاية في الإيجاز. ولكنى لا أرى المعنى جليا تماما. فان «المع والافتراق» قد يفهم بحسب المكان بل وبحسب الجوهر وعلى هذا المعنى الأخير يكون مجرد تمثل — كون حقيقي — أضفت هذه الكلمة الأخيرة. — من النار الموجودة من قبل. — ليس النص على هذا القدر من التوسع. — متى كان الخشب نفسه يحترق — ليس التعبير واضحا قدر الكفاية لأن الخشب لا يحترق بنفسه بل يلزم دائما تقريبه من النار. — فهناك كون حقيقي — زدت أيضا هذه الكلمة الأخيرة. فان هذا الكون إنما هو كون ظاهرة جديدة.

§ ١٧ — مأخوذا على معناه الكلي — عبارة النص أقل تعيينا. ومن الصعب جدا تحصيل ذلك الفرق الدقيق ويمكن ترجمته أيضا هكذا: «ولكن ليس الكلي هو الذي يصير هنا كمية ما». — الحيوان — على طريق العموم لا الخصوص. فان الحيوان بوصف أنه مفهوم كلى لا يوجد ولكن

بالنسبة إلى الكم كالحال هنالك بالنسبة إلى الكلى . حينئذ اللحم والعظم أو اليد أو الأعصاب والأجزاء المتشابهة من هذه الأعضاء تنمو لأن كمية ما من مادة تأتي فتتضم إليها بلا شك ولكن بدون أن تكون هذه المادة كمية مقدرة من لحم . فمن جهة أن العنصر الحديد هو الواحد والآخر بالقوة ومثلا كمية معينة من لحم بهذا المعنى فهذا العنصر على هذا الوجه ينحى الجسم لأنه يلزم أن يصير من اللحم ، ومن اللحم بكمية معينة . ولكن فقط من جهة أن العنصر المضاف هو من اللحم أنه يمكنه تغذية الجسم . وبذلك كان الغذاء والنمو يختلفان أحدهما عن الآخر عقلا . من أجل ذلك أيضا الجسم هو مغذى كل الزمن الذي يعيشه ويمكثه بل الزمن الذي يفناه ولكنه لا ينمو بلا انقطاع . في الحق أن التغذية هي مماثلة للنمو وتشبه به ولكن كونهما مختلف . على ذلك حينئذ بما أن العنصر الذي يأتي فينضم هو بالقوة فكمية ما من اللحم يمكنها أن تنمي اللحم . ولكن فقط من جهة أنه لحم بالقوة يمكنه أن يكون غذاء . § ١٨ — وهذه

الذي يوجد هو هذا الحيوان الفلاني الخاص أو ذلك الذي فيه يتحقق المعنى الكلى للحيوان . — إلى الكم — بالمعنى الكلى . — إلى الكلى — يعنى "المثال" . فان الكم مفهوما على المعنى الكلى لا يوجد الا كما يوجد الحيوان بالمعنى المجرد . — الأجزاء المتشابهة — أى الأجزاء العنصرية التى لا تفرق بعضها عن بعض والتى هى جميعا متشابهة . — كمية ما من مادة — كل هذه التمايز يمكن أن تظهر دقيقة بل غاية فى الدقة ولكنها صحيحة والظواهر نفسها من الدقة بحيث يلزم ألا يدهش من صعوبة وصفها وتقريرها . — كمية مقدرة — أضفت هذه الكلمة الأخيرة لبيان الفكرة . وبتطبيق هذا على الأغذية التى نغذى بها نجد فى الحق أن الحيز هو كمية تأتي فنضاف الى لحمنا . ولكن فى الحق أيضا أنه لم يكن بعد من اللحم تماما . — العنصر الحديد — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — الواحد والآخر بالقوة — يعنى ، أخذا بشرح فيلوبون ، من اللحم بالقوة بطريقة عامة وأيضا كمية ما من اللحم بالقوة أيضا . أو بعبارة أخرى يلزم أن العنصر الحديد يمكن أن يصير معا لحما وكمية ما من اللحم بانضمامها الى الجسم يمكنها أن تعطيه النمو الذى يأخذه . — العنصر المضاف — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — يمكنه تغذية الجسم — عبارة النص هى "أنه يغذى" . — عقلا — أوربما "بجديهما" . — الذى يفناه — ويمكن ترجمته أيضا هكذا : "بل إلى أن يفسد" . — فى الحق — أضفت هاتين الكلمتين . — ولكن كونهما مختلف — تمييز معروف وغالب الاستعمال فى مذهب أرسطو . — على ذلك حينئذ — تلخيص للنظرية السابقة التى يظهر أنها دقيقة جدا وصحيحة جدا معا .

الصورة أو هذا النوع بلا مادة هو في المادة كقوة لا مادية. ولكن إذا تجيء فتتضم إلى الجسم مادة ما هي لا مادية بالقوة مع أن لها أيضا بالقوة الكم...، فهذه الأجسام اللامادية ستكون إذا أعظم. ولكن إذا كانت هذه المادة المضافة تصل إلى حد ألا تستطيع أن تكون شيئا وإذا كان الماء كذلك بامتزاجه أكثر فأكثر بالنبيذ يصل إلى أن يصير أكثر فأكثر مائيا وإلى أن يحيله أخيرا تماما إلى ماء حينئذ يمكنه أن يمر إلى فساد الكمية ولكن الصورة والنوع يبقيان كما كانا.

١٨٩ — هذه الفقرة كلها غامضة جد الغموض. ومن المحتمل أن النص فيها محرف فيما يظهر. على أنه وارد في النسخة التي شرحها فيلويون فيما يظهر على ما هي عندنا اليوم وأنه لم يجد فيها صعوبة ما غير أن شرحه لم يأتنا ببيان خاص يحل غوامضها. — بلا مادة... في المادة... لا مادية — كل هذه التكرار موجودة في الأصل. — الكم... — هذه النقط التي وضعها هنا تقاييدا لبعض الناشئين من شأنها أن تدل على احتمال وجود بياض في الأصل ولكن الواقع أنه ليس لدينا إلا مجرد ظن لم يقد عليه دليل ما. — فهذه الأجسام اللامادية — في النص اسم إشارة لجمع مذكر يظهر أنه لا يتعلق بشيء مذكور ويثير في النفس الظن بوجود النقص الذي اشترت إليه. وقد افترض مفسرو جامعة كويمبر وجود رواية أخرى تنحصر في علامة على حرف متحرك. ولكن هذه الرواية الأخرى لا تكاد تجلو غموض النص. فعلى رأيهم أن القصد هنا هو التمثيل بالمرمار حيث يمكن تمييز الصورة زيادة على المادة كما في كل آلة أخرى. وهذا الفرض لا يمزق حجاب الظلام عن هذه الجملة ويجب تركها كما هي مع الاعتراف بأنه لا يمكن تصحيحها. — هذه المادة المضافة — عبارة النص غاية في عدم التعيين وقد ظننت أن من الواجب أن أكون أكثر تعيينا وضبطا في الترجمة. — تكون شيئا — ها هنا حافظت على عبارة النص في كل عمومها لأنني خفت أن أحرفها إذا حاولت أن أجعلها أقل عموما. فإن «لا تكون شيئا» تفيد من غير شك أن المادة المضافة لن يمكنها أن تمثل في جوهر الجسم الذي تضاف إليه. — فساد الكمية — يظهر أن الأولى أن يقال «فساد الكيفية» ولكن ليس هنا رواية أخرى. — الصورة والنوع — ليس في النص إلا كلمة واحدة. — يبقيان كما كانا — يظهر على ضد ذلك تبعا لنفس المثل الذي أورده المصنف أن الصورة والنوع يفتيان مادام النبيذ ينقلب نهائيا إلى ماء باضافة السائل الذي صب فيه.

الباب السادس

الفعل المتكافئ للعناصر بعضها في بعض — في اختلاطها — رأى ديوجين الأبلوني — لأجل إدراك أن العناصر تفعل أو تنفعل بعضها ببعض يلزم توضيح ما يعنى بتناسها — المعانى المختلفة لهذه الكلمة — الفرق بين الحركة والفعل — المحرك غير المتحرك لا حاجة به ضرورة الى مس الشيء الذى يحركه — الشيء المحرك يمكن ألا يمس شيئا هو أيضا في نوبته — آخر نظرية التماس .

١ § — لما أنه يلزم عند دراسة المادة وبالنتيجة العناصر أن يقال بادئ بدء ما إذا هى تكون أو لا تكون وإذا كان كل واحد منها أزليا أو إذا كانت مخلوقة بأى وجه ما . ومع أنها مخلوقة إذا كان يمكنها كلها أن تتكاون بطريقة واحدة، أو إذا كان أحدها هو أسبق من الآخر فينتج من ذلك أن من الضروري أن تعين جيدا بادئ الأمر الأشياء التى لم يتكلم عنها حتى هذه الساعة إلا بطريقة جد مبهمة وغير كافية جدا .

٢ § — وفي الحق كل أولئك الذين يقبلون الخلق للعناصر أنفسهم كما يقبلونه بالنسبة للربكات التى تنتج عنها يقتصرون في إيضاح كل شىء على الاجتماع والافتراق وعلى الانفعالية وعلى الفعل . ولكن الاجتماع ليس إلا اختلاطا ولم يحد لنا جليا ما يجب علينا أن نعنى باختلاط الأجسام . ومن جهة أخرى ليس من الممكن كذلك أن تحصل استحالة ولا افتراق أو اجتماع بدون موضوع يفعل وينفعل . لأن أولئك

١ § — لما أنه يلزم — قد حافظت على أسلوب الجملة في النص الإغريق كما هى مع أنها طويلة في الترجمة فيا يظهر . — اذا كانت مخلوقة — أو "تكون" . — التى لم يتكلم عنها — يحتمل أن يكون المقصود بهذه العبارة فلاسفة من أسلافه وأن أرسطو لم يقصد الكلام عن نظرياته الخاصة . — جد مبهمة وغير كافية جدا — ليس في النص الكلمة واحدة .

٢ § — يقبلون الخلق — عبارة النص هى "الذين يخلقون" الذين يولدون ، الذين يكونون . — يقتصرون في إيضاح كل شىء — ليس النص صريحا بهذا القدر . — على الانفعالية — لكيلا أقول "الانفعال" . — ليس الا اختلاطا — ربما لا يكون المعنى محكما . — لم يحد لنا جليا — عبارة النص أشد إيهاما قليلا . — بدون موضوع يفعل وينفعل — هذا الموضوع هو ذلك الذى من غير أن ينقطع كونه يمكنه على التعاقب أن يقبل الأضداد كما سيجىء بيانه في الفقرة الثالثة .

الذين يقبلون تعدد العناصر يجعلونها تولد من الفعل والانفعال المتكافئين بين العناصر بعضها والبعض الآخر . § ٣ - ومع ذلك يلزم دائماً الوصول الى القول بأن كل فعل يأتي من مبدأ واحد أحد . فانظر كيف أن ديوجين كان عنده الحق إذ يقرر أنه إذا كانت كل العناصر لم تكن تأتي من واحد فلا يمكنها أن يكون بينها لافعل ولا قابلية للفعل على طريق التكافؤ وأن الحار مثلاً قد لا يمكن أن يبرد ولا البارد أن يسخن من جديد . وكان يقول ليست الحرارة ولا البرودة هي التي تتغير إحداها في الأخرى بل من البين بذاته أن الموضوع هو الذي يعاني التغيير . وبالنتيجة كان يستنتج ديوجين أن في الأجسام التي فيها يمكن وجود فعل وانفعال يلزم بالضرورة أن يكون لها طبيعة واحدة هي موضوع لهاتين الظاهرتين . ولا شك في أن تقرير أن جميع الأشياء هي في هذه الحالة قد لا يكون تقريراً صحيحاً فإن هذا لا يلاحظ في الواقع إلا في الأجسام التابعة بعضها لبعض .

§ ٤ - لكن إذا أريد استيضاح الفعل والانفعال والاختلاط بجلاء لزم بالضرورة أيضاً دراسة ما هو التماس بين الأشياء . إن الأشياء لا يمكنها حقيقة

§ ٣ - كل فعل - عبارة النص غير محددة ولكن اضطررت كما فعل المصنف الى أن أكرر الكلمة عينا التي استعملت آنفاً - ديوجين - على تقدير "الأولوي" . - كل العناصر لم تكن تأتي من واحد - عبارة النص تستخدم بالبساطة ضمير جمع فالترجمة زيادة البيان في الترجمة . - لا فعل ولا قابلية للفعل - يعني فعل بعضها في بعض بالتكافؤ هذه تحتل الفعل التي تفعله تلك . - وكان يقول - أضفت هذه الكلمات لأن أسلوب النص يسمح بإضافتها . - الموضوع - يعني الجسم بعينه الذي يكون بالتناوب بارداً أو حاراً والذي مع بقاءه يمكن أن تتغير حاله وكيفية وجوده . - كان يستنتج ديوجين - أضفت هذه الكلمات للسبب السابق . - موضوع لهاتين الظاهرتين - ليس النص على هذا التوسع . - التابعة بعضها لبعض - بمعنى أنها يمكنها أن يفعل بعضها في بعض . وربما يمكن ترجمة العبارة هكذا : "في الأشياء التي يوجد فيها تكافؤ بين بعضها والبعض الآخر" .

§ ٤ - بجلاء - أضفت الكلمة المفهومة بالسهولة من السياق والتي تم الفكرة . - بين الأشياء - أضفت هاتين الكلمتين .

الفعل والانفعال أحدها بالآخر حين لا يمكنها التماس على التبادل . وإذا لم تكن قد تلامست سابقا بأى وجه ما فلا يمكنها أبدا أن تختلط أحدها بالآخر . فيلزم إذاً أولاً حدّ هذه الظواهر الثلاث التماس والاختلاط والفعل . § ٥ — فلنصدر عن هذا المبدأ : وهو أنه بالنسبة لجميع الأشياء التى فيها الاختلاط يلزم مطلقاً أنها يمكنها أن تتلامس بينها . وإذا كان الواحد يفعل والآخر ينفع بالمعنى الخاص فيلزم أيضاً أن يكون هذا التماس ممكناً . هذا هو سببنا فى الكلام بادئ بدء على التماس . § ٦ — لكن كما أن أكثر الكلمات الأخرى هى مأخوذة على عدّة معان تارة بطريق التواطؤ وتارة بالاشتقاق من كلمات أخرى سابقة عليها كذلك يقع هذا التنوع فى الاطلاق اللفظى بالنسبة للفظ التماس . ومع ذلك فإن التماس بالمعنى الخاص لا يمكن أن ينطبق إلا على الأشياء التى لها وضع ولا وضع إلا للأشياء التى لها مكان لأنه يلزم أن يعنى بالتماس وبالمكان كما يعنى الرياضيون سواء أكانا أى المكان والتماس منفصلين عن الأشياء أم كانا يوجدان بأى وجه ما .

— هذه الظواهر الثلاث — قد يمكن ترجمتها هكذا : ” هذه الكلمات الثلاث “ . فان عبارة النص غير محددة تماماً .

§ ٥ — بالمعنى الخاص — معنى هذا فى شرح فيلوپون أن المقصود هنا هو التماس المادى المحض وقد يقال إن نتيجة تماس الذى وجهت اليه ولكن هذا المساس هو معنى محض . وليس هذا هو المعنى الذى يقصده أرسطو من المساس أو التماس اذ يطبقه على الأشياء . ر . ما سيجى . ف ١٠ — أن يكون هذا التماس ممكناً — عبارة النص بالبساطة هى : ” وبالنسبة لهذه الأشياء يلزم أن يكون الأمر كذلك “ . فأثرت زيادة البيان .

§ ٦ — تارة بطريق التواطؤ — ر . أول المقولات ب ١ ف ١ ص ٥٣ من ترجمتى . — بالاشتقاق — هذا هو ما يسمى بالمشتقة أسمائها . ر . المقولات ب ١ ف ١ ص ٥٤ . — سابقة عليها — يعنى أبسط وأعم . وقد يمكن حمل هذا المعنى على مجرد التقدم بالزمان . فان أصل الكلمة متقدم على المشتق الذى يخرج منه . — هذا التنوع فى الاطلاق اللفظى — ليس الأصل صريحاً هكذا . — كما يعنى الرياضيون — كان حق هذا أن يوضح وكان يلزم أن يقال بالضبط كيف يفهم الرياضيون التماس والمكان . — المكان والتماس — أضفت هاتين الكلمتين ليكون البيان أجلى . — أكانا منفصلين عن الأشياء — يرى فيلوپون أن هذا كان مذهب فيثاغورث الذى اتخذ أفلاطون مذهبا له اذا صدقت الانتقادات التى وجهها

وحينئذ اذا كان كما بين سابقا أن تماس هو أن تجتمع النهايات فيمكن أن يقال إن هذه الأشياء تتلامس على التي، وهى ذات أعظام وأوضاع معينة، نهاياتها مجتمعة معا.

§ ٧ — ولكن لما كان الوضع خاصا بالأشياء التي لها أيضا أين وكان الفصل الأول للأين هو الفوق والتحت مع المقابلات الأخرى من هذا القبيل، ينتج منه أن جميع الأشياء التي تتلامس يجب أن يكون لها ثقل أو خفة أو هاتان الخاصتان معا أو على الأقل إحدى الاثنين. وهذه الأشياء من هذا النوع إنما هي القابلة للفعل وللانفعال فيين إذا بذاته أنه يجب استنتاج أن تلك الأشياء تتلامس بالطبع وأنها بما هي أعظام منفصلة ومتميزة فنهاياتها واقعة طرفا لطرف ويمكنها أحدها أن يحرك والآخر أن يتحرك على التكافؤ أحدهما بالآخر. ولكن لما أن المحرك لا يحرك بالطريقة عينها التي بها الشيء المحرك يحرك في دوره وأن هذا الأخير لا يمكن أن يحرك إلا بما هو واقع في الحركة هو نفسه في حين أن الآخر يمكنه أن يحرك مع بقائه

أرسطو الى نظرية المثل . — أم كانا يوجدان بأى وجه ما — مثلا في الأشياء التي لا تكون منفصلة عنها جوهريا . — كما بين سابقا — ر . الطبيعة ك ه ب ف ٤ و ١٤ ص ٣٠٠ و ٣٠٤ من ترجمتنا . — أن تجتمع النهايات — عبارة النص هي: "معا" وهذه الكلمة تطلق على الاجتماع في المكان كما تطلق عليه في الزمان . — نهاياتها مجتمعة معا — الشأن في هذه الجملة كما هو في التنبيه السابق .

§ ٧ — الفصل الأول — يعنى الفصل الأظهر والذي يقرر الحواس بادئ الأمر . ر . الطبيعة ك ٣ ب ٧ ف ٢٨ ص ١١٤ من ترجمتنا . — مع المقابلات الأخرى من هذا القبيل — يعنى اليمن واليسار والأمام والخلف الخ . — ينتج منه — هذه النتيجة ليست حتمية فيما يظهر ولكن في نظريات أرسطو لما أن الحركة الى الفوق تستدعى الخفة والحركة الى التحت تستدعى الثقل فالجسم لا يمكن أن يكون له مكان الا اذا كان ثقيلًا أو خفيفًا . — أو هاتان الخاصتان معا — هذا غير مفهوم الا على طريق المقارنة، فان جسما هو ثقيل بالنسبة لجسم معين وخفيف بالنسبة لآخر . — الاثنين — على هذا في نظريات أرسطو أن الأرض ليس لها الا الثقل والنار ليس لها الا الخفة . وأما الهواء والماء فلهما في آن واحد الخفة والثقل تبعالمقارنتهما بهذين العنصرين الآخرين اللذين هما طرفان . — طرفا لطرف — عبارة النص هي "معا" كما سبق . — أحدها أن يحرك والآخر أن يحرك — عبارة

هو نفسه غير متحرك فمن البين أنه يمكننا تطبيق هذه التمايز عينها على الجسم الذي يفعل لأنه حتى في اللغة العامة يقال أيضا على السواء إن الذي يحرك يفعل وإن الذي يفعل يحرك .

§ ٨ — ومع ذلك يوجد هنا فصل ما . فينبغي التمييز : ذلك أن كل ما يحرك لا يمكنه دائما أن يفعل كما سنرى بالمقابلة بين ما يفعل وبين ما يفعل فإن جسما لا يفعل إلا في الأحوال التي فيها تكون الحركة تأثرا أو شهوة . ولا توجد شهوة إلا في حالة ما يكون بالجسم مجرد استحالة ، مثلا في حالة ما يصير حارا أو يصير أبيض . ولكن معنى التحريك له من السعة أكثر مما لمعنى الفعل . وحينئذ من البين أن المحركات أحيانا يجب أن تلامس الأشياء التي تحركها وأحيانا لا تلامسها .

النص على هذا الإيجاز وليست أكثر وضوحا . — مع بقاءه هو نفسه غير متحرك — . ر . ر . كل نظرية المحرك الأول غير المتحرك في الطبيعة ك ٨ ب ٧ و ٨ ص ٥٠٧ وما بعدها من ترجعتنا . ر . أيضا ما بعد الطبيعة ك ٧ ب ٨ ص ٢٠٣ ترجمة كوزان . — هذه التمايز عينها على الجسم الذي يفعل — ليس النص صريحا بهذا القدر . — وإن الذي يفعل يحرك — هذا الخلط بين الفعل وبين الحركة لا يفهم جد الفهم الا اذا اذكرت أنواع الحركة الثلاثة التي قررها أرسطو وهي النقلة والاستحالة والنمو . وبين أنه يوجد فعل في الثلاثة جميعا . ومع ذلك فان أرسطو في الفقرة التالية قد عين فرقا بين فعل وبين حرك .

§ ٨ — التمييز — أو أيضا « أن يكون الحد مع التمييز » هذا هو معنى التعبير الاغريقي في قوته . — بالمقابلة — المعنى هاهنا ليس واضحا جدا . وهاكه أكثر تفصيلا وبيانا : الفعل والتحريك ليسا حدين متساويين ومتكافئين فلزم تمييزهما . ولأجل أن يفهم جيدا الفصل الذي يفصلهما يلزم مقارنة حدين آخرين : الفعل والانفعال . — كما سنرى ... فان جسما لا يفعل — عبارة النص غير محددة فلزم أن تكون الترجمة أكثر ضبطا . — تأثرا أو شهوة — ليس في النص الا كلمة واحدة . — مجرد استحالة — يعني بدون أن يكون هناك نقلة ولا تغير في العظم بالزيادة أو بالنقص . — في حالة ما يصير حارا — النص أقل صراحة . فان الجسم يكون في مجرد استحالة متى صار حارا بعد أن كان باردا أو أبيض بعد أن كان أسود . — له من السعة أكثر — فان الحركة يمكن أن تكون بالنقلة أو الاستحالة أو النمو [وأما الفعل فلا ينطبق الا على الاستحالة وحدها . — وحينئذ من البين — هذه النتيجة ليست من البيان على ما يظن المؤلف فيا يظهر ولا تنتج بوضوح مما تقدم .

§ ٩ — حد التماس مأخوذاً على أعم معناه ينطبق على الأجسام التي لها وضع بما أن أحد الجسمين في التماس يمكن أن يحرك وبما أن الآخر يمكن أن يتحرك وبما أن المحرك والمتحرك ليس بينهما نسبة إلا نسبة الفعل والانفعال. § ١٠ — في الأحوال الأكثر عادية الشيء الذي لمس يلمس الشيء الذي لمسه لأن كل الأشياء تقريبا التي يمكننا مشاهدتها هي واقعة في الحركة قبل أن تحرك أيضا في دورها. وفي كل الأحوال يظهر أن هناك ضرورة إلى أن الشيء الذي لمس يلمس الشيء الذي يلمسه. ولكننا نقول إنه قد يجوز أحيانا أيضا أن المحرك وحده يلمس الشيء الذي يعطيه الحركة، وأن الشيء الملموس لا يلمس الآخر الذي يلمسه. ولما أن الأجسام المتجانسة لا تحرك إلا متى حركت هي أنفسها فيلزم فيما يظهر أن جسما ملموسا يلمس هو أيضا. وبالنسبة إذا كان محرك ما، مع كونه هو نفسه غير متحرك، يؤتى

§ ٩ — مأخوذاً على أعم معناه — وفي الوقت عينه على معناه الخاص. — ينطبق على الأجسام التي لها وضع — ر. ما سبق ف ٦ — أحد الجسمين في التماس — النص ليس صريحا هكذا. — الانسبة الفعل والانفعال — عبارة النص هي "في الأشياء التي بينها فعل وانفعال".

§ ١٠ — في الأحوال الأكثر عادية — يظهر أن كل هذه الفقرة استطراد لا يتصل لزوماً بتقديم. — التي يمكننا مشاهدتها — أو "التي هي أمانا". — قبل أن تحرك أيضا في دورها — ليس النص صريحا هكذا ولكن المعنى لا ريب فيه. — لا يلمس الآخر — هذا ممكن معنويا كما ثبتته المثل الوارد في آخر الفقرة ولكن من الجهة المادية يتلامس الشيئان بالتبادل. ومن المحال أن شيئا يلمس آخر من غير أن يلمسه هذا الآخر. وإن الفعل قد يأتي من جهة واحدة دون أن يقابل بمثله ولكن التماس كما يدل عليه لفظه هو دائماً متكافئ. وإن مثل المحرك غير المتحرك ليس قاطعا لأن إبطال الحركة يمكن أن يقع على مسافة ومن غير تماس حقيق. — الأجسام المتجانسة — هذا التعبير مبهم قليلا. وقد فسر فيلويون بأن فهم أن المقصود هو الأجسام المركبة من مادة واحدة بعينها لأنها بذلك تستطيع أن ترد الفعل الذي تقبله ر. ما سيأتي في الباب السابع ف ٥. — فيما يظهر — ربما كان الواجب أن يكون التعبير أكثر تأكيداً. — فيلزم أن يمس — إن نظرية المحرك غير المتحرك قد بسطت بإسهاب في الطبيعة ك ٨ وفي ما بعد الطبيعة ك ١٢ ب ٨. فإن المحرك غير المتحرك يعني الله ينقل الحركة التي يحملها بطريقة مغايرة لما تنتقل به الحركة للأشياء التي تدركها مشاهدتنا في هذه الدنيا وليس من المحتمل بهذا المعنى أن الله

الحركة، فيلزم أن يمس الشيء الذى يحركه دون أن يمسّه هو نفسه شيء . وعلى ذلك فى الواقع نقول أحيانا على الشخص الذى يؤذينا إنه يمسنا من غير أن نمسه نحن أنفسنا .

§ ١١ — ذلك ما كنا نبغى أن نقول على التماس معتبرا فى الأشياء الطبيعية .

يمس الكائنات كما تماس الكائنات بعضها بعضا . — يمسنا — هذا التعبير الذى اضطررت إلى أن أستعمله لا يظهر أنه مناسب تماما فى لغتنا وان كان أكثر مناسبة فى اللغة الاغريقية . ولكنه ليس الا على طريق المجاز فان هذا المس المعنوى لا دخل له فى التماس المادى الذى هو موضوع البحث فى هذا الباب كله .

§ ١١ — ذلك ما كنا نبغى أن نقول — يمكن تقريب هذه النظرية كلها بالنظريات التى ذكرت ولكن باختصار فى الطبيعة ك ه ب ٥ ف ١٣ وك ٦ ب ١ ف ٢ فان المذهب فى الموضوعين واحد . — فى الأشياء الطبيعية — لا فى الأشياء المجردة والرياضية .

الباب السابع

نظرية الفعل والانفعال — آراء الفلاسفة — ديمقريطس هو الذى أجاد فهم هذا الموضوع — سبب خطأ الفلاسفة — الشبه لا يمكن أن يقبل أى فعل من الشبه — العلاقة الضرورية بين الفاعل والمنفعل — الشبه والفرق بينهما — توفيق رأيين متعارضين في تمييز لفظي — المشابهة بين الحركة وبين ظاهري الفعل والانفعال — المحرك الأول يمكن أن يكون غير متحرك — الفاعل الأول يمكن أن يكون كذلك لا منفعلا — ختام نظرية الفعل والانفعال .

§ ١ — تعقبيا لما تقدم نوضح ماذا ينبغي أن يعنى بفعل وانفعال . ولقد تلقينا من الفلاسفة السابقين لنا نظريات متخالفات بينها في هذا الموضوع . ومع ذلك فانهم متفقون بإجماع على أن الشبه لا يمكن أن يقبل شيئا من الشبه لأن الواحد منهما ليس أشد فاعلية ولا انفعالية من الآخر . وأن الأشباه لها كیفياتها متمثلة مطلقا . ثم يزداد أن الأجسام غير المتشابهة والأجسام المختلفة إنما هي التي لها فعل وانفعال على طريق التكافؤ بعضها في بعض . مثال ذلك حينما تطفأ نار بنار أكبر منها يزعم فلاسفتنا أن النار التي هي أقل انفعالت في الواقع بمقتضى مقابلة الأضداد بما أن كثيرا هو ضد قليل .

§ ١ — بفعل وانفعال — لم يمكن أن أجد في لغتنا عبارات تجعل كلمات النص أكثر وضوحا . وقد يمكن أن يترجم أيضا هكذا : " أن يكون فاعلا وقابلا " . يفعل وينفعل هما المقولتان الأخيرتان للمقولات العشر . ر . المقولات ب ٤ ف ١ و ٢ من ترجمتنا . — تلقينا من الفلاسفة السابقين لنا — يلاحظ فيولويون أن أرسطو يبق على عهد طريقته العادية من بسط النظريات السابقة قبل بسط نظريته الخاصة . — أن الشبه لا يمكن أن يقبل شيئا من الشبه — ذلك هو أحد المبادئ التي قد يوجد منها عدد عظيم في الفلسفة القديمة لا تستند الى مشاهدات وافية وليست إلا نتائج سابقة لأوانها ومنطقية محضة . — غير المتشابهة والأجسام المختلفة — هذا التكرير هو في النص . — فعل وانفعال . أو إنما هي الفاعلة والقابلة . — بنار أكبر — يظهر أنه ليس هنا اختلاف حقيقي . فان النار الأقل هي تماما مشابهة للنار الأقوى من جهة كونها نيرانا فقط إحداها التهمت الأخرى . ولكنه لا ينبغي التشدد في طلب الضبط الى علم ذلك الزمان . — بما أن كثيرا هو ضد قليل — هذا حق ولكنه لا ينتج منه أن نارا صغيرة تكون ضدا ل نار كبيرة . ومع ذلك هذا ما كان يجب أن يكون لبصير المثل صحيحا وحقيقا بالانطباق .

§ ٢ — ديمقريطس هو الوحيد، خلافا لجميع الآخرين، الذى قدّم فى هذا رأيا خاصا . فهو يقرّر أن هذا الذى يفعل وهذا الذى يقبل هو فى الحقيقة مماثل ومشابه لأنه لا يوافق على أن أشياء مختلفة ومتغايرة تماما يمكنها أن تقبل أيّاما بعضها من بعض . وإذا كان بعض الأشياء، مع كونها متغايرة بينها ، لها بعضها على بعض فعل ما متكافئ فهذه الظاهرة ، على رأيه ، تقع فيها لا بما هى متخالفة بل بما هى على الضد من ذلك لها نقطة ما من المشابهة والمماثلة .

§ ٣ — تلك هى إذا الآراء التى قُوتت قبلنا . ولكن الفلاسفة الذين قرروها قد يظهر أنهم تناقضوا فيما بينهم . والسبب فى اختلافهم فى هذا الصدد هو أنه فى مسألة يلزم فيها اعتبار مجموع الموضوع لم يعتبروا فيه هؤلاء وهؤلاء إلا جزءا واحدا .

§ ٤ — وفى الحق أن ما هو شبيه تماما ولا يغير مطلقا بأى وجه ما لا يمكنه مطلقا أن يحتمل شيئا ولا أن يقبل شيئا من قبل شبيهه . لماذا ، فى الحق ، أن أحد الشئيين يفعل دون الآخر ! فإذا كان ممكنا أن الشئ يقبل بأى طريقة من شبيهه

§ ٢ — ديمقريطس هو الوحيد — يظهر أن أرسطو فى جميع مؤلفاته يحفل كثيرا بديمقريطس وبنظرياته وهنا يعطيه الحق على الأقل بالجزء ضد جميع الفلاسفة السابقين . — رأيا خاصا — كلمة النص ليس لها معنى محدود بهذا المقدار . وربما أفادت أن ديمقريطس قرر رأيا صوابا من بعض الوجوه ومعارضاً للنظريات السابقة . — من المشابهة والمماثلة — ليس فى النص إلا كلمة واحدة .

§ ٣ — تلك هى إذا الآراء — قد يرى أن بسط الآراء السابقة موجز بعض الشيء . ولكن يجب علينا فى هذا الصدد أن نثق بصدق أرسطو الذى ما سعى البتة فى الخط من أقدار أسلافه على رغم التهمة التى اتهمه بها باكون . — مجموع الموضوع — ليس النص على هذا القدر من الضبط . ومع ذلك فإن الفكرة التى يعبر عنها أرسطو هى عريقة فى الصحة . وذلك يرجع الى القول بأن هذه المذاهب على العموم أولى بها أن تكون غير تامة من أن تكون باطلة .

§ ٤ — أن يحتمل شيئا ولا أن يقبل شيئا — ليس فى النص الا كلمة واحدة ، ولكن لما أنه يوجد فيه أداتا نفى أردت أن أوفيه القوة بالفعلين وأوان المعنى واحد تقريبا . — من قبل شبيهه — يعنى مما هو على جهة الاطلاق والتماثل مشابه له . — أحد الشئيين — زدت هاتين الكلمتين . — يفعل — أو يفعل . — يمكنه أن يقبل أيضا من ذاته — يعنى يحتمل فعلا يحدثه هو نفسه فى نفسه ، وهذه النظرية دقيقة فيما يظهر . — مع التسليم بهذا — أو بعبارة أخرى اذا افترض أن

إذاً يمكنه أن يقبل أيضاً من ذاته . وحينئذ مع التسليم بهذا فينتج منه أن لا شيء في الدنيا يكون غير قابل للفناء ولا غير متحرك إذا فرض أن الشبيه بما هو شبيه يمكنه أن يفعل ما دام حينئذ كل موجود أيّاً كان يمكنه أن يعطى الحركة لنفسه ويعطيها أيضاً على السواء للوجود المغاير تماماً والذي ليس له به تماثل ما . وفي الواقع أن البياض لا يمكنه أن يقبل أى فعل من قبل خط ولا أن خطا يفعل بشيء من قبل البياض إلا ما ربما يكون بالعرض والواسطة : مثلاً في حالة ما إذا كان الخط بالمصادفة أبيض أو أسود . لأن الأشياء لا يمكنها أن تغير طبعها عفواً من تلقاء أنفسهم متى لم تكن أضداداً بعضها لبعض أو غير آتية من أضداد .

§ ٥ — ولكن لما أن فعل وانفعل ليسا بالطبع خاصية أى جسم اتفق وأخذ بالمصادفة وأنهما لا يكونان إلا في الأشياء الأضداد بعضها لبعض أو التي يندبها تضاد ما فينتج من ذلك ضرورة أن الفاعل والقابل يجب أن يكونا شبيهين ومتحدّين بجنسهما بالأقل وأن يكونا غير متشابهين ومتضادين بنوعهما . على هذا تريد الطبيعة أن الجسم يقبل فعل الجسم والطعم يقبل فعل الطعم واللون فعل اللون ، وعلى جملة من

الشبيه يفعل في الشبيه وأن شيئاً يفعل مباشرة في نفسه . — غير قابل للفناء ولا غير متحرك — قد قرر أرسطو دائماً أنه يوجد في الدنيا أشياء غير قابلة للفناء وأنه بالأقل المحرك الأول هو غير متحرك . — يمكنه أن يعطى الحركة لنفسه — ليس النص على هذا الضبط ويمكن ترجمته أيضاً هكذا : « لنفسه وإن ما هو مغاير له تماماً وليس له معه أدنى تماثل يمكنه أن يعطيها لنفسه على السواء » . وقد ظهر لي أن المعنى الآخر أفضل من جهة النحو . — وفي الواقع — لا يظهر أن ارتباط المعاني هنا واضح . — البياض — الأمثلة لا يظهر أنها قد أحسن اختيارها . — من قبل خط — أو بالأولى سطح كما يفسره فيلويون . — بالعرض والواسطة — ليس في النص الالكهة واحدة . — الخط — أو السطح . — عفواً من تلقاء أنفسهم — ربما صحت ترجمتها أيضاً « بالتبادل » .

§ ٥ — أى جسم اتفق وأخذ بالمصادفة — ليس في النص الالكهة واحدة . — تضاد ما — ليس النص على هذه الصراحة . — بجنسهما ... بنوعهما — هذا التمييز سيصلح فيما بعد للتوفيق بين

القول أن شيئا مجانسا يمكن أن يقبل فعلا من قبل الشيء المجانس . والسبب فيه أن جميع الأضداد هي في جنس واحد، وأن الأضداد تفعل بعضها في بعض وتقبل بعضها من قبل البعض الآخر . إذا يلزم ضرورة أن، من وجه، الفاعل والقابل يكونان متشابهين وفي الحين عينه يلزم أيضا أن يكونا غير متشابهين ومتغايرين بينهما .

§ ٦ — ما دام إذا يلزم أن يكون الفاعل والقابل هما متحدان ومتشابهين في الجنس ولا متشابهين في النوع وأن هذه هي نسب الأضداد فينتج من هذا جليا أن الأضداد والأوساط تفعل وتقبل على طريق التكافؤ بعضها إزاء البعض الآخر . فإن فيها مطلقا يحصل فساد الأشياء وكونها . لذلك فبسيط جدا أن النار تُسخن وأن البرد يبرد وعلى جملة من القول أن الشيء الذي يفعل يحيل الى ذاته الشيء الذي يقبل فعله .

ما دام أن هذا الذي يفعل وهذا الذي يقبل هما ضدان، وأن الكون هو على التحقيق تحوّل الشيء إلى ضده . ينتج منه أن بالضرورة الذي ينفعل يتغير بهذا الذي يفعل . وعلى هذا النحو فقط يحصل كون مفيض إلى الضد .

الآراء المتعارضة للفلاسفة السابقين . — يقبل فعل — أو عبارة أخرى ماثلة لعبارة النص: "يقبل من الجسم" وهذا التعبير مع ذلك مهم وكان الأولى إيضاحه . — مجانسا — أو من الجنس بعينه . ر .

ما سبق ب ٦ ف ١٠ . — إذا يلزم ضرورة — تكرير لما سبق آنفا بالحرف تقريبا .

§ ٦ — ما دام إذا ... الفاعل والقابل — تكرير آخر مساعد مع ذلك على إيضاح الفكرة أكثر منه على اطالها . — نسب الأضداد — ر . المقولات ب ١١ ف ٦ ص ١٢٢ من ترجمتنا .

— مطلقا — أو على العموم . — أن النار تسخن — ربما كان التعبير عاما جدا وربما كان يلزم ذكر مفعول كَأَنْتَ يقال مثلا : "تسخن الجسم الذي تفعل فيه" . — وأن البرد يبرد — هذا التكرير غير المفيد موجود كذلك بالنص . — يحيل الى ذاته — هاهنا أيضا العبارة قليلة الضبط ولو أن المعنى صحيح جدا . — تحوّل الشيء إلى ضده — النص غاية في الإيجاز فاضطرت الى بسطه . — الذي ينفعل يتغير بهذا الذي يفعل — قد يكون في العبارة بعض التجاوز لأن الشيء الذي يسخن لا ينقلب نارا . — مفيض إلى الضد — النص يستخدم تعبيرا يشعر بنوع من الحركة . وهذا الذي حاولت تحصيله في ترجمتي .

§ ٧ — هذا هو الذى يوضح جيدا كيف أن فلاسفتنا من غير أن يكرروا صراحة الأقوال أعيانها يمكنهم مع ذلك على الوجهين أن يصلوا إلى استكشاف الطبع والحق . وعلى هذا نقول تارة إنه الموضوع نفسه هو الذى ينفعل متى قلنا إن فلانا يبرأ وإنه يدفأ وإنه يبرد وإنه يعانى انفعالات من هذا القبيل . وتارة أيضا نقول مثلا إن البرودة هى التى تصير ساخنة أو إن المرض هو الذى يصير الصحة وعلى الوجهين العبارة صادقة . § ٨ — والأمر كذلك أيضا فيما يخص الفاعل فإننا نقول أحيانا إنه هو فلان الذى يسخن الشيء الفلانى ومرة أيضا إن الحرارة هى التى تسخن . لأنه تارة هى المادة التى تقبل الفعل وتارة أيضا الضد هو الذى يقبل . على ذلك فإنه بنظر الأشياء من هذه الجهة زعم بعضهم أن الموجود الذى يفعل والذى ينفعل يجب أن يكون بينهما شئ من التماثل . وأن الآخرين بنظرهم الأشياء من جهة مخالفة زعموا أن الأمر على الضد من ذلك تماما .

§ ٧ — فلاسفتنا — عبارة النص أقل ضبطا . - الطبع والحق — ليس فى النص الكلمة واحدة . — إنه الموضوع — يعنى الموجود الذى له الكيف المعد لأن يتغير بكيف مضاد . - البرودة — يعنى الكيف ذاته . وقد لا يكون التمايز بينا فى النص ولأنه على هذا التمايز يعتمد فى التدليل فكان الأثر أن يكون التعبير أظهر من هذا . وقد أجاد فيلوبون ايضاح هذه الفقرة كلها ولو أنه أطال فى الايضاح . — هى التى تصير ساخنة — فى هذا التعبير شئ من الغرابة فى النص وفى ترجيحى أيضا . — وعلى الوجهين العبارة صادقة — يعنى سواء قصد الى الموضوع أو قصد الى الكيفية نفسها التى تتغير .

§ ٨ — والأمر كذلك — يعنى أنه يمكن أن يجرى هذا التمايز بالنسبة للفاعل والقابل اللذين هما متعديان بالجنس ومختلفان بالنوع . — فلان الذى يسخن الشئ الفلانى — ليس النص على هذا القدر من البيان . — ان الحرارة هى التى تسخن — من جهة أنه هو الموضوع ومن جهة أخرى أنها هى الكيفية أو كما سيجىء بعد فى النص من جهة المادة ومن جهة أخرى الضد . — من هذه الجهة — يعنى بالنظر الى المادة التى هى مقولة بالاشتراك على الفاعل والقابل معا . — من جهة مخالفة — يعنى بالنظر الى الكيفيات المتضادة التى احداها تتغير الى الأخرى . — أن الأمر على الضد من ذلك تماما — ر . ما سبق بيانه فى آخر الفقرة الثالثة حيث يعيب أرسطو على كلتا النظريتين أنها لم تعتبر إلا جزاء من الموضوع الذى كان يجب إخضه فى مجموعه .

§ ٩ — ولكن التدليل الذى يمكن عمله لإيضاح ما هو يفعل وينفعل هو نفسه الذى به يوضح ما هو يحرك ويتحرك . وعلى ذلك لفظ المحرك يحمل أيضا على معنيين . فأولا الشئ الذى فيه يوجد مبدأ الحركة يشبه أن يكون المحرك مادام المبدأ هو أول العلل وثانيا إنما هو الحد الأخير بالاضافة الى الشئ الذى هو محرك والى كون الشئ . § ١٠ — وتنطبق الملاحظة نفسها على الفاعل ، وعلى هذا النحو نقول على السواء إن الطبيب هو الذى يرى أو هو النبذ الذى أمر به للمريض . وحينئذ لا شئ يمنع من أن المحرك الأول فى الحركة التى يعطيها يبقى هو نفسه غير متحرك . بل أحيانا قد تكون هناك ضرورة الى أن يكونه ولكن الحد الأخير يجب دائما لأجل أن يحرك أن يكون أولا قد حرك هو نفسه . § ١١ — وفى الفعل

§ ٩ — التدليل الذى يمكن عمله — الجملة فاقصة بعض الشئ فى الترجمة كما هى كذلك فى النص . ولكن المعنى بين . فان يفعل وينفعل يستوضح معناهما كما يستوضح معنى يحرك ويتحرك . — لفظ المحرك يحمل أيضا على معنيين — تبعاً لما اذا كان القصد المحرك الأول والمحرك الابتدائى أو المحرك التابع الذى يمكن أن يكون الأخير والأقرب بالنسبة للمحرك أى الشئ المحرك . — الشئ . — اخترت التعبير بهذا اللفظ المهم مجازاة للنص . — يشبه أن يكون المحرك — أو "يشبه أن يحرك" . — المبدأ هو أول العلل — بتعريف كلمتى المبدأ والعللة يبتدئ الكتاب الخامس من كتاب ما بعد الطبيعة . — الحد الأخير — يعنى المحرك الثانوى الذى هو الأقرب الى المتحرك . — الشئ — زدت هذا المضاف اليه ويمكن أن توضع بدله "الظاهرة" .

§ ١٠ — الملاحظة نفسها — النص أشد إيهاماً . وبعبارة أخرى "أن لفظ الفاعل يمكن أن يحمل على معنى مزدوج مثل لفظ المحرك" . — الذى أمر به للمريض — زدت هذه الكلمات التى ظهر لى أنها ضرورية لتمام الفكرة . فان الطبيب هو المحرك الأول والعللة الأولى للشفاء والنبذ الذى أمر به للمريض هو المحرك الثانوى والعللة التبعية للصحة المستردة . — فى الحركة التى يعطيها — هنا رواية أخرى عديمة الأهمية استجها بعض الناشرين ولكنها لا تساوى الرواية التى أثبتناها فى القيمة . — تكون هناك ضرورة — راجع نظرية المحرك الأول غير المتحرك فى كتاب الطبيعة ك ٨ ب ٦ و ٧ و ١٥ من ترجمتنا . الحد الأخير — "المحرك الأخير" .

أيضاً الحدّ الأول ليس متأثراً ولا قابلاً ولكن يلزم أن الحدّ الأخير، يمكنه أن يفعل،
 يفعل أيضاً هو ذاته بفعل ما بادئ بدء . كل الأشياء التي ليست من مادة واحدة
 بعينها تفعل دون أن تقبل هي أعيانها وأن تظل غير قابلة . مثال ذلك صناعة الطب
 فإنها مع فعلها الصحة لا تقبل أى فعل من قبل الجسم الذى تشفيه . ولكن الغذاء
 مع فعله الصحة يقبل ويلقى هو نفسه أيضاً تأثراً ما لأنه إما أن يسخن أو يبرد
 أو يعانى انفعالا آخر كيفما اتفق فى حين أنه يفعل . ذلك لأنه من جهة الطب هو
 ها هنا، بنحو ما، كالمبدأ فى حين أن الغذاء ، بنحو آخر، هو الحدّ الأخير الذى يمس
 العضو الذى يفعل فيه . على ذلك حيثئذ كل الأشياء الفاعلة التى ليس لها صورتها
 فى المادة تبقى غير قابلة، وكل التى لها صورتها فى المادة يمكن أن تقبل فعلا ما،
 ونقول أيضاً إن المادة هى واحدة على السواء بعينها بالنسبة لأى واحد ما من الحدّين
 المتقابلين ونعتبرها أنها بالنسبة لها جنسهما المشترك . ولكن ما يمكنه أن يصير
 ساخناً يجب ضرورة أن يسخن حينما الشئ الذى يُسخن يكون حاضراً وقريباً منه .

§ ١١ — وفى الفعل أيضاً — كما فى الحركة . — الحدّ الأول — عبارة النص غير محدودة أصلاً .
 ويمكن ترجمتها أيضاً "علة الأولى" . — ليس متأثراً ولا قابلاً — ليس فى النص الالكه واحدة . — يمكنه
 أن يفعل — زدت هذه الكلمات . — بادئ بدء — زدتهما أيضاً . — التى ليست من مادة واحدة بعينها — هى
 والأشياء التى تفعل فيها . — لا تقبل أى فعل — عبارة النص "لا تقبل شيئاً" . — يقبل ويبقى —
 ليس فى النص الالكه واحدة . — تأثراً ما — عبارة النص غير محدودة . — يسخن ... يبرد —
 فى ظاهرة الهضم التى بها الجهاز الهضمي يتمله . — كالمبدأ — أو بوجه ما المحرك الأول والمبدئى . — هو الحدّ
 الأخير — هنا أيضاً ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — التى ليس لها صورتها فى المادة —
 يعنى التى هى والقابل التى تفعل فيه ليست من مادة واحدة . هذا الأسلوب كثير التكرار عند أرسطو ولكنه
 هنا غير محل للشك بحسب شرح فيلوبون . فان القرينة تسوغ تفسير الشارح . — يمكن أن تقبل
 فعلا ما — فى حين أنها تحدث فعلا فى الشئ الواقع تحت تأثيرها . — من الحدّين المتقابلين — أو بعبارة
 أخرى "بالنسبة للفاعل وبالنسبة للقابل" . — جنسهما المشترك — زدت الكلمة الأخيرة . ر .
 ما سبق فى الفقرة الخامسة . — الشئ الذى يسخن — عبارة النص غير محدودة . — كما قلت آنفاً —
 فى أول الفقرة السابقة . — المحرك الأولى — يعنى العلة أيا كانت التى هى أول ما يعين الحركة . وأظن

فانظر لماذا أن بين الأشياء التي تفعل بعضها ، كما قلت آنفا ، هو غير قابل والآخر على ضد ذلك يمكن أن يقبل وكيف أن الأمر واحد بعينه بالنسبة للفواعل كما هو بالنسبة للحركة ، فان هناك في الواقع المحرك الأولى هو غير متحرك وهنا بين الفواعل إنما الفاعل الأول هو غير القابل وبمعزل عن كل انفعال . § ١٢ — ولكن اذا كان الفاعل علة كما هي حال المحرك سواء بسواء فمن أين يجيء أن مبدأ الحركة ، أى الغاية التي من أجلها يحدث كل الباقي ، لا يحدث هو نفسه فعلا ؟ مثال ذلك الصحة ليست فاعلا ولا يمكن تسميتها كذلك إلا بالمجاز المحض . ومذ يوجد الفاعل ينتج منه أن القابل الذى يقبل الفعل يصير شيئا ما ، ولكن متى تكون الكيفيات حاصلة تماما وحاضرة فليس للفاعل أن يصير فانه قد كان كل ما يجب أن يكونه . إن صور الأشياء وغاياتها يمكن أن يقال إنها كيفيات وعادات في حين أن المادة إنما هي التي بما هي مادة قابلة تماما . على هذا حينئذ النار لها حرارتها في المادة واذا

أنه يلزم أن يخص اسم المحرك الأول بمبدأ الحركة الكلية . فانه لا يراد هنا الحركة جزئية تقوم بها محركات عديدة بعضها توابع بعض . — هنا — زدت هذه الكلمة لتكون المقابلة أظهر . — غير القابل وبمعزل عن كل انفعال — ليس في النص إلا كلمة واحدة .

§ ١٢ — الغاية التي من أجلها يحدث كل الباقي — أو : «المم» كما هي عبارة النص . — الصحة ليست فاعلا — لأنها الغاية التي ينشدها الطبيب والمريض . فالطبيب هو المحرك الأول . والأدوية التي يأمر بها تفعل تحت أوامره لبلوغ الغاية التي هي الشفاء والصحة . — القابل الذى يقبل الفعل — ليس النص على هذه الصراحة . — يصير شيئا ما — يعنى يكسب كيفا جديدا يعطيه إياه الفعل الواقع عليه . — حاصلة تماما وحاضرة — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — كل ما يجب أن يكونه — أضفت هذه الكلمات إنما ما للعنى . — صور — أو «أنواع» . فان صور الأشياء هي طبعها الخاص والنهاى . — كيفيات وعادات — في النص كلمة واحدة . لان الكيفيات والعادات لما أنها أشياء مكتسبة ودائمة فليست محلا للتغير . فان الشيء هو ما هو . فليس يصير شيئا آخر بأن يكسب كيفية جديدة مخالفة . — قابلة تماما — من حيث إنها هي المادة التي تقبل على التعاقب الأضداد التي تتناوب عليها بالدور . — لها حرارتها في المادة — التعبير مغلق قليلا على رغم الايضاحات التي تقدمت . — عن مادة النار — أضفت هذه الكلمات تكميلا للعنى . — أن تقبل شيئا ولا أن تتأثر — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — عن النار

كانت الحرارة شيئاً ما قابلاً للانفصال عن مادة النار فلا يمكنها أن تقبل شيئاً ولا أن تتأثر . ولكنه محال من غير شك أن الحرارة تكون منفصلة عن النار التي تسخن وإذا كان ثم أشياء منفصلة بهذه المثابة فإن ما قلناه آنفاً لا يكون صادقا إلا بالنسبة لتلك .

١٣٤ — وعلى الجملة نقف عند حد الاعتبارات المتقدمة في إيضاح ماهية فعل وانفعل لنبين بأي الأشياء يتعلق أحدهما والآخر وبأي طريقة يكون الفعل والانفعال وكيف يكونان .

التي تسخن — أضفت هذه الكلمات . — ما قلناه آنفاً — أو بعبارة أخرى « هذه الأشياء تكون غير قابلة البتة ولا يمكنها أن تخضع لفعل أى كان » . ر . هذه النظرية نظرية الجواهر والصورة في الطبيعة ك ١ ب ٨ ص ٤٧٣ وما بعدها من ترجمتنا .

١٣٥ — وعلى الجملة — النص ليس صريحا هكذا . ولكن هذه الفقرة هي في الواقع محصل كل ما سبق . — وبأي طريقة... وكيف — هذا الجزء الخاص من المسئلة سيعالج أيضا في الباب الذي يلي بطريقة أخص وأوسع مما هاهنا .

الباب الثامن

نقض النظرية التي تفرض أن الفعل والانفعال يحدثان في الجواهر المادية بالمسام — رأى الفلاسفة القدماء — استشهد من أمبيدقل — لوكيس وديمقريطس هما أقرب إلى الحق — وحدة الوجود محال وكذلك ثباته — غرائب ضلالات الفلاسفة القدماء — عرض نظرية لوكيس — عرض نظرية أمبيدقل — مواطن الاتفاق والاختلاف بينهما وبين نظرية لوكيس — استشهد من طيماوس أفلاطون — مقارنة بين أفلاطون ولوكيس — اعتراضات على نظرية أفلاطون وعلى نظرية الوحدة ونظرية الذرات — استحالة قبول وجود الذرات وفهم من أين جاءت الحركة — الرؤية من خلال الأوساط تصير غير قابلة للإيضاح — خاتمة نقض النظرية التي تفسر بواسطة المسام الفعل والانفعال في الأشياء .

§ ١ — لنعرض مرة أخرى كيف أن ظاهرتي الفعل والانفعال ممكنتان . من الفلاسفة من يرى أنه حينما يعاني شيء أثرا ما على جهة الانفعال ، فذلك أن الفاعل الذي يفعل الأثر نهائيا وبطريق الأصلية ينفذ في ذلك الشيء بواسطة مسام أو قنوات . يقولون إننا كذلك نرى وإننا نسمع وإننا ندرك جميع الإدراكات الأخرى للحواس . وفوق ذلك إذا أمكن أن ترى الأشياء من خلال الهواء والماء والأجسام الشفافة فذلك بأن هذه الأجسام لها مسام غير مدركة بالبصر لسبب صغرها ولكنها مع ذلك شديدة الانضمام مرصوفة بنظام وترتيب ، وكلما تكون الأجسام أكثر شفافية كان لها من هذه المسام عدد أكثر . § ٢ — وعلى هذا النحو استبان بعض الفلاسفة الأشياء كما فعل أمبيدقل مثلا . ولكن لم تقصر هذه النظرية على

§ ٨ ف ١ — مرة أخرى — ويمكن أيضا ترجمتها : ” من جهة نظر أخرى “ . — ظاهرتي الفعل والانفعال — ليس النص واضحاً هكذا وقد أردت أن أجعله أبين خصوصا في ابتداء باب . — من الفلاسفة من — يقصد إلى أمبيدقل كما تدل عليه الفقرة التالية . — يعاني شيء أثرا ما على جهة الانفعال — النص أكثر إيجازا . — نهائيا — راجع ما سبق ب ٧ ف ١٠ و ١١ . — وبطريق الأصلية — لأنه يفعل بتماس مباشر وبلا واسطة . — مسام أو قنوات — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — ندرك ... الإدراكات — تكرار الكلمات هذا في النص . — هذه الأجسام — أو هذه العناصر لأن عبارة النص غير مانعة . — نظام وترتيب — ليس في النص إلا كلمة واحدة .

§ ٢ — كما فعل أمبيدقل مثلا — وهو الذي يلزم أن ينسب إليه الرأي المعروض في الفقرة السابقة دون أن يذكر صاحبه . — على الفعل وعلى الانفعال — عبارة النص بالضبط هي ” الفاعلات

الفعل وعلى الانفعال بل زعم أن الأجسام لا تختلط إلا متى كانت مساهما متناسبة المقياس على طريق التكافؤ . وقد اختطّ لوكيس وديمقريطس بأحسن من غيرهما الطريق الحق وأوضحا كلا بكلمة واحدة بأن صدرا عن نقطة الابتداء الحقيقية التي يعينها الطبع . وفي الواقع أن بعض القدماء قد ظن أن الموجود هو بالضرورة واحد وغير متحرك فعلى رأيهم الخلو لا يوجد . وأنه لا يمكن أن توجد حركة في العالم مادام أنه لا يوجد خلو منفصل عن الأشياء . وكانوا يزيدون على ذلك أنه لا يمكن أيضا أن يوجد تعدد مادام أنه لا يوجد خلو يقسم الأشياء ويعزلها . على أن دعوى أن العالم ليس متصلا لكن الموجودات التي تؤلفه متماسة مهما كانت منفصلة فذلك يرجع الى القول بأن الموجود متعدد وليس هو واحدا وأن الخلو موجود . وأنه إذا كان الموجود هو مطلقا قابلا للتقسمة في جميع الاتجاهات فن ثم لا توجد بعد وحدة

والمنفعلات " أى الأشياء التي تفعل والتي تقبل الفعل . — متناسبة المقياس على طريق التكافؤ —
يعنى أن الجسمين يمكن أن يدخل أحدهما في الآخر بحيث يتحصل منهما مزيج حقيق . وقد مثل فيلوبون بالنبيذ والماء فان مساهما متناسبة القياس في رأيه مادام أن هذين السائلين يمتزجان . وعلى ضد ذلك مسام النار ومسام الخشب فانها لما كانت غير متناسبة القياس كانت النار تفسد الخشب ولا تختلط به . — بأحسن من غيرهما — أستخلص هذا المعنى من شرح فيلوبون . — نقطة الابتداء الحقيقية التي يعينها الطبع — ليس النص على هذا الضبط تماما . — بعض القدماء . — يقصد پرمينيد ومدرسة ايليا كما يقول فيلوبون . — فعلى رأيهم — أضفت هذه العبارة التي مضمونها متمش مع سياق النص وكل ما هو وارد الى آخر هذه الفقرة خاص برأى پرمينيد ومدرسة ايليا ذلك الرأى الذى هو مبسوط بطريقة قلقة وغامضة . راجع مناقشة مشابهة هذه وإبطالا لمذهب پرمينيد وميليسوس فى الطبيعة ك ا ب ٢ وما بعده ص ٣٣٤ من ترجمتنا . — وأنه لا يمكن أن توجد حركة — هذه النظرية على علاقات الخلو والحركة هى منسوبة بالصراحة الى ميليسوس فى كتاب الطبيعة ك ٤ ب ٨ ف ٥ ص ١٨٩ من ترجمتنا . — منفصل عن الأشياء — أضفت الكلمتين الأخيرتين . — وكانوا يزيدون على ذلك — هذه الكلمات ليست صراحة فى النص ولكن هذا المعنى يفهم من سياق الجملة . — أنه لا يوجد خلو — ليس النص على هذه الصراحة . — يقسم ... ويعزلها — ليس فى النص الا كلمة واحدة . — ليس متصلا — وواحدا كما كانت تزعمه مدرسة ايليا . — مهما كانت منفصلة — ليس النص على هذا الوضع . — اذا

لاي ما كان بحيث إنه لا يوجد أيضا تعدد . وأن الكل هو خلوكه ، يقولون ، إنه إذا فرض أن العالم شطره على نحو وشطره على آخر فذلك إيضاح أشبه ما يكون بفرض مجازف فيه لأنه حينئذ الى أى نقطة ولماذا الجزء الفلاني من العالم يكون كذلك ومليئا في حين أن الجزء الفلاني الآخر مقسوم؟ وبهذه الطريقة يوصل أيضا على رأيهم إلى تأييد أنه بالضرورة لا يوجد حركة في العالم .

§ ٣ - بالصدور عن هذه النظريات وبمعاندة شهادة الحواس والاستهانة بها بحجة أنه ينبغي اتباع العقل فقط انتهى بعض الفلاسفة إلى التصديق بأن العالم واحد غير متحرك وغير متناه لأنه إن لم يكن كذلك فإن الحد بحسبهم لا يمكن إلا أن يحاذي الخلو .

§ ٤ - تلك هي إذا نظريات هؤلاء الفلاسفة وتلك هي الأسباب التي دفعتهم إلى فهم الحق على هذا النحو ، ولا شك في أنه إذا استمسك بالتدليل العقلية المحضة فذلك يشبه أن يكون مقبولا ولكن إذا أريد اعتبار الحوادث الواقعية

كان الموجود هو مطلقا قابلا للقسمة — وإذا يؤول أمره الى لاشئ بالقسمة نفسها التي ذهب بها الى الانهائية . — فن ثم لا توجد بعد وحدة لأى ما كان — أو بعبارة أخرى وحدة الأشخاص تنعدم مع الأشخاص أعيانها ولما أنه لا يوجد بعد من ثم تعدد ممكن فالكل يكون خلوا . — شطره على نحو — يعنى أن الاتصال يكون في شطر العالم والخلو في الشطر الآخر . — يقولون — أضفت هذه الكلمة للدلالة على أن ذلك بقية مراضات پرمينيد وأصحابه . — على رأيهم — أضفتها للغرض المتقدم . — لا يوجد حركة في العالم — وهذا هو المبدأ الأساسى لمدرسة إيليا وهو أن الموجود واحد وغير متحرك . راجع نقض هذه النظرية في الطبيعة ك ١ ب ٢ وما يليه ص ٤٣٣ من ترجمتنا .

§ ٣ - بمعاندة شهادة الحواس والاستهانة بها — يلزم الانتباه الى هذه العبارات الشديدة التي توصى بقوة باتخاذ نهج المشاهدة دون النظريات المنطقية المحضة . راجع أيضا الفقرة السابقة . — بعض الفلاسفة — پرمينيد وعلى العموم مدرسة إيليا . — ان لم يكن كذلك... بحسبهم — أضفت هذه الكلمات التي ظهر لى أنها ضرورية لبيان الفكرة . ومع ذلك فان الفقرة لا تزال غامضة ولم أرفيلو يون يفسرها في شرحه لأنه بلا شك لم يكن ليجد فيها أدنى صعوبة .

§ ٤ - الحق — ربما كان أحسن أن يقال " الحقيقة " . — التدليل العقلية المحضة — ليس النص على هذا القدر من التأكيد . — فذلك يشبه أن يكون مقبولا — أو أيضا : " أن الأشياء تشبه أن تمضى على هذا الوجه " . — إذا أريد اعتبار الحوادث الواقعية — راجع مقدمي لكتاب الميتورولوجيا على نمط

فيوشك أن يكون من الجنون تأييد آراء كهذه . لأنه لا يوجد مجنون ذهب إلى هذه النقطة من الضلال أن يجد أن النار والتلج هما شيء واحد بعينه . ولكن خلط الأشياء الجميلة لذاتها بالتى لا تظهر لنا كذلك إلا بالاستعمال من غير أن يرى فيها مع ذلك أى فرق ما بينها، ذلك لا يمكن أن يكون إلا نتيجة لتيه حقيقى للعقل .

§ ٥ — فأما لوكيس فإنه كان يظنه محيطا علما بالنظريات التى ، مع كونها متفقة مع الحوادث الواقعية المدركة بالحواس ، لم تكن ، بحسب مذهبه ، لتعرض للكون ولا للفساد ولا للحركة ولا للتعدد فى الموجودات . ولكن بعد هذا التسامح الذى أسداه الى حقيقة الظواهر قد أسدى غيره الى أولئك الذين يقبلون وحدة الموجود بحجة أنه لا يوجد حركة ممكنة بدون الخلو . ويقبل القول بأن الخلو هو اللاموجود وأن اللا موجود ليس هو شيئا مما هو موجود . وإذا ، على رأيه ، الموجود بالمعنى الخاص هو متعدد للغاية . والموجود على هذا المعنى لا يمكن أن يكون

المشاهدة عند القدماء وعلى الأخص عند أرسطو ص ٤٦ وما بعدها . — يوشك أن يكون من الجنون — من الصعب أن تعاب نظريات مدرسة إيليا العقلية المحضة بأكثر من هذه الشدة . — الأشياء الجميلة لذاتها — هذه النقطة لم يشرحها أيضا فيلوبون وفيها خفاء . فان كلمة النص التى ترجمتها "الجميلة لذاتها" فيها إيهام وهى تدل على الأشياء الطيبة كما تدل على الجميلة . وقد يكون المعنى أن أرسطو يعيب على مدرسة إيليا أنها تفسد قاعدة الأخلاق بخلطها بين الخير والشر . وهذا المعنى هو الذى ارتآه بعض الشراح المتأخرين .

§ ٥ — فأما لوكيس — راجع عن آراء لوكيس وديمقريطس فى الخلو كتاب الطبيعة ك ٤ ب ٨ ف ٣ وما بعدها ص ١٨٧ من ترجمتنا . ومع ذلك فإن أرسطو يبين عليه هنا شدة الاهتمام بلوكيس أكثر منه فى كتاب الطبيعة حيث يقول عنه وعن أساذه "إنهما لم يظا عتبة المسئلة" . — بحسب مذهبه — زدت هذه العبارة لإتمام الفكرة . — ولا للحركة ولا للتعدد — وبالجملة كل ما تشهد لنا الحواس بأنها حقائق يئمة . — الذى أسداه إلى حقيقة الظواهر — ليس النص على هذه الصراحة . — اللاموجود ليس هو شيئا مما هو موجود — يظهر أن هذا هو تكرير محض ولكنه وارد فى النص . — على رأيه — أضفت هاتين الكلمتين . — متعدد للغاية — أظن أن هذا هو الرواية الحققة وهى متفقة مع سبك النص وفى بعض

واحدًا . وعلى العكس أن هذه العناصر تكون غير متناهية في العدد وتكون فقط غير مرئية بسبب لطافة حجمها للغاية . ويزيد على ذلك لو كيبس أن هذه الجزيئات تتحرك في الخلو، لأنه يقبل الخلو، وأنها باجتماعها تسبب كون الأشياء وبانحلالها تسبب فسادها، وأن الأشياء تفعل أو تتفعل تبعاً لما أنها تنماس على طريق التكافؤ وأنها على ذلك ليست هي شيئاً واحداً بعينه ، وأنها بتركبها واشتباكها بعضها ببعض تكون العالم كله . ويستنتج لو كيبس من هذا أن التعدد لم يكن ليخرج البتة من الوحدة الحقة كما أن الوحدة لا يمكن أن تأتي أيضاً من التعدد الحق وأن كل هذا هو محال على الإطلاق من جهة ومن أخرى . وأخيراً كما أن أميدقل وبعض الفلاسفة الآخرين يزعمون أن في الأشياء الفعل الذي تقبله وتعانيه هو يحصل فيها بواسطة المسام فكذلك يرى لو كيبس أيضاً أن كل استحالة للأشياء وكل انفعال لها إنما يحصل على هذا النحو نفسه وأن الانحلال والفساد يكونان بواسطة الخلو، والنمو حاصل كذلك بواسطة الجزيئات الجامدة التي تدخل في الأشياء .

§ ٦ — وأما أميدقل فينبغي ضرورة أن يقول قول لو كيبس تقريباً لأنه يقول بأنه يجب أن يوجد جزيئات جامدة وغير قابلة للتجزئة إذا كانت المسام ليست متصلة مطلقاً . ولما أن هذا الاتصال للمسام محال لأنه حينئذ لا يمكن وجود شيء

النسخ "ملىء للغاية . ملىء بالتام" وليس بين الروايتين إلا تغيير حرف واحد . — هذه العناصر — التزمت هنا أن أوضح التعبير الذي جعله النص غير محدد . — لطافة حجمها للغاية — تلك هي الذرات المقبولة أيضاً عند ديمقريطس استاذ لو كيبس . — ويزيد على ذلك لو كيبس — ليس النص على هذا الضبط . ولكن المعنى الذي أعطيه يستفاد من أسلوب الجملة الإغريقية نفسها . — شيئاً واحداً بعينه — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — العالم كله — أضفت هذه العبارة لكيلاً أكرر ما قيل آنفاً . — ويستنتج لو كيبس من هذا — ليس النص على هذه الصراحة . — الذي تقبله وتعانيه — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — بواسطة المسام — ر . ماسبق ف ١٠ . — بواسطة الخلو — تكرر لما قيل آنفاً في هذه الفقرة نفسها . — التي تدخل — أو التي "توحد" .

§ ٦ — وأما أميدقل — ر . ماسبق ف ٢ حيث يظهر أن أميدقل أنزل من أجل هذه النظرية في منزلة أدنى من ديمقريطس ولو كيبس . — جزيئات جامدة وغير قابلة للتجزئة — وفي هذا المعنى يقرب أميدقل من مذهب الذرات . — ليست متصلة مطلقاً — يعني تلامس مباشرة بعضها بعضاً . ولكن فكرة المسام عينا تستلزم ضرورة

جامد، إلا أن يكون هو المسام، والكل بلا استثناء لا يكون بعدد إلا خلوا، فحينئذ يلزم على رأى أمبيدقل أن الجزئيات التى تتماس تكون غير قابلة للتجزئة وأن المسافات وحدها التى تفصلها تكون خلوات، وهذا هو ما يسميه المسام. وهذه الآراء هى أيضا آراء لوكييس فى الفعل والانفعال فى الأشياء.

§ ٧ — تلك هى الايضاحات التى أعطوها عن الوجه الذى تكون به الأشياء تارة فاعلة وتارة منفعة. وحينئذ يرى مبلغ ما عليه فى الحقيقة هؤلاء الفلاسفة وكيف يعبرون آراءهم فى هذا الصدد مؤيدين مذاهب تكاد تكون مطابقة للحوادث.

§ ٨ — ولكن فى نظريات فلاسفة آخرين كأمبيدقل يلمح، بجلاء أقل، كيف يدرك كون الأشياء وفسادها واستحالتها والطريقة التى بها تقع هذه الظواهر. فعلى رأى البعض أن العناصر الأولية للأجسام هى غير قابلة للتجزئة ولا تختلف بينها إلا بالصور، ومن هذه العناصر تتركب الأجسام فى البداية وإليها تنحل فى النهاية. ولكن من جهة أمبيدقل فقد يرى على كفاية الوضوح أنه يبلغ بكون الأشياء وفسادها إلى العناصر أنفسهم. على أنه كيف يمكن أن يكون وأن يفسد العظم الملتك لهذه العناصر؟ هذا هو ما ليس بيننا البتة فى مذهبه. بل

حواجز جامدة تفصلها وتعزها بعضها عن بعض. — هذا الاتصال للسام — النص ليس على هذا القدر من الصراحة وعبارته غير محددة. ولكن المعنى مع ذلك لا يمكن أن يكون محلا للشك. — إلا أن يكون هو المسام — وربما كان أحسن «بجانب المسام». — على رأى أمبيدقل — زدت هذه الكلمات. — التى تتماس — وتكون بنوع ما حواجز للسام. — وحدها — هذه الكلمة ليست فى النص ولكن ظهرت لى مفيدة فى اتمام الفكرة. — هى أيضا آراء لوكييس — نتيجة وتكرير لما قيل فى أول هذه الفقرة.

§ ٧ — تارة فاعلة وتارة منفعة — أو أيضا «تفعل وتنفعل». — هؤلاء الفلاسفة — هذا ينطبق بالأخص على لوكييس وديمقريطس. — تكاد تكون مطابقة للحوادث — ر. ما سبق ف ٤.

§ ٨ — كأمبيدقل — هذا يشبه أنه مناقض لما قيل فى ف ٦ حيث آراء أمبيدقل معتبرة لصيقة بآراء لوكييس التى ووفق عليها. — فعلى رأى البعض — يعنى الفلاسفة الآخرين ما عدا أمبيدقل. — غير قابلة للتجزئة — هى الجواهر الفردة. — تتركب الأجسام فى البداية — تكرير لما سبق. — العظم — مهما كان. — يعنى غير متناه فى الصغر ما دام الأمر خاصا بالذرات. — أن النار ذاتها

زيادة على ذلك أن هذا ما لا يستطيع تبيان ما دام أنه ينكر أن النار ذاتها عنصر كما ينكر أيضا على السواء وجود جميع العناصر الأخرى . وقد أيد أفلاطون النظرية عينها في طيماوس لأنه فضلا على أن أفلاطون يعبر في هذه النقطة مثل لو كيبس فإن أحدهما يقبل أن التي لا تتجزأ هي جوامد والآخر أنها ليست إلا سطوحا، وأن أحدهما يقرر أن جميع الجوامد التي لا تتجزأ هي محدودة بأشكال عددها غير متناه والآخر أن لها أشكالا متناهية ومضبوطة . والنقطة الواحدة التي فيها يتفق الاثنان جميعا أنهما يقبلان وجود التي لا تتجزأ وتحديدها بأشكال .

§ ٩ — إذا كان حقاً أن من ذلك في الواقع تأتي أكوان الأشياء وفساداتها فمن ثم يوجد عند لو كيبس لادراكها طريقتان الخلو والتماس . وعلى هذا النحو، على رأيه، أن كل شيء قد يكون متميزاً ومنقسماً . ولكن عند أفلاطون الأمر على الضد ليس إلا التماس وحده مادام أنه يرفض وجود الخلو . وقد تكلمنا في بحوثنا السابقة على مذهب السطوح التي لا تتجزأ، وأما الجوامد التي لا تتجزأ فليس ها هنا محل لفحص أطول من ذلك عن نتائج هذه النظرية التي ندعها الآن إلى جانب .

عنصر — ر . فيا سيأتى ك ٢ ب ٣ ف ٦ رأى أمبيدقل في النار التي هي على رأيه خليط و بالنتيجة ليست عنصراً حقيقياً . — وقد أيد أفلاطون النظرية عينها — النص أقل صراحة . — في طيماوس — ر . ترجمة كوزان ص ١٦١ و ١٦٧ وما بعدها . — إلا سطوحا — ربما لم يقل أفلاطون ذلك صراحة . ولكن هذا هو النتيجة الضرورية لنظرياته . — متناهية ومضبوطة — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — والنقطة الواحدة التي فيها يتفق الاثنان — ليس النص على هذه الصراحة . — وجود التي لا تتجزأ — لا يظهر أن أفلاطون يقبل مذهب الجواهر الفردة تماماً على النحو الذي يظهر أن أرسطو يقوله هنا . § ٩ — فساداتها — أو "انفصالاتها" وكلمة النص ليست أكثر من ذلك ضبطاً . — على رأيه — زدت هذه العبارة . — قد يكون متميزاً ومنقسماً -- وضعت هاتين الكلمتين لأوفى قوة كلمة النص الواحدة . — الا التماس وحده — يعنى أن السطوح بتلاسمها تنتهى بأن تركيب الأجسام . ولا أدري هل هذا هو الحق معنى نظرية أفلاطون . — في بحوثنا السابقة — ر . كتاب السماء ك ٣ ب ١ ف ١٤ وخصوصاً ب ٧ و ٨ حيث نظرية أفلاطون مقبوضة بالتأويل . — السطوح التي لا تتجزأ — هذا هو مذهب أفلاطون . — أما الجوامد التي لا تتجزأ — هذا هو مذهب الجواهر الفردة الذي هو مذهب لو كيبس وديمقريطس . — نتائج هذه النظرية — ليس النص بينا هكذا .

§ ١٠ — ولكن إذا نحن استطردها بعض الشيء نقول إنه ضرورة في هذه المذاهب كل ما لا يتجزأ فهو يجب أن يكون غير منفعل لأنه لا يمكن أن يكون منفعلا وقابلا أى فعل ما إلا بالخلق الذى هو غير مقبول عندهم، وهو كذلك لا يمكنه أن يحدث أى فعل ما فى أى شىء اتفق ما دام أنه لا يمكن أن يكون لا صلبا ولا باردا مثلا . وفى الحق أنه من السخف الاقتصار على تخصيص الحرارة بالشكل الكرى وحده فقط لأنه من ثم يكون بالضرورة الكيف المضاد، أعنى البرودة، يتعلق بشكل آخر غير الكرة . ولكن إذا كان هذان الكيفان يوجدان فى الأشياء، أعنى الحرارة والبرودة، فيكون من السخف الاعتقاد بأن الخفة والثقل والصلابة والرخاوة لا يمكن أن تكون فيها أيضا . وإنى أعترف بأن ديمقريطس يزعم أن كل ما لا يتجزأ يمكن أن يكون أكثر ثقلا إذا كان أكبر حجما بحيث إنه، بالبين بذاته أيضا، يمكن أن يكون أكثر حرارة .

§ ١١ — ولكنه من المحال ، متى كان الأمر على ما يقال ، أن تلك التى لا تتجزأ لا تقبل تأثيرا ما بعضها من قبل البعض الآخر، وأن ماهو متوسط الحرارة مثلا لا يقبل تأثيرا من قبل ما له حرارة أكثر منه للغاية . ولكن إذا كان الصلب

§ ١٠ — فى هذه المذاهب — أضيفت هذه الكلمات التى ظهرت لى ضرورة لاتمام الفكرة والتى يجيزها تفسير فيلو بون . — الذى هو غير مقبول عندهم — أضيفتها للسبب المتقدم . — من السخف — هذا التعبير القاسى قد كرر عدة مرات فى هذه الفقرة ولكنه وارد فى النص كما هو فى الترجمة . — الشكل الكرى وحده فقط . — ر . طيماوس أفلاطون ترجمة كوزان ص ١٥٣ و ١٦٧ وما بعدها . وربما لا تكون عبارة طيماوس من التأكيد على ما يزعم أرسطو . — إذا كان أكبر حجما — النص هنا بين الدقة لما به من الإيجاز . ويظهر مع ذلك أن كل الذرات قد يجب أن تكون متساوية بينها وأن إحداها لا ينبغي أن تكون أكثر ثقلا من الأخرى .

§ ١١ — على ما يقال — النص أقل بيانا . — لا تقبل تأثيرا — أولا تفعل . — ما هو متوسط الحرارة — هذا هو الواقع المعلوم الذى هو توازن الحرارة . فان شيئين غير متساوي الحرارة يصيران متساويين بأن يفعل أحدهما فى الآخر . — ولكن إذا كان الصلب يقبل — ليس النص على

يقبل تأثيرا فالرخو أيضا يجب أن يقبل تأثيرا لأنه لا يقال على شيء إنه رخو إلا مع الاستحضار الذهني لفعل يمكنه احتماله ما دام الجسم الرخو هو بالضبط هذا الذي يطاوع الضغط بسهولة .

§ ١٢ — ومع ذلك ليس أقل سخفا ألا يقبل في الأشياء مطلقا شيء إلا الصورة وإذا تقبل الصورة فن السخف ألا يفترض فيها إلا واحدة إما مثلا البرودة وإما الحرارة لأنه لا يمكن أن يوجد طبع واحد بعينه لهاتين الظاهرتين المتقابلتين .

§ ١٣ — وفي الحق أن من المحال أيضا على سواء أن يفترض أن الموجود مع بقاءه واحدا يمكن أن تكون له عدة صور لأنه بما هو لا يتجزأ قد يعاني تغيره المختلفة في النقطة عينها . و بالنتيجة فعبثا ينفعل ، فيبرد مثلا ، وبهذا عينه يحدث أيضا فعلا آخر أو بل يقبل أى تأثير آخر اتفق .

§ ١٤ — يمكن استخدام هذه التنبيهات أنفسها بالنسبة لجميع التغيرات الأخرى لأنه سواء قبل القول بجوامد لا تتجزأ أو قبل القول بسطوح لا تتجزأ فالتأثير تكون

هذه السعة . — يطاوع الضغط بسهولة — ر . الميتورولوجيا ك ٤ ب ٤ ف ٦ وما بعدها ص ٢٩٨ من ترجمتي .

§ ١٢ — ومع ذلك ليس أقل سخفا — هذا الانتقاد موجه على الأخص بغير شك إلى أفلاطون . — الصورة — هذا التعبير محمول هنا على معنى مهم ما دامت القرينة تعين أن معنى الصورة أيضا الخاصة . وفي الواقع أن الحار والبارد خاصيتان وليستا صورتين بالمعنى الخاص . — لهاتين الظاهرتين المتقابلتين — أضفت الكلمة الأخيرة .

§ ١٣ — مع بقاءه واحدا — ليس النص على هذه الصراحة . — تغيره المختلفة — زدت الكلمة الأخيرة . — في النقطة عينها — الكلمة التي استعملت في النص غير محددة فاضطرت إلى زيادة الضبط . — يحدث أيضا فعلا آخر — المعنى ليس جليا وكان يقتضى توسعا في التعبير . — أى تأثير آخر اتفق — هنا أيضا ترجمتي أكثر ضبطا من النص .

§ ١٤ — بجوامد لا تتجزأ — هذا هو مذهب لوكيس وديمقريطس . — بسطوح لا تتجزأ — هذا هو مذهب أفلاطون . ر . ما سبق ف ٩ . — أن اللا متجزئة — عبارة النص ليست محدودة تماما . — في اللا متجزئة — هذه هي عبارة النص بعينها .

هى أنفسها ما دام ليس ممكناً أن اللا متجزئة تكون تارة أكثر تخلخلاً وتارة أكثر كثافة إذا لم يوجد خلو في اللا متجزئة .

§ ١٥ — وكذلك من السخف على السواء تماماً افتراض أن أجساماً صغاراً هى غير قابلة للتجزئة وأن أجساماً كباراً لا تكونه . ففي الحالة الحاضرة للأشياء يفهم العقل في الواقع أن الأجسام الكبرى يمكن أن تنفتت بأسهل جداً من الصغرى مادام أنها تتحلل بدون عناء لأنها كبيرة وأنها تتلامس وتتصادم في كثير من النقط . ولكن لما إذا اللا متجزئة قد توجد مطلقاً في صغار الأجسام بالأولى من أن توجد في الكبار ؟ .

§ ١٦ — وفوق ذلك كل هذه الجوامد هل هى من طبع واحد بعينه أم هل هى تختلف بعضها عن بعض بما أن بعضها من النار والآخر من الأرض بحسب كثتها؟ فإذا لم يكن إلا طبع واحد بعينه لجميعها فماذا عسى أن تكون العلة التى قسمتها ؟ بل لماذا بتماسها لا تجتمع كلها بالتماس في كتلة واحدة بعينها كالماء حينما يلامس الماء ؟ فان الماء الأخير المضاف لا يختلف في شئ عن الماء الذى كان يتقدمه .

§ ١٥ — أجساماً صغاراً — الجواهر الفردة مفروض أنها على نهاية ما يمكن من الدقة بحيث تعزب عن مشاهداتنا . وقد استنتج أنها غير قابلة للقسمه لأنها أصغر من أن تقسم .
— ففي الحالة الحاضرة للأشياء — عبارة النص هى : « الآت » . — تتحلل — قد يكون أولى « تجزأ » . — وأنها تتلامس وتتصادم في كثير من النقط — ليس في النص الكلمة واحدة . — مطلقاً — ليس في النص الإغريق إلا هذه الكلمة وحدها والتعبير أوجز مما ينبغي وكان يلزم التوسع فيه لجعل المعنى أبين من ذلك . فإذا كانت الجواهر الفردة غير قابلة للتجزئة بطبعها فصغرها وكبرها لا دخل له فسواء كانت كبيرة أم صغيرة فإنها تظل غير قابلة للتجزئة وعلى ما جبلها الطبع .

§ ١٦ — وفوق ذلك — رد آخر بعد الردود السابقة . — كل هذه الجوامد — المعتبرة أنها جواهر فردة أو ذرات غير قابلة للقسمه . — بما أن بعضها من النار — على حسب ما يظهر أنه ينتج على الخصوص من النظريات المقررة في طيأوس . — التى قسمتها — أو « فصلت بعضها عن بعض » . وهنا القسمه أو الفصل يشبه أنها ترجع أيضاً الى مجرد عدم المشابهة . — بتمامها — أو « بعد أن تلامست على طريق التبادل » . — في كتلة واحدة بعينها — عبارة النص غير محددة . — كالماء — المثل على الأقل واضح جداً لأن الماء ينضم

ولكن إذا كانت هذه التي لا يتجزأ يختلف بعضها عن بعض فحينئذ ما ذا تكون؟
بين بذاته أنه يلزم التسليم أن هذه هي مبادئ الظواهر وعللها أولى من أن تكون
مجرد أشكال لها . ومن جهة أخرى إذا قيل إنها مختلفة الطبع فحينئذ يمكنها
بتلاسمها المتبادل أن تفعل أو تنفعل بعضها بالآخر .

§ ١٧ — أكثر من ذلك ، ما ذا سيكون المحرك الذي يوقعها في الحركة؟ إذا كان
هذا المحرك مخالفا لها فحينئذ يكون ما لا يتجزأ قابلا . وإذا كان كل ما لا يتجزأ
يحرك نفسه فاما أن يصير قابلا للتجزئة بما هو محرك في جزء ومحرك في جزء آخر
واما أن يجتمع النقيضان في الشيء بعينه معا ، وحينئذ تكون المادة واحدة لا بالعدد
فقط بل بالقوة أيضا .

الى الماء بلا أدنى عاء . وإن الذرات يجب أن تجتمع بعضها مع بعض على هذا النحو بسبب تماثلها
الطبيعي . — الماء الأخير — هذه هي عبارة النص بعينها . — المضاف — هذه الكلمة ليست في النص .
— فحينئذ ما ذا تكون ؟ — هذا سؤال موجه الى مذهب أفلاطون ومذهب لوكيس الذي يريد أرسطو
بلا شك أن يعيب عليه أنه لم يلج في هذه النقطة قدر الكفاية . — مجرد أشكال لها — المسلم بها في نظريات
أفلاطون ونظريات لوكيس . — اذا قيل — ليس النص على هذه الصراحة . — تفعل أو تنفعل —
في حين أنه في المذاهب التي يطعن فيها أرسطو تعتبر الجواهر الفردة غير قابلة للانفعال . ر .
ما سبق ف ١٠

§ ١٧ — ما ذا سيكون المحرك الذي يوقعها في الحركة؟ — ليس النص على هذه السعة . — مخالفا لها —
يعني أجنبيا منها وخارجا عنها . — ما لا يتجزأ قابلا — وهو في النص أيضا بصيغة المفرد ولكن الجمع ربما
كان أولى . ا دام المقصود هو الجواهر الفردة . فان ما لا يتجزأ يصير قابلا بما هو يقبل ويماني
الحركة التي يوصلها اليه المحرك . — اذا كان كل ما لا يتجزأ يحرك نفسه — من غير أن يتلقى الحركة
من الخارج . — محرك في جزء ومحرك في جزء آخر — قد وُضح في "الطبيعة" أن المحرك الذي يعطى الحركة
الذاتية لنفسه يجب أن يفهم على أن له جزأين أحدهما يتلقى الحركة التي يعطيها له الآخر ، مع أنه يبقى بأكمله
غير متحرك . ر . الطبيعة ك ٨ ب ٦ ف ٥ ص ٦٠١ من ترجمتنا . — في الشيء بعينه — وهو محال لأن
الضدين لا يجتمعان في آن واحد في شيء واحد بل يجب أن يتعاقبا عليه . — بالعدد — أو بالشخص .
— بل بالقوة أيضا — يعني أنها يمكن أن تنفعل بالضدين معا . وكلمة بالقوة هنا ليس لها معناها العادي .

§ ١٨ — وحينئذ هؤلاء الذين يزعمون أن التغيرات التي تقبلها الأجسام تكون بحركة المسام يجب عليهم أن ينتبهوا، لأنهم إذا سلموا بأن الظاهرة تقع حتى لو كانت المسام مليئة لاستعاروا حينئذ للمسام وظيفة غير مفيدة قطعاً مادام أنه إذا انفعل الجسم في هذه الحالة بالطريقة عنها يمكن افتراض أنه ، بدون أن يكون له مسام وبما هو نفسه متصل ، قد يمكنه أيضاً أن يقبل بالتمام كل ما يقبل .

§ ١٩ — ولكن كيف يمكن أن يحصل النظر بالطريقة التي يفسرها في هذا المذهب؟ ليس أكثر إمكاناً في الواقع أن يمر بالتماسات من خلال الأشياء الشفافة منه في خلال المسام إذا كانت المسام كلها مليئة. فإين يكون الفرق إذاً بين أن يكون لها مسام وبين ألا يكون لها البتة ما دام أن الكل سيكون مليئاً على السواء؟ بل إذا كانت هذه المسام ذواتها مفترضة خالية وإذا كان فيها أجسام فحينئذ تعود الصعوبات أنفسها . ولكن إذا افترض أن المسام ذوات امتدادات صغيرة بحيث لا تستطيع بعد أن تقبل أى جسم اتفق فان من سفه الرأي أن يتصور أن الصغير

§ ١٨ — يجب عليهم أن ينتبهوا — ليس النص على هذا القدر من الضبط فظننت واجباً على أن أقسم الجملة والفكرة لأجلهما أكثر بياناً . — حتى لو كانت المسام مليئة — أو "مملوءة" بالمواد التي يمكن أن تجازها لتفعل في الأجسام وتغيرها بأية طريقة كانت . — انفعل... بالطريقة عنها — و يعانى الفعل الذى قد يعاينيه بدون أن يكون له مسام أو إذا كانت المسام خالية . — كل ما يقبل — أضفنا هذه الكلمات .

§ ١٩ — النظر — من خلال الأوساط وكما قيل آنفاً "من خلال الأجسام الشفافة" التي هي مفترضة ذوات مسام يمر منها الضوء . — بالتماسات — حفظت عبارة النص على حالها مع كونها غامضة . ولم يك شرح فيلويون ليزيل هذا الغموض . وقد ينبغي أن يفهم أن الضوء إنما يلامس سطوح الأجسام الشفافة ويتفد فيها هكذا . — إذا كانت المسام كلها مليئة — بجسم يكون الضوء مضطراً لطرده أمامه ليأخذ مكانه ويحتاز الجسم الشفاف . — بين أن يكون لها مسام وبين ألا يكون لها البتة — ليس في النص هذا التردد الذى ظهر لى ضرورى لتبيين الفكرة . — ما دام أن الكل سيكون مليئاً على السواء؟ — إما باتصال الجسم نفسه وإما بامتلاء المسام . — هذه المسام — النص غير محدود تماماً . — الصعوبات أنفسها — التي جئ على بيانها . ويقال في الجزئيات الموجودة في المسام ما كان يقال أولاً في المسام أنفسها . — أن الصغير خال — حفظت بناء جملة النص على ما هو عليه . والمراد بالصغير هاهنا الجسم القليل الامتداد . — أن المخلو

خال وأن الكبير ليس كذلك مهما كانت سعته وأن يُنشى بالاعتقاد إلى أن الخلو هو شيء آخر غير مكان الجسم بحيث إنه ، كما هو بين بذاته ، يلزم أن يكون الخلو دائماً على مقدار مساو للجسم نفسه .

§ ٢٠ — وعلى جملة من القول فانه غير مفيد افتراض مسام . فاذا كان جسم لا يفعل في آخر بمسسه فلن يفعل أيضا بأن يخترق مسام . وإذا كان إنما يفعل بالمس فحينئذ ، حتى بدون مسام ، تفعل الأجسام أو تقبل الفعل كلما وضعها الطبع أحدها تلقاء الآخر في علاقة من هذا القبيل .

§ ٢١ — والحاصل أنه يرى من كل ما تقدم أن تصوّر مسام على الوجه الذى فهمها به بعض الفلاسفة إنما هو خطأ كامل أو فرض باطل . فإن الأجسام بما هي قابلة للتجزئة مطلقا في كل جهة فمن السخرية افتراض مسام مادام أن الأجسام بما هي قابلة للتجزئة يمكنها دائماً أن تنفصل .

هو شيء آخر غير مكان الجسم — الفكرة غامضة قليلا ولم أجد في شرح فيلو بون شيئا يوضحها على قدر الكفاية .

§ ٢٠ — وعلى جملة من القول — هذا هو محصل المناقشة السابقة . وقد استنتج أرسطو أن نظرية الفعل والانفعال لا حاجة بها الى فرض المسام الذى تخيله بعض الفلاسفة . — فى آخر — أضفت هاتين الكلمتين . — وإذا كان إنما يفعل بالمس — يعنى بأن يلمس مباشرة الشيء الذى يقع عليه فعله . — كلما وضعها الطبع — ليس النص على هذا القدر من الضبط .

§ ٢١ — إنما هو خطأ — ملخص كل هذه المناقشة . — قابلة للتجزئة مطلقا فى كل جهة — ليس فى النص إلا كلمة واحدة . — أن تنفصل — وتعمل لأنفسها مسام كما فسره فيلو بون .

الباب التاسع

تفاصيل جديدة على نظرية كون الأشياء وعلى خواصها الفاعلة والقابلة — الأفعال التي تحصل عند التماس وعلى بعد — توضيح ديمقريطس غير الكافي — تحول أشكال الأجسام اذ تتغير بالحال دون أن تتغير بالمكان — خاتمة نظرية الفعل والانفعال .

§ ١ — أما نحن فالتنا صاعدين الى المبدأ الذي طالما قررناه نعيد إيضاح الطريقة التي بها الكون والفعل والانفعال تقع في الأجسام . في الواقع إذا كان شيء له الخاصية الفلانية تارة بالقوة المحضة وتارة بالفعل وبالكمال وإذا كان يمكنه بالطبع أن ينفعل في واحد معين من أجزائه ولا ينفعل في الآخر ولكن في مجموعه ينفعل بنسبة ما له من هذه الخاصية ، فمن البين أنه سينفعل أكثر أو أقل تبعاً لما أن هذه الخاصية فيه أكثر شدة أو أقل . على هذا الوجه على الأخص قد يمكن بأكثر سهولة التسليم بوجود المسام ، وتكون حالها على ذلك في الأجسام كما هو الحال في المعادن تمتد أحياناً عروق متصلة من المادة القابلة لانفعال ما .

§ ٢ — على ذلك كلما كان الشيء متجانساً وكان واحداً كان غير قابل . ويجري هذا المجري أيضاً متى كانت الأشياء لا تتلامس بينها أو لا تلامس أغياراً يمكنها

§ ب ف ١ — المبدأ الذي طالما قررناه — وهو التمييز بين ما هو بالقوة وما هو بالفعل كما سيرد في السطور الآتية . — بالقوة المحضة — أضفت كلمة « المحضة » . — بالفعل وبالكمال — ليس في النص الكلمة واحدة . فان التمييز بين ما هو بالقوة وما هو بالفعل هو أحد المبادئ الأساسية للمذهب المشائين . ولكن قد يرى أن تطبيقه هنا ليس واضحاً جداً بل ولا نافعاً جداً لا يوضح نظرية المسام . — وإذا كان يمكنه بالطبع ... — قد تركت للجملة اليونانية طولها كله لكيلا أغير تأليفها في النص . — قد يمكن بأكثر سهولة التسليم — عبارة النص ليست على هذا القدر من البيان ولو أن عبارتي في الترجمة ليست على ما كنت أريد أن تكون من الجلاء . — وتكون حالها على ذلك في الأجسام — في الحق أنها لا تكون بعد مسام بل تكون فقط بعض أجزاء من مادة الجسم أكثر قابلية من غيرها لقبول الأثر الفلاني أو الفلاني . — كما هو الحال في المعادن — المشاهدة مع ذلك حقة . وليس ولا واحد الا شاهدتها . — القابلة لانفعال ما — ليس النص على هذا القدر من البيان .

§ ٢ — كلما كان الشيء متجانساً وكان واحداً — أو بعبارة أخرى ألا يكون مستجمعاً للشرائط المطلوبة لينفعل أو ليحدث فعلاً مادام أن الشيء لا يمكن أن يفعل في نفسه وكان الشبيه لا يفعل في الشبيه ولا يقبل

بطبعها أن تفعل أو تتفعل أعني مثلاً أنه ليس فقط النار تسخن بالتماس ولكنها تسخن أيضاً على مسافة لأن النار تسخن الهواء والهواء يسخن الجسم لأن الهواء بطبعه يمكنه أن يفعل وينفعل معا .

§ ٣ — ولكن متى يقال إن شيئاً يمكن أن ينفعل في واحد من أجزائه ويمكنه ألا ينفعل في آخر فينبغي إيضاح ما ذا يعنى بذلك بعد الحد المعطى في المبدأ، فإذا كان في الواقع العظم ليس هو مطلقاً قابلاً للتجزئة في جميع الجهات لكن فيه شيئاً ما جسماً كان أو سطحاً يكون غير قابل للتجزئة فيه فقد ينتج من ذلك أنه لا يوجد بعد من عظم يمكن أن يكون بأكمله قابلاً، بل قد لا يكون بعد من شيء أمكن أن يكون متصلاً . وحينئذ إذا كان ذلك خطأ وكان كل جسم قابلاً للتجزئة دائماً فلا يهم بعد أن يكون الجسم مقسوماً فعلاً وبهذه الصفة قابلاً للتماسات أو يكون

منه . — كان غير قابل — بمعزل عن كل فعل وكل انفعال آت من ذاته . — لا تتلامس بينها — بلا واسطة . — أولاً تلامس أغياراً — تصلح إذا كوسطاء للوصول إلى الشيء الذي عليه يقع الفعل . — أن يفعل — بأن ينقل إلى الجسم الحرارة التي تلقاها . — وينفعل — بأن يقبل مباشرة حرارة النار التي يجب أن ينقلها .

§ ٣ — متى يقال — يمكن ترجمتها أيضاً "متى أقول" فان الفرق بينهما غير بين في النص . — بعد الحد المعطى في المبدأ — قرب الترجمة من النص بقدر ما استطعت ولكن الفكرة لا تزال غامضة ولم يفن شرح فيلوبون في جلائها شيئاً . — فقد ينتج من ذلك — عبارة النص ليست مضبوطة ولكن هذا المعنى يظهر أنه ينتج لزوماً مما يلي . — يمكن أن يكون بأكمله قابلاً — ر . الفقرة السابقة . — أمكن أن يكون متصلاً — لأن الذرات منعزلة بعضها عن بعض وما دامت منفصلة هكذا لا يمكن أن يكون لها الاتصال الذي هو ضروري لتأليف جسم . — وكان كل جسم قابلاً للتجزئة — هذه هي نظرية أرسطو المبسوطة مراراً في "الطبيعة" . — مقسوماً ... قابلاً للتجزئة — هذا هو ما بالفعل وما بالقوة . — في نقط التماس — عبارة النص هي: "بحسب التماسات" . — لاشيء مما هو محال يكون أبداً — هذا المبدأ يدهى للغاية ولكن لا يرى وجه اتصاله بما سبق . وقد أفرغت جهدي في استجلاء هذه الفقرة فلم أتحجج ولم أجد الشراح بما فهم سان توماس قد نجحوا في ذلك أيضاً . وهالك تفسيراً يساعد بالأقل على تسلسل المعاني: "لكي تفسر ماهية الفعل والانفعال في الأشياء يلزم التسليم بأنه من المحال أن شيئاً يقبل فملاً ما" "في واحد من أجزائه ولا يقبله في الجزء الآخر . فالشيء إما أن يكون بأكمله قابلاً وإما أن يكون بأكمله فاعلاً ."

بالبساطة قابلا للتجزئة لأنه مادام يمكن أن يكون مقسوما في نقط التماس، كما هو المدعى، يمكن اعتباره كأنه مقسوم حتى قبل أن يكونه ويكون قابلا للقسمة مادام أنه لا شيء مما هو محال يكون أبدا .

§ ٤ — وإن ما يجعل سخيّا تماما تقرير أن الفعل والانفعال يحصلان على هذا النحو بشق الأجسام هو أن هذه النظرية تمحو الاستحالة وتفسدها. وعلى هذا نحن نرى أن جسما بعينه دون أن ينقطع عن أن يكون متصلا هو تارة سائل وتارة متجمد دون أن يقبل هذا التحول لا بقسمة أجزائه ولا باتحادها ولا بنقلتها ولا بتماسها كما يزعم ديمقريطس . لأن الجسم ما كان ليغير وضعه ولا ليغير مكانه ولا ليغير طبعه ليصير متجمدا بعد أن كان سائلا . وليس يرى أيضا أن الأشياء المتصلبة والمتجمدة تكون حالا غير قابلة للقسمة في كتلتها بل الجسم ب كله يكون على السواء سائلا وأحيانا يصير ب كله صلبا ويتجمد .

”فاذا سلم بالذرات فحينئذ يمكن ألا يكون الشيء بعد قابلا بكيته ولكن بذلك أيضا ينقطع عن أن يكون“
”متصلا . وإذا فذهب الذرات باطل . وكل عظم هو دائما وعلى الإطلاق قابل للقسمة دون أن يمكن“
”الوصول الى جزيئات لا تتجزأ . ويكاد لا يهتم ما اذا كانت القسمة واقعة ماديا أو ممكنة امكانا بمجرد“
”على وجه ذهني صرف . ويكفى إمكان حصولها ليكون الجسم الخارج منها له دائما وحدته وأن يكون“
”بالنتيجة في مجموعه إما فاعلا وإما قابلا“ .

§ ٤ — الفعل والانفعال — النص غير محدد تماما ولكنني أحدد المعنى اعتمادا على تفسير فيلو بون .
— على هذا النحو — يعنى بواسطة المسام التي افترضها بعض الفلاسفة . — بشق الأجسام — حفظت عبارة النص بعينها ، فان الأجسام هي بنحو ما مشقة بالمسام التي تخللها . — تمحو ... وتفسدها — ليس في النص الا كلمة واحدة . — الاستحالة — يعنى أن في هذا المذهب لا يمكن إدراك ظاهرة الاستحالة . — دون أن ينقطع عن أن يكون متصلا — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — تارة متجمد — يضرب فيلو بون مثلا لذلك اللين الذي هو تارة سائل وتارة متجمد . وقد يمكن الظن كبعض الشراح أن المقصود أيضا هو الماء فانه تارة سائل وتارة جليد . — بتماسها — على تقدير بأجسام أخرى . — كما يزعم ديمقريطس — وفي الحق هذه هي كل ما ينسبه ديمقريطس الى الذرات من الخواص . — متجمدا — أو جليدا . — حالا — أى في النظام الحالى للطبع . — غير قابلة للقسمة في كتلتها — يفهم سان توماس من هذا أنه لا حاجة بأن تتجمد الأشياء أو تتحلل الى أن تدخلها ذرات غير قابلة للقسمة بل هي تكابد هذا التغير في جوهرها الذاتى . — على السواء — أى في جميع أجزائه بدون أن بعضها يعانى التغير الذى تقاومه الأخرى .

§ ٥ — وأخيراً ، في هذا المذهب قد لا يمكن بعد وجود نمو الأشياء ولا اضمحلالها لأنه لا جسم يمكن أن يصير أكبر إذا لم يكن هناك إلا مجرد إضافة وإذا لم يتغير ب كله على أثر اختلاط بشيء أجنبي أو على أثر تغير ما يحصل فيه .

§ ٦ — ونحن نقتصر على ما أتينا به من القول فيما يتعلق بكون الأشياء وفعلها وتناسلها وتحولاتها المتكافئة . وهذا يكفي على سواء ليفهم على أى النواحي هذه النظريات تكون ممكنة وكيف لا تكونه بحسب الايضاحات التي أعطيت عنها أحيانا .

§ ٥ — في هذا المذهب — أضفت هذه الكلمات لتبيين الفكرة . — قد لا يمكن بعد وجود — يعنى أنه لا يمكن توضيح ما هو نمو الأشياء أو اضمحلالها . — إلا مجرد اضافة — بأن تأتى الذرات فتتضم الى الجسم لتنمية وتزيد حجمه أو أنها تسحب منه لتنقصه أو تهلكه . — شيء أجنبي — أضفت الكلمة الأخيرة . — يحصل فيه — النص ليس على هذا القدر من الضبط .

§ ٦ — نقتصر — هذا ملخص مضبوط لكل هذا الباب والأبواب السابقة من أول الباب السابع . وإن أرسطو بعد أن فسح مكانا لتوضيح المذاهب الأخرى لم يكده يفسح لمذهبه الخاص من الإيضاح ما كان يستدعيه من البيان والإطناب .

الباب العاشر

نظرية الاختلاط — من الفلاسفة من أنكر أن الأشياء أمكنها أن تختلط فيما بينها — بإبطال هذه النظرية — المعنى العام لشروط الاختلاط — الطبع المختلف للأجسام المختاطة — الفرق بين الاجتماع وبين الاختلاط الحق — لكن يوجد اختلاط بين الأشياء يلزم أن يوجد بينها تجانس بل شئ من التناسب — النقطة من التبيد في كمية من الماء — سهولة الاختلاط أو صعوبة تبعاً للتخالف في طبع الأشياء وصورتها — خاتمة نظرية الاختلاط .

§ ١ — بقی علينا أن ندرس ما هو اختلاط الأشياء . وسنتبع هاهنا النمط عينه كما فيما سبق لأن هذا هو ثالث الموضوعات التي تصدّينا لفحصها في بداية هذه البحوث . يلزم إذاً أن ننظر ما هو الاختلاط وما هو الشئ القابل لأن يُخلط وما هي الأشياء التي يمكن أن يقع الاختلاط بينها وكيف تتحقق هذه الظاهرة .

§ ٢ — ومن جهة أخرى يمكن أيضاً أن يتساءل عما إذا كان يوجد حقيقة بالفعل اختلاط للأشياء أو أن هذا ليس إلا ضلالاً . لأنه يمكن أن يظن أن شيئاً لا ينبغي ألّبتة أن يختلط بآخر كما يزعم بعض الفلاسفة . يقولون إنه في الواقع حينما الأشياء التي اختلطت تبقى بعد أيضاً ولم تكن لتستحيل لا يمكن أن يقال إنها الآن أكثر اختلاطاً مما كانت من قبل ، ولكنها دائماً في الحال بعينها . فإذا أخذ أحد الشئيين أن يبيد في الاختلاط لا يمكن بعد أن يقال إنهما اختلطتا ولكن فقط إن أحدهما

§ ب ١٠ ف ١ — ثالث الموضوعات — أى مع الكون والفساد ومع الفعل والانفعال . — في بداية هذه البحوث — فيما سبق ب ١ ف ١ لم يتكلم أرسطو إلا على الكون والنمو والاستحالة . وكان يظهر أن هذه هي الثلاثة الموضوعات التي عول على الاشتغال بها . ولست أرى أنه نبه في أى موطن آخر على نظرية الاختلاط . — ما هو الاختلاط — الأسئلة الموضوعة هنا على الاختلاط هي مماثلة للأسئلة التي وضعت فيما سبق على الكون ب ١ وعلى الفعل ب ٧ . ومن هذه الجهة فإن المؤلف مصيب في قوله إنه يتبع النمط الذي اتبعه من قبل .

§ ٢ — ومن جهة أخرى — من المذاهب ما ينكر أن اختلاط الأشياء يمكن ألّبتة . وتلك المذاهب هي على ما يظهر تلك النظريات التي يلزم مناقشتها بادئ بدء لأنها تذهب إلى حدّ إنكار المسئلة والقضاء

يوجد وإن الآخر لا يوجد بعد، في حين أن الاختلاط لا يمكن في الحق أن يقع إلا بين شيئين يوجدان على السواء . ويزيدون، أخيرا، على ذلك أنه لا يوجد بعد اختلاط، بهذا السبب عينه، إذا كان الشيطان اللذان يجتمعان يفسدان كلاهما بالاختلاط لأنه من المحال قطعا أن أشياء لم تكن بعد البتة يمكنها أن تختلط .

٣ § — هذه النظرية، كما يرى، الغرض منها أن يتعين فيماذا يختلف اختلاط الأشياء عن كونها وعن فسادها . وأيضا في أى شيء يختلف الشيء المختلط عن الشيء الكائن وعن الشيء الفاسد، لأنه من البين أنه ينبغي أن يكون الاختلاط مغايرا بافتراض أنه واقع بالفعل . ومتى وضحت هذه المسائل تحل المسائل التي وضعناها لأنفسنا من قبل .

٤ § — ذلك هو السبب في أنه لا يمكن أن يقال إن المادة اختلطت بالنار التي أحرقتها حتى ولا إنها تختلط بها وقت ما تحرقها، كما أنه قد لا يمكن أن يقال إنها تختلط بنفسها في أجزاء النار كما لا تختلط بالنار نفسها . بل يقال ببساطة إن النار تكونت وإن المادة القابلة للاحتراق قد فسدت . كما أنه لا يمكن أيضا أن يقال

عليها . — بعض الفلاسفة — لا شيء يعين في هذا الباب من هم هؤلاء الفلاسفة بالضبط . — يقولون — أضفت هذه الكلمة التي تفهم من السياق مادام أن الذي سيعدد فيما يلي إنما هي الأدلة على نفي إمكان الاختلاط . — يزيدون ... على ذلك — أضفت هذه الكلمات للسبب المتقدم .

٣ § — عن كونها وعن فسادها — ر . ما سبق ب ١ وما يليه . — ومتى وضحت هذه المسائل — تلك هي أدلة الفلاسفة الذين ينكرون الاختلاط . — تحل المسائل التي وضعناها لأنفسنا من قبل — في بداية هذا الباب عينه .

٤ § — ذلك هو السبب . — هذا فرق بين الاختلاط وبين الكون أو الفساد . — المادة — حصلت كلمة النص بعينها ، ولكن المادة هنا معناها الجسم القابل للاحتراق : الخشب أو أية مادة أخرى تغذى النار . — إنها تختلط بنفسها — يعني أن الخشب يختلط بالخشب . — في أجزاء النار — أضفت الكلمة الأخيرة . — كما لا تختلط بالنار نفسها — قد اتقيت بقدر ما استطعت التكرير الموجود في النص واعتمدت في إيضاح هذه الفقرة كلها على تفسير فيلويون . — تكونت ... فسدت — حصل فيه كون لأحدهما وفساد للآخر ولكنه لم يحصل فيه اختلاط . — كما أنه لا يمكن أيضا أن يقال — هذا فرق بين الاختلاط وبين الزيادة .

لا عن الغذاء ولا عن صورة الخاتم إن الأولى باختلاطها بالجسم والثانية باختلاطها بالشمع قد أعطتا شكلا ما للكثرة بتمامها . ينبغي الاعتراف أيضا بأنه لا الجسم ولا البياض ولا ، بالاختصار ، كفيات الأجسام وتغايرها يمكنها أن تختلط بالأشياء ما دام أنه يرى على الضد من ذلك أن الاثنين يقيان . كذلك أيضا البياض والعلم في الواقع لا يمكنهما أن يركبا خليطا ولا أيضا أى واحد من الكيفيات أو الخواص التى ليست قابلة للانفصال .

§ ٥ — وأيضا يخدع نفسه من يقرر أن الأشياء جميعها كانت سابقا مندمجة وأن الكل قد وجد مختلطا لأن كلا لا يمكن البتة أن يختلط بكل على السواء . يلزم دائما أن كلا الشئيين اللذين يختلطان يمكن أن يبقى على حدة . وحينئذ فإن كفيات الأشياء لا يمكنها أن تكون منفصلة عنها أبدا . ولكن لما أن من بين الأشياء بعضها تكون بالقوة المحضة والآخر بالفعل المحض فينتج من ذلك أن الأشياء التى تختلط يمكنها من جهة أن تبقى بعد ومن جهة أخرى ألا تبقى . فإذا كان في الواقع الخليط الحاصل من الاختلاط هو شيئا مخالفا فانه يكون كذلك دائما بالقوة للشئيين اللذين كانا

— صورة الخاتم — أضفت الكلمة الأخيرة التى يدل عليها السياق فيما يلى . وربما كان اختيار المتلین غير حسن لأن الغذاء يمكن أن يعتبر كأنه مختلط بالجسم الذى ينميه . ولكن بالبدئية طابع الخاتم لا يختلط به . — لا الجسم ولا البياض — حفظت عبارة النص على إيجازها ، فان البياض والجسم الذى هو أبيض لا يختلطان ولكن البياض هو فى الجسم . — كفيات الأجسام وتغايرها — التى هى فى الأشياء . ولكن بدون أن تختلط بها . — أن الاثنين يقيان — عبارة النص أكثر إيهاما ، ويجب أن يعنى بالاثنين الجسم والكيفيات التى تكيفه . — البياض والعلم — يعنى كفيين عوضا عن جسم وكيف . — الكيفيات أو الخواص — النص غير محدد البتة . — التى ليست قابلة للانفصال — على تقدير « عن الموضوعات التى هى فيها » وكل هذه الفقرة مغلقة جدا بل ربما كانت دقيقة فيما يظهر .

§ ٥ — وأيضا يخدع نفسه — هذا نقد موجه الى أنكساغوراس الذى كان يرى أن جميع الأشياء فى الأصل كانت مختلطة فى العاء قبل أن يأتى العقل ويرتب العالم . ر . الطبيعية ك ١ ب ٥ ف ٤ حيث تنقض نظرية أنكساغوراس ص ٥٥ ٤ من ترجمتنا . — كفيات الأشياء — ر . الفقرة السابقة . — بالقوة المحضة ... بالفعل المحض — أضفت الصفتين . — شيئا مخالفا — للشئيين اللذين يكونان

يوجدان قبل أن يختلطا وقبل أن ينعديما في الخليط . وهذا إنما هو على التحقيق الجواب على المسئلة التي أثارها النظرية التي تكلمنا عليها آنفا . ويظهر أن الأخلط تتألف من أشياء كانت من قبل منفصلة ويمكن أن تكونه أيضا من جديد . وعلى ذلك الأشياء المختلطة لا تبقى بالفعل كما يمكن ويبقى الجسم والبياض الذي يشخصه . وليست هي كذلك تكون فاسدة ، سيان أحد الاثنين على حياله والاثنان جميعا معا ما دامت قوتهما محفوظة دائما .

§ ٦ - ولكن لنعد هذا الى ناحية ولننتقل الى المسئلة الآتية التي تنحصر في معرفة ما إذا كان الاختلاط هو شيئا يمكن حواسنا أن تدركه . مثال ذلك حينما الأشياء المختلطة تكون مقسومة الى أجزاء من الصغر بمكان وتكون موضوعة على قرب بعضها عند بعض حتى لا يعود أحدها مميّزا من الآخر بوجه محسوس فهل يوجد فيها حينئذ اختلاط أولا يوجد؟ ولكن أليس ممكنا أيضا أن في الخلط الأشياء كيفما اتفقت تكون موضوعة أجزاء بعضها بجانب الأخرى ؟ لأن هذا يسمى أيضا اختلاطا وعلى هذا النحو يقال إن التبن مختلط بالحلب حينما يكون موضوعا بجانب كل حبة تبنة .

الخليط . - في الخليط - أضفت هاتين الكلمتين . - الجواب على المسئلة - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - التي تكلمنا عليها آنفا - في أول هذا الباب . - أيضا من جديد - بعد أن حصل الخلط . - الذي يشخصه - أضفت هاتين الكلمتين . - قوتهما - يعني إمكان رجوعهما الى ما كانا عليه قبل الاختلاط .

§ ٦ - المسئلة الآتية - يعني التي ترتبط بالمسائل التي تقدمتها والتي هي بقية لها . - يمكن حواسنا أن تدركه - ربما كانت المسئلة على هذا الوجه غير موضوعة وضعا حسنا فان الاختلاط هو دائما قابل لأن تدركه حواسنا ولكن حواسنا تارة تميز العناصر التي تتركب منها الخليط وتارة لا تميزها . - مثال ذلك - ليس النص واضحا هكذا . - بوجه محسوس - أو "بحواسنا" . - هل يوجد فيها حينئذ اختلاط أولا يوجد؟ - هذا هو أول أنواع الاختلاط فان الحواس لا يمكنها بعد أن تميز العناصر التي ركبته . - ولكن أليس ممكنا أيضا - أحيت أن أصوغ هذه الجملة في صيغة الاستفهام حتى تكون مقابلة للجملة التي سبقها . وهذا هو التعبير الثاني للاختلاط فان الشئيين يقيان باعتبار أن أجزاءهما إنما اجتمعت بعضها الى بعض . - التبن مختلط بالحلب - المثل في غاية الوضوح وهذا المثل ليس البتة كمرج الماء والتبن إذ أن فيه أحد السائين لا يمكن مطلقا تمييزه عن الآخر كما كان ذلك مفروضا في الإيضاح الأول .

٧٨ — اذا كان جسم هو قابلاً للتجزئة واذا كان جسم متى كان مختلطاً بجسم آخر يجب أن يكون مجانساً له فقد يلزم أن كل جزء اتفق من الخليط ينضم الى جزء آخر اتفق . ولكن بما أن الجسم لا يمكن البتة أن يكون مقسوماً الى أجزائه الصغرى وبما أن الانضمام ليس هو البتة الاختلاط بل هو شيء آخر تماماً فبالبين لا يمكن أن يقال بعدد إن الأشياء اختلطت متى حفظت ذواتها على ما كانت في جزيئات صغيرة . حينئذ يكون الضم ولكن لا يكون لا خلط ولا مزج ، وحدّ جزء من الخليط لا يمكن بعدد أن يكون هو الحدّ الذي قد يعطى للخليط بتمامه . أما نحن فنقول إنه لكي يوجد اختلاط حقيقى يلزم أن الشيء الخليط يكون مركباً من أجزاء متجانسة ، وكما أن جزءاً من الماء هو ماء كذلك أيضاً يجب أن يكون أى جزء اتفق من الخليط . ولكن اذا لم يكن الاختلاط إلا انضمام جزيئات الى جزيئات فليس يوجد ولا واحد من الأحداث التى أتينا على تحليلها . وإنما يكون فقط في نظر الأعين أن الشئيين يظهر أنهما مختلطان . وكذلك الشئ عينه يظهر مخلوطاً للرأى فلان الذى ليس له نظر نقاذ في حين أن "لينسيه" يجد أن ليس هناك اختلاط .

٧٩ — اذا كان جسم هو قابلاً للتجزئة — يظهر أن هذا هورد من أرسطو على النظريتين السابقتين . وعلى هذا الوجه فهم فيلوپون وسان توماس هذه الفقرة . ولكن المعارضة ليست بينة في النص الذى بقى غامضاً على رغم جهدى فى استجلائه ولم أستطع أن أجعل الترجمة أجلى منه بكثير . — الى أجزائه الصغرى — يعنى أن القسمة لا يمكن أن تصل الى جواهر فردة وأنها (أى القسمة) ممكنة دائماً كما يقرره أرسطو بالأقل في الذهن ان لم تكنها في الخارج . — الانضمام — يمكن ترجعها أيضاً التأليف . — في جزيئات صغيرة — كالحب والتبن اللذين سبق الكلام عليهما . — لا خلط ولا مزج — كلمتا النص هما من حيث الاشتقاق أكثر انصافاً من الكلمتين اللتين استعملتهما في الترجمة . — اختلاط حقيقى — أضفت كلمة حقيقى زيادة في بيان الفكرة . — الشئ الخليط — يعنى الناتج المتحصل من الاختلاط . — جزيئات الى جزيئات — ليس النص على هذه الصراحة . — ولا واحد من الأحداث التى أتينا على تحليلها — ليس النص على هذه الصراحة . — في نظر الأعين — لا في الواقع .

§ ٨ — إن التجزئة لا تفسر الاختلاط كما لا يفسره اجتماع جزء اتفق بجزء آخر ما دامت التجزئة لا يستطيع حصولها بهذه الطريقة .

وحينئذ إما ألا يكون اختلاط ممكنا وإما أنه يلزم اتخاذ نحو آخر من النظر لكي يُبسط كيف يمكن أن تقع هذه الظاهرة . ولنذكر بدياً أن من بين الأشياء ، كما قلنا ، بعضها فاعلة والأخرى قابلة لفعل تلك ، بعضها له تأثير مكافئ وهي تلك التي مادتها واحدة بما هي مستطبعة أن تفعل بعضها في الأخرى أو تتفعل بعضها بالأخرى على السواء . وأخرى تفعل مع بقائها غير قابلة للانفعال وتلك هي التي مادتها ليست واحدة ، وهذه ليس فيها اختلاط ممكن . من هذا يرى كيف أن الطب لا يختلط بالأجسام ليفعل الصحة ولماذا الصحة لا تختلط به أيضا . § ٩ — بل من بين الأشياء التي يمكنها أن تفعل وتتفعل على طريق التكافؤ كل تلك التي تكون سهلة التجزئة ، حينما يختلط منها عدد عظيم بعدد قليل من أشياء أخر وكمية عظيمة بكمية أقل عظاما لا تنتج على التحقيق اختلاطا بل نموا للعنصر الغالب . وحينئذ أحد الشئيين المختلطين يتغير في الذي هو غالب . على ذلك نقطة من النبذ لا تتمزج بكمية من الماء تكون عشرة آلاف ضعف . لأنه في هذه الحالة النوع يتحلل ويتغير بتلاشييه في كتلة الماء كلها . ولكن متى كانت الكميّتان متساويتين تقريبا حينئذ

§ ٨ — إن التجزئة لا تفسر الاختلاط — النص غير محدد ، وقد اخترت المعنى الذي عينه فيلو بون . — كما لا يفسره اجتماع — الشأن هنا كما في الملاحظة السابقة . — مادامت التجزئة لا يستطيع حصولها — يعني أنها تقف عند حد الذرات أو الأجزاء التي لا تنجز التي لم يقبلها أرسطو البتة . — اتخاذ نحو آخر من النظر — ليس في النص الكلمة واحدة مهمة وقد ظننت أنه يجب على تحديد المعنى . — ولنذكر بديا — أضفت هذه الكلمات التي تدل القرينة على مفهومها . — كما قلنا — ر . ماسبق في الباب السابع . — الطب — يظهر لي أن في اختيار المثل شيئا من الغرابة وقد نبه فيلو بون مثل هذا التنبيه . § ٩ — التي تكون سهلة التجزئة — كنقطة من الماء في كمية من النبذ . — نموا — مهما كان ضعيفا مع ذلك بنسبة الأشياء المختلطة . — للعنصر الغالب — في المزيج النهائي .

كل عنصر يفقد من طبعه ليأخذ من طبع العنصر الذى هو أغلب . فالمزيج لا يصير واحدا منهما مطلقا بل يصير شيئا وسطا ومشاركا .

§ ١٠ — فبين إذا أنه لا يكون اختلاط إلا حينما تكون الأشياء التى تفعل لها مقابلة ما بينها لأنها إذا يمكن أن تقبل تأثيرا ما بعضها من بعض . ومن الأشياء الصغيرة ما يزيد اختلاطها بالأشياء الصغيرة باقترابها منها لأنها حينئذ تتدخل بأسرع وبأسهل بعضها فى بعض . ولكن كمية كبيرة تحت فعل كمية كبيرة أيضا لا تنتج هذه النتيجة إلا مع الطولى .

§ ١١ — على ذلك بين الأشياء القابلة للتجزئة والمنفصلة الأشياء التى تتحدّد بسهولة يمكنها أن تختلط . لأن هذه الأشياء تنقسم بلا عناء إلى أجزاء صغيرة . وهذا إنما هو بالتحقيق ما يعنى بقولنا تتحدّد بسهولة . مثال ذلك السوائل من بين جميع الأجسام هى الأكثر قابلية للزج لأن السائل من بين الأشياء القابلة للتجزئة هو الذى يتعين ويتحدّد بأسهل ما يكون بشرط ألا يكون دبقا . فان الأجسام الدبقة لا تزيد على أن تصير جملة الحجم أضخم وأعظم ولكن حينما يكون أحد الشئين المختطين هو وحده المنفعل أو أنه يكون كثيرا وأن الآخر يكونه قليلا جدا فالخليط

— فالمزيج لا يصير — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — مطلقا — أضفت هذه الكلمة .
§ ١٠ — مقابلة ما — عبارة النص هى : ” تضاد “ . — يمكن أن تقبل تأثيرا ما — فى حين أنها تحدث فعلا ما . — يزيد — أعنى بأكثر سهولة وبأسرع ما يكون كما يدل عليه الكلام الآتى .
— لا تنتج هذه النتيجة — أو ” الاختلاط “ .

§ ١١ — القابلة للتجزئة والمنفصلة — يعنى التى يمكن بسهولة أن تنقسم وأن تقبل فعلا ما بعضها من قبل البعض الآخر . وربما كان يلزم أن يقال ” فاعلة “ بدل ” قابلة للقسمة “ . ولكن ليس ولا نسخة واحدة تعطى هذا التصحيح . — التى تتحدّد بسهولة — مثل السائل الذى ضرب فيما يلى يوضح تماما ماذا يعنى بهذا . — يتعين ويتحدّد — ليس فى النص إلا كلمة واحدة . — الأجسام الدبقة — عبارة النص غير محددة ولكن المعنى الذى اتخذته هو الذى اتخذته فيلويون . وبدلا من الأجسام الدبقة قد يمكن أن يفهم أن المقصود هو السوائل على العموم التى بامتزاجها تصير الكمية الكلية أكثر عظما . — ولكن حينما يكون أحد الشئين المختطين — ليس النص على هذا القدر من البيان . — هو وحده المنفعل — على تقدير ” فى المزيج “ . ولكن العبارة غير جلية ويجب أن يفهم أن أحد الجسمين المزوجين يفعل بشدة

النتائج من الاثنين إما ألا يكون أعظم البتة أو ألا يكاد يكونه . وهذا هو ما يقع بالنسبة للقصدير مختلطا بالنحاس لأنه يوجد بعض أجسام حائرة بعضها بالنسبة للبعض الآخر وهى تكون من طبع مشكل . فيمكن أن يلاحظ أن تلك الأجسام لا تختلط إلا اختلاطا ناقصا وإلى حد معين . فقد يقال إن أحدهما هو مجرد مأوى فى حين أن الآخر هو الصورة . وهذا على التحقيق هو ما يحصل بالنسبة لهذين الجسمين اللذين سميا آنفا . لأن القصدير الذى هو كمجرد تغير للنحاس بدون مادة يكاد يتلاشى بالتام وينعدم بالخليط الذى لا يعطيه إلا لونا ما . وتحصل الظاهرة عينها أيضا بالنسبة لأجسام أخرى .

§ ١٢ — فىرى إذا بحسب جميع التفاصيل المتقدمة أن الاختلاط ممكن وأنه هو ما هو ويرى كيف يكون وما هى الأشياء التى بينها يمكن أن يحصل وهى تلك التى يمكنها أن تقبل فعلا بعضها من قبل البعض الآخر والتى هى قابلة للتحديد بسهولة وقابلة للتجزئة بسهولة . وإن الجواهر من هذا القبيل ليست تفسد ضرورة فى الاختلاط ولكنها لا تبقى فيه بعد مطلقا بأعيانها ، فإن اختلاطها ليس مجرد ضم

فى الآخر ويتلعه بحيث يلاشيه . — ألا يكون أعظم البتة — لأن أحدهما يتلاشى بالتام بوجه التقريب فى المزج . — حائرة — النص هنا يتخذ عبارة مجازية محضة فانه يقول : ” رُئى ” ولم أجد ما يقابلها فى لغتنا . وذلك مجاز جرى ، ويظهر أن فيلو بون دهش له أيضا ، على أن المثل المضروب لذلك يفهم معنى هذه النقطة . — الاختلاط ناقصا — وحينئذ لا يكون هذا اختلاطا حقيقيا ما دام أن أحد الجسمين يتلاشى بالكلية تقريبا . — هو الصورة — أو النوع . — اللذين سميا — زدت هاتين الكلمتين لاتمام المعنى . — كمجرد تغير ... بدون مادة — يعنى الصورة أو النوع التى تكيف الخليط من غير أن تغير مادته مطلقا . وهذا يظهر أنه غاية فى الدقة والخفاء . — لونا ما — الذى ليس هو لون القصدير والذى لا يحيل لون النحاس إلا بعض الشيء .

§ ١٢ — فىرى إذا — محصل مضبوط لكل نظرية الاختلاط . — أن الاختلاط ممكن — ر . ماسبق ف ٢ . — هو ما هو — بحسب النظريات الخصوصية لأرسطو ، هذا هو موضوع كل هذا الباب . — قابلة للتحديد بسهولة وقابلة للتجزئة بسهولة — كالسوائل . — ليست تفسد ضرورة — لأنها تبقى فيه بالقوة .

وإن الجسمين لا يكونان بعد مدركين بالحواس . ولكن يقال على شيء إنه مختلط متى كان وهو مستطيع أن يتحدد بسهولة يمكنه أن يفعل وينفعل معا وأنه يختلط بشيء له أيضا هذه الخواص أعيانها لأن الشيء المختلط لا يكونه البتة إلا بالإضافة إلى شيء يكون وإياه من المتفقة أسماؤها (هومونيم) . والحاصل أن الاختلاط هو اجتماع الأشياء المختلطة مع استحالة لها .

— وإن الجسمين لا يكونان بعد مدركين بالحواس — ليس النص على هذا القدر من الضبط . ولكن المعنى الذى اتخذته ينتج مما قيل سابقا فى الفقرة السابعة . فإن التبن والحب ليسا مختلطين بالمعنى الخاص ولكنهما منضمان . — يقال على شيء إنه مختلط — هالك التعريف الحقيقى للاختلاط على رأى أرسطو . — يكون وإياه من المتفقة أسماؤها (هومونيم) — وبعض ناشرى الكتاب يقول ”مجانسا له“ (هوموجين) وهى ربما كانت أحسن ويظهر أن سان توماس اختارها . — والحاصل — النص ليس على هذا القدر من الصراحة .

الكتاب الثاني

الباب الأول

نظرية عناصر الأجسام — عددها — شاهد من أميدقل — المادة ليست منفصلة عن الأجسام كما هو في طيماوس أفلاطون فيما يظهر — نقض هذه النظرية — إنها حقة بجزئها باطلة بالجزء الآخر — شاهد من المؤلفات المختلفة السابقة — نظرية جديدة على المبادئ العنصرية للأجسام — طبعها وعددها.

§ ف ١ — سبق الكلام على الاختلاط وعلى التماس وعلى الفعل وعلى الانفعال ووضح كيف أن هذه الظواهر تقع في الأشياء التي تكابد تغيرات طبيعية. وقد عوِّج زيادة على ذلك كون الأشياء وفسادها المطلقان وبيّن بأى طريقة وفي أى الأحوال وإذا هما يحدثان . وقد دُرست على السواء الاستحالة وحالة الموجود المستحيل . وفي النهاية قد بُيِّنت فصول كل واحدة من هذه الظواهر . والآن يبقى علينا أن ندرس ما يسمى عناصر الأجسام لأن الكون والفساد في كل الجواهر التي تركيبها الطبيعية لا يمكن أن يظهرها بدون الأجسام التي تدركها حواسنا .

§ ك ٢ ب ١ ف ١ — سبق الكلام على الاختلاط — تلخيص لكل ما سبق في الباب الأول فان نظرية الاختلاط قد عرضت في الباب العاشر منه . — وعلى التماس — لم يكن ذكر التماس إلا عرضاً لأنه لم يفرد للتماس نظرية خاصة . ر . ك ١ ب ٦ . — وعلى الفعل وعلى الانفعال — ر . ك ١ ب ٦ و ٧ وما يليهما — التي تكابد تغيرات طبيعية — بصرف النظر عن التغيرات التي تحدثها الصناعة أو إرادة الإنسان ر . ما سبق ك ١ ب ١ ف ١ . — كون الأشياء وفسادها المطلقان — ر . ك ١ ب ١ و ٣ وما بعدهما . — الاستحالة وحالة الموجود المستحيل — ر . ك ١ ب ٤ . — فصول كل واحدة من هذه الظواهر — في أثناء بيان كل واحدة من تلك النظريات الخاصة قد بينت الفصول التي تفصل كل واحدة من الظواهر التي كانت على التعاقب موضع الدرس .

§ ٢ — من الفلاسفة من يزعمون أن جميع العناصر مكونة من مادة واحدة بالحقيقة والعدد ويفترضون أنها هي الهواء أو النار أو جسم ما وسط بينهما جاعلين هذه المادة جسما جوهريا متميزا تماما ومنفصلا . وآخرون يرون أنه يوجد أكثر من عنصر واحد ويتقبلون حينئذ على السواء : هؤلاء النار والأرض ، وأولئك الهواء ثالثا مع العنصرين المتقدمين . وآخرون مثل أمبيدقل يزيدون الماء كعنصر رابع . وفي هذه المذاهب المختلفة إنما هو باجتماع هذه العناصر وافتراقها أو استحالتها يعلل كون الأشياء وفسادها .

§ ٣ — فلنسلم بلا أدنى صعوبة أن هذه الأوليات للأشياء يمكن بغاية الموافقة أن تسمى مبادئ وعناصر وأنه إنما بتغيرها بتجزئة أو تركيب متكافئ أو أى نوع آخر من التغير الذى تعانيه يأتى كون الأشياء وفسادها . ولكن يخدع المرء نفسه بالتسايم بأنه يوجد مادة واحدة بعينها خارج جميع العناصر وجعلها منفصلة وجسمانية . لأن من المحال أن هذا الجسم إذا كان مدركا بجواسنا يمكن أن يوجد من غير أن يعرض أضدادا ما . ويلزم ضرورة أن هذا اللامتناهى الذى اتخذه بعض الفلاسفة مبدأ لهم يكون خفيفا أو ثقيلًا باردا أو حارا .

§ ٢ — هي الهواء — كما كان يعتقد ديوجين الأبلوني وأنكسيمين . — أو النار — كما كان يعتقد هيرقليطس الإفيزوسى وهيباس كما روى فيلوبون . — جسم ما وسط — كان هذا مذهب أنكسيمندروس الذى كان يفترض عنصرا خامسا أخذا من طبع الأربعة الأخرى وهو مع ذلك متميز عنها . — جاعلين هذه المادة — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — هؤلاء النار والأرض — كما هو مذهب برمينيد . — وأولئك الهواء ثالثا مع العنصرين — ذلك كان مذهب يون الشيزوى إذا صدق تفسير فيلوبون . — مثل أمبيدقل — إنما هو دائما أمبيدقل الذى ينسب إليه أرسطو نظرية العناصر الأربعة . ر . أيضا الطبيعة ك ٣ ب ٧ ف ٩ وما بعدها من ترجمتنا .

§ ٣ — هذه الأوليات للأشياء — حفظت عبارة النص بذاتها . — أى نوع آخر من التغير — مثلا لا يمكن إلا الاستحالة عند المذاهب التى لا تقبل الا عنصرا واحدا لأنه بتغير هذا العنصر الوحيد الى ما لا نهاية له تتكون جميع الفاوهر الأخرى . — وجسمانية — هذه هي ترجمة الكلمة الواردة فى النص بالضبط . — إذا كان مدركا بجواسنا — ويجب أن يكونه ما دام أنه جوهرى ومنفصل عن جميع الأخرى . — من غير أن يعرض أضدادا ما — عبارة النص هي ”بلا تضاد“ . — هذا اللامتناهى — أو ”هذا غير المحدود“ .

§ ٤ — ولكن الطريقة التي تُشرح بها هذا المبدأ في "طياوس" ليس فيها شيء من الضبط لأنه لم يُقل على وجه جليّ ما إذا كان هذا الأصل لجميع الأشياء متميزا ومنفصلا عن العناصر . والمحقق هو أن طياوس لم يرجع في واحد منها إلى هذا المبدأ ولو أنه قال مع ذلك إنه الموضوع السابق لكل ما يسمى بالعناصر كما أن الذهب هو على الأسبقية موضوع المصنوعات الذهبية . ومع ذلك فإن هذا الإيضاح ليس حسنا على الصورة التي ألقى بها إلينا . فإنه يجوز تماما انطباقه على الحالات التي يوجد فيها استحالة بسيطة ، ولكن بالنسبة للحالات التي فيها كون وفساد يكون محالا أن تسمى الأشياء بالتي منها تأتي . صدق طياوس إذ يقول إنه لأدخل في باب الحق أن يقرر أن كل مصنوع من الذهب هو ذهب لكن مع أن عناصر الأشياء تكون جامدة فإنه يجوز تحليلها إلى حدّ السطوح . ومحال أن سطوحا تكون المادة الأولية التي يكلموننا عنها § ٥ — نحن أيضا نعترف أنه يوجد مادة ما للأجسام التي تدركها حواسنا ولكن هذه المادة التي منها يأتي ما يسمى

§ ٤ — هذا الأصل لجميع الأشياء — ر . ترجمة طياوس أفلاطون لكوزان ص ١٥٢ . — متميزا ومنفصلا عن العناصر — النقد حق إن لم يكن مهما جدا . — على الأسبقية — أضفت هاتين الكلمتين . — موضوع المصنوعات الذهبية — ر . طياوس ص ١٥٤ من ترجمة كوزان . — على الصورة التي ألقى بها إلينا — وفي الواقع أن طياوس لا يتكلم الا على التصاویر المتعاقبة لسبيكة الذهب ولا يتكلم البتة على كونها الأصلي . — أن تسمى الأشياء — التعبير ليس واضح البيان ، وهو بعينه الذي استخدمه طياوس في هذا الموضع . فإنه يمكن أن يقال على الشيء المصنوع من سبيكة الذهب إنه ذهب ولكن بالنسبة للشيء الذي يتكوّن والذي يتولد من لا شيء لا يمكن أن يعطى اسم الشيء الذي خرج منه مادام أنه لم يأت من شيء آخر . — التي منها تأتي — إذا كان الأمر بصدد الكون "والتي إليها تنعدم" إذا كان الأمر بصدد الفساد . — صدق طياوس — ليس النص على هذه الصراحة . — لأدخل في باب الحق أن يقرر — ر . طياوس لأفلاطون ص ١٥٤ ترجمة كوزان . — إلى حدّ السطوح — ر . كتاب السماء ك ٣ ب ٧ وما بعده . فإن أفلاطون لما حال الأجسام إلى سطوح قد تزع منها كل حقيقة . وإن التحليل البالغ إلى هذا الحدّ البعيد قد أفسدها — يكلموننا عنها — أضفت هذه الكلمات .

§ ٥ — نحن أيضا نعترف — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — منها يأتي ما يسمى بالعناصر — هذه الفكرة لا يظهر أنها عريضة في الصحة . وإن المراد بالمادة هنا إنما هو حال منطقية للأجسام أكثر

بالعناصر ليست منعزلة البتة بل هي توجد دائماً مع أضداد . على أن هذا الموضوع قد دُرس في موطن آخر بأوسع من ذلك وأضبط § ٦ — على أنه لما أن الأجسام الأول يمكن أيضاً بهذه الطريقة أن تأتي من المادة فيلزم التكلم على هذه الأجسام مع التسليم بأن المادة هي المبدأ والمبدأ الأول للأشياء ولكنها غير منفصلة عنها وأنها موضوع الأضداد . فان الحار مثلاً ليس هو مادة البارد كما أن البارد ليس مادة الحار . ولكن المادة هي موضوع الاثنين .

§ ٧ — حينئذ بادئ بدء الجسم الذي هو مدرك بالقوة بإحساسنا هذا هو المبدأ ثم بعد ذلك تأتي الأضداد كالحار والبارد مثلاً . وفي المقام الثالث النار والماء والعناصر الأخرى المشابهة . هذه الأجسام كلها تتغير تغيراً بعضها إلى بعض ولكن لا بالطريقة التي يقول بها أمبيدقل وفلاسفة آخرون ، لأنه بحسب نظرياتهم

منه حالاً حقيقية . فقد يمكن حينئذ أن هذه الجملة لم تكن الاتديلاً أضافه إلى النص بعض المفسرين . ومع ذلك فان هذه الجملة موجودة في نص فيلوپون . — ليست منعزلة البتة — وبقية على طريق الاستقلال عن الأجسام كالمادة التي أخطأ أفلاطون ، على رأى أرسطو ، في قبولها . — مع أضداد — فان المادة لها دائماً كيف يميزها لا انفكاك لها عنه — في موطن آخر — في الطبيعة ك ١ ب ٨ خصوصاً ف ٢٠ ص ٨٤ من ترجمتنا . وفي كتاب السماء ك ٣ . — بأوسع من ذلك وأضبط — ليس في النص الكلمة واحدة .

§ ٦ — الأجسام الأول — حفظت للنص عبارته بتمامها ، ولكن المراد هنا هو العناصر . — موضوع الأضداد — ر . الطبيعة ك ١ ب ٨ ص ٧٣ من ترجمتنا . — مثلاً — أضفت هذه الكلمة . — ليس هو مادة — بل هو الضد وتحت الضدين الموضوع الذي يكيفانه على طريق التناوب . § ٧ — الجسم الذي هو مدرك — هو المادة المفهومة على المعنى المنطقي أي المحسوسة بالقوة ولكنها ليست مدركة إلا على شكل واحد من الضدين . — النار والماء — يعني الأربعة العناصر مع جميع الأجسام الخاصة التي تركيبها على حسب نظريات أرسطو التي هي أيضاً نظريات الأفديمين . — الطريقة التي يقول بها أمبيدقل وفلاسفة آخرون — المعنى ليس بيننا وقد جعله الإيجاز في التعبير غامضاً . فان أمبيدقل

قد لا يكون بعدُ حتى ولا الاستحالة. وإنما هي المقابلات بالأضداد هي التي لا تتغير بعضها الى بعض. على أنه لما كانت تلك هي مبادئ الأجسام فلا بد مع ذلك من دراسة كيفياتها وعددها لأن الفلاسفة الآخرين استخدموا ذلك في مذاهبهم بعد أن قبلوها على طريق الفرض ولكنهم لا يقولون لما إذا هذه الأضداد لها الطبع القلاني وأنها في العدد الذي نراها عليه.

وفلاسفة آخرون يرون العناصر غير قابلة للتغير مطلقاً ومن ثم لا يمكن أن يفهم مع عدم قابلية التغير نظرية الاستحالة مهما كانت مسلماً بها. — وإنما هي المقابلات — ليس النص على هذا القدر من الصراحة. — في مذاهبهم — أضفت هاتين الكلمتين.

الباب الثاني

حد الجسم كما تعرفه لنا حاسة اللمس — تعدد الأضداد الأصلية التي يعرضها الجسم المحسوس باللمس —
فصول هذه الأضداد — الفعل المتباين للبارد والحار والجاف والرطب — علاقة جميع الفصول الأخرى بهذه
الفصول الأربعة الأصلية .

§ ١ — ما دمنا نبحث فيما هي مبادئ الجسم المدرك بحواسنا أعني الجسم الذي
يستطيع اللمس أن يدركه وما دام أن جسما يعرفنا إياه اللمس هو الذي يكون حسه الخاص
هو اللمس فينتج بالبداهة أن جميع المقابلات بالأضداد التي يمكن مشاهدتها في الجسم
لا تؤلف أنواعه ومبادئه ولكنها إنما هي فقط أنواع ومبادئ الأضداد التي تخص
حاسة اللمس . إن الأجسام تتمايز بأضدادها ، ولكن بأضدادها التي يمكن لللمس أن
يبينها لنا . لذلك نرى لماذا أنه لا البياض ولا السواد ولا الحلاوة ولا المرارة
ولا أى واحد من الأضداد المحسوسة ليس عنصرا للأجسام .

§ ٢ — وهذا لا يمنع أن يكون النظر حاسة أسمى من اللمس وبالنتيجة أن
موضوع النظر هو أسمى أيضا . ولكن النظر ليس عرضا للجسم الملموس بما

§ ب ٢ ف ١ — الجسم المدرك بحواسنا — الجسم المادى والمحسوس . — أعني الجسم الذي
يستطيع اللمس أن يدركه — يلاحظ فيلوبيون بحق أن أرسطو يشغل أولا بحاسة اللمس لأن هذه الحاسة
أكثر الحواس إدراكا ممكنا . فان من الأجسام التي تخفى على نظرنا ما ندركه بحواسنا . وذلك كالهواء
إذ بينما لا يمكننا أن نراه يؤثر في إحساسنا بأن يلامسنا . — يعرفنا إياه اللمس — عبارة النص هي :
”جسم قابل لللمس“ . — التي يمكن مشاهدتها في الجسم — أضفت هذه العبارة لبيان الفكرة تماما .
— لأتوفا أنواعه ومبادئه — هذا التفوق الذي لحاسة اللمس يتقدم تمييز الكيفيات الأول والثواني للأجسام
ويذكر به . تلك هي النظرية التي قبلتها بعد ذلك المدرسة الإيقوسية . — ليس عنصرا للأجسام —
عبارة النص : ”لا تكون عناصر“ .

§ ٢ — أن يكون النظر حاسة أسمى — ر . كتاب النفس ك ٢ ب ٧ ص ٢٠٨ من ترجمتنا
في نظرية الرؤية . — من اللمس — ر . كتاب النفس ب ١١ ص ٢٣٧ . — أن موضوع النظر هو
أسمى أيضا — ر . أول ما بعد الطبيعة : ك ١ ب ١ ص ١٢١ من ترجمة كوزان الطبعة الثانية .
فان أرسطو يجعل فيها النظر أعلى مرتبة من جميع الحواس كما فعل هنا . — ليس عرضا — أو ”كيف“ .

هو ملموس بل هو يرجع الى شيء مغاير تماما يمكن مع ذلك أن يكون متقدما عليه بطبعه — ٣ — حينئذ بالنسبة للمموسات أنفسها يلزم الفحص والتمييز بين الفصول الأولى لها ومقابلاتها الأولى بالأضداد . المقابلات والمضادات التي يبينها لنا اللمس هي الآتية : البارد والحار ، اليابس والرطب ، الثقيل والخفيف ، الصلب واللين ، الدبق والفريك ، الأملس والخشن ، الكثيف والمتخلخل . من بين هذه الأضداد الثقيل والخفيف ليسا لفاعلين ولا منفعلين لأنه ليس لأتتأهما يفعلان أحدهما في الآخر أو لأتتأهما ينفعان أحدهما من الآخر أعطيا الاسم الذي يحملانه . ومع ذلك يلزم أن العناصر يمكن أن تفعل وتنفع بعضها من بعض على طريق التكافؤ ما دام أنها تختلف وتتغير على طريق التكافؤ بعضها الى بعض . § ٤ — ولكن الحار والبارد واليابس والرطب هي مسماة كذلك أولاها لأتتأهما تفعل والأخرى لأنها تنفع . فإن الحار هو الذي يجمع ما بين الجواهر المتجانسة لأن التفريق الذي يقال عن النار إنما تفعله إنما هو في حقيقة الأمر

— الى شيء مغاير تماما — حفظت عبارة النص على عدم تحديدها . — متقدما عليه بطبعه — أي للشيء الخاص بحاسة اللمس .

§ ٣ — بالنسبة للمموسات أنفسها — حفظت كلمة النص بعينها التي لا خفاء في معناها بعد الايضاحات السابقة . فان المموسات هي الأجسام التي تعرفها لنا حاسة اللمس فقط . — الفحص والتمييز — ليس في النص الكلمة واحدة . — ومقابلاتها الأولى بالأضداد — عبارة النص : "النضاد" . — لأتتأهما يفعلان أحدهما في الآخر — عبارة النص ليست على هذا الوضوح . — أعطيا الاسم الذي يحملانه — عبارة النص أكثر إيجازا .

§ ٤ — أولاها لأنها تفعل — يظهر أن فعل البارد وفعل الحار متكافئان تماما وأنهما يفعلان ويقبلان على السواء . ويعني بأولاهما الحار والبارد وبآخرهما اليابس والرطب . وقد عني فيلو بون بأن يوضح في إطناب لماذا يجعل أرسطو من البارد والحار عنصرين فاعلين ومن اليابس والرطب عنصرين منفعلين . ر . عن هذه النظرية كلها الكتاب الرابع من الميتافيزيقيا ب ١ وما بعده . ص ٢٧٣ من ترجمتنا — هو الذي يجمع — وبهذا المعنى أن الحار يفعل . — الجواهر المتجانسة — هذا يقال خصوصا على الجواهر التي تسبح وتذوب تحت فعل النار فيكون قوامها اذا كاسوائل . — في حقيقة الأمر — زدت هذه الكلمات

تركيب الأشياء التي من نوع واحد ما دام أن الذي يحصل إذاً هو أن النار تخرج الجواهر الغريبة وتنفيها . والبرد على ضد ذلك يجمع ويركب على السواء الأشياء التي من نوع واحد والتي ليست من نوع واحد . ويسمى سائلا ما ليس محدودا في صورته الخاصة ولكنه يمكن مع ذلك أن يقبل بسهولة صورة . واليابس على ضد ذلك هو ما كان بماله من صورة محددة تماما في حدودها الخاصة لا يقبل صورة جديدة إلا بعناء . § ٥ — من هذه الفصول الأول إنما يأتي المتخلخل والكثيف والدبق والفريك والصلب واللين والفصول الأخرى المشابهة . إذاً فإن جسمًا له خاصية إمكان أن يملأ الأين بسهولة يتصل بالسائل لأنه غير محدد هو نفسه وأنه يخضع من غير أدنى عناء إلى فعل الشيء الذي يلمسه تاركًا ذاته تأخذ صورة ذلك الشيء . كذلك المتخلخل يمكنه أن يملأ الأين على سواء لأنه لما لم يكن له إلا أجزاء خفيفة وصغيرة كان يحيد الملء ويلاصق تماما وهذه خاصية تميز على الخصوص الجسم المتخلخل . حينئذ بالبدئية المتخلخل يقارب السائل في حين أن الكثيف يقارب اليابس . ومن جهة أخرى الدبق يتعلق أيضا بالسائل لأن الدبق ليس إلا نوعا من السائل مع

— تخرج ... وتنفي — ليس في النص الكلمة واحدة . — البرد على ضد ذلك يجمع — وعلى هذا المعنى فالبرد هو فاعل كالحرارة . — والتي ليست من نوع واحد — فإن التلج يجلد ويجمع غالبًا الجواهر الأكثر تقيرا . — ما ليس محدودا في صورته الخاصة — فإن السائل لم يكن له البتة الصورة الحاوي له . أما هو نفسه فليس له صورة في كثرته . — في حدودها الخاصة — أو "في سطحه الظاهر الخاص" . — صورة ... حدود — النص يستخدم لفظا واحدا للدلالة على صورة أو حدود .

§ ٥ — من هذه الفصول الأول — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — والفصول الأخرى المشابهة — التي قد لا تكون الا ثانوية بالنسبة للفصول الأول للبارد والحر واليابس والرطب . — له خاصية إمكان أن يملأ الأين — ليس في النص الكلمة واحدة . ويمكن أيضا أن يفهم من الأين « الأمكنة الفارغة أو التجاوى » كما فهم فيلوپون . — يتصل بالسائل — عبارة النص بالضبط : « هو من السائل » أي جزء منه . — خفيفة وصغيرة — هذا غير صحيح تماما وإن السطح مهما يكن متخلخلا فإنه لا يحسن أن يملأ الأين بحسب الوضع الذي يعطى إياه . — يتعلق أيضا بالسائل — أو "من السائل" كما ذكر في المتخلخل .

بعض كفيات كالزيت . ولكن الفريك يتعلق باليابس لأن الفريك إنما هو التام اليبس . ويمكن القول بأنه لم يتجمد إلا لخلوه من كل سائل . ويمكن أن يقال أيضا إن اللين جزء من السائل لأن اللين هو ما يطاوع عند التوائه على نفسه ودون أن ينتقل كما أن السائل يفعل هذا الفعل بالضبط أيضا . تلك هي العلة في أن السائل لم يسم لنا في حين أن اللين يتعلق بصنف السائل وأخيرا فالصلب يتعلق باليابس لأن الصلب هو شيء من المتجمد والمتجمد يابس .

§ ٦ — على أن يابس وسائل لفظان يحملان على معان شتى ، فإن السائل والمبتل يمكن أن يعتبرا كمقابلين لليابس كما أن اليابس والمتجمد هما مقابلان للسائل . وكل هذه الخواص المختلفة تتعلق بالسائل واليابس محمولين على المعنى الأولى لهاتين الكلمتين ، لأنه من حيث إن اليابس هو مقابل للمبتل وإن المبتل هو ما كان به على سطح سائل غريب في حين أن المنتقع هو ما به السائل إلى باطنه . ولمّا أن اليابس هو على ضد ذلك ما كان خلوا من كل سائل غريب فينبى بذاته أن المبتل يتصل بالائل في حين أن اليابس المقابل له يتصل باليابس الأولى .

— كالزيت — كان يمكن إيجاد مثل أكثر انطباقا . — من كل سائل — أو "من كل رطوبة" .
— ودون أن ينتقل — كحال الماء الذي تنفصل جزيئاته في حين أن الجسم اللين تبقى جزيئاته متصلة مع مطاوعتها .
الضغط الواقع عليها . — يتعلق بصنف السائل — "أو هو من السائل" . — من المتجمد — هذا هو لفظ النص بعينه تركته على عمومه .

§ ٦ — يابس وسائل — أو "يابسا ورطبا" وقد أثرت كلمة سائل حتى تكون مقابلته أظهر بالمبتل الذي سيأتى ذكره . — اليابس والمتجمد — ربما يمكن أن يقال أيضا "اليابس والمتجلد" .
— هذه الخواص المختلفة — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — على المعنى الأولى لهاتين الكلمتين — ر . الملاحظة في ف ٣ — المنتقع — أو "المغمور" . — يتصل بالسائل — ر . ملاحظتنا على هذا التعبير في الفقرة السالفة .

٧ § — ويُجرى هذا المجرى أيضا في السائل والمتجمد فان السائل لما كان ما به رطوبة خاصة والمتجمد ما هو خلو منها يجب أن يستنتج منه أن هذين الكيفين أحدهما يتعلق بصنف السائل والآخر بصنف اليابس .

٨ § — فبين حينئذ أن كل الفصول الأخرى يمكن أن يرجع بها الى الأربعة الأولى وأن هذه لا يمكن أن ينزل عددها الى أقل من ذلك لأن الحار ليس هو والرطب أو اليابس شيئا واحدا كما أن الرطب ليس هو لا الحار ولا البارد . كذلك البارد واليابس ليسا تابعين أحدهما للآخر كما أنهما ليسا تابعين للحار ولا للرطب . والحاصل أنه لا يوجد ضرورة إلا هذه الأربعة الفصول الأصلية .

٧ § — في السائل ... بصنف السائل — يظهر أن هنا تكرارا في الكلمات لا فائدة منه وقد اضطررت أن أتبع الأصل . ولم يفسر فيلويون هذا العيب الذي ربما لم يفتن له .

٨ § — كل الفصول الأخرى — التي ذكرت ووضعت بعد الفصول الأربعة الأولية والأصلية . — الى الأربعة الأولى — البارد والحار واليابس والرطب . — الى أقل — يعنى الى اثنين بدل أربعة . — والرطب — أو "السائل" . — الأصلية — أضفت هذا الوصف . ر . الكتاب الرابع من الميتيورولوجيا ب ١

الباب الثالث

تراكيب العناصر بين بعضها والبعض — ليس منها الا أربعة لان الأضداد خارجة عنها — نظريات سابقة على عدد العناصر — پرمينيد — أفلاطون — أمبيدقل — طبع العناصر المختلفة — الأمكنة المختلفة التي تشغلها في الآن .

١ § — لما أنه يوجد أربعة عناصر وأن التراكيب الممكنة لحدود أربعة هي ستة ، ولكن أيضا لما أن الأضداد لا يمكن أن تزوج بينها مادام البارد والحر واليابس والرطب لا يمكن البتة أن تندمج في شيء واحد بعينه ، فبين أنه لا يبقى إلا أربعة تراكيب للعناصر . فمن جهة ، حار ويابس ، حار ورطب ، ومن جهة أخرى بارد ويابس ، بارد ورطب . § ٢ — تلك هي نتيجة طبيعية لوجود الأجسام التي تظهر بأنها بسيطة : النار والهواء والماء والأرض ، فالتار حارة ويابسة والهواء حار ورطب مادام أن الهواء نوع من البخار . والماء بارد وسائل وأخيرا الأرض باردة ويابسة . ينتج منه أن توزيع هذه الفصول بين الأجسام الأول يفهم جد الفهم وأن عدد هؤلاء وهؤلاء هو على تمام التناسب .

٣ § — وفي الحق أن كل الفلاسفة باعترافهم للأجسام البسيطة بأنها عناصر قبلوا منها تارة واحدا وتارة اثنين وتارة ثلاثة وتارة أربعة . § ٤ — فأما الذين لم يقبلوا

١ § — لما أنه يوجد أربعة عناصر — هذه هي عبارة النص ولكن الحار والبارد ، واليابس والرطب أولى بها أن تكون خواص للعناصر من أن تكون عناصر بالمعنى الخاص . — أن تزوج بينها — لأنها تتفاسد . — أنه لا يبقى الا أربعة تراكيب — ليس النص على هذه الصراحة . — رطب — أخذت اللفظ الأكثر استعمالا عادة ولكن اللفظ الإغريقي يفيد سائلا كما يفيد رطبا . § ٢ — التي تظهر بأنها بسيطة — أسلوب هذه العبارة لا يدع محلا لأقل شك في بساطة العناصر بالإطلاق على حسب نظريات أرسطو . وقوله تظهر بأنها بسيطة يفيد أن بساطة العناصر يمكن أن تتحقق بالمعاينة . — والماء بارد وسائل — اخترت هنا لفظ سائل بدل رطب لأنه أنسب للماء .

٣ § — للأجسام البسيطة بأنها عناصر — الظاهر أنه ينتج من هذه الفقرة أنه ولا واحد من الفلاسفة قد قبل أكثر من أربعة عناصر . ومع ذلك فإن أرسطو نفسه في الميتورولوجيا قبل فيما يظهر خامسا وهو الإثير . ر . الميتورولوجيا ك ١ ب ٣ ف ٤ ص ٩ من ترجمتنا .

منها إلا واحدا فمضطرون الى توليد كل الأخرى من تكثيف هذا العنصر أو تخفيفه .
وبالتبع يقبلون مبدأين المتدخل والكثيف أو الحار والبارد لأنها في هذا المذهب
هي الفواعل المؤلفة والعنصر الوحيد يكون خاضعا لفعالها بما هو مادة § ٥ — وأما
الفلاسفة الذين هم كبرمينيد يقبلون عنصرين النار والأرض ، فيعتبرون العناصر
الوسيلة الهواء والماء مزيجا من ذينكم العنصرين . كذلك الحال عند الذين
يقبلون عناصر ثلاثة كما فعل أفلاطون في تقاسيمه لأن عنده العنصر الوسط ليس
إلا مزيجا . وحينئذ الذين يقبلون عنصرين والذين يقبلون ثلاثة يوشك أن
يكونوا على اتفاق تام لولا أن بعضهم يقسم العنصر الوسط الى اثنين وأن الآخرين
يتكون له وحدته . § ٦ — ومنهم كأبيدقل من يعترفون جليا بأربعة عناصر غير أنه
هو أيضا يترطها الى اثنين لأنه يقابل بالنار كل العناصر الأخرى مجتمعة .
فعلى رأى أبيدقل يكون لا النار ولا الهواء ولا أى واحد من العناصر الأخرى

§ ٤ — تكثيف... أو تخفيفه — ر . الطبيعة ك ١ ب ٦ ف ١ ص ٦١ من ترجمتنا . — هذا
العنصر — أضفت هاتين الكلمتين لتام الفكرة . — الفواعل المؤلفة — أو "الصناعة" . — خاضعا لفعالها —
ليس النص على هذه الصراحة . — بما هو مادة — أهل لأن تقبل الأضداد على التعاقب .
§ ٥ — كبرمينيد — في الطبيعة ك ١ ب ٦ ف ١ أن المبدأين المنسوبين الى برمينيد هما المتدخل والكثيف
أو الحار والبارد وليس هما النار والأرض مع أن النار يمكن أن تشخص بالحار والأرض بالبارد . — في تقاسيمه —
قد يظهر أن هذا يدل على عنوان خاص لمؤلف لأفلاطون ولكن فيلويون بناء على قول مفسرين سابقين
يؤكد أن المؤلف المنسوب الى أفلاطون تحت هذا الاسم كان متحلا . ويرى الاسكندر الأفروديزي أن
المقصود هنا هو تلك الآراء غير المكتوبة لأفلاطون التي يرويها أرسطو بالصراحة في الطبيعة ك ٤ ب ٤
ف ٤ ص ١٥٠ من ترجمتنا . وقد ظن شراح آخرون أن المقصود هو التقاسيم المبينة في محاوراة أفلاطون
المعنونة "السفسطائي" . — ويظهر أن تفسير الاسكندر هو الأقرب للاحتيال . — ليس الامزيجا —
كما يرى برمينيد . — يوشك أن يكونوا على اتفاق تام — ما دام أنه مزيج في عرف الطرفين .
— العنصر الوسط الى اثنين — قد لا يكون هذا مطابقا تماما لما قيل أنفا فان برمينيد يظهر أنه يقبل
عنصرين وسطين لا واحدا ولا يمكنه أن يدج الهواء والماء . § ٦ — كأبيدقل — ر . اسبق
ب ١ ف ٢ — كل العناصر الأخرى مجتمعة — ليس النص على هذا الضبط . — فعلى رأى أبيدقل —
أضفت هذه العبارة لأنه يظهر لي أن كل ما سياتي لا يمكن إسناده الى أبيدقل . وهذا تفسير بان توماس

بسيطا بل ممزوجا . فإن الأجسام البسيطة هي جميعها بسيطة بلا شك ، ولكنها ليست مع ذلك متماثلة . مثلا الجسم المشابه للنار هو من نوع النار ولكنه مع ذلك ليس بالضبط نارا . والجسم المشابه للهواء هو من نوع الهواء دون أن يكون هواء . وكذلك الحال في بقية العناصر . ولكن النار هي إفراط في الحرارة كما أن الثلج إفراط في البرودة لأن التجلد والغليان هما إفراطان من جنس ما أحدهما للبارد والثاني للحر . فإذا كان إذا الثلج هو تجلد السائل والبارد ، فالنار تكون أيضا غليان الحار واليابس . فانظر لما إذا لا يمكن أن يتولد شيء لا من الثلج ولا من النار .

§ ٧ — الأجسام البسيطة بما هي في عدد الأربعة تتعلق اثنين اثنين بكل واحد من مكاني الأين . فالهواء والنار هما من المكان المائل نحو الحد الأقصى . والأرض والماء بالمكان الذي هو نحو المركز . وإن العناصر الطرفية والخالصة أكثر

وجامعة كويمبرا . ويظهر أن فيلون يظن أن هذه هي فكرة أرسطو الخاصة . — بل ممزوجا — من الصورة والهيولى كما يقول فيلون . — الأجسام البسيطة — عبارة النص غير محددة وهي " البسائط " . ومن الجائز أن يكون المراد هنا الأربعة العناصر الخاصة الحار والبارد واليابس والرطب ، وعلى الرغم من الجهد الذي بذلته لا تزال هذه الفقرة قلقة غامضة . — الجسم المشابه للنار — هو المركب من الحار واليابس . ر . ما سبق ف ٢ . — ولكنه مع ذلك — ليس النص على هذه الصراحة . — الجسم المشابه للهواء — وهو المركب من الحار والرطب . ر . ما سبق ف ٢ . — التجلد والغليان — من الغريب أن ترى هاتان الظاهرتان متقابلتين في نظريات القدماء . وقد لزم أن تمر قرون عديدة حتى ينتج هذا التقابل نتائج العملية فيؤسس عليه ميزان الحرارة (الترمومتر) هذه الآلة العجيبة التي تصلح لتعيين درجة حرارة الأجسام . — فانظر لما إذا لا يمكن أن يتولد شيء . — لا يظهر أن المعاني مرتبطة جد الارتباط بعضها ببعض وقد يمكن أن تكون هذه الجملة ليست إلا تذييلا .

§ ٧ — الأجسام البسيطة — هذه هي عبارة النص بعينها ويظهر أن أرسطو هنا يرجع إلى الكلام على مذهبه الخاص وأن ليس المراد هنا الكلام على المذاهب الخاصة لأبيدقل . — بكل واحد من مكاني — الفوق وال تحت . — الأين — أضفت هذه الكلمة . — من المكان المائل نحو الحد الأقصى — عبارة النص غير محددة قليلا ومع أني حددتها نوعا ما فلم أبلغ جعلها أجلى بيانا . — الذي هو نحو المركز — تلاحظ هنا الملاحظة السابقة . — العناصر الطرفية — يعني التي هي في النقط الأكثر مقابلة من الأين للمركز وللحيط الأقصى . — والخالصة أكثر من غيرها — هذا يجب أن يعني به حركة هذه العناصر أولى من أن

من غيرها هي النار والأرض . والعناصر الوسطى والأكثر ممازجة هي الماء والهواء . وفي كل طائفة أحد الاثنين هو ضد للآخر لأن الماء ضد النار والأرض ضد الهواء ما دام أن لها في تركيبها كيفيات متضادة § ٨ — ومع ذلك فعلى القول بالاطلاق الأربعة الأجسام البسيطة لا يتعلق كل واحد منها إلا بكيف واحد . على ذلك الأرض هي من اليابس أكثر من أن تكون من البارد والماء هو من البارد أكثر من أن يكون من السائل . والهواء هو من السائل أكثر من أن يكون من الحار والنار هي من الحار أكثر من أن تكون من اليابس .

يعنى به تركيبها . وقد يمكن أن يقال « الأظهر » في اتجاهها . — والأكثر ممازجة — هذه هي عبارة النص بعينها ولكنه يلزم أن يفهم أن هذا ينطبق خصوصا على الحركة . — هو ضد للآخر — في الطائفة الأخرى . — الأرض ضد الهواء — التقابل ليس بين الظهور . — كيفيات متضادة — انظر ما يلي . § ٨ — فعلى القول بالاطلاق — زدت فمظ « القول » . — الا بكيف واحد — عبارة النص غير محدودة . — أكثر من أن تكون — هذا يناقض قليلا مفهوم قوله « على الاطلاق » في أول الجملة . — من البارد أكثر من أن يكون من السائل — يظهر أن الأمر على ضد ذلك أن الماء سائل أكثر منه باردا . فهو سائل قبل كل شيء . ولكن المذهب الذي وضع هنا يقتضى هذا التناظر في الوضع . فقد تركت السيولة للهواء وربما قد يمكن أن يقال أيضا بدل السيولة السائلة .

الباب الرابع

نظرية تبدل العناصر بعضها ببعض — فصول العناصر فيما بينها يمكن أن تكون أكثر أو أقل عدداً — سهولة التبدل وصعوبته — أمثلة مختلفة بحسب تجاور العناصر أو البعد بينها في النظام الذى هى مرتبة به وبحسب تماثل كميات العناصر أو تقابلها — خاتمة الجزء الأول لنظرية التبدل المتكافئ بين العناصر .

§ ١ — بعد أن بينا فيما سبق أن الأجسام البسيطة يكون بعضها بعضاً على طريق التكافؤ وأن المعاينة الحسية تدلنا على أنها تتكون بهذه الطريقة لأنه إن لم يكن كذلك فقد لا توجد استحالة، ما دامت الاستحالة لا تنطبق إلا على كميات الأشياء التى يمكن لمسها، فيلزمنا أن نقول بأى طريقة يحصل تغير العناصر بعضها الى بعض وما إذا كان ممكناً أن كل عنصر يتولد من كل عنصر أو إذا كان هذا ممكناً فقط بالنسبة للبعض ومحالاً بالنسبة للبعض الآخر .

§ ٢ — فإذا كان ثم أمر بديهي فذلك هو أن كلها يمكن بالطبع أن تتغير بعضها الى بعض لأن كون الأشياء يروح الى الأضداد ويحيى من الأضداد . وكل العناصر لها تقابل بعضها بالنسبة الى البعض الآخر لأن فصولها أضداد وحيثئذ فى بعض

§ ١ — بعد أن بينا فيما سبق — ر . كتاب السماء ك ٣ ب ٧ ف ١ ص ٢٦٥ من ترجمتنا . ويظهر بناء على هذه الفقرة أن كتاب السماء كان فى فكرة المؤلف مرتبطاً بهذا الكتاب كما يعتقد المفسرون إذ وضعوا الكتابين أحدهما تلو الآخر . — المعاينة الحسية — عبارة النص « الحس » . — لأنه إن لم يكن كذلك فقد لا توجد استحالة — الدليل ليس جيد البيان إذ أن الاستحالة مختلفة عن الكون وأنها تقتضيه . فانه يلزم أن يوجد الشيء قبل أن يستحيل ولكن وجود العنصر لشيء لا ينتج منه أن هذا العنصر يأتى من عنصر آخر . — التى يمكن لمسها — ر . ما سبق ب ٢ ف ١ . — تغير العناصر بعضها الى بعض — يمكن مراجعة كتاب السماء وآب الميتورولوجيا أيضاً ك ١ ب ٢ و ٣ من ترجمتنا .

§ ٢ — أمر بديهي — بالدليل أكثر منه بالمشاهدة . — يروح الى الأضداد — حفظت عبارة النص على فرط إيجازها . ومع ذلك فهى مفهومة بسهولة بعد التفاصيل التى تقدمت . فان الشيء بتكونه يذهب من الوجود الى الوجود وعلى ضد ذلك بفساده يذهب من الوجود الى اللاوجود فهو يجاوز ضدًا ليذهب الى الضد الآخر . — لها تقابل — اتخذت لفظاً أعم من لفظ النص الذى هو "نضاد" . — فصولها أضداد — ر . ما سبق ب ٢ ف ٢ .

العناصر الفصلان هما ضدان ومثال ذلك في الماء والنار فان أحدهما يابس وحار في حين أن الآخر سائل وبارد . وبعض العناصر الأخرى ليس لها إلا واحد من الفصلين كالهواء والماء فان أحدهما هو سائل وحار والثاني بارد وسائل .

§ ٣ — وحينئذ فمن البين أنه على العموم كل عنصر يمكن بالطبع أن يأتي من كل عنصر . وليس من الصعب الاقتناع بهذا بأن يشاهد كيف تحصل الظاهرة بالنسبة لكل عنصر على حدته . لأنه سيرا أن كلها تأتي من كلها . والفرق الوحيد إنما هو أن التغير يتكون بكثير أو قليل من السرعة وبكثير أو قليل من السهولة . وكلما كان بين العناصر نقط ارتباط تحولت بعضها الى بعض سريعا جدا . وما ليس بينها نقط ارتباط تتغير ببطء . وعلة ذلك أن شيئا واحدا بمفرده يتغير بأسرع من عادة . وعلى ذلك فالهواء يأتي من النار بتغير أحد الكيفين ليس الا ، ما دام أن أحدهما يابس وحار والثاني حار وسائل . وينتج منه أنه اذا كان اليابس مغلوبا بالسائل فيتكون الهواء ثم إنه من الهواء يتكون الماء اذا كان الحار هو المغلوب بالبارد لأن أحدهما كان سائلا وحارا والثاني كان باردا وسائلا فيكفي اذا أن الحرارة وحدها تتغير لأجل أن يتكون الماء .

§ ٤ — وبهذه الطريقة عينا أيضا أن الأرض تأتي من الماء وأن النار تأتي من الأرض لأن هذين العنصرين أيضا لهما أحدهما قبل الآخر نقطة جمع ووصل

— فان أحدهما هو سائل — قد اضطررت للاحتفاظ بلفظ "سائل" المطبق على الهواء كما هو أيضا في النص .

§ ٣ — بأن يشاهد — وصية جديدة بنمط المشاهدة . — نقط ارتباط — ربما كان أضيف أن يقال « تركيب » ممكن . فان الحد المستعمل في النص فيه تفاوت لم أستطع تحصيله مباشرة . ر . الفقرة الآتية . — تحولت — أو « مرت من واحد الى الآخر » . — أحد الكيفين — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — كان — قد حافظت على أسلوب النص وهذا يتعلق بالنظريات التي بسطت آنفا . — يابس وحار ... حار وسائل — أى أن كينى الحار يجتمعان ماداما متماثلين . فلا يسبق للتغير الا اليابس والسائل . — كان سائلا — حفظت صيغة الماضى الناقص كما هي في الأصل .

§ ٤ — نقطة جمع ووصل — ترجمت هنا بوضوح معنى الكلمة الإغريقية التي هي خاصة بالأشياء التي يمكن جمع أجزائها لتؤلف كلاً بعد أن فصلت .

فان الماء سائل وبارد والأرض هي باردة ويابسنة بحيث إنه اذا كان السائل هو المغلوب تتكون الأرض . ومن جهة أخرى بما أن النار يابسنة وحارة والأرض يابسنة وباردة فاذا فسد البارد فمن الأرض تتكون النار . فيرى حينئذ أن كون الأجسام البسيطة يحصل بالدور وطريقة التغير هذه هي أسهل الطرق لأن العناصر التي تتعاقب لها دائماً بينها نقط جمع ووصل .

§ ٥ — والماء يمكن أيضاً أن يأتي من النار والأرض من الهواء وبالعكس يمكن أن يأتي أيضاً الهواء والنار من الماء ومن الأرض . ولكن هذا التحول هو أصعب لأن موضوع التغير أشياء أكثر عدداً . وفي الواقع لأجل أن تأتي النار من الماء يلزم أن يفسد أولاً البارد والسائل . وكذلك لأجل أن يأتي الهواء من الأرض يلزم أن البارد واليابس يفسدان . وهذا اللزوم واجب أيضاً لأجل أن الماء والأرض يأتیان من النار ومن الهواء لأنه يلزم حينئذ أن يكابد الكيفان التغير .

§ ٦ — وأيضاً الكون الذي يحصل بهذه الطريقة هو أبطأ . ولكن اذا فسد أحد كيفي كل واحد من الاثنين فيكون التحول أسهل غير أن هذا التحول لا يحصل بعد حينئذ

— هو المغلوب — بالكيف الآخر الذي هو أقوى منه . فان السائل المغلوب يتلاشى ولا يبقى من الكيفين الا البرودة التي هي الكيف المشخص للأرض . — فن الأرض تتكون النار — كل هذه النظريات تظهر لنا غريبة في هذه الأيام ولكن يجب الرجوع الى زمن أرسطو . وقد كانت هذه النظريات مقبولة بلا نزاع الى القرن السادس عشر . — العناصر التي تتعاقب — ليس في النص الالكلمة واحدة غاية في عدم التحديد ، فان العناصر المتعاقبة هي التي لها كيفيات مشتركة . — جمع ووصل — ر . ما سبق في أول هذه الفقرة .

§ ٥ — والماء يمكن أيضاً أن يأتي من النار — ليس بين الماء والنار نقطة مشتركة ما فلاجل أن يتغير أحدهما الى الآخر لابد من الوسطاء . وهاهنا الهواء هو الذي له نقط مشتركة بينه وبين الماء من جهة وبينه وبين النار من جهة أخرى . — هذا التحول — عبارة النص أشد إبهاماً . — البارد والسائل — اللذان هما كيفا الماء . — البارد واليابس — كيفا الأرض الخالصان . — الكيفان — لفظ النص غير محدد .

§ ٦ — الكون — كون العنصر الجديد الناتج من تحول العناصر الأخرى . — لا يحصل بعد حينئذ من الواحد الى الآخر — وحينئذ يوجد جسم ثالث مكون من الكيوف الباقية . يتنازع فيلو بون في صحة هذه النظرية التي هي مع ذلك كما يقول هو كانت مقبولة عند الإسكندر الأفروديزي .

من الواحد الى الآخر على طريق التكافؤ . غير أنه من النار ومن الماء تأتي الأرض والهواء ، ومن الهواء ومن الأرض تأتي النار والماء . وفي الواقع اذا فسد بارد الماء ويابس النار يتكون الهواء لأنه لا يبقى بعدُ إلا حار أحدهما وسائل الآخر . ولكن إذا فسد حار النار وسائل الماء تتكون الأرض لأنه لا يبقى حينئذ إلا يابس أحدهما وبارد الآخر .

§ ٧ — وكما هو الأمر في الهواء والأرض يكون في تكون النار والماء لأنه إذا فسد حار الهواء مع يابس الأرض يتكون الماء ما دام أنه سيبقى سائل أحدهما وبارد الآخر . ولكن حينما يكون المنعدم هو سائل الماء وبارد الأرض تتكون النار لأنه يبقى حار أحدهما ويابس الآخر وهما الكيفان الخاصان بالنار .

§ ٨ — وهذا الإيضاح لكون النار يتفق جدا مع الحوادث التي يشهد بها الحس لأنه إنما هو اللهب الذي هو على الأخص نار واللهب ليس إلا الدخان المحترق والدخان يتركب من هواء وأرض .

§ ٩ — في العناصر التي تتوالى وتتعاقب ليس ممكنا متى كان أحد الكيفين قد فسد في واحد أو في الآخر أن يحصل مرور وتحول للعناصر إلى أى جسم آخر

— غير أنه من النار ومن الماء — لا يظهر أن المعاني متعاقبة تماما . — يتكون الهواء — عنصر مخالف للنار والماء اللذين أنجياه . — تتكون الأرض — الملاحظة عينها . — يابس... وبارد — اللذان هما كيفا الأرض .

§ ٧ — سائل أحدهما — السائل يظهر أن استعماله خاص بالماء دون سواه . ولكن في هذه النظريات يلزم قبوله أيضا بالنسبة للهواء لأن لفظ رطب يظهر أنه أحسن استعمالا في بعض الأحوال . ويمكن أيضا أن تستعمل كلمة "لطيف" للهواء . ولكن هذه الكلمة لاتوافق تماما كلمة النص . — وهما الكيفان الخاصان بالنار — ر . ما سبق ب ٣ ف ٢ .

§ ٨ — وهذا الإيضاح لكون النار — ليس النص على هذه الصراحة . — يتفق جدا مع الحوادث — لا يظهر أن هذا الاتفاق تام كما يظن المؤلف ولكن هذا لا يمنع من أن النمط الذي يوصف باتباعه طيب وحق ولو أنه لم يحسن تطبيقه . — الدخان يتركب من هواء وأرض — لأن الدخان على رأى أرسطو هو تجزئ الخشب . ر . الميتور ولو حيا ك ٤ ب ٩ ف ٤ ص ٣٣٩ من ترجمتنا .

§ ٩ — التي تتوالى وتتعاقب — مثال ذلك الهواء بعد النار والماء بعد الهواء والأرض بعد الماء . ما دامت العناصر الأربعة مرتبة على هذا النظم . — مرور وتحول — ليس في النص الا كلمة واحدة .

لأن البواقي التي تبقى في الاثنين هي إما متماثلة أو متضادة . وحينئذ لا من بعضها ولا من الآخر يمكن أن يتحصل جسم . مثال ذلك إذا فسد يابس النار وإذا فسد أيضا سائل الهواء لا توجد نتيجة ممكنة مادامت الحرارة هي التي تبقى من طرف ومن آخر . وكذلك الحال فيما إذا كانت هي الحرارة التي تنعدم من الاثنين فإنه لا يبقى بعد إلا ضدان وهما اليابس والسائل ، ويُجرى هذا المجرى في جميع الأحوال الأخرى ما دام أنه في الأحوال التي من هذا القبيل يبقى دائما تارة الكيف المائل وتارة الكيف المضاد ، وعلى هذا فمن البين حينئذ أنه لأجل تكوين العناصر مارة ومتغيرة من واحد إلى واحد يكفي أن كيفا واحدا يفسد . ولكن بالنسبة للعناصر التي تمر من اثنين إلى واحد فقط . هنالك يحتاج إلى فساد عدة كيفيات .

§ ١٠ — وعلى جملة من القول فإنه قد وضع أن كل عنصر يتولد من كل عنصر وقد بين بأية طريقة يحصل تحول بعضها إلى بعض .

— البواقي التي تبقى في الاثنين — ليس النص على هذه الصراحة . — نتيجة ممكنة — يعني جسما ثالثا مخالفا للجسمين اللذين أنتجا . — الحرارة هي التي تبقى — وفي هذه الحالة هي النار . — ضدان — يترافعان ولا يمكنهما أن يجتمعا ما دام أنهما يتفاسدان على التكافؤ . — مارة ومتغيرة — ليس في النص الكلمة واحدة . — من واحد إلى واحد — التعبير ليس بينا جدا ولم أزد على أن حصلته بعينه . — كيفا واحدا — الكيف المضاد . والنص ليس على هذا القدر من الضبط . — عدة كيفيات — كلمة النص في غاية الإبهام .

§ ١٠ — وعلى جملة من القول — عبارة النص هي بالبساطة : “ حينئذ ” .

الباب الخامس

بقية نظرية تبدل العناصر — من المحال ألا يوجد إلا عنصر واحد منه تأتى كل العناصر الأخرى —
 فى هذا الافتراض قد تحصل استحالة العنصر الوحيد ولكن لا يحصل البتة كون حقيق للعناصر المختلفة —
 شاهد من طيماوس لأفلاطون — عرض جديد للطريقة التى بها تتغير العناصر بعضها الى بعض — يحصل التبدل
 بسرعة متناسبة مع وجود كيف مشترك — نسبة العناصر الأطراف بعضها الى بعض ونسبة العناصر الأوساط —
 الحدود الضرورية لهذا التحول — لا يمكن التمشى الى اللانهاية فى أى واحدة من الجهتين — البيان الحرفى
 لهذا المبدأ .

§ ١ — التفاصيل السابقة لا تمنعنا تقدير هذه المسائل على ضوء آخر . فإذا كانت
 مادة الأجسام الطبيعية هى ، كما يرى بعض الفلاسفة ، الماء والهواء أو عناصر
 من هذا القبيل فيلزم أن تكون واحدا أو اثنين أو عدة من هذه العناصر .
 وفى الحق لا يمكن ألا تكون جميع الأشياء إلا عنصرا واحدا أحدا . مثلا أن
 الكل لا يكون إلا هواء أو ماء أو نارا أو أرضا ما دام التغير يحصل فى الأضداد .
 وفى الواقع لنفرض أن الكل هو من الهواء وأن الهواء يسبق فى جميع التغيرات
 فسيحصل من ثم مجرد استحالة ولن يحصل بعد كون .

§ ٢ — ولكن فى هذا الافتراض عينه ليس ممكنا ، فيما يظهر ، أن يكون الماء فى آن
 واحد هواء أو أى عنصر آخر مشابه . فسيوجد دائما بين الكيفيات تقابل وخلاف

§ ١ — التفاصيل السابقة — ليس النص على هذه الصراحة . — على ضوء آخر — عبارة النص
 بالضبط هى : « هكذا » يعنى « بالطريقة الآتية » . — فإذا كانت مادة الأجسام الطبيعية — يجب أن
 يعنى ها هنا بالأجسام الطبيعية أولا بعض العناصر ثم بعد ذلك جميع الأجسام التى تولفها العناصر الأولية
 بتركيبها . — كما يرى بعض الفلاسفة — وعلى الأخص فلاسفة مدرسة يونيا . — عنصرا واحدا
 أحدا — ليس فى النص إلا كلمة واحدة . — ما دام التغير يحصل فى الأضداد — وأن تقبل واقعية
 التغير المدرك بحواسنا . — فى جميع التغيرات — أضفت هذه الكلمات لبيان الفكرة .

§ ٢ — أن يكون الماء — بعض الناشرين ثبت النار بدل الماء ، وأظن أن هذه هى الرواية الحققة لأنها
 هى وحدها التى تتفق مع كل ما يلى . ويظهر أن فيلو بون أيضا على ذلك . ولكنى لم أجسر على تغيير النص
 لأن هذا التغير لا يستند إلى أية نسخة مخطوطة . — بين الكيفيات — أضفت هاتين الكلمتين لتتام المعنى .

حيث لا يكون للنار إلا واحد من الطرفين الحرارة مثلا. ولكن النار لن يمكنها البتة أن تكون بالبساطة هواء حارا لأن هذا إنما هو استحالة. ولا يظهر أن الأمور تقع على هذا النحو. ومن جهة أخرى إذا فرض على العكس أن الهواء يأتي من النار فهذا التغير لا يمكن حصوله إلا بالتغير من الحرارة إلى ضدها فهذه الكيفية المضادة ستكون إذا في الهواء. وحينئذ سيكون الهواء شيئا باردا وبالنتيجة من المحال أن تكون النار هواء حارا لأنه قد ينتج منه أن العنصر الواحد قد يكون حارا وباردا في آن واحد. وسيوجد حينئذ خلاف هذين العنصرين شيء ما آخر سيقى مماثلا وهو أية مادة أخرى عامة للآتين.

§ ٣ — قد يكون التدليل عينه منطبقا في حق كل عنصر آخر غير الهواء. ولا يمكن أن يوجد منها واحد قد يكون المنبع الوحيد الذي منه تكون قد خرجت الأخرى كلها. وليس يوجد خلاف هذه العناصر عنصر آخر وسيط، كأن يكون مثلا عنصرا وسطا بين الهواء والماء أو بين الهواء والنار، أثقل من الهواء والنار وأخف من كل الأخر. لأن هذا الوسيط حينئذ يكون بمقابلة الأضداد هواء ونارا معا. ويمكن ثانی الضدين هو العدم والتبع لا يمكن أن يثبت هذا العنصر الوسيط وحده، كما يقوله بعض

— واحد من الطرفين — هذه هي كلمة النص بعينها أثبتنا وربما قد لا تكون الكلمة المختارة. — الحرارة — باقتراض أن الهواء حار وسائل كما سبق في ف ٢ و ٣. — الأمور تقع على هذا النحو — ليست عبارة النص على هذه الصراحة. — أن الهواء يأتي من النار — كما افترض آتفا من أن النار هي التي كانت تأتي من الهواء. فيلزم أن الهواء يمكن أن يأتي من النار أيضا ما دام أنه لم يفترض إلا عنصر واحد أحد. — من الحرارة — التي هي في النار بالبداهة. — إلى ضدها — الذي هو البرودة. — هذه الكيفية المضادة — ليس في النص إلا اسم إشارة غير محدد. — وسيوجد حينئذ — هذه هي النظرية التي سيقف عندها أرسطو فيما يلي. — أية مادة أخرى عامة للآتين — هي المادة بالقوة المحضة لا بالفعل والتي يمكنها أن تقبل على التناوب صورة كل واحد من الأضداد ونوعه. ر. طياوس أفلاطون ترجمة كوزان ص ١٢٢

§ ٣ — في حق كل عنصر آخر غير الهواء — النص مبهم جدا. — قد يكون المنبع الوحيد — النص مبهم جدا أيضا. — عنصر آخر وسيط — كما كان يرى أنكسيمندروس على رواية فيلو بون. — هو العدم — ر. الطبيعة ك ١ ب ٨ ف ١٠ ص ٤٨٠ من ترجمتنا. فان العدم هو ثانی الضدين بمعنى أن هذا الضد

الفلاسفة ، عن اللامتناهى وعن الحاوى . فيلزم إذاً إما أن كل واحد من العناصر المعروفة يمكن أن يكون على السواء هو ذلك الوسيط وإما ألا يمكن ولا واحد منها أن يكونه .

§ ٤ — ولكنه إذا لم يكن أجسام محسوسة سابقة على تلك فالعناصر التي نعرفها هي كل هذه الموجودة ، فيلزم حينئذ إما أن تثبت العناصر الى الأبد كما هي دون أن يتغير بعضها الى بعض وإما أن تتغير على الدوام . يمكن أن يسلم أيضاً إمكان تغيرها جميعاً أو أن بعضها يمكن أن يتغير وأن الأخرى لا يمكنها ذلك كما قال أفلاطون في طيماوس . ولقد وُضِعَ فيما سبق أن العناصر تتغير بالضرورة بعضها إلى بعض ولكنه قد بُيِّنَ أيضاً أنها لا تتغير بسرعة على السواء تحت هذا التأثير المتبادل وأن التغير يحصل أسرع بالنسبة لتى بينها نقطة صلة أعنى كيفاً مشتركاً ، وأبطأ بالنسبة لتلك التي ليس لها من ذلك . فإذا لم يكن إذاً إلا مقابلة واحدة بالأضداد على حسبها تتغير الأجسام فيلزم بالضرورة حينئذ أن يوجد جسمان لأن الهوى إنما هي التي تصلح وسطاً للضدين غير مدرك وغير منفصل ولكن لما أنه يوجد بالمعانية عناصر أكثر فإن أقل ما يمكن أن يوجد من المقابلات إنما هو اثنان ومتى وجد

الثاني لا يوجد الا متى انقطع وجود الآخر . — وعن الحاوى — حفظت لفظ النص على إبهامه . ر . على اللامتناهى الطبيعة ك ٣ ب ٦ ف ٤ ص ٩٧ من ترجمتنا . الفلاسفة الذين يشير إليهم هنا أرسطو بلاشك هم أتباع فيثاغورث . ر . كذلك أيضاً الطبيعة ف ١٢ ص ١٠٠ . — يمكن أن يكون على السواء هو ذلك الوسيط — ليس النص على هذا القدر من البيان . ولكن المعنى الذى وفيناه ظاهر من شرح فيلو بون .

§ ٤ — أجسام محسوسة — عبارة النص غير محددة . — فالعناصر التي نعرفها — زدت "التي نعرفها" . — كما هي — زدتها أيضاً . — كما قال أفلاطون في طيماوس . — ر . طيماوس ترجمة كوزان ص ١٦٦ وما بعدها . — فيما سبق — ر . ما سبق ب ٣ و ٤ . — أعنى كيفاً مشتركاً — زدت هذه العبارة على جهة التذييل . — مقابلة واحدة بالأضداد — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — للضدين — أضفت هذا الجار والمجرور لاتمام الفكرة . ر . الطبيعة ك ١ ب ٨ من ترجمتنا . — عناصر أكثر — ليس النص على هذه الصراحة .

اثان فلا يمكن أن يوجد ثلاثة حدود فقط بل يلزم مطلقاً أربعة كما قد تدل عليه
المشاهدة . وهذا إنما هو عدد التراكيب اثنين اثنين لأنه ولو أنها ستة في المجموع
إلا أن منها اثنين لا يمكن البتة أن يكونا لأنهما ضدان أحدهما للآخر . ومع ذلك
فقد عولجت هذه المسائل فيما سبق .

§ ٥ — مع أن العناصر تتغير بعضها إلى بعض فإن من المحال أن يوجد مبدأ
التحول لا في أحد الطرفين ولا في الوسط . وإليك ما يثبتته : فأما الطرفان فإنه ليس
ممكناً أن تكون كل الأشياء من النار كما أنها لا تكون كلها من الأرض ، لأن هذا يرجع
إلى القول بأن الكل يتولد من النار أو أن الكل يتولد من الأرض . ولكن لا يمكن
أن يقال أيضاً ، كما يريد بعض الفلاسفة ، إن الوسط هو المبدأ وإن الهواء ينقلب
إلى نار وإلى ماء ولا إن الماء ينقلب إلى هواء وإلى أرض . لأنني أكرر أن
الأطراف لا يمكن البتة أن يتغير بعضها إلى بعض .

§ ٦ — على ذلك يلزم إيجاد نقطة وقوف ولا يمكن من جهة ولا من أخرى
السير إلى اللانهاية على خط مستقيم لأنه يترتب عليه وجود مقابلات وأضداد غير
متناهية العدد لعنصر واحد أحد . فلنرمز للأرض بحرف A وللأرض بحرف M وللأرض

— فيما سبق — ر . ما سبق ب ٣ ف ١

§ ٥ — مبدأ التحول — عبارة النص هي بالبساطة "مبدأ" . — من النار ... من الأرض — بأن
النار والأرض هما العنصران الطرفان . — الهواء ينقلب إلى نار — بما أن الهواء عنصر وسيط .
— الماء ينقلب إلى هواء — الملاحظة عينها . — أكرر — أضفت هذه الكلمة . — أن يتغير
بعضها إلى بعض — لأن الأطراف هي أضداد تتفاسد ولكنها لا تتبدل على طريق التكافؤ .

§ ٦ — يلزم إيجاد نقطة وقوف — التي هي أحد الطرفين . — إلى اللانهاية على خط مستقيم —
يعني من غير أن يرتد على عقبيه ليذهب من جديد من الطرف الثاني إلى الطرف الأول كما ذهب أولاً من
الطرف الأول إلى الطرف الثاني ومع ذلك فإن هذه الفكرة ليست بيّنة بياناً كافياً . — مقابلات وأضداد —
ليس في النص إلا كلمة واحدة . — فلنرمز للأرض بحرف T — [بالفرنساوية وقد وضع بدلها في النص العربي

بحرف ه والنار بحرف ن . فإذا تغير ه إلى ن وإلى م فالتقابل يكون بين ه ، ن . ولنفرض أن هذين الضدين هما البياض والسواد . ومن جهة أخرى إذا تغير ه إلى م فسيكون تقابل آخر لأن م ، ن ليسا متماثلين ويمكن مقابلة السيولة واليبوسة مرموزا لليبوسة بحرف ي وللسيولة بحرف س فإذا كان حينئذ الأبيض هو الذى يمكث ويبقى فيكون الماء سائلا وأبيض ، فإذا لم يكن أبيض فيكون أسود ما دام أن التغير لا يحصل إلا إلى الأضداد . فيلزم حينئذ بالضرورة أن يكون الماء إما أبيض وإما أسود ويمكن افتراض أنه فى الحالة الأولى . وبالطريقة عينها أيضا ي الليبوسة يكون لحرف ن وحينئذ ن أعنى النار تغير كذلك إلى ماء لأنهما الضدان ، والنار كانت سوداء أولا ثم يابسة بعد ذلك كما كان الماء سائلا أولا ثم أبيض .

٧ § — فبين إذا أن كل العناصر يمكن أن يتغير بعضها إلى بعض . والكيوف الباقية ستوجد فى (١) الأرض كما يوجد فيها نقطتا الاجتماع والارتباط الأسود والسائل ما دام أن هذين الكيفيين لم يتركبا معا بعد بأية طريقة كانت .

حرف ا [فى النص أخذت حروف الرمز من أوائل أسماء العناصر كما نبه اليه فيلويون كما فعلت فى الترجمة . ومع ذلك فإن هذا المثل الحرفى لم يأت بياضاح كبير . — البياض والسواد — نبه سان توماس بحق الى أن هذه الأمثلة ليست مختارة وأن هذه ليست هى الكيفيات العادية للعناصر . — م ، ن ليسا متماثلين — بل هما ضدان بالعرف العام ما دام أنهما الماء والنار . — السيولة — يمكن أن تترجم أيضا "الرطوبة" . — أعنى النار تغير كذلك إلى ماء — كل هذه التغيرات هى نظرية محضة ولا تطابق حقيقة الواقع فى شئ . — والمؤلف ها هنا ليس متمسكا بنهج المشاهدة الذى طالما أوصى به .

٧ § — أن كل العناصر — قد يكون من الممكن تخصيص هذه القضية التى هى أعم مما ينبغى بعض الشئ . وقصرها على عنصرى الأرض والنار . — الكيوف الباقية — يعنى التى لم يتألف أحدها مع الآخر بعد . — نقطتا الاجتماع والارتباط — يعنى الكيفيات المشتركة للعنصرين والتى بها يمكن أن يجتمعا ويتركبا بحيث إن أحدهما يتغير إلى الآخر .

§ ٨ — وهاك البرهان على أنه لا يمكن هاهنا أن يتمشى إلى اللانهاية ، مبدأ اعتمدنا عليه من قبل أن نقتر الإيضاح الذى سبق ، وذلك هو أنه إذا فرض أن النار المرموز لها بحرف ن تتغير إلى عنصر آخر ولا ترجع إلى الوراء وأنها مثلا تتغير إلى ر فن ثم يكون بين النار وبين ر مقابلة بالأضداد مختلفة عن المقابلات المذكورة آنفا ما دام أن ر لا يمكن أن تكون مماثلة لأى واحد من العناصر المرموز لها بالحروف ا ، م ، ه ، ن ولنفرض أن الكيف ك هو كيف ن وأن الكيف ي هو كيف ر فتكون ك حينئذ لكل العناصر ا ، م ، ه ، ن لأن كل هذه العناصر يتغير بعضها إلى بعض . ولكن مع التسليم بأن هذا لم يوضع بعد فان من البين على الأقل أنه إذا تغير ر من جديد إلى عنصر آخر فن ثم يكون تقابل آخر بالأضداد ويكون بين ر وبين النار ن . وتكون الحال كذلك دائما بالنسبة للحد المزيد وأنه يوقع دائما مقابلة مع الحدود السابقة بحيث إنه إذا كانت هذه الحدود غير متناهية بالعدد فتكون كذلك مقابلات غير متناهية بالعدد لعنصر واحد أحد . وإذا كان هذا ممكنا فن ثم يكون من المحال أن يعطى أى قول شارح وأن يوضع كون أى عنصرا ما دام أنه يلزم ، إذا كان واحدا يأتى من الآخر ، أن يحتاز من المقابلات عدد ما ذكرنا بل وأزيد

§ ٨ — مبدأ اعتمدنا عليه — ر . ماسبق ف ٦ — الإيضاح الذى سبق — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — ولا ترجع إلى الوراء — يعنى إذا توالى التغير على خط مستقيم وإذا لم تتغير النار على التعاقب إلى هواء وماء وأرض لتتغير الأرض بعد ذلك إلى ماء وهواء ونار . — المذكورة آنفا — ر . ب ٥ و ٦ — لا يمكن أن تكون مماثلة — يعنى أن « ر » تكون مفروضة عنصرا خامسا خارجا عن النار والهواء والماء والأرض . — الكيف « ك » — عبارة النص هى فقط « ك » . — فتكون « ك » حينئذ لكل العناصر — ما دام أنه للعنصر « ن » بواسطة « ر » ولسائر الأخرى بواسطة « ن » . — للحد المزيد — كما زيدت « ر » على أربعة العناصر الأخرى . — إذا كانت هذه الحدود غير متناهية بالعدد — يجب أن يعنى بالحدود العناصر الجديدة التى قد تفترض تلو العنصر الخامس كما افترض الخامس تلو الأربعة الأول . — لعنصر واحد أحد — ما دام أن جميع العناصر يمكن أن يتغير بعضها إلى بعض على التعاقب . — أى عنصرا — عبارة النص غير محددة . — ما ذكرنا — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — بل وأزيد منه — هذا غير مفهوم تماما مادام قد افترض أن عدد الأوساط غير متناه .

منه . وينتج من ذلك أنه بالنسبة لبعض العناصر لا يكون تغير ممكن البتة، مثال ذلك إذا كانت الأوساط غير متناهية بالعدد وهذا لا زم إذا كانت العناصر غير متناهية بالعدد هي أنفسها، وعلى ذلك مثلا لا يكون تغير من هواء الى نار إذا كانت المقابلات التي تُحتَاز هي غير متناهية بالعدد . § ٩ — وأخيرا كل العناصر أيضا تنتهى الى عنصر واحد لأنه يلزم أن تكون كل هذه المقابلات متعلقة إما بالمقابلات من أعلى بالعناصر التي هي أسفل من ن وإما بالمقابلات من أسفل بهذه العناصر نفسها بحيث إن الكل ينتهى إلى واحد .

— لبعض العناصر — عبارة النص غير محددة، ويظهر لى أن هذا يرجع بالضرورة الى العناصر . — إذا كانت الأوساط غير متناهية بالعدد — كما افترض سابقا، فإن الهواء والنارهما مع ذلك عنصران متجاوران كلاهما فاذا لم يمكن تغير أحدهما الى الآخر على طريق التكافؤ فن باب أولى العناصر المتباعدة كالنار والأرض . § ٩ — وأخيرا — أضفت هذه الكلمة لبيان أن هذا هو تمام كل ما سبق . ومع ذلك فلا يرى قوة هذا البرهان المبني على فرض عنصر خامس وسلسلة متناهية من العناصر . حتى لو فرض أنه لا يوجد إلا أربعة عناصر فإدام أنها يمكن أن يتغير بعضها إلى بعض كما يقرره أرسطو فانه يظهر أيضا أنه يمكن أيضا أن تنتهى الى واحد . ومع ذلك فاني لست واثقا بأن يكون المراد هنا هو العناصر ما دام أن عبارة النص غير معينة كما في بعض الفقرات الأخرى . ومن الممكن أن تكون جميع الأوساط هي التي تنتهى الى واحد . — كل العناصر أيضا تنتهى الى عنصر واحد — حفظت عدم التعيين الموجود في النص . وما زالت هذه الفقرة مغلقة على الرغم من توضيحات فيلوپون الذى يستند مع ذلك الى الإسكندر الأفروديزى . والظاهر أن هذا الأخير كان لديه نص أرسطو كما وصل الينا، ومن المحتمل أنه لا محل لافتراض أى تحريف هاهنا . وإن الفكرة العامة لهذا التدليل هي مع ذلك جلية وإن كانت التفاصيل ليست دائما كذلك . فعلى رأى أرسطو أن أربعة العناصر يمكن أن يتغير بعضها الى بعض . ولكن هذا التغير لا يصح أن يكون غير متناه . ويلزم الاستمساك بالأربعة العناصر التي تدركها حواسنا وبالأربع الكيفيات التي تشخصها وتميزها . وقد فسر سان توماس هذه الفقرة بالاختصار الذى ليس من عادته . ولم يكن هذا الإيجاز ليساعد على جلاء المعنى .

الباب السادس

إبطال نظرية أميدقل على مقارنة العناصر بينها سواء بالنسبة إلى الكم أم بالنسبة إلى الأثر والتناسب —
في مذهب أميدقل نمو الأشياء يرجع إلى مجرد جمع — إنه لا يفسر أيضا كون الأشياء ، بل أخضعه لسلطان
المصادفة ، ولا علة الحركة الأصلية ولا طبع النفس الحقيقي — شواهد مختلفة من شعر أميدقل .

§ ١ — حينما يُرى أن فلاسفة يقبلون تعدد عناصر الأجسام وينكرون في آن واحد
أن العناصر تتغير بعضها إلى بعض ، كما يفعل أميدقل ، قد يمكن أن يُسألوا في شيء
من الدهش كيف يستطيعون إذا أن يقرروا أن العناصر هي قابلة للمقارنة بعضها
ببعض . هذا مع ذلك هو ما يزعمه أميدقل إذ يقول :

”لأن العناصر كلها كانت متساوية فيما بينها“

فاذا كانت المساواة في الكم لزم أن يوجد بين الأشياء المقارنة شيء مشترك
يصلح لقياسها ، مثال ذلك إذا كان من كوتيل [ربع لتر] واحد من الماء يمكن إيجاد
عشرة كوتيلات من الهواء فذلك بأن العنصرين كانا من بعض الوجوه شيئا واحدا
ما دام أن قياسهما واحد . § ٢ — فاذا كانت الأشياء ليست قابلة للمقارنة هكذا
بالنسبة إلى الكم أي أن الكمية الفلانية مضاربة الكمية الفلانية فيلزم على الأقل أن تكونه

§ ب ٦ ف ١ — حينما يرى — ليس النص على هذه الصراحة . — في آن واحد — أضفت
هذه الكلمات حتى تكون المقابلة بين المعاني أظهر . — كما يفعل أميدقل — ر. ماسبق ب ٣ ف ٦ .
— قابلة للمقارنة — التعبير مهم ولم أشأ أن أزيد عليه ما يعينه . وإن الأمثلة التي ستذكر فيما بعد ستقلل
من إبهامه شيئا . — كانت متساوية — ها هنا أيضا قد حصلت عبارة النص على ما فيها من عدم التعيين .
— فاذا كانت المساواة في الكم — على تقدير المأدى ليقابل بكم القوة الذي سيجيء الكلام عليه فيما يلي .
— يمكن إيجاد عشرة كوتيلات من الهواء — أو « إذا كان كوتيل من الماء يقابل عشرة كوتيلات
من الهواء » وهذا ليس إلا مجرد فرض وليس معناه أن أرسطو يظن أن هذه هي في الواقع النسبة بين
الهواء والماء .

§ ٢ — الأشياء — أو « العناصر » . — مضاربة — أو « آتية من » .

بعلاقة الأثر الذى يمكن أن تحدثه . مثال ذلك : إذا كان كوتيل من الماء يمكن أن يحدث من البرودة ما تحدثه عشرة كوتيلات من الهواء فيئخذ تكون العناصر قابلة أيضا للمقارنة بينها بعلاقة الكمية لا من حيث هى بالضبط كمية مادية ولكن من حيث إنه يمكنها أن تحدث فعلا ما .

٣٨ — قد يمكن أيضا مقارنة القوى أو الطاقات ليس فقط بمقياس الكمية مباشرة بل أيضا بالتنسيب والتشبيه . على ذلك يمكن أن يقال إن الشيء الفلانى حازكاً أن الشيء الآخر أبيض . فكاف التشبيه تبين علاقة المشابهة إذا كان المعنى هو الكيف ، فإن كان المقصود الكم فهى تفيده المساواة . ولكن من السخف ، فيما يظهر ، أن الأجسام التى لا يمكن أن تتبدل بعضها ببعض لا تكون قابلة للمقارنة فيما بينها بعلاقة المشابهة وأن تكون فقط بمقياس قوتها ولأن الكمية الفلانية من النار مثلاً يمكن أن تكون أيضا حارة وتحدث الحرارة التى تحدثها الكمية الفلانية من الهواء التى هى أعظم منها . وفى الواقع أن جوهرها من هذا الطبع إذا كانت كميته أعظم يمكنه أن يصير بالتنسيب مكافئاً لأنه سيكون والآخر من جنس واحد .

— الأثر الذى يمكن أن تحدثه — ليس النص على هذا الوضوح . — يمكن أن يحدث من البرودة — كان من حق هذه العبارة أن تكون أوسع مما هى . — مادية — أضفت هذا الوصف . — أن تحدث فعلاً ما — عبارة النص بالضبط هى : « بما هى مستطبعة شيئاً ما » .

٣٩ — القوى أو الطاقات — ليس فى النص إلا كلمة واحدة . — مباشرة — أضفت هذه الكلمة لبيان الفكرة . — بالتنسيب والتشبيه — ليس فى النص إلا كلمة واحدة . — فكاف التشبيه — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — ولكن من السخف فيما يظهر — رأى الذى ينقده أرسطو هنا يجب أن يكون مستنداً أيضاً إلى أميدقل على رغم أن هذا التعيين لم يذكر فى النص صراحة . — قابلة للمقارنة فيما بينها — لم يذكر فيما سبق أن هذا رأى هو رأى أميدقل . — المشابهة — أو « التنسيب » . — مثلاً — أضفت هذه الكلمة . — الكمية الفلانية من الهواء التى هى أعظم منها — فى نسبة حرارة الهواء إلى حرارة النار . أما القاعدة فهى مع ذلك صحيحة . فإن جسمين مكيفين بكيف واحد يمكن أن يوازن بينهما بالزيادة على أضعف الاثنين .

§ ٤ — أزيد على ذلك أنه على حسب مذهب أمييدقل لا يوجد نمو ممكن إلا النمو الذي يحصل بالجمع وهكذا هو يفترض أن النار تنمو بالنار حين يقول :
 ”الأرض تنمو الأرض والهواء ذاته ينمو الهواء“

حيثئذ ليس هذا إذاً إلا مجرد إضافة ولا يظهر أن الأشياء التي تنمو يمكن أن تنمو هكذا .

§ ٥ — ولكنه أعسر أيضاً على أمييدقل أن يوضح كون الموجودات في الطبع لأن كل الموجودات التي تولد وتتكون بحسب القوانين الطبيعية أو تولد دائماً بطريقة منتظمة أو بالأقل على الغالب بهذه الطريقة ، والموجودات التي تكون على ضد هذا النظام الثابت أزلاً أو بالأقل الأكثر في العادة هي ثمرة علة اتفاقية وثمره المصادفة . فما هو الفاعل إذاً في أن من إنسان يولد إنسان إما دائماً وعلى حسب قاعدة أزلية وإما بالأقل بحكم العادة الغالبة ، كما أن من القمح يأتي دائماً قمح لا شجرة زيتون؟ أم هل العظام لا تتكون أيضاً بالطريقة عينها؟ كلا إن الأشياء لا تكون بالمصادفة وبالاتفاق كما يقول أمييدقل بل هي تكون بنوع ما من العقل .

§ ٤ — أزيد على ذلك... هو يفترض — ليس النص على هذا القدر من الظهور . — حين يقول — أضفت هاتين الكلمتين . — تنمو الأرض — عبارة النص بالضبط : « تنمو نوعها الخاص » وقد بين أرسطو فيما سبق أن نمو الأشياء لا يمكن أن يحصل بمجرد الإضافة ك ١ ب ٥ ف ٨ . — ولا يظهر — يحال على المرجع السابق .

§ ٥ — على أمييدقل — أضفت هاتين الكلمتين اللتين تفهمان من صوغ النص . — في الطبع — بصرف النظر عن الأشياء التي توجد بها صناعة الإنسان . — علة اتفاقية وثمره المصادفة — إن إبطال نظرية المصادفة هذا هو مطابق تمام المطابقة ، حتى في لفظه أحياناً ، للنظرية الواردة في الطبيعة ك ٢ ب ٤ ف ٨ ص ٣٢ و ٣١ من ترجتي وأيضاً في الباب الخامس وما يليه . — أم هل العظام لا تتكون أيضاً — لا يرى جيداً لماذا مثل العظام هنا . وإن كان أمييدقل في الحق يستعمل هذا المثل غالباً ، — كما يقول أمييدقل — ر . الطبيعة لك ٢ ب ٨ ص ٣ ف ٥ وما بعدها من ترجمتنا . — بنوع ما من العقل — أو « بنوع ما من الفطنة » .

§ ٦ — فما هي إذا العلة في كل هذه الظواهر؟ إنها ليست في الحق لا الأرض ولا النار ، وليست كذلك العشق والتنافر لأن أحدهما ليس علة إلا لتأليف الأشياء والآخر لتفريقها . تلك العلة إنما هي أصل لكل شيء . وليست فقط كما يقول أمبيدقل :

« اختلاط وتنافر للأشياء المختلطة »

فهى ليست إذا ما يسمى بالمصادفة وليست هذه بعلة . لأنه ممكن تماما أن يوجد أحيانا اختلاط اتفاق ومشوش . § ٧ — إذا ما هو علة لكل واحد من الموجودات الطبيعية إنما هو تركيبها ، إنما هو الطبع الخاص لكل واحد منها مما لا يقول عنه أمبيدقل كلمة واحدة . بل يمكن التأكيد بأنه لم يدرس الطبع حقيقة ولو أن الطبع هو بالضبط النظام والخير لجميع الأشياء . ولكن أمبيدقل لا يشيد مطلقا إلا بذكر الامتزاج والاختلاط ومع ذلك فليس هو التنافر بل هو العشق الذى فصل العناصر وهما على رأيه متقدمان على الله ذاته لأن عناصر أمبيدقل هي أيضا آلهة .

§ ٦ — إنها ليست في الحق لا الأرض ولا النار — هذه الجملة واردة على صيغة تهكية . — العشق والتنافر — المبدآن العظيمان عند أمبيدقل . ر . الطبيعة ك ٧ ب ١ ف ٤ ص ٢٥٥ من ترجمتنا . — إنما هي أصل لكل شيء . — يعنى صورته الجوهرية . وكان يمكن أرسطو أن يترق أيضا إلى أعلى من ذلك ويتساءل إلام يجب أن يرجع في أصل كل شيء . — وليست هذه بعلة — أو نوعا من التناسب والنظام . وإن اللفظ المستعمل في النص هو في غاية السعة . — لأنه ممكن تماما — يظهر أن فيلو بون لم يفهم هذه الجملة الصغيرة لأنه لم يفسرها . — اتفاق ومشوش — ليس في النص إلا كلمة واحدة .

§ ٧ — إنما هو تركيبها — والترجمة الحرفية هي : « كونها على ما هي عليه » . ومع ذلك فإن هذا غير صحيح جدا فإنه لا يمكن أن يقال إن تركيب الموجودات هو علتها الحقيقية . — النظام والخير لجميع الأشياء — على هذا المعنى يمكن القول بأن هذا هو علتها الغائية . — الامتزاج والاختلاط — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — العشق الذى فصل — لا يظهر أن هذا مطابق تماما لآراء أمبيدقل . وفي الحق أنه لأجل الجمع يلزم ألا التفريق ولكن أمبيدقل إنما يسند التفريق إلى التنافر . — على رأيه — أضفت هاتين الكلمتين لبيان الفكرة . — الله ذاته — إله أمبيدقل هو « السفوروس » الذى يحيط بكل شيء فارة ينبسط بالتنافر وتارة ينقبض بالعشق . ر . الطبيعة ك ١ ب ١ ف ٤ في التعليقات ص ٤٥٥ من ترجمتنا .

§ ٨ — إنه لا يتكلم كذلك على الحركة إلا بطريقة غاية في العموم لأنه لا يكتفى أن يقال إن التنافر والعشق هما اللذان يعطيان الحركة إذا لم يعين أن العشق ينحصر في أن يسبب النوع الفلاني من الحركة والتنافر في أن يسبب النوع الفلاني منها .
 وحينئذ كان يجب على أميدقل هاهنا إما أن يحد الأشياء بالضبط ، أو أن يتصور فرضا ما ، أو أن يوضح توضيحا قويا أو ضعيفا مع ذلك ، أو أن يخلص منه بأية طريقة أخرى . § ٩ — رد آخر . إن الأجسام هي تارة متحركة بالقسر وضد الطبع وتارة هي ذات حركة طبيعية . مثال ذلك النار تتجه إلى فوق من غير أن يكون ذلك بالقسر ولا تتجه إلى تحت إلا بالقسر فالحركة الطبيعية هي ضد الحركة القسرية فبالنتيجة كما أنه يوجد حركة قسرية يوجد أيضا حركة طبيعية .
 فهل هو إذاً العشق أو ليس هو العشق الذي يكون هذه الحركة الأخيرة؟ متى كان للأرض حركة تحملها إلى تحت فإنما هي حركة مضادة للائتلاف وتشبه الانفصال . إذاً يكون التنافر هو أولى من العشق في أن يكون علّة الحركة الطبيعية وبالنتيجة يكون

٨ — غاية في العموم — ويمكن أن يترجم أيضا : « أبسط مما ينبغي » فان عبارة النص تؤدي المعنيين . — إذا لم يعين — ليس النص على هذه الصراحة . — بالضبط — زد هذا القيد لتنام المعنى . — يخلص منه بأية طريقة أخرى — عبارة النص فيها من طابع المألوف العرفي نحو ما في العبارة التي ترجمناها بها .

§ ٩ — رد آخر — ليس النص على هذا القدر من التعيين . — بالقسر وضد الطبع — ر . الطبيعة ك ٨ ب ٤ ف ٢ ص ٤٨١ من ترجمتنا وما بعدها . — كما أنه يوجد حركة قسرية — على تقدير « بحسب نظريات أميدقل » . — هذه الحركة الأخيرة — زد وصف « الأخيرة » ليتعين المعنى . — تحملها إلى تحت — وفي نسخ أخرى ربما كانت هي الأكثر غندا « إلى فوق » بدلا من « إلى تحت » . ولكن هذا لا يتفق مع تقارن النص . فان أرسطو يرد بأنه حتى لو كانت الأرض محمولة إلى تحت بحركتها الطبيعية فان الحركة أشبه بالتفريق منها بالجمع . ما دامت الأرض أو بعض أجزائها على الأقل تتجه إلى المركز حيث النار يجب أن تلقاها بحركة قسرية لتضم إليها . — فأنما هي حركة مضادة — ليس النص مثل الترجمة في الوضوح . وفي كل هذه الفقرات شيء من الخفاء . — للائتلاف — زد هذه الكلمة . — الحركة الطبيعية — التي تفرق بين الأشياء بدلا من

العشق أولى من التنافر في أنه مضاد للطبع . فإذا لم يكن لا التنافر ولا العشق يكونان الحركة فلا يكون للأجسام أعيانها لا حركة ولا سكون . ولكن هذا إنما هو نتيجة باطلة .

§ ١٠ — يعترف أمبيدقل أن الأجسام بالبدائية في حال حركة لأن التنافر هو الذى فصلها . والإيثير قد ارتفع فى الملاء الأعلى لا بواسطة التنافر ولكن كما يقول أحيانا أمبيدقل بضرب من المصادفة :

”الهواء حينئذ يطير هكذا ولكن فى الغالب على خلاف ذلك“

وأحيانا يقول أمبيدقل أيضا إن النار اضطرت أن تنبج بالطبع إلى فوق وأن الإيثير قد جاء .

« يتكى بقوة على قواعد الأرض »

وأخيرا يعلمنا أمبيدقل أن العالم هو مسير الآن بالتنافر كما كان سابقا مسيرا بالعشق سواء بسواء .

١١ — فإذا هو إذًا على رأيه المحرك الأول والعللة الأولى للحركة ؟ حقا ليس هو العشق والتنافر ولو أن كليهما . مع ذلك يسبب نوعا ما من الحركة . وإذا كانا هما المحرك الأول الذى يوجد فيكونان المبدأ الحقيقى للأشياء .

أن تجمعها والتى توجه النار إلى فوق فى حين أنها توجه الأرض إلى تحت . — لا التنافر ولا العشق — فى مذهب أمبيدقل . — نتيجة باطلة — يقبل أرسطو كقاعدة لا تحتل الجدل أن الحركة موجودة . ر . الطبيعة ك ١ ب ٢ ف ٦ ص ٤٣٦ من ترجمتنا .

§ ١٠ — يعترف أمبيدقل — النص لا يذكر هنا أمبيدقل وعبارته هى : « الأجسام يظهر أنها فى حركة » . ولكن هذا بالبدئية يرجع إلى مذهب أمبيدقل كما تعينه القرينة . — الهواء حينئذ يطير هكذا — هذا البيت بعينه قد استشهد به فى الطبيعة ك ٢ ب ٤ ف ٦ ص ٣٢ من ترجمتنا . — وأخيرا يعلمنا أمبيدقل — هذا الأسلوب التكملى موجود فى النص .

§ ١١ — على رأيه — زدت هاتين الكلمتين لأنه يظهر لى أن الكلام لا يزال مسوقا إلى إبطال مذهب أمبيدقل . — نوعا ما من الحركة — فإن العشق يجمع العناصر والتنافر يفرقها وفى هذا نوع مزدوج من الحركة . — وإذا كانا هما المحرك الأول — النص ملتبس ويمكن أن يفهم على عدة معان . فأما فيلو بون فلم يوضحه وأما سان توماس فإنه أعطى المعنى الذى اختاره تفريرا .

١٢§ — وأخيرا فليس أقل سخفا أن يفترض أن النفس تأتي من العناصر أو أنها واحد من العناصر لأنه كيف تكون إذا الاستحالات الخاصة للنفس! . مثال ذلك كيف يفهم أن يكون لها أو لا يكون لها صنعة الموسيقى! كيف يفهم الذكر والنسيان! من البين أنه إذا كانت النفس من النار يكون لها بما هي نار جميع الكيفيات التي تتعلق بالنار . وإذا كانت النفس مزيجا من العناصر كان لها كيفيات الأجسام وليس ولا واحد من كيفيات النفس بجسماني . على أن هذه المناقشة تتعلق بدراسة غير هذه قطعا .

١٢§ — وأخيرا — أضفت هذه الكلمة لأبين في آن واحد أن هذا هو آخر الانتقادات الموجهة إلى نظرية أمبيدقل ولأبين أن هذا الدليل الأخير مغاير للدلة السابقة . — الاستحالات — أو «الكيفيات» ولكنني حصلت لفظ النص بذاته . — الخاصة للنفس — يعني كل التأثيرات الأخلاقية أو العقلية . — من النار... بما هي نار... بالنار — هذا التكرير هو في النص . فافترض الأول إنما هو أن النفس هي عنصر النار مثلا . والفرض الثاني إنما هو أنها مزيج من العناصر . — بدراسة غير هذه قطعا — وفي الحق أن هذه المناقشة موجودة في كتاب النفس ك ١ ب ٢ ف ٦ ص ١١٢ من ترجمتنا . حيث يعيب أرسطو كما يعيب هنا نظرية أمبيدقل التي استشهد لها بعدة أبيات من الشعر تشمل عليها .

الباب السابع

بقية إبطال مذهب أمبيدل — متى أنكر أن العناصر يمكن أن تتغير بعضها الى بعض فلا يمكن توضيح تكون الجواهر العضوية المختلفة — شاهد من أمبيدل — صعوبة توضيح تكون الجواهر المختلفة ليست أقل عظاما متى سلم بأحادية المادة — تعيين نظرية جديدة فيها تكون الأضداد هي التي بفعلها المتكافئ تكون جميع جواهر الطبيعة .

§ ١ — نأتى الى ما يختص بالعناصر التي منها الأجسام مركبة . جميع الفلاسفة الذين يقبلون عنصرا مشتركا أو الذين يقبلون أن العناصر تتغير بعضها الى بعض يجب عليهم بالضرورة أن يعترفوا أيضا بأنه اذا تحقق أحد هذين الفرضين تحقق الثانى على السواء . ولكن هؤلاء الذين لا يريدون أن العناصر يمكن أن يتوالد بعضها من بعض ولا أن يأتى كل واحد من كل واحد إلا أن يكون كما يحىء اللبن من حائط ، هؤلاء إنما يقررون نظرية باطلة لأنه حينئذ كيف يُعمل من هذه العناصر العظام أو اللحوم أو أى جواهر آخر مشابه .

§ ٢ — فى الحق أن هذه الصعوبة تبقى . وإلى هؤلاء الذين يقبلون أن العناصر تتوالد يمكن أن توجه اليهم مسألة كيف تبلغ هذه العناصر أن تكون شيئا مغايرا لها .

§ ب ٧ ف ١ — التي منها الأجسام مركبة — ليس المقصود هنا بعد كون العناصر بعضها من بعض بل تركيبها لتؤلف جميع الأجسام الموجودة فى الطبيعة . — عنصرا مشتركا — يعنى المادة التي بالقوة وهي العنصر المشترك لجميع الأجسام . — أحد هذين الفرضين — يعنى أن العناصر لها مادة مشتركة اذا تغير بعضها الى بعض ، وأنها اذا تغيرت هكذا فذلك أن لها مادة مشتركة . — يحىء اللبن من حائط — فان اللبن يكون الحائط بما هي مضاف بعضها الى بعض وليست مركبة ومتحدة بعضها مع بعض . كذلك العناصر تكون مجموعة ولا تتحد لتكون الأجسام التي تدخل هي فى تركيبها . إن المقارنة صحيحة ولكن العبارة ليست من السعة على ما ينبغى . وهذا المثل الخشن المضروب لا يخلو من بعض الشذوذ . — أو أى جواهر آخر مشابه — يعنى متجانس تماما . وفى المذهب الذى ينتقده أرسطو لا تكون العناصر الا مجموعة بعضها مع بعض وليست مركبة حقيقة .

§ ٢ — أن العناصر تتوالد — هذه هي النظرية المضادة لنظرية أمبيدل الذى كان يعتقد أن العناصر غير قابلة للتغير . — شيئا مغايرا لها أنفسها — باقتراض أن أربعة العناصر هي أصل لجميع الأجسام التي

أنفسها؟ . مثال ذلك اذا كان من النار يأتي الماء واذا كان من الماء تأتي النار
فذلك لأن بينهما موضوعا مشتركا . ولكن من العناصر يخرج في الحق أيضا اللحم
والنخاع فكيف تتكون هذه الجواهر؟ .

§ ٣ — بأى وجه يمكنها أن تتكون على حسب نظريات هؤلاء الذين
يتبعون مذهب أمبيدقل؟ بالضرورة ليس بين هذه العناصر إلا جمع كما تجمع مواد
حائط يتكون من آجر وأحجار . في خليط من هذا القليل تبقى العناصر هي ما هي
وتوضع أجزاء أجزاء بعضها الى جانب البعض الآخر . وحينئذ على هذا المنوال، بناء
على هذه النظريات، إنما يتكون اللحم وسائر الأشياء المشابهة له .

§ ٤ — ولكنه ينتج منه أن النار والماء لا يخرجان البتة من جزء كيفما اتفق
من أجزاء اللحم، كما في تصاوير الشمع من هذا الجزء يمكن أن تخرج كرة ومن ذلك
يخرج هرم . فكل ما يرى هو أن الواحد والآخر من هذين الشكليين يمكن أن يأتي
أيضا على السواء من كل واحد من جزأى الشمع . وعلى هذا النحو حينئذ أن من اللحم

نشأها وأن الأجسام هي شديدة التميز عن العناصر التي تكونها . وإنما لمشكلة أن يعرف كيف يمكنها
أن تأتي منها . — اذا كان من النار يأتي الماء — ر . ما سبق ب ٥ ف ٦ . — من العناصر — عبارة
النص غير معينة .

§ ٣ — الذين يتبعون مذهب أمبيدقل — والذين يعتقدون أن العناصر غير قابلة للتغير دون أن يمكن
أن تتغير بعضها الى بعض . — كما تجمع مواد حائط — النص أقل صراحة . — من آجر وأحجار —
فان المواد مجموعة بعضها الى بعض مجرد جمع وليست متحدة معا . — بناء على هذه النظريات — زدت
هذه الكلمات لإتمام الفكرة . — وسائر الأشياء المشابهة له — يعنى كل الأشياء التي لتجانسها المطلق لا يمكن
أن تميز فيها العناصر التي دخلت في تأليفها . ويمكن أن تصاغ هذه القضية في صيغة الاستفهام .

§ ٤ — ولكنه ينتج منه — حافظت على لفظ الأصل على ترده . — لا يخرجان البتة — على
تقدير "معا" . — يعنى أن النار والماء، مجتمعين مجرد اجتماع، ليسا البتة مطلقا متحدتين في التراكيب التي
يركبانها . — من جزء كيفما اتفق من أجزاء اللحم — حيث تكون متماثلة تمام التماثل . — في تصاوير الشمع — ليس
النص على هذا القدر من الصراحة . — من كل واحد من جزأى الشمع — ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

ينخرج عنصرا النار والماء وأنه قد يكونان معا من أى جزء اتفق ولكن مع مبادئ أميدقل لا يكون تعبير هذا ممكنا ويلزم أن كل عنصر يأتى من مكان آخر أو من جزء آخر كما فى الحائط فانه من مكان مختلف تأتى الآجرة والحجر .

§ ٥ — كذلك الحال أيضا بالنسبة للفلاسفة الذين لا يقبلون إلا مادة وحيدة لجميع العناصر فإن شأنهم لا يخلو من الحيرة فى إيضاح كيف أن جوهرها يمكن أن يتألف من عنصرين مثلا من الحار والبارد أو من النار والأرض . فإذا كان اللحم يتكوّن من الاثنين وهو ليس مع ذلك لا أحدهما ولا الآخر ولا مجرد جمع هذين العنصرين حافظ اطبعهما الخاص فماذا يبقى إذا يُقبل إلا أن يكون المركب الذى تكوّن منهما بهذه الطريقة هو المادة المحضة ؟ لأن فساد أحد العنصرين يكون إما العنصر الآخر وإما المادة . § ٦ — ولكن من حيث إن الحار والبارد يمكن أن يكونا أقوى أو أضعف فيجب أن يقال إنه متى كان أحدهما بالفعل مطلقا وبالكمال فلا يكون الثانى بعد إلا بالقوة . ومتى كان الموضوع ليس له مطلقا أحد الكيفين وكان البارد مثلا هو نصف حار والحار نصف بارد ، لأن الإفراطين إلى جهة أو إلى أخرى

— أميدقل — زدت هذا الاسم الذى تعينه القرينة . — تعبير هذا ممكنا — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — من مكان آخر — التعبير بالمكان معناه هنا الجزء ، والمثل الآتى يفهم المعنى تماما ، فان الآجرة موضوعة بجانب الحجر ، وذلك إنما هو فى موضع آخر أى فى محل آخر من الحائط .

§ ٥ — الذين لا يقبلون إلا مادة وحيدة — يظهر أن هذه هى نظرية أرسطو الخاصة ، لأنه يقبل أن جميع العناصر يمكن أن تتغير بعضها الى بعض ولكنه لا يعتقد أن هذه النظرية نفسها بمعزل عن كل انتقاد . — جوهرها — عبارة النص هى "شيئا ما" . — المادة المحضة — أضفت كلمة "المحضة" مع أنها ليست فى النص ولكن القرينة كلها تعين هذا المعنى ، فان المادة المحضة هى هنا الهوىلى أى المادة بالقوة . — أحد العنصرين — النص أقل صراحة . — وإما المادة — على تقدير "بالقوة المحضة" فان العنصرين يتماحيان فى المركب الذى يؤلفانه ولا يبقى إلا مادة الاثنين فى حالة الوجود .

§ ٦ — فيجب أن يقال — من الممكن أن تكون الجملة استنهامية أو تقريرية على السواء . — بالفعل ... وبالكمال — ليس فى النص إلا كلمة واحدة . — مثلا — زدت هذه الكلمة . — إلى جهة أو إلى أخرى — ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

يتماحيان على طريق التكافؤ بالمزج ، فحينئذ لا يوجد بالضبط لا مادة محضة ولا واحد أو الآخر من هذين الضدين الموجودين مطلقا بالفعل وبالكمال ولا يوجد إلا وسيط . ولكن على حسب ما أن أحد الاثنين يمكن أن يكون بالقوة حارا أكثر منه باردا أو العكس يكون الجسم في هذه النسبة عنها بالقوة أكثر حرارة أو برودة مرتين أو ثلاث مرات أو على أية نسبة أخرى .

§ ٧ — على ذلك كل الأشياء الأخرى تأتي من مزج الأضداد أو العناصر . والعناصر أنفسها تأتي من هذه الأضداد التي هي بوجه ما العناصر بالقوة لا كما تكونه المادة بل بالطريقة التي ذكرت آنفا . وبهذه الطريقة تكون النتيجة التي نتحصل مزيجا في حين أنها بالطريقة الأخرى إنما هي المادة المحضة .

§ ٨ — ومع ذلك فالأضداد أيضا هي قابلة على معنى الحد الذي أعطى في بحثنا الأولى . مثال ذلك الحار بالفعل هو بارد بالقوة والبارد بالفعل هو حار بالقوة

— مادة محضة — زدت الصفة كما في الفقرة السابقة . — إلا وسيط — ومع ذلك فان تعيين هذا الوسيط صعب لأنه يتعلق بحساسية كل مشاهد . — أحد الاثنين — ليس النص أكثر تعيينا في العبارة .

§ ٧ — كل الأشياء الأخرى — يعني كل الأجسام المركبة والمختلطة كما نشاهدها في الطبيعة كلها . — بوجه ما العناصر — زدت كلمة "العناصر" أخذا بشرح فيلويون . — كما تكونه المادة — التي هي ليست شيئا إلا بالقوة وليس لها حقيقة فعلية في حين أن الأضداد لها تلك الحقيقة الفعلية . — التي ذكرت آنفا — في الفقرة السابقة . — مزيجا — من جوهرين بالفعل يؤلفان جوهرًا جديدًا بامتزاجهما . — المادة المحضة . — زدت كلمة "المحضة" .

§ ٨ — في بحثنا الأولى — ر . ١٠٠ سبق ف ٦ . و يظن فيلويون أن المقصود هنا نظرية الفعل والانفعال المبسطة في الكتاب الأول . ر . ١٠٠ ما سبق ك ١ ب ٧ ف ٥ . — الحار بالفعل — يمكن ترجمتها أيضا : "الجسم الذي هو حار بالفعل ... الخ" — البارد بالفعل — أو "الجسم الذي هو بالفعل وبالحال بارد" .

أيضا بحيث إنهما لولا موازنة تامة لتغير أحدهما الى الآخر . ويُجرى هذا المجرى في جميع الأضداد الأخرى التي يراد ذكرها . وعلى هذا النحو أن العناصر بدياً تتغير ثم إن منها بعد ذلك تأتي اللحوم والعظام وسائر الجواهر المشابهة فيصير الحار بارداً والبارد حاراً بمقدار ما تقترب من الحد الوسط . فهناك لا يوجد بعد لا أحد الضدين ولا الآخر . فالوسط متعدد وليس قابلاً للتجزئة . كذلك الأمر أيضا في السائل واليابس ، وإن العناصر الأخرى من هذا القبيل حينما تكون قد وصلت إلى الوسط تكون اللحم والعظام والجواهر المشار إليها .

— لولا موازنة تامة — عبارة النص هي "إن لم يكونا متساويين" . — لتغير أحدهما الى الآخر — يعني أن أحدهما يمكن أن يحل محل الآخر على التعاقب بما أن أحد الضدين قد صار كأننا وأحال الآخر إلى ألا يكون إلا بالقوة . — التي يراد ذكرها — زدت هذه الكلمات . — تتغير — بعضها الى بعض . — تأتي اللحوم والعظام — في هذه الأيام تعرف الكيمياء العضوية كذلك بأن المركبات تأتي من اتحاد الأجسام البسيطة . غير أن الأجسام البسيطة ليست هي التي كان يقبلها القدماء . والعلم يمكنه أن يبين بالتحليل المضبوطة كيف تتألف التراكيب . — بمقدار — لفظ النص هو « حينما » الخ . — الضدين — أضفت هذا اللفظ . — الوسط متعدد — ر . في هذه النظرية الطبيعة ك ٨ ب ١٢ ف ٩ ص ٥٣٢ من ترجمتنا وأيضا ك ٥ ب ١ ف ١٢ ص ٢٨٠ . — وليس قابلاً للتجزئة — وذلك ما لا يسمح له بأن يتكيف على التعاقب بكيفيات متضادة . — كذلك الأمر أيضا في السائل واليابس — يظهر أن هذا تكرير لما سبق بيانه آنفاً على جميع الأضداد الأخرى .

الباب الثامن

التركيب العام للأجسام المختلطة - يوجد في كلها من الأرض ومن الماء اللذين هما عنصران ضروريان - وفيما أيضا من الهواء ومن النار وهما ضد العنصرين الأولين - ظاهرة التغذية التي يستشهد بها سنداً لهذه النظرية - كيف أن النار هي العنصر الوحيد، من العناصر البسيطة، الذي يغذى نفسه .

§ ١ - كل العناصر المختلطة المنتشرة حول المكان المركزي هي مركبة من جميع العناصر البسيطة . وعلى هذا فإن فيها جميعها من الأرض لأن كل واحد من هذه الأجسام هو الأحسن، وعلى الغالب، في المكان الخاص به . ويوجد أيضا من الماء في كل المختلطة لأنه يلزم أن تكون المركبة محددة وأن الماء من بين الأجسام البسيطة هو الوحيد الذي يتحدد بسهولة . ومن جهة أخرى فإن الأرض لا يمكنها البقاء بدون الرطب الذي يمسكها مجتمعاً . وإذا خلت تماماً من الرطب سقطت تراباً .

§ ٢ - تلك هي العلل في وجود الماء والأرض في جميع الأجسام المختلطة . ولكنه يوجد فيها أيضا هواء ونار، لأن هذين العنصرين هما ضدان للأرض وللأرض فإن الأرض ضد للهواء والماء ضد للنار بمقدار ما يكون جوهر ضد لجوهر آخر .

§ ٨ ف ١ - حول المكان المركزي - يعني حول الأرض التي هي في نظريات أرسطو مركز العالم ونحوها تنجبه الأجسام ذات الثقل . - فإن فيها جميعها من الأرض - لأن كل الأجسام المختلطة التي تذكر هنا هي ذات ثقل . - هو الأحسن وعلى الغالب - حفظت عبارة النص على ما هي عليه من عدم التعيين ومعنى ذلك أن ذوات الثقل تنجبه نحو الأرض وتقف بها في سقوطها . - الخاص به - هذا يمكن أن يعني به "الأرض" أو أي واحد من الأجسام المختلطة . كان توماس وأهل جامعة كويمبرا يفهمون أن المقصود هو الأرض . وأما فيلوبيون فانه يفهم على الضد أن المقصود هي المختلطة التي يتحد مكانها الخاص بمكان الأرض التي هي المركز على السواء . - محددة - أو "أن يكون لها شكل محدود تماماً" . - الرطب الذي يمسكها مجتمعاً - وهذا إنما هو ما يسميه العلم الآن بقوة التماسك . - سقطت تراباً - زدت الكلمة الأخيرة لتتام الفكرة .

§ ٢ - الماء والأرض في جميع الأجسام المختلطة - ليس النص على هذه الصراحة تماماً . - الأرض ضد للهواء - بوزنها وبكيفيةاتها الخاصة معاً . - بمقدار ما يكون جوهر - ر . المقولات ب ٥ ف ١٨ ص ٦٨ من ترجمتنا .

§ ٣ - على هذا حينئذ ما دامت أكوان الأشياء تأتي من الأضداد فيلزم ضرورة أنه متى وجد طرفا الضدين في الأشياء فإن الآخر من الضدين يوجد فيها على السواء . وبالنتيجة في كل مركب تُلَفَى جميع الأجسام البسيطة .

§ ٤ - يظهر أن ظاهرة التغذية معتبرة في كل واحد من الموجودات تشهد بصحة هذه النظرية . فان كل الموجودات تغتذى بعناصر مماثلة للعناصر التي تركيبها فكلها تغتذى من عدة عناصر بل إن تلك التي يظهر عليها أنها تغتذى من عنصر وحيد كالنباتات التي تغتذى بالماء هي تغتذى في الواقع بعناصر عديدة على السواء . ذلك بأن الأرض هي دائماً ممتزجة بالماء فترى كيف أن الزراع في ريهم الزراعى لا يزيدون على أن يمزجوا الماء بالأرض .

§ ٥ - ولكن من حيث إن التغذية تتعلق بالمادة ومن حيث إن الموجود المغتذى على هذا النحو مع أنه مشمول ومظروف في المادة هو الصورة والنوع

§ ٣ - أكوان الأشياء تأتي من الأضداد - ر . ماسبق ك ١ ب ٣ وما يليه . - طرفا الضدين - أو بعبارة أظهر "الضدان المتطرفان يعنى الأرض والماء" . - الآخر من الضدين - الهواء بما أنه ضد الأرض والنار بما أنها ضد الماء . ومع ذلك فتلك فروض منطقية محضة . ولكن في الفقرة التالية سيستشهد أرسطو بما هو واقع . - وبالنتيجة - لا يبين على النتيجة أنها مضبوطة الى حد التحرج . - جميع الأجسام البسيطة - يعنى العناصر الأربعة الأرض والماء والهواء والنار مع أربعة الكيفيات البارد والرطب واليابس والحر .

§ ٤ - ظاهرة التغذية - عبارة النص هي بالبساطة : " التغذية " . - تشهد بصحة هذه النظرية - النص أوجز من ذلك . - تغتذى بعناصر مماثلة - القضية عامة ولكنها مع ذلك غير كاذبة . - تغتذى ... تغتذى ... - كل هذا التكرار هو في الأصل . - في ريهم الزراعى - أضفت هذه الكلمة الأخيرة التي تدل عليها القرينة . - أن يمزجوا الماء بالأرض - عبارة النص ليست على هذه الصراحة .

§ ٥ - تتعلق بالمادة - حفظت نظم النص ولكنه كان أوضح أن يقال إن التغذية هي مادة الموجود المغتذى . - الموجود المغتذى ... هو الصورة والنوع - أو بعبارة أخرى " الذات " في حين أن الغذاء الذي يقومه " ليس الا المادة " . - مشمول ومظروف - ليس في النص الكلمة واحدة .

فطبيعى أن يظن أنه من بين الأجسام البسيطة النار هى وحدها التى تغتذى .
أما سائر الأخرى فهى لا تزيد على أن يكون بعضها بعضا على طريق التكافؤ كما زعم
القدماء وذلك بأن النار وحدها هى على الأخص التى تمثل الصورة ما دام أنها دائما
بطبعها الخاص متجهة نحو الحد . وكل شئ هو بالطبع مسوق نحو المكان الخاص
به . ولكن صورة كل الأشياء ونوعها توجد دائما فى الحدود التى تعينها .

٦٩ — فىرى إذا بما تقدم أن جميع الأجسام تتركب من جميع العناصر البسيطة .

— فطبيعى — أو "مطابق للعقل" . — من بين الأجسام البسيطة — يعنى العناصر الأربعة .
— وحدها التى تغتذى — به فيلويون على أن هذا على الأخص إنما هو تعبير شعرى . — لا تزيد على أن
— النص ليس على هذا القدر من الصراحة . — القدماء — وهذا هو أيضا رأى أرسطو . — التى
تمثل الصورة — أو : "أتى تتعلق بالصورة" . — نحو الحد — يعنى نحو طرف الجهة العليا . ومن حيث
إن الحد يعين نوع الأشياء وصورتها فعلى ذلك النار ، فيما يظهر ، تتعلق بالصورة أكثر . ومع ذلك يمكن
أن يقال إن كل هذه النظريات على جانب عظيم من الدقة . — التى تعينها — زدت هذه العبارة .

٦٩ — فىرى إذا — ملخص الباب . — بما تقدم — زدت هذه العبارة . — جميع الأجسام —
على تقدير "المختلطة" . — من جميع العناصر البسيطة — يعنى الأرض والماء والهواء والنار . ولا حاجة
للإلحاح فى بيان الفرق بين هذه النظريات وبين النظريات التى قبلها العلم فى الوقت الحاضر وأقترها .

الباب التاسع

الهوى والصورة — المبادئ الأولى للأشياء — ضرورة مبدأ ثالث وهو العلة المحركة — إبطال نظرية المثل على نحو ما عرضها أفلاطون في الفيديون — إن المثل لا يمكن أن تفسر كون الأشياء — إنها لا تكون — يرى أن طائفة من الأشياء تتكون تحت أعيننا بعلة أخرى — إبطال النظرية التي تفسر كون الأشياء بحركة المادة — المادة قابلة لفاعلة — أمثلة مختلفة مستخرجة من طرائق الفن .

§ ١ — لما أنه توجد أشياء كائنة وقابلة للدثور وأن كل ما يتولد ويكون يوجد في المكان الذي يحيط بالمركز فيلزم بدياً الكلام على كون الأشياء مأخوذاً في كل عمومته وبيان عدد مبادئه ومن أى طبع هي . وبهذه الطريقة ندرس بطريقة أسهل الحوادث الجزئية بعد أن نكون قد حصلنا على معرفة الحوادث العامة . § ٢ — وتلك المبادئ هي هاهنا من حيث العدد والجنس على ما هي عليه المبادئ التي تكتشف في الموجودات الأزلية والأول . وأحد هذه المبادئ هو كهوى والآخر هو كصورة ولكنه يلزم منها زيادة على ذلك ثالث ينضم إلى هذين الاثنين الآخرين . لأن هذين

§ ٩ ف ١ — كل ما يتولد ويكون — النص يقول بعبارة أكثر عموماً أيضاً : ” التولد ” . — يوجد في المكان الذي يحيط بالمركز — هذا التعبير على جانب من الغرابة . فانه يدل فقط على أن الأجسام المختلطة التي يمكن مشاهدتها توجد على سطح الأرض المعتبرة مركز العالم . ومع ذلك فإن هذه العبارة لم تظهر لفيلو بون على شيء . من الصعوبة فلم يشأ أن يفسرها . — على كون الأشياء — الملاحظات السابقة . — الحوادث الجزئية ... الحوادث العامة — هذا ليس هو النمط العادى لأرسطو وإنه ليشتمل من الحوادث الجزئية إلى الحوادث العامة لا من هذه إلى تلك . وليس النص من الضبط بقدر ما عليه ترجى إياه .

§ ٢ — في الموجودات الأزلية والأول — إنما الأجرام السماوية هي المعتبرة أزلية وغير قابلة للتغير وأنها أوائل كل الأجسام . — هو كهوى — حفظت نظم النص ولكن يمكن ترجمته هكذا : ” يقوم مقام الهوى ... مقام الصورة ” . — ينضم إلى هذين الاثنين — زدت هذه الكلمات لأحصل كل قوة العبارة الإغريقية . وهذا المبدأ الثالث إنما هو العلة المحركة أو بالأولى العلة الفاعلة . ويلزم أن يقارن بهذه النظريات نظريات الكتاب الأول من الطبيعة ب ٨ ص ٤٧٣ من ترجمته .

الاثنين ليسا أقدر على تكوين شيء هاهنا منها في الأول . § ٣ — وعلى هذا إذا إنما هي الهوى التي فيما يتعلق بالموجودات الكائنة هي العلة في أنها يمكن أن توجد وألا توجد . فمن بين الأشياء ما توجد بالواجب ، مثال ذلك الجواهر الأزلية ، ومنها ما يجب ألا توجد ، فبالنسبة للأولى من المحال ألا توجد ، وبالنسبة للأخرى من المحال أن توجد . لأنه لا يمكن أن شيئاً يكون على خلاف ما يقضى به الواجب . ولكن هناك أشياء أخرى يمكن أن توجد وألا توجد على السواء . وهذه هي على التحقيق كل ما هو كائن وهالك . لأن هذه الأشياء تارة توجد وتارة لا توجد . فينبذ الكون والفساد لا يتعلقان إلا بما يمكن أن يوجد وألا يوجد . § ٤ — وذلك بما هو هوى إنما هو علة الأشياء الكائنة . ولكن بما هو غرض غاى فالعلة إنما هي الصورة والنوع . وهذا هو حد الماهية لكل شيء . § ٥ — ولكنه يجب أن يضاف الى هذين المبدأين مبدأ ثالث . هذا المبدأ لا يظهر على الفلاسفة أنهم لمحوه إلا كما في الحلم ولم يتكلم عنه ولا واحد منهم بنوع من الضبط فقد ظن بعضهم كسقراط في « الفيدون » أن طبع المثل

— ليسا أقدر — الهوى والصورة كلاهما عقيم بدون المبدأ الثالث الذى يجىء فيعطيهما الفعلية بأن يجمعهما . § ٣ — هي العلة في أنها يمكن أن توجد وألا توجد — وقد يمكن عكس القضية فيقال : "إن إمكان الوجود وعدم الوجود هو من حيث المادة علة الموجودات الكائنة" . — فمن بين الأشياء — أو "من بين الجواهر" أو "من بين الموجودات" . — الجواهر الأزلية — يعنى "الأجرام السماوية" . — يمكن أن توجد وألا توجد على السواء — أو بعبارة أخرى كل الموجودات الممكنات . — كل ما هو كائن — أو "ما هو مخلوق" . — وهالك — كما هو أكثر الموجودات الخاضعة لمشاهدتنا . § ٤ — الأشياء الكائنة — والهالكة . — بما هو غرض غاى — عبارة النص هي بالضبط من حيث هو "لماذا" . — إنما هي الصورة والنوع — النوع يتحد مع "المثال" كما سبى بعد . — حد الماهية — أو "علة الماهية" .

§ ٥ — أن يضاف ... مبدأ ثالث — هو العلة الفاعلة . — إلا كما في الحلم — الانتقاد على جانب من الشدة والاستهانة . ر . الكتاب الأول ما بعد الطبيعة ترجمة كوزان . ب ٤ و ه — في "الفيدون" — ر . فيدون أفلاطون ترجمة كوزان ص ٢٨٣ — طبع المثل — أو "الأنواع" لأن

قد يكفى لتعبير كون الأشياء . لأن سقراط وهو يعيب على الآخرين أنهم لم يقولوا شيئا في هذا الصدد يفترض أن من الأشياء التي توجد بعضها هي المثل والأخرى تتلقى هذه المثل التي تشاركها ، وأن كون كل شيء هو مسمى بحسب مثاله ، وأن الأشياء تتكون متى تتلقى هذا المثل وأنها تفسد متى تعدمه . وبالنتيجة اذا كان كل هذا حقا فيكون سقراط يرى أن المثل هي بالضرورة علة كون الأشياء وفسادها . وآخرون على الضد قد ظنوا أنهم يرون هذه العلة في المادة نفسها لأنه منها على رأيهم تصدر الحركة .

§ ٦ - ولكن ليس الأولون ولا الآخرون على حق ، لأنه اذا كانت المثل هي في الحق عللا فلماذا لا تكون دائما بطريقة مستمرة ؟ ولماذا هي تكون تارة ولا تكون تارة أخرى مع أن المثل تبقى دائما هي والأشياء التي يمكن أن تشاركها ؟ زد على هذا أنه يوجد أشياء يرى جليا أن العلة فيها إنما هي شيء آخر غير المثل . فأنما الطبيب هو الذى يعمل الصحة ، وإنما العالم هو الذى يعمل العلم مع أن الصحة ذاتها والعلم ذاته موجودان هما والكائنات التي يقومان بها . كذلك الحال أيضا في جميع الأشياء المصنوعة بحسب الفن الذى يمكن أن يتمها .

الكلية هي بعينها . — أنهم لم يقولوا شيئا — هذه العبارة قد تدل على السواء إما على أن الفلاسفة الذين يطعن عليهم سقراط قد لمزموا الصمت أو أنهم لم يقولوا شيئا يعتد به . — بعضها هي المثل... الخ — تلخيص صحيح للقيدون . — كون كل شيء — هذا هو نظم النص بعينه . — اذا كان كل هذا حقا — في هذا القيد نوع من النفي ومن الانتقاد . — وآخرون — لم يقل فيلوبون من هم هؤلاء الفلاسفة الآخرون ولكن من المحتمل أن يكون المقصود ديمقريطس ومدرسته . — على رأيهم — زدت هاتين الكلمتين .

§ ٦ — ليس الأولون ولا الآخرون — يعنى ذلك أن نألاطون ولا الماديين . — عللا — كذلك عبارة النص مهمة أيضا . — غير المثال — زدت هاتين الكلمتين . — الذى يعمل الصحة . — ربما كان يلزم أن يزداد "فى الجسم" لتوفية قوة العبارة الإغريقية . — الصحة ذاتها — يعنى مثال الصحة . — العلم ذاته — يعنى مثال العلم . — هما والكائنات التي يقومان بها — على ذلك يلزم خلاف مثال الصحة ومثال المريض وجود الطبيب وخلاف مثال العلم والتلميذ يلزم المعلم الكفء لتلقين ما يعلم . — بحسب الفن الذى يمكن أن يتمها — ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٧ — ومن جهة أخرى حينما يدعى أن المادة هي التي تكون الأشياء بالحركة التي تعطى لها فلا شك في أن هذا الرأي هو أكثر موافقة للطبع من نظرية المثل لأن ما يحيل الأشياء ويغير أشكالها يمكن أن يظهر أكثر من غيره بمظهر العلة في كونها . وعلى العموم في كل كائنات الطبيعة كما في كل كائنات الفن يُنظر عادة إلى كل ما يعطيها الحركة كأنه هو الفاعل لها .

§ ٨ — ومع ذلك فإن هؤلاء الفلاسفة الآخرين ليسوا على حق لأن الانفعال والتحرك إنما هما الخاصتان اللتان تتعلقان بالمادة في حين التحريك والفعل يختصان بقوة مغايرة تمام المغايرة . وهذا هو ما يمكن مشاهدته أيضا في كل ما يعمل به الفن كما في كل ما يعمل به الطبع . إذا فليس الماء نفسه هو الذي يوجد الحيوان الذي يخرج من باطنه (بل هو الطبع) . كذلك ليس الخشب هو الذي يصنع السرير بل هي الصناعة . ومن ثم يمكن استنتاج أن هؤلاء الفلاسفة لم يحسنوا هم أيضا التعبير . وخطئهم آت من أنهم أغفلوا العلة الأهم من جميع العلل بحذفهم الماهية والصورة . § ٩ — وينتج منه فوق ذلك أنهم ينسبون إلى الأجسام قوى يجعلونها بها تتوالد بحالة ميكانيكية أكثر مما ينبغي بتركهم إلى ناحية العلة التي ترجع إلى النوع .

§ ٧ — ومن جهة أخرى — إلى أنصار المادة يوجه أرسطو القول هنا بعد أن أجاب على أفلاطون . — من نظرية المثل — ليس النص على هذا القدر من التعيين — ما يحيل الأشياء — ربما يلزم أن يحمل هذا التعبير على معنى أوسع قليلا من المعنى الذي يعبر به أرسطو عادة .

§ ٨ — الانفعال — أو ”القبول“ . — بقوة مغايرة تمام المغايرة — هذه هي ألفاظ النص بعينها . ويمكن ترجمتها أيضا ”بقدرية مغايرة“ . — الذي يخرج من باطنه — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — (بل هو الطبع) — وضعت هذه العبارة بين قوسين لأنها لا توجد إلا في بعض المخطوطات وليست ضرورية . وشرح فيلوپون يدل عليها بالاقضاء . — الماهية والصورة — قد يكون لازما أن يقال ”الماهية الدائمة“ .

§ ٩ — ميكانيكية أكثر مما ينبغي — هذه عبارة الأصل بحروفها وليست غاية في البيان . ر . الفقرة التالية . و يظهر أن هذا الرد يكاد يدخل بتمامه في غصون الرد المتقدم كما نبه إليه أهل جامعة

ولما أنه تبعاً لقوانين الطبيعة كما يقولون الحار يفرق والبارد يجمد ولما أن كل واحد من العناصر الأخرى يفعل وينفعل على طريقته فإن ذلك كاف عندهم في التقرير بأنه أيضاً من هذا أو بهذا يكون سائر الأشياء ويفسد . ويظهر لهم أن النار نفسها تقبل الحركة وتنفعل § ١٠ — يوشك أن يكون هذا الخطأ هو عينه خطأ من يذهب إلى اعتبار المنشار وما أشبهه من الآلات الأخرى العلة الحقة لكل ما تصنع ويرجعها إليها بحجة أنه بمجرد ما ينشر يلزم ضرورة أن يُقطع الخشب وبمجرد ما يُصقل بالفارة فهناك ضرورة أيضاً أن ينصقل اللوح وهلم جرأً . وبالنتيجة مع أن النار هي أفعال العناصر وأنها توصل الحركة الأقوى فانهم لا يرون كيف أنها تفعل وأنها تفعل أردأ من الآلات العادية .

§ ١١ — أما نحن فلما أننا تكلمنا فيما سبق على العلل على العموم لم نتصد هاهنا إلا لدرس الهيولى والصورة .

كويمبرا . أما فيليو بون فانه بناء على رأى اسكندر الافوريزى يظن أن هذا الانتقاد موجه على الخصوص إلى پرمينيد . — الحار يفرق — مثلاً حينما يصهر بعض الجواهر . — والبارد يجمد — هذا حق في بعض الأحوال ولكنه ليس حقاً في جميعها . — من العناصر الأخرى — ليس النص على هذا القدر من التعيين — النار نفسها — التي تعتبر أفعال العناصر تصير منفعة في هذا المذهب . — تقبل الحركة — أو "تتحرك" .

§ ١٠ — يذهب إلى اعتبار المنشار — ر . ما سبق في أول الفقرة التاسعة . فتلك هي المبادئ الميكانيكية التي إليها ينسب الفلاسفة كون الأشياء . — ويرجعه إليها — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — فهناك ضرورة أيضاً — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — أردأ — أى بنظام أقل . — العادية — زدت هذه الكلمة . § ١١ — فيما سبق — يظن فيليو بون أن المراد هنا كتاب الطبيعة ولكن الأولى بالمراد هو الكتاب الأول من ما بعد الطبيعة الذى فيه أرسطو قد درس العلل . — لم نتصد هاهنا إلا لدرس — ليست عبارة النص على هذا القدر من الصراحة .

الباب العاشر

كون الأشياء وفسادها هما متصلان بالحركة ويتعلقان بالنقطة الدائرية للعالم — ضرورة حركتين —
النقطة الدائرية المائلة تسد هذه الضرورة — انتظام الكون والفساد الطبيعيين — المدة الدورية
للكائنات — فعل الله — القوانين الثابتة التي وضعها في أبدية الأشياء — النظام العجيب للعالم —
تغير الأجسام إنما هو الذي يحفظ مدتها — المحرك الأول غير المتحرك هو المبدأ الوحيد للحركة العالمية —
اتصال الحركة يتعلق باتصال المتحرك .

١٩ — يلزم أن يزداد على ذلك اعتبار آخر وهو أنه بما أن حركة النقطة أزلية
كما سبق بيانه فينتج منه بالضرورة أنه بهذه المثابة يجب أن يكون كون الأشياء
متصلاً أيضاً على السواء . لأن هذه الحركة تسبب إلى ما لا نهاية كون الأشياء
بأن تأتي بالعلة التي يمكنها أن تكون الأشياء ثم تأتي بها ثانية . وهذا يبرهن لنا
في آن واحد على أن ما قدمناه صحيح وعلى أنه كان لنا الحق في أن نجعل النقطة
لا الكون هي أول التغيرات . وفي الحق أنه أدخل في باب المعقول أن يجعل ما هو
موجود علة لتكوين ما لم يوجد من أن نجعل ما لم يوجد العلة الفاعلة لتكوين ما هو
موجود . وإن ما هو خاضع للنقطة موجود في حين أن الشيء الذي يكون ويصير
هو غير موجود . وذلك ما يجعل أن النقطة متقدمة على الكون .

١٩ — يلزم أن يزداد على ذلك اعتبار آخر — قد اضطررت إلى التوسع في عبارة النص حتى يبدأ
هذا الباب على وجه أليق . — كما سبق بيانه — في الكتاب الثامن من الطبيعة ب ١٠ ص ٥١٨ وما يليها
من ترجمتي . — كون الأشياء — عبارة النص « التولد » . — هذه الحركة تسبب إلى ما لا نهاية —
تلك هي فكرة عظمى في ربط كون الأشياء وفسادها بالعلة العامة التي تحرك العالم . — تأتي ... ثم تأتي بها
ثانية — هذه المقابلة هي في النص . — ما قدمناه — ر . الطبيعة ك ٨ ب ١٠ ص ٥١٨ وما بعدها .
حيث أرسطو قد فصل الكلام تفصيلاً لإثبات أن الحركة الدائرية هي الأولى والأصلية لجميع الحركات .
— ما هو موجود ... ما لم يوجد — عبارة النص : « الموجود ... واللاموجود » . — يكون ويصير
— ليس في النص الاكلمة واحدة . — متقدمة — أو أعلى .

§ ٢ — بعد أن فرضنا و بينّا أن في الأشياء كونا وفسادا متصلين وأن حركة النقلة هي علة تولد الأشياء يجب أن يكون من البين لدينا أنه ما دامت حركة النقلة وحيدة فمن المحال أن الكون والفساد يوجدان جميعا في آن واحد ما دام أنهما ضدّان لأن علة موجودة وباقية هي بعينها وفي الظروف بعينها لا يمكن البتة أن تعمل إلا المعلول بعينه على حسب نظام الطبيعة . وبالنتيجة فيما أن الكون هو الأزل وإما أن الفساد هو الأزل § ٣ — وعلى ذلك يلزم أن يوجد عدّة حركات وحركات متضادات إما باتجاهها وإما بتفاوتها لأن علل الأضداد هي أضداد كذلك . وليست النقلة الأولى إذاً على التحقيق هي التي يمكن أن تكون علة كون الأشياء وفسادها . بل النقلة على حسب الدائرة المائلة . فان في هذه النقلة حقا يوجد في آن واحد اتصال لحركة واحدة وإمكان لحركتين ، لأنه يلزم بالضرورة من أجل أن الكون والفساد يمكن أن يكونا متصلين أن تكون الحركة سرمدية حتى لا تختلف هذه التغيرات نفسها أبدا . ومن جهة أخرى يلزم أن يكون عدد الحركات اثنين حتى لا تكون إحدى هاتين الظاهرتين هي التي تبقى وحدها على الدوام .

§ ٢ — فرضنا و بينّا — واقع الكون والفساد المتصلين للأشياء تشهد لنا به الحواس ، ولا محل لفرضه ولا لتبيانّه . ولكن فلاسفة معاصرين لأرسطو كانوا يذهبون الى حدّ إنكار الحركة . ر . الكتاب الأول من الطبيعة ب ٢ وما يليه . — في آن واحد — أضفت هذا القيد لأحصل كل قوة عبارة النص . — فاما أن الكون هو الأزل واما أن الفساد هو الأزل — أو بعبارة أخرى : أحد الاثنين لا الاثنان جميعا .

§ ٣ — حركات متضادات — ر . حدّ الحركة المضادة في الطبيعة ك ه ب ٧ ص ٣٢٠ وما بعدها من ترجمتنا . — على حسب الدائرة المائلة — بناء على ما سيأتى وبناء على شرح فيلويون يلزم أن يعنى بالدائرة المائلة دائرة فلك البروج أو دائرة سمت الشمس . وبحسب ما تكون الشمس أقرب منا أو أبعد يحصل كون الأشياء أوفسادها . قد لا تكون نظرية أرسطو صحيحة ولكنّها في الحق كيسة للغاية . ان الحركة اللامتغيرة المائلة منذ الأزل تبقى منطبقة على السماء . ولكن الحركة المتفاوتة الخاضع لها العالم الأرضي هي في الشمس والسيارات التي تسيرها . — اتصال لحركة واحدة وإمكان لحركتين — من هنا علنا الكون والفساد المتعاقبين الأبديين للأشياء . — إحدى هاتين الظاهرتين — ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٤ — وعلى ذلك إذا إنما نقلة العالم هي علة الأبدية وأن ميل الدائرة إنما هو الذى ينتج التقريب أو التباعد لأنه قد يمكن أن تكون العلة تارة بعيدة وتارة قريبة . وبما أن المسافة غير متساوية فالحركة تكون غير متساوية كذلك . وعلى ذلك إذا كانت الحركة بشهادتها وقربها تسبب كون الأشياء فإن هذه الحركة نفسها بغيابها وابتعادها تسبب فساد الأشياء . وفوق ذلك فإنها إذا كوّنت باقترابها عدّة مرات فإنها تُفسد بابتعادها عدّة مرات أيضا لأن علل الأضداد هي أضداد بعضها لبعض .

§ ٥ — يلزم أن يزداد على هذا أن الفساد والكون الطبيعيين يتحققان فى زمان متساو . وهذا هو الفاعل فى أن زمن مدّة كل كائن وزمن حياته يمكن أن تعبر بالعدد وتنعين بهذه الطريقة . وفى هذا ترتيب ينتظم جميع الكائنات فإن المكث والحياة هما دائما مقيسان بمدّة ما تمضى . غير أن هذه المدّة ليست واحدة بالنسبة للجميع على السواء . بل هي أقصر بالنسبة للبعض وأطول بالنسبة للبعض الآخر . وأن المدّة التى يقاس بها وجود الكائنات هي بالنسبة لهؤلاء سنة وبالنسبة لهؤلاء هي أكثر فى حين أنه بالنسبة لموجودات أخرى المقدار هو أقل . § ٦ — إن الظواهر المحسوسة

§ ٤ — نقلة العالم — يعنى حركة النقطة الأزلية التى تتسلط على السماء والكواكب الثابتة على مذهب أرسطو . — ميل الدائرة — زدت المضاف اليه . — أن تكون العلة — عبارة النص غير معينة بالمرّة فاضطرت الى تعيينها . — بشهادتها وقربها — هذا يمكن أن ينطبق على الشمس التى هي ليست فقط أكثر أو أقل بعدا من الأرض بحسب الفصول بل إن نورها هو تارة شاهد وتارة غائب بحسب النهار والليل . — باقترابها عدّة مرات — حفظت عبارة النص على ما بها من تردد . ومعنى ذلك أنه يلزم أن تقترب الشمس أو تباعد عدّة مرات متوالية لتحديث بعض الآثار . — علل الأضداد — أو ” الأضداد هي علل للأضداد “ .

§ ٥ — يتحققان فى زمان متساو — لا يلزم أن يؤخذ هذا بخارج أكثر مما ينبغى . فإن أرسطو يريد أن يقول إن الزمان الذى فيه يمكن للشمس أن تفسد هو مساو للزمان الذى فيه يمكنها أن تكون . فإن دورية الفصول متساوية دائما . — وزمن حياته — لأن مدّة الحياة لكل كائن متغيرة بحسب الأوضاع التى وضعها فيه الطبيعة كما سيقال بعد . — ترتيب ينتظم جميع الكائنات — معلوم أن أرسطو كان يهدم دائما مذهب المصادفة والاتفاق . ر . ما سبق ب ٦ ف ٥ والطبيعة ك ٢ ب ٤ وما بعده .

§ ٦ — الظواهر المحسوسة — كذلك يوصى أرسطو هنا كما فى كل موطن آخر بنظر المشاهدة .

لشاهدة بصدق ما نقوله هنا . متى تطلع الشمس يحصل كون . ومتى تغرب يحصل فساد . وهاتان الظاهرتان تتحققان في أزمان متساوية لأن زمن الفساد الطبيعي هو مساوٍ لزمن الكون . ولكنه يقع غالباً أن الفساد أسرع بعلة تفاعل العناصر بينها . وفي الحق متى كانت المادة غير منظمة ولا واحدة بعينها في كل مكان لزم أيضاً أن الأكوان التي تخرج منها تكون غير منظمة مثلها وأن يكون بعضها أسرع والآخر أبطأ . وحينئذ يمكن أن يصير كون البعض فساداً للبعض الآخر .

§ ٧ — على أن الكون والفساد كما قلنا يجب أن يكونا دائماً متصلين ولا ينبغي البتة أن يتخلفا للأسباب التي ذكرناها . ومع ذلك فإن هذا مفهوم جداً لأن الطبيعة كما نقرر تبحث دائماً عن الأحسن في كل الأشياء . والوجود هو أحسن من العدم، وقد عدّنا في موضع آخر المعاني المختلفة للفظ "وجود" . ولكنه لا يمكن أن الوجود يبقى في كل الأشياء ما دام أن بعضها هي أكثر ابتعاداً جداً عن المبدأ . وأخذنا بالطريق الوحيد الذي بقي نقول إن الله قد كمل الكل

— متى تطلع الشمس — هذا ليس حقاً إلا بمقدار ما . وإنها لمبالغة في فعل الشمس أن يسند إليها كون جميع الأشياء . — في أزمان متساوية — يعني أنه في آخر العام يكون الزمن الذي فيه غابت الشمس مساوياً للزمن الذي فيه طلعت . — الفساد الطبيعي — الراجع إلى شهادة الشمس أو غيابها . — الفساد أسرع — العلة عنها يمكن أن تفعل في الكون أيضاً . — العناصر — النص أقل صراحة وقد اضطررت إلى جعل الترجمة أضبط .

§ ٧ — كما قلنا — سواء في هذا الباب ف ٣ أو في الطبيعة ك ٣ ب ٥ ف ٤ ص ٩٤ من ترجمتي . — كما نقرر — هذا هو أحد المبادئ التي أحسن أرسطو في تقريرها وحسن استعمالها . الطبيعة ك ٨ ب ٧ ف ٦ ص ١٠٥ من ترجمتي . — في موضع آخر — خصوصاً في المقولات ب ٢ ف ٢ ص ٥٤ من ترجمتي . وفي الطبيعة ك ١ ب ٣ ف ١ ص ٣٨ من ترجمتي . وفيما بعد الطبيعة ك ٤ ب ٧ ص ١٠١٧ طبعة برلين . — الوجود يبقى في كل الأشياء — على تقدير الوجود «الأزلي» ولكنني اضطررت لاستيفاء التردد الواقع في النص . — عن المبدأ — الذي كونهما والذي يحفظها . — أخذنا بالطريق الوحيد الذي بقي — ربما كان في ذلك تضيق لفساد الله . — الله قد كمل الكل — هذه الفقرة تذكر بعض الشيء بنظريات طوماس

بأن جعل التولد متصلا وأبديا . فالوجود هو إذا ملتك ومتصل بقدر ما يمكن لأن
كونا أبديا وصيرورة مستمرة هما أقرب ما يمكن من الوجود ذاته . وحينئذ فعلة
هذا الكون، كما طالما قد قيل، إنما هي النقلة الدائرية لأنها هي وحدها التي تكون
متصلة . § ٨ — فانظر كيف أن جميع الأشياء التي تتغير بعضها إلى بعض، بحسب
خواصها القابلة والفاعلة، كالأجسام البسيطة مثلا، لا تزيد أيضا على أن تقلد هذه
النقلة الدائرية التي هذه الأشياء تكرر . وفي الحق أنه متى كان الهواء يحىء من
الماء والنار تجيء من الهواء ثم الماء يحىء في دوره من النار فيمكن القول بأن
الكون قد حصل دوريا ما دام أنه رجع على نفسه . وعلى هذا إذا فإن حركة هذه
الظواهر بامتدادها على خط مستقيم تقلد الحركة الدائرية وتصير متصلة .

§ ٩ — وهذا يسمح لنا في آن واحد باستجلاء مسألة يثار ثائرها أحيانا وهي كيف
يمكن، مع أن كل جسم متمكن في المحل الخاص به، ألا تكون الأجسام المركبة منفصلة

التي ربما كانت هي التي أوحى . — متصلا وأبديا — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — ملتك
ومتصل ... كونا أبديا وصيرورة مستمرة — التنبيه السابق عينه . — من الوجود ذاته — على تقدير
«الأزلى» . — كما طالما قد قيل — في هذا الباب ذاته وفي الطبيعة ك ٨ ب ١٢ ف ٤٦ وب ١٣
ف ٥ ص ٥٥٠ و ٥٥٢ من ترجمتي .

§ ٨ — كالأجسام البسيطة — يعني العناصر العادية الأرض والماء والهواء والنار . — لا تزيد أيضا
على أن تقلد — ليس النص على هذه الصراحة . — هذه الأشياء تكرر . — أضفت هذه الكلمات .
ومع ذلك يمكن أن يرى أن هذه المشابهة بين التغير المتكافئ للعناصر وبين الحركة الأزلية التي تحرك السماء هي
مشابهة قسرية . ولكنه يلزم تذكر ذلك المركز العظيم المسند إلى أربعة العناصر في نظريات أرسطو . ر . على
الأخص المينور ولوحيا ك ١ ب ٢ و ٣ ص ٤ وما بعدها من ترجمتنا . — وفي الحق أنه متى كان
الهواء يحىء من الماء — على رأى أرسطو أن الماء يتبخره يصير هواء . — ثم الماء يحىء في دوره من
النار — لأن النار تتغير إلى هواء والهواء في دوره إلى ماء . — تقلد — هذا التكرير موجود في الأصل .

§ ٩ — يثار ثائرها أحيانا — أو «يثيرها بعض الفلاسفة» . — منفصلة ومنحلة — ليس في النص
إلا كلمة واحدة ويلزم أن يفهم أن المراد هو تحلل الأجسام المختلطة حيث كل واحد من العناصر التي
تؤلفها ينحى إلى المكان الخاص به فالارض إلى تحت والنار إلى فوق والهواء والماء إلى الأماكن

ومنحلة أثناء المدة غير المتناهية للأزمان . والسبب في ذلك بسيط وهو أنها تتغير وتتحوّل بعضها إلى بعض . فإذا كان كل واحد منها يبقى في محله الخاص ولم يعدله جاره فتكون من زمان طويل قد انفصلت وانعزلت . فهذه الأجسام تتغير إذاً على أثر حركة نقلة مزدوجة ومن أجل أنها تتغير لا يوجد ولا واحد منها يمكن أن يبقى البتة في مكان ثابت ومعين .

§ ١٠ — فيمكن أن يرى إذاً بناء على ما تقدّم أنه يوجد على الحقيقة كون للأشياء وفساد وما هي العلة فيهما كما أنه يرى ما هو المخلوق والقابل للفساد . ولكن ما دام أنه يوجد حركة فيلزم أن يوجد محرك كما بين ذلك في مؤلفات أخرى . وإذا كانت الحركة أزلية يلزم أن يكون موجوداً شيء ما أزلياً أيضاً . ولما أن الحركة متصلة فهذا الشيء الذي هو أحد يجب أن يكون هو عينه أبداً غير متحرك ولا مخلوق ولا قابل للاستحالة . حتى مع افتراض أن الحركات الدائرية أمكن أن تكون كثيرة بالعدد فقد يمكن أن تكون عديدة ولكنها جميعها ما دامت فانها يجب

المتوسطة . — أثناء المدة غير المتناهية للأزمان — لأن هذه التغيرات بطيئة للغاية وتستدعي أزماناً طويلاً جداً . — وهو أنها تتغير وتتحوّل — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — قد انفصلت وانعزلت — التنبيه السابق عينه .

— حركة نقلة مزدوجة — ر . ما سبق ف . هـ . وهذه الحركة المزدوجة هي التي يحدتها ميل الدائرة الذي هو تارة يبعد الشمس عنا وتارة يقربها منا . وبحسب شرح فيلويون إنما هي الحركة التي تذهب من الشرق إلى الغرب والتي ترجع من الغرب إلى الشرق . — ومن أجل أنها تتغير — وتختلط بعضها ببعض .

§ ١٠ — المخلوق والقابل للفساد — حفظت قصداً عبارة النص على قلة تعيينها . — في مؤلفات أخرى — هي الطبيعة ك ٨ ب ١٥ ص ٥٥٨ وما بعدها من ترجتي ، وما بعد الطبيعة ك ٧ ب ٦ وما بعده ص ١٩٢ من ترجمة كوزان الطبعة الثانية . — أن يكون موجوداً شيء ما — قد يكون أكثر بياناً أن يقال : محرك ما أزلي . — كثيرة بالعدد ... عديدة — هذا التكرار موجود في النص .

بالضرورة أن تكون خاضعة لمبدأ واحد. ومن جهة أخرى مادام الزمان متصلًا وجب أن تكون الحركة متصلة مثله لأنه من المحال أن يوجد زمان بدون حركة . فان الزمان هو إذا العدد لشيء ما متصل أعني للنقطة الدائرية كما قلنا ذلك بدياً .

§ ١١ — ولكن هل الحركة متصلة لأن المتحرك الذى يقبلها هو متصل أيضا؟ أم هل هى كذلك بعلّة اتصال المكان الذى تقع فيه ، أريد أن أقول الآن ، أو بعلّة اتصال الكيف الذى يكيف الشيء ؟ من البين أن الحركة هى متصلة بسبب أن المتحرك متصل لأنه كيف يمكن أن يكون كيف شيء متصلاً إلا إذا كان ذلك باتصال الشيء نفسه الذى فيه يظهر هذا الكيف ؟ إذا كانت الحركة ليست متصلة إلا بسبب المكان الذى هى فيه فهذا لا يمكن حينئذ إلا بالآين الذى له وحده خاصية الاحاطة بها لأن له عظماً ما . ولا يوجد عظم متصل إلا عظم الدائرة لأن هذا العظم هو دائماً متصل بنفسه . وعلى ذلك فالعامل فى اتصال الحركة إنما هو الجسم الذى له النقطة الدائرية وإنما الحركة فى نوبتها هى العاملة فى أن الزمان يكون متصلاً .

— مادام الزمان متصلاً — ر . على علاقات الزمان بالحركة الكتاب الرابع من الطبيعة ب ١٤ وما بعده ص ٢٢٤ من ترجمتى . — بدياً — يرى فيلوپون أن المقصود بهذا كتاب الطبيعة الذى هو يتقدم فى ترتيب الدراسة كتاب السماء وهذا الكتاب ويلزم الرجوع الى الكتاب الرابع والكتاب السابع من الطبيعة . § ١١ — ولكن هل الحركة متصلة — هذه المسئلة المهيبة قد طرحت على البحث وحلت فى الكتاب الثامن من الطبيعة ب ١٥ وما يليه ، وفى الكتاب الثانى عشر من ما بعد الطبيعة ب ٦ وما يليه على وجه فيه بعض المغايرة لما قررنا . — اتصال المكان ... اتصال الكيف — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — الذى يكيف الشيء ؟ — زدت هذه الكلمات لتكون الفكرة أكثر بياناً . — المتحرك متصل — هذا غير مفهوم تماماً . فان الاتصال يمكن أن يكون إما اتصال الزمان أو اتصال المادة . — إلا بالمكان — عبارة النص أقل ضبطاً . — الذى له وحده خاصية الاحاطة بها — وسعت عبارة النص لجعلها أبين . — الا عظم الدائرة — ر . الطبيعة ك ٨ ب ١٢ ف ٤١ ص ٥٤٧ من ترجمتى وب ١٤ ف ١ ص ٥٥٣ . — دائماً متصل بنفسه — لأن المحيط يرجع على ذاته . — الجسم الذى له النقطة الدائرية — والأزلية ، يعنى السماء .

الباب الحادى عشر

نظرية تعاقب الأشياء الأبدى المنتظم — على أى مقدار يكون تدخل الوجوب — الأشياء الواجبة والأشياء الممكنة — الوجوب المطلق — الوجوب الاضافى — علاقة الواجب والأزلى — كون الأشياء لا يمكن أن يكون أبديا الا اذا كان دائريا — ترتيب الأشياء العجيب — الحركة الدائرية للفلك الأعلى تنظم كل الحركات السفلى ، حركة الشمس ، وحركة الفصول وكل الحركات الأخرى — أبدية الأنواع — فناء الأشخاص المتعاقب — أزلية بعض الجواهر — خاتمة الكتاب .

§ ١ — لما أننا، فى جميع الأشياء التى تتحرك بحركة متصلة إما لتكون وإما لتستحيل وإما بالاختصار لتتغير، نرى دائما حادثا يوجد بعد آخر وظاهرة تكون على أثر أخرى بحيث لا يقع لا خلو ولا تخلف فيلزمنا أن نفحص ما إذا كان يوجد شيء ما بالواجب أو أنه ممكن فى حق جميع الأشياء ألا تكون إذا لم يكن شيء موجودا بالواجب . وبديهي أن بعض الأشياء هى واجبة وهذا هو الحامل على أن القول على شيء بالتعيين إنه سيوجد هو مغاير تماما للقول بأنه يجب أن يوجد . لأنه ما دام قد حق القول على شيء بأنه سيوجد فيلزم أيضا أن يحق القول ذات يوم على شيء إنه موجود فى حين أنه متى صدق القول بالبساطة على شيء إنه يجب أن يوجد فلا شيء يمنع من ألا يوجد : مثال ذلك قد يمكن جدا أن إنسانا كان يجب أن يتنزه ألا يتنزه .

§ ١ — لا خلو ولا تخلف — ليس فى النص الكلمة واحدة . — اذا كان يوجد شيء ما واجب — على نظرية الوجوب . ر . الطبيعة ك ٢ ب ٩ ص ٦١ من ترجمى .

— بعض الأشياء هى واجبة — تلك هى النتائج الضرورية لفرض ما ولكن الفرض نفسه ليس واجبا . — بالتعيين — زدت هذه الكلمة زيادة فى تحديد الفكرة . — بأنه يجب أن يكون — يوجد فى عبارة النص نحو من الاحتمال ليس موجودا فى التعبير الفرنسي . — بالبساطة — زدت هذه الكلمة أيضا . وربما كان من الأحسن أن يستعاض فى الترجمة عن عبارة ”يجب أن يكون“ بعبارة ”يمكن أن يكون“ ، فان هذه الصور الدقيقة من الصعب نقلها من لغة الى لغة أخرى .

٢٤ — ولكن لما أن من بين الأشياء التي هي موجودة ما يمكن أيضا ألا توجد فبديهي أن يكون الأمر كذلك أيضا بالنسبة للأشياء التي تصير وتكون وأنه ليس هناك أيضا وجوب . فهل جميع الأشياء التي تكون هي في هذه الحالة أم هل هي ليست فيها ؟ أو ليس يوجد منها ما يجب بالضرورة أن يكون ؟ أو لا يكون الأمر بالنسبة إلى الصيرورة كما هو الحال بالنسبة للوجود ؟ أو ليس يوجد أيضا أشياء لا يمكن ألا تكون في حين أن أخرى يمكن أن تكون ؟ مثال ذلك وجوب أن توجد المنقلبات الدورية وليس ممكنا أنها لم تكن أصلا .

٣٥ — والحق هو أنه إنما يلزم بالضرورة أن المتقدم يكون لأجل أن المتأخر يكون أيضا في دوره . مثال ذلك لكي يوجد بيت يلزم بدياً أن يوجد أساس . ولأجل أن يوجد أساس البيت يلزم ملاط . ولكن هل لأن الأساس قد عمل يكون واجبا أن البيت يقام أيضا ؟ أم هل ليس هذا واجبا إلا إذا كان البيت نفسه واجبا على الإطلاق؟ وعلى هذا الوجه إذا من الضروري في الواقع أنه مادام الأساس قد عمل فالبيت يكون أيضا لأن هذا هو في الحقيقة علاقة المتقدم بالتأخر أنه إذا كان المتأخر يجب أن يكون فيلزم وجوبا أيضا أن يكون المتقدم قد كان من قبله .

٢٥ — التي تصير وتكون — ليس في النص إلا كلمة واحدة ويلزم الالتفات إلى التمييز بين الوجود وبين الصيرورة . فان أحدهما أزل أو على الأقل باق في حين أن الآخر حادث ومؤقت . — بالنسبة إلى الصيرورة — جئت بهذا التعبير الذي هو أولى ما يوفى عبارة النص . — لا يمكن ألا تكون — يعني أنها واجبة . — المنقلبات الدورية — ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

٣٥ — المتقدم... المتأخر — الأمثلة التالية تبين معنى هاتين الكلمتين . — بيت ... أساس — يكاد يكون هذا المثل هو عين المثل الذي ضرب في الطبيعة ك ٢ ب ٩ ف ٢ ص ٦٢ من ترجحي لتبيان الفكرة عنها . — ملاط — عبارة النص بالضبط "الحما" . — إلا إذا كان البيت نفسه — ليس النص على هذه الصراحة . — فالبيت يكون أيضا — ولكن فقط لأنه هو نفسه واجب وليس البتة لأنه يجب ضرورة أن يكون النتيجة للأساس . — المتأخر — إنما هو هنا البيت . — المتقدم — إنما هو الأساس الموضوع ليحمل البناء . الأساس ضروري للبيت ولكن البيت ليس ضروريا للأساس .

§ ٤ — وإذا كان حينئذ المتأخر واجبا لزم أن يكون المتقدم واجبا كذلك . وإذا كان المتقدم واجبا وكان المتأخر واجبا مثله فذلك ليس بسببه أية طريقة ما بل فقط لأنه كان المفترض وجوب المتأخر نفسه . وعلى هذا إذا فانه حيثما كان المتأخر واجبا كان التكافؤ . ودأما حينئذ متى كان المتقدم فواجب أن المتأخر يكون في دوره .

§ ٥ — إذا سار التعاقب إلى اللانهاية نازلا من درجة إلى درجة فمن ثم لا يكون واجبا أن المتأخر يكون مطلقا . ولكن حتى هذا لا يكون واجبا بحسب الفرض الموضوع آنفا لأنه سيوجد دائما شئ آخر يتقدم بالضرورة على المتأخر . وهذا الشئ الآخر يجب أن يكون بالضرورة أيضا . وبالنتيجة كما أنه لا يوجد مبدأ ممكن للانهاية فلن يوجد كذلك حد أول عامل على أن الأخير يجب أن يكون بالضرورة . § ٦ — ولكن حتى في الأشياء التي لها حد منته لا يصدق القول بأنه يوجد وجوب لأن تكون الكائنات على الإطلاق . مثال ذلك أن البيت قد كان

§ ٤ — مثله — زدت هذا اللفظ . — بسببه — فإليت ليس واجبا أصلا بالنظر إلى الأساس في حين أن الأساس واجب بالنظر إلى البيت . — كان المفترض — إنما هو بالفرض الصرف أن البيت واجب ولكنه ليس كذلك بالنظر إلى المواد التي تأسس عليها . — كان التكافؤ — يعنى أن الأول ضرورى للثاني بقدر ما يكون الثانى للأول .

§ ٥ — التعاقب — العبارة الإغريقية غير محددة . — إلى اللانهاية — يفترض الشراح أن المقصود التناسل على خط مستقيم متناهما أو غير متناه عوضا عن تناسل دائرى راجع على نفسه كتولد العناصر . — نازلا من — درجة إلى درجة — عبارة النص هي بالبساطة : ” نحو تحت “ . — بحسب الفرض الموضوع آنفا — ليس النص على هذا القدر من التحديد . ويمكن ترجمته هكذا : ” هذا لا يكون واجبا حتى على طريق الفرض “ . — لأنه سيوجد دائما — يعنى قبل الحد الأخير المفروض أنه واجب توجد سلسلة حدود متقدمة وهي لأنها غير متناهية لا يمكنها أن تنفذ . ومع ذلك فان كل هذه الفقرة غامضة قليلا ويظهر أن فيلوپون يشكو من غموضها . — عامل على أن الأخير — النص ليس على هذا القدر من الضبط ، ففي اللانهاية لا يوجد حد أول ولا حد آخر إذ لا أول لها كما لا آخر لها .

§ ٦ — التي لها حد منته — أو ” آخر “ . — لأن . . . الكائنات — عبارة النص غير محددة .

لأن الأساس قد كان . لأنه إذا البيت كان من غير وجوب وجود دائم بالضرورة فينتج منه أن ما يمكن ألا يكون دائما يكون دائما . ولكن شيئا لا يمكن أن يكون دائما من حيث كونه إلا إذا كان هذا الكون واجبا لأن الواجب والأزلى يتمشيان معا . فما يكون وجوبا لا يمكن ألا يكون . وعلى هذا إذا كان وجوبا فهو بذلك نفسه أزلى . وإذا كان أزليا فهو واجب الوجود وكذلك الحال أيضا إذا كان كون الشيء واجبا فهذا الكون هو أزلى أيضا وما دام أزليا فهو واجب الوجود على سواء .

§ ٧ - وإذا كان إذا الكون المطلق لشيء هو واجبا لزم ضرورة أن يكون هذا الكون دائريا ويرجع على نفسه لأنه يلزم مطلقا إما أن للكون حدا أو أن ليس له حد . فان لم يكن له لزم أن يقع على خط مستقيم أو على دائرة . ولكنه ليكون أزليا محال أن يكون على خط مستقيم لأنه حينئذ لا يكون له ابتداء لا من تحت كما نرى أخذنا بالأشياء التي ستكون ولا من فوق إذا أخذنا بالأشياء التي قد كانت . ولكنه يلزم ضرورة ابتداء للكون من غير أن يكون محدودا وأنه يجب أن يكون أزليا .

- لأنه إذا البيت كان - تابعت بالضبط أسلوب النص . ولكن ليس جيد البيان وفيه معان وسطاء محذوفة سببت الغموض . واليك شرحا يجلو غامض هذه الفقرة : "حتى في الأشياء التي لها آثر معين ليس من الضروري دائما أن يتبع المتأخر المتقدم مثال ذلك أساس البيت يمكن أن يعمل دون أن يعمل البيت ضرورة بعده مع أن الأساس ضروري للبيت . لأنه إذا كَوّن البيت من غير أن يكون مع ذلك واجبا فينتج منه أن شيئا ممكنا انقطع عن أن يكون ممكنا ليصير واجبا" . - ما يمكن ألا يكون دائما - يعني ما هو ممكن . - الواجب والأزلى يتمشيان معا - أو "الواجب هو في آن واحد أزلى أيضا" .

§ ٧ - دائريا ويرجع على نفسه - هذا أحد المبادئ المهمة المقررة في كتاب الطبيعة ك ٨ ب ١٣ و ١٤ ص ٥٥١ وما بعدها . فان الحركة الدائرية هي الوحيدة التي يمكن أن تكون أزلية . - للكون - أو التناسل . - لا من تحت ... ولا من فوق . - ر . ما سبق ف ه "من تحت" يدل على السلسلة النازلة فانه يسار مما هو كائن لأجل افتراض كل تعاقب الكائنات . "من فوق" يدل على السلسلة الصاعدة ما دام أنه يسار مما هو كائن للصعود الى ما قد كان . فلا يوجد إذا ابتداء لا من إحدى الجهتين ولا من الأخرى والسلسلة غير متناهية في الجهتين لأن الخط المستقيم يمتد على امتداد غير متناه . - يلزم ضرورة ابتداء - هذا يظهر أنه يناقض آراء أرسطو المعروفة على أزلية العالم وزد على ذلك أنه ليس للدائرة ابتداء بالمعنى الخاص . - للكون ... الكون - النص ليس على هذا القدر من الضبط .

فيوجد إذا ضرورة لأن يكون الكون دائريا . وعلى هذا النحو أن التكافؤ أو الرجوع يكون واجبا . ومثلا لو أن شيئا كائن بالواجب لكان المتقدم على هذا الشيء هو واجبا أيضا وإذا كان هذا المتقدم واجبا يلزم وجوبا أيضا أن المتأخر يكون . وهالك إذا اتصالا أزليا حقيقيا لأنه لا يهم أن يقع الاتصال بين وسيطين أو عدة وسطاء . على هذا فالوجوب المطلق لا يوجد إلا في الحركة وفي الكون الدائري . ومتى وجدت الدائرة فكل شيء يكون أو كان بالواجب . وكذلك إذا وجد وجوب فالكون يقع دائريا .

§ ٨ — كل هذا الترتيب هو غاية في المعقول . ومادام قد بين أيضا في موطن آخر أن الحركة الدائرية هي أزلية كما هي الحال في حركة السماء فبديهي أن كل ذلك يقع وسيقع بالواجب وأن كل الحركات التي تتصل بتلك والتي تنتجها هي واجبة مثلها . لأنه إذا كان الجسم الذي يقبل أزليا الحركة الدائرية يوصلها إلى جسم آخر فينتج منه أن حركة هذه الأجسام الأخر يجب أن تكون دائرية أيضا . ومثلا لما أن النقلة تحصل بطريقة ما في الأفلاك العليا فيلزم أن الشمس تتحرك بالطريقة عينها . ومتى كان هذا هكذا بالنسبة إلى الشمس فلفصول بهذه العلة مجرى دائري وترجع دوريا . ومادامت كل هذه الظواهر العظمى تقع بهذه الطريقة فكل الظواهر السفلى تحصل بالانتظام عينه .

— التكافؤ أو الرجوع — ليس في الأصل إلا كلمة واحدة . — اتصالا أزليا حقيقيا — ليس في الأصل إلا وصف واحد . — وسطاء — التعبير الإغريقي غير محدد بالمرّة لذلك لم أكن أكثر منه ضبطا .

§ ٨ — هو غاية في المعقول — اعترف دائما أرسطو بنظام الطبيعة العجيب من غير أن يجعل مع ذلك لمشية الله وعنايته الإلهية دخلا مباشرا . — قد بين أيضا في موطن آخر — في الكتاب الثامن من الطبيعة كما يقول فيلو بون . — الجسم الذي يقبل أزليا الحركة الدائرية — هذا هو المتحرك الأول يعني السماء أو جزء العالم الأبعد عن الأرض . — بطريقة ما — زدت هذه العبارة لتقام الفكرة . — هذه الظواهر العظمى — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — بالانتظام عينه — ليس النص على هذا القدر من الضبط .

٩§ — ولكن حينما توجد أشياء نتحقق بالفعل على هذا النحو ومثلا حينما الماء والهواء يكون لهما هذه الحركة الدائرية ما دام أنه لأجل تكوين السحاب يلزم أن تكون قد أمطرت ولأجل أن تمطر يجب أن يوجد السحاب فكيف يحصل أن الناس والحيوانات لا تعود هي أيضا على نفسها بحيث إن الشخص نفسه يظهر مرة أخرى ؟ لأنه من أن أباك قد كان، لا ينتج ضرورة أنك كان يجب أن تكون . والذي هو ضروري فقط إنما هو أنه إذا كنت فيلزم أن أباك قد كان . والعلة في ذلك هي أنه إنما هذا تناسل يقع على خط مستقيم .

١٠§ — غير أن مبدأ البحث الذي نتصدى اليه ها هنا سيكون أيضا أن نتساءل عما إذا كانت كل الأشياء تعود أيضا إلى أعيانها أو لا تعود وعما إذا كان حقا أن بعضها يعود بالعدد وبالشخص في حين أن الأخر لا تعود إلا بالنوع . بالنسبة لجميع الأشياء التي يمكنك جوهرها غير قابل للفساد في الحركة التي يلقاها من البين أنها تبقى دائما عدديا متماثلة ما دام أن الحركة تطابق حينئذ المتحرك . ولكن كل الأشياء التي على ضد ذلك جوهرها قابل للفساد فانها يجب ضرورة أن تتم هذه

٩§ — لهما هذه الحركة الدائرية — والمتكافئة بحيث إن احدهما تولد الأخرى . — لأجل تكوين السحاب يلزم أن تكون قد أمطرت — ر . الميتورولوجيا ك ١ ب ٦ ص ٥٤ وما بعدها من ترجمتي . — والعلة في ذلك هي — ليس النص على هذا القدر من التحديد . — تناسل — أو كون .

١٠§ — مبدأ — يظهر أن هذا أولى به أن يكون الملخص والمنتم ما دام أن هذه المناقشة هي آخر هذا الكتاب . — بالعدد وبالشخص — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — لا تعود إلا بالنوع — يعني أن الشخص يتغير كمن الأب إلى الابن وأن النوع يبقى هو عينه في الكائنين اللذين يخلف أحدهما الآخر . — بالنسبة لجميع الأشياء — جواب على السؤال الموضوع آنفا . — عدديا متماثلة — وعلى ذلك فالشمس هي دائما بعينها كما نبه اليه فيلويون . فان جوهرها غير قابل للفساد ولا تتغير في الحركات القائمة بها . — الحركة تطابق — عبارة النص بالضبط هي : ” الحركة تتبع المتحرك ” . وهذه العبارة ليست جلية وفيلويون لم يفسرها . وأظن أنه يريد أن يقول إن الحركة هي أزلية وغير قابلة للفساد كالجسم الذي تحل به .

الرَّجْعِي لا عدديا بل فقط بالنوع وعلى هذا النحو أن الماء يأتي من الهواء وأن الهواء يأتي من الماء، يأتي هو في نوعه لكن لا هو ذاته عدديا . غير أنه إذا كان من الأشياء ما ترجع عدديا أيضا بأعيانها فليست البتة هي التي جوهرها هو بحيث إنه يمكن ألا يكون .

تم كتاب كون الأشياء وفسادها

— لا عدديا — يعني لأن الشخص يبقى هو ما هو . — بالنوع — كما يرى هذا من الأب إلى الابن . فان الأب يهلك ولكن النوع يبقى منقولا منه إلى الكائن الذي ولده . — ذاته عدديا — وشخصيا فان الهواء بالنوع مشابه للهواء المتقدم الذي دثر . ولكنه ليس هو هو عينه . — هو بحيث إنه يمكن ألا يكون — يعني أنه ممكن وليس واجبا . ويلاحظ أن نظرية الأبد الأزل لبعض الأجسام وللا أنواع ارتقاء وعظمة جدية بالكتاب السابع من ما وراء الطبيعة والكتاب الثامن من الطبيعة . وهذا إنما هو أيضا نقض جديد لمذهب المصادفة والاتفاق الذي طعن فيه أرسطو دائما . ر . مقدمتنا للطبيعة لأرسطو ص ٩٣ و ١٠٣ وما بعدها من المجلد الأول . ومقدمة كتاب السماء ص ٩٤ وما بعدها .

تحقيق

على

الكتاب الموسوم

”في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غرغياس“

لترجمة هذا الكتاب الصغير اعتمدت على طبعة ف. ج. ١٠. ملاخ المنشورة سنة ١٨٤٦ والمنقولة في مجموعة فيرمين ديدو الإغريقية^(١). وهذه الطبعة جيدة قد أعادت الى سيرته الأولى بطريقة توشك أن تكون نهائية كتابا مهما جدا على ما فيه من نقص. وقد استعان ملاخ لإصلاح النص فوق أعمال من تقدمه نسخة مخطوطة من مكتبة ليزج العمومية يظهر أنها أضبط النسخ التي وصلت إلينا. وهذه المخطوطة كان قد استعانها بعض الشيء أولياريوس وهو يعمل لمجموعة فيريسيوس الإغريقية (طبعة هارلس ج ٣ ص ٢٨٤). ولم تبدئ البحوث الأدخل في باب الحد والنفع إلا على يد فلبورن الذي نشر سنة ١٧٨٩ شرحه المسمى :

“Liber de Xenophane, Zenone et Gorgia, Aristoteli vulgu tributus, passim illustratus”.

(1) Aristotelis de Melisso, Xenophane et Gorgia disputationes, cum Eleaticorum philosophorum Fragmentis et Ocelli Lucani qui fertur de universi naturâ libello, conjunctim edidit, recensuit, interpretatus est Frid. Guil. Aug. Müllach, Berolini, 1846, XXX – 210. Bibliothèque grecque de Firmu Didot. Fragmenta philosophorum Graecorum. pages 270 et suiv.

وبعد أربع سنين هذا ج . ل . إسبلنج حذو فلبورن في بحثه مدرسة
ميجار فابرز الجزء الأول من الكتاب " في أكسينوفان وزينون و غريغاس ^(١) ".
وكان بين يدي إسبلنج مخطوطة ليزج استخرج منها عدة إصلاحات وبهذه
المساعدة تسنى له أن نشر نصا محسنا جدا وقرن به تعليقات ممتعة على الفقرات الأشد
غموضا، ولكنه لم يقرن به ترجمة . وإنما كان الحديد في هذا التحقيق هو أن
إسبلنج كان يجعل الجزء الأول من الكتاب مخصوصا بمذاهب ميليسوس وكان
يثبت براهين قاطعة أن اسم ميليسوس كان يجب أن يستبدل باسم زينون . وقد قبل
من يومئذ رأى إسبلنج هذا وإني لذا كر الآن السبب الذي يوجب قبوله .

ولم يستطيع إسبلنج مع فخصه مخطوطة ليزج مقابلتها بطريقة مضبوطة تماما
واعتمد على الأخص على الإصلاح الخفيف الذي عمله فيها أوليار يوس . غير
أن كر . دان . بك مغير جامعة ليزج الشهير الذي كان قد يتر بحوث إسبلنج
قد أخذ على عاتقه إتمام تلك البحوث فنشر في السنة عينها كل الروايات المختلفة
في تلك المخطوطة الثمينة على هذا الكتاب وعلى بعض مؤلفات أخرى لأرسطو ^(٢) .
وهذه النسخة المطبوعة التي اعتد بها مللاخ فضل اعتداد لم تكن ، فيما يظهر ، لتقدّر
بل لم تكن لتعرف عند علماء اللغة الذين اشتغلوا بعد ذلك إما بأمر مدرسة إيليا
على العموم وإما على الخصوص بالكتاب الخاص الذي فيه فخصت مذاهب

(1) "Commentarius in primam partem libelli de Xenophane, Zenone et Gorgia, praemissis Vindiciis philosophorum Megaricorum, Berolini, 1793, 8°. XIV - 83.

وكان اسبلنج يتبع طبعة اسلبورج في أكثر كتابه .

(2) Solemnia Doctorum philosophiae et magistrorum artium
a. d. XIV febr. M D CCXCIII antiquo ritu creandorum indicit Chr.
Dan. Beckius. Praemissa est varietas lectionis libellorum Aristoteli-
corum e codice Lip siensi diligenter enotata.

وإن دانيال بك من الرجال الذين قد أعطوا في الثلث الأول من هذا القرن (التاسع عشر) في الدراسات
الفلسفية في ألمانيا نهضتها القوية .

إكسينوفان وميليسوس. فالمجمع العلمى ببرلين مثلاً لم ينتفع بها فى طبعته حق الانتفاع حتى إن ملاخ قد أظهر الأسف لهذا الإهمال الذى كان اتقاؤه ميسوراً^(١).

فى سنة ١٨٤٣ أى بعد اثنتى عشرة سنة قد سَدَّ تيودور برج بعض هذا النقص فاعتمد على روايات بك ووضع شرحاً أمتع من كل ما تقدّمه من الشروح^(٢). ومع أن هذا العمل قد كان موضع المدح والاستحسان فإنه لم يثن ملاخ عن إعادة النظر من جديد فنشر، بعد عمل برج بثلاث سنين، الطبعة والشرح اللذين ذكرتهما آنفاً. غير أن ملاخ وإسبلنج لم يترجما الكتاب مع أن ترجمة كتاب مثل هذا مخروم أشدّ ضرورة من ترجمة غيره. فظلت خير ترجمة لاتينية هى ترجمة جان برناردان فيليشيانو المعلم فى البندقية سنة ١٥٥٢ ولكن مع أن هذه المخطوطة التى ترجمت قليلة التحريف فإنه كان من الممكن أيضاً بل من النافع تصحيحها وضبطها وقد نقلت فى طبعة المجمع العلمى فى برلين.

تلك هى الأعمال التى تناولت الكتاب على ميليسوس وإكسينوفان وغير غياس حتى الآن. وإنه لينبغى أن يضم إليها تحقيق "م. هنرى إدوارد فوس" على غير غياس^(٣) الليونتيومى إذ أنه نشر فيه، من غير ترجمة النص، الجزء الذى يتعلق على الأخص بغرياس، أى الباب الخامس والسادس من هذا الكتاب الذى ترجمه، وذيله بتفسير. وبعد هذه التفاصيل اللغوية يلزمنا الكلام على الكتاب ذاته: فى أية حال وصل إلينا؟ ومن هو مؤلفه على المشهور؟ وما هى قيمته الذاتية؟

(١) ظهرت طبعة أرسطو العامة التى أنجزها بكر وبرانديس تحت رعاية المجمع العلمى ببرلين سنة ١٨٣١

(2) Regiae universitati litterarum Frederico - Alexandrinae D. XXIII mensis Augusti MDCCCXLIII sacra saecularia prima agent gratulatur academia Marburgensis. Praemissa est Theodori Bergkii commentatio de Aristotelis libello Xenophane, Zenone, et Gorgia, Marburgi, 1843.

(3) De Gorgia leontino commentatio, interpositus est Aristotelis de Gorgia liber emendatus editus ab. H. Ed. Foss, Halis Saxonum, 1828, 8°, IV - 186. Le traité sur Gorgias et le commentaire sont pages 110 et suivantes.

فأولا ما هو العنوان الذى يجب أن يعنون به هذا الكتاب الصغير ؟ عند القدماء جميعا تقريبا وعند المتأخرين إلى بحوث إسبلنج كان عنوانه المجمع عليه على العموم هو : " فى إكسينوفان وفى زينون وفى غريغاس " . أو بحسب مخطوطة ليزج " فى زينون وفى إكسينوفان وفى غريغاس " فإن إسبلنج بتقريره شواهد " سمپليسيوس " العديدة من تحاليل هذا الكتاب أبان بطريقة لا تحتل النقض أن المقصود فى الجزء الأول هو ميليسوس لا إكسينوفان فانه فى شرحه الممتع على كتاب الطبيعة لأرسطو قد نقل فقرات تامة من ميليسوس على الموجود أو الطبيعة . وهى مشابهة حتى فى ألفاظها فى بعض المواطن كل المشابهة للتفاصيل المستورة فى هذا الكتاب الذى ترجمه . فلما وضع إسبلنج هذه المواقفات بعضها قبالة البعض الآخر وقارن بينها وجها لوجه لم يعد بعد فى الإمكان إنكار أن ميليسوس هو الفيلسوف المتكلم عنه فى البابين الأولين .

الى هذا الدليل الذى يكفى وحده فى إثبات المطلوب ينضم دليل آخر وهو أنه فى فهرس " ديوجين اللايرثى " (ك ٥ و ١ وف ٢٥ طبعة فرمين ديدو ص ١١٦) ذكر صريح لكتاب أرسطو على مذاهب ميليسوس . وهذا الذ كر ليس مفردا بل يؤكد ديوجين أن أرسطو قد نقد أيضا آراء زينون وكذلك قد بحث بحثا خاصا فى مذاهب أتباع فيثاغورث وأرخيتاس وسپوسيب وإكزينوقراط ... الخ .

وفهرس ميناش المجهول واضعه يؤيد شهادة ديوجين اللايرثى وإنه ليدكر أيضا بحوث أرسطو فى مذهبي ميليسوس وغريغاس . وما من شئ أقرب الى الاحتمال من أن يكون أرسطو قد اشتغل بمذاهب ميليسوس إذ أن ما بين أيدينا من كتبه يدلنا على شدة اضطلاعه بجميع الفلسفات المتقدمة على فلسفته . وهويذكر ميليسوس غالبا . وإننا إذا كرون أكثر من مرة ماذا قاله عنه وعن إكسينوفان سواء فى علم الطبيعة أو فى علم ما بعد الطبيعة أو فى غيرها .

وعلى هذا فالحق فى جاب " إسبلنج " فى أن الجزء الأول من هذا الكتاب يتعلق بميليسوس .

ربما تتساءل كيف كان لهذا الشك سبيل الى هذه النسبة . إذا كان أرسطو ينتقد ميليسوس أو فيلسوفا آخر بعينه فيكون واجبا عليه فيما يظهر أن يسميه باسمه إذ لا مسوغ لهذا الإبهام الذي لا يفسر . ولكنه لسوء الطالع لم يفعل ، بل قنع في هذه الكتب بأن يقول دائماً : "هو" دون أن يعين اسماً مرجعاً لهذا الضمير . ولا سبيل الى معرفة من هو المعنى بالنقد إلا تعترف صاحب المذهب المنقود من مذهبه نفسه . وعلى ذلك فإن هذا الكتاب إنما كتب بغير عناية في شكله الظاهر على الأقل وإن مؤلفه أيا كان قد أخطأ في أنه لم يكن مبيناً حتى لقد احتيج الى فطنة الفلاسفة المتأخرين لسد هذا النقص الذي ربما لا يكون منشؤه إلا خطأ ناسخ .

وإن ما أقوله هنا عن ميليسوس يوشك أن يكون منطبقاً على إكسينوفان أيضاً . فانه ليس مسمى كذلك في الجزء الثاني من الكتاب ولكنه مع ذلك لا سبيل الى الشك في أمره لأن مذاهبه معروفة أكثر من مذاهب ميليسوس . فنسبة ما يقال هنا اليه لا يتطرق اليها الخطأ .

إن هذا اليقين ينسحب من باب أولى على غرياس الذي هو غير مسمى أيضاً في أول الجزء الثالث (ب ٥ و ٦) الذي يخصه ولكن براهينه قد نقلت اليها على يد سكستوس أمپيريكوس (adversus mathimaticos evlogicos) ك ٧ ج ٢ ص ٢٨٥ طبعة سنة ١٨٤٢ ج ١ ص ١٣٤) وإنها تماثل على الإطلاق البراهين التي تراها في هذا الكتاب .

من هذا أستنتج أن العنوان النهائي الذي يجب أن يحمله هذا الكتاب هو "في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غرياس" فان هذا العنوان يتفق تماماً وما يحويه الكتاب ، وقد أحسن ملاح في اتخاذه . ومنذ الآن لا يمكن إلا اتخاذ هذه الصيغة عنواناً لهذا الكتاب كما فعل ملاح . أما أنا فاني لم أتردد لحظة في اتخاذه . وفي الحق إنه ليقى أن تعيين "زينون" في عنوانات النسخ المخطوطة لا مسوغ له . غير أني سأحاول فيما يلي مقتفياً أثر ملاح اكتشاف المصدر الذي يمكن أن

يكون صدر عنه هذا التعيين . والآن أسوق القول الى ما كنا بصددده من حيث العنوان لنفرغ منه .

قد راجع بيكر مخطوطتين معنوتين بعنوانين يخالفان العنوان العادى مغفلا فيهما ذكر الأسماء الأعلام . فالعنوان فيهما بالبساطة هو : ” كتاب أرسطو على المذاهب “ أو : ” كتاب أرسطو على مذاهب الفلاسفة “ فالعنوان الأول هو لمخطوطة في مكتبة سنت مارك في البندقية q . والثانى لمخطوطة في الفاتيكان Ba بحسب تعريف بيكر . واختلاف هاتين الروايتين مهم من حيث افتراض أن الشكوك كانت متسلسلة حتى في الأزمان القديمة إلى صحة العنوان المشهور . ومن المحتمل أنهم لم يكونوا ليتعرفوا إكسينوفان وزينوف في الجزء الأول والثانى (ب ١ و ٢ و ٣ و ٤) . وتلقاء هذا الغموض استحبوا عدم التعيين . فقد كان وسمهم الكتاب بأنه ” على المذاهب الفلسفية “ لا مسئولية فيه لأنه هو مع ذلك على سعته صحيح إن لم يكن مضبوطا . وما كنت لأتخذ هذا الوسم دون غيره ولكنه يلزم أن يقام له وزن ولذلك ذكرته .

أما وقد تحدد العنوان وبيّن على هذه الصورة فمن هو مؤلف الكتاب ؟ أرسطو هو أم هو آخر ؟ .

مخطوطة في الفاتيكان مرقومة Rⁿ طبعة برلين تنسب هذا الكتاب إلى تيوفراست أو على الأقل هي تدرجه ضمن كتب أخرى كلها لتلميذ أرسطو وخليفته . وإن ما يجعل لهذا الفرض محلا من الشبه بالحق والثقة هو أن سمبليسيوس في شرحه على كتاب الطبيعة (الورقة 6A) يستشهد بفقرة من تيوفراست فيها ينقل هذا المؤلف عن إكسينوفان آراء مطابقة تمام المطابقة لما نقرؤه في هذا الكتاب . ولا شك في أن هذين السبيين هما الحاملان م . برنديس في ” تاريخه للفلسفة الإغريقية واللاتينية “ (جزء ١ ص ٣٥٨) على أن يسحب هذا الكتاب من أرسطو ليردّه إلى تيوفراست . ولكن هذا التغيير لم يحل محل القبول من ذوق علماء اللغة ولو أنه صادر

عن حكم لا يقل عنهم في العلم ولا في الخلق ، فقد صرح م . تيودور برج أن هذا الكتاب على رأيه ليس أحق بتيوفراسط منه بأستاذه .

وإني هنا على رأى ملاحظ وأرى كما يرى أن ذلك تجاوز أبعد جدا مما ينبغي . وقد نهت الساعة أن هذا الكتاب لا يمكن ليكتب بالعناية المطلوبة مادام الفلاسفة الذين تتقدفيه مذاهبهم ليسوا معينين بأسمائهم ولكن في مجموع تأليف أرسطو كما نقلته إلينا القرون كم من غلطات من هذا النوع ، وكم من إهمال في التحرير ، وكم من قطع لم تتم ، وكم من صحف مشوشة حتى في أجمل كتبه مثل " ما بعد الطبيعة " مثلا ! على أن الأسباب التي حملت أرسطو على أن يترك كل مخطوطاته في حالة نقص معروفة . فانه لم يكد ينشر شيئا مدة حياته . ولم يكن إلا حين ناهزت سنه الخمسين عول على إظهار شيء من تعاليمه . فلما فوجئ بالحركة الموجهة ضد المقدونيين بعد وفاة الإسكندر واضطر الى هجرة آتينا على عجل مشردا منفيا لم يسكن إلى محل طمأنينة أن عاجلته المنون لا تعرف كيف كانت ولكن المعروف أنها كانت مية عيفة في سن الثانية والستين . فجمع تيوفراسط كل ما كان تركه أستاذه من الأعمال والأوراق ، ولم ينشر منها شيئا هو نفسه أيضا فيما يظهر . وبقية الحكاية معروفة فإن العالم الغربي لم يكد يعرف مؤلفات أرسطو إلا حينما جرى بها من آتينا بعناية « سلا » فرتبت بطريقة حسنت أو ساءت بعناية « أندرونيكوس الرودسي » . وقد يكون من الغريب أن مخطوطات أهملها المؤلف بحكم الضرورة وأهملها خليفته الأول هي أحسن نظاما في الترتيب من غيرها . فإن التشويش أو بالأولى النقص في كتيبنا هذا لا يطعن فيه . بل إني قائل إن هذا الكتاب على ما وجدناه عليه ليس فيه من عدم النظام والخرم مثل ما في مؤلفات أرسطو التي لا شك في صحة نسبتها إليه . بل قد يكون هذا الكتاب أبعد عن سوء التأليف فإن الأجزاء الثلاثة التي يتألف منها متميز بعضها عن بعض ومتابعة من غير خلط ، وعرض المذاهب المتقدمة فيه هو من الوضوح والتنسيق بمكان . وإذا كان لم يتقبل على العموم بقبول حسن فذلك لأن طابعه الأولين قد شوّهوه بأغلاط شتى تلافتها من بعد ذلك عناية المتأخرين

وحذقهم حتى لم يبق منها شيء . وإني ألفت إلى هذا نظر القارئ الفطن الذي يريد فحص هذا الكتاب الصغير لأن يأخذ بالطبعة التي أصلحها ملاح و بترجمتي هذه . ومهما يكن هذا الكتاب ” في ميليسوس وإكسينوفان و غريغياس “ ظنينا في نسبته إلى أرسطو فإنه لا شيء فيه يبعده عن مدرسة المشائين الملاصقة عهدا بأرسطو . وإني لألقي القياد إلى رأى ملاح الذي يميل إلى اعتبار هذا الكتاب خلاصة من مؤلفات أرسطو التي ذكرها ديوجين اللايرثي كما ذكرناه آنفا . وقد تكون هذه الخلاصة من وضع بعض المشائين ، كما يحتمل أن يكون تيوفراسط قد اقتبس كذلك من مؤلفات أرسطو ما رواه عن إكسينوفان كما يذكره لنا سيمبليسيوس . وإن في مؤلفات أرسطو لخلاصات من هذا القبيل . والشاهد على ذلك أسلوب ” علم الأخلاق الكبير “ وأسلوب ” علم الأخلاق إلى أوديم “ فانهما ليسا إلا تحاليل ممتعة كثيرا أو قليلا لكتابه ” علم الأخلاق إلى نيقوماخوس “ . ولقد أستطيع أن أستنتج أنه إن كان هذا الكتاب ليس من عمل أرسطو ولا من عمل تيوفراسط فهو على أقل ما يكون من زمان لا يبعد كثيرا عن زمانهما . وهذا وحده يكفي في أن يجعل له أهمية إنكارها محال .

ولقد تأخذ بي القيمة العالية لما يحويه هذا الكتاب بالنظر إلى تحريره فضلا عن أن ميليسوس وإكسينوفان و غريغياس رجال ثلاثة كبار لا يمكن لتاريخ الفلسفة أن يهمل تذكارهم . ولو أنهم هنا لم يرتبوا على مقتضى الترتيب الزماني فإن هذا لا ينقص قيمة القول فيهم . ولن تجد في أي كتاب آخر قولاً على ثلاثة الفلاسفة المذكورين مستفيضا كما في هذا الكتاب ولا شك في أنه يرغب في أزيد من ذلك ، ولكن هذه المقاطيع هي كل ما لدينا عن مجموع مذاهبهم ، والشكر علينا واجب لمن حفظ الكتاب على هذه الصورة . فإن مدرسة إيليا على رغم أغلاطها بالغة غاية المجد وإنه إلى جانب آرائها الدقيقة الخافية في وحدة الوجود ولا تحركه فن المشوق الاستماع إلى نظرياتها السامية العميقة على وجود الله وقدرته الكلية . وبهذه المثابة فإن إكسينوفان الذي يعتبر مؤسس مدرسة إيليا رجل كبير المقام وإنه قد تنبأ قبل

سقراط وأفلاطون بنبوءات خليفة بهما . وميليسوس وان لم يكن في مستوى إكسينوفان يستحق على الأقل ألا ينسى . وأما غريغياس فهما كان سفسطائيا فهو لا يحط مطلقا قدر الطائفة التي يضعونه فيها ، وفي الحق حسبنا أن نذكر أن أفلاطون وضع تحت هذا الاسم الشهير واحدة من أجمل محاوراته .

ولكن كيف في النقد الموجه لمدرسة إيليا ومذاهب أهلها يغفل المؤلف أمر زينون ؟ كان اسم زينون في عنوان الكتاب في أكثر النسخ المخطوطة فلماذا لم يكن له وجود في صلب الكتاب ؟ من أين هذا الإغفال وهذا النقص ؟ يرى ملاح بحق أن هذا الكتاب الذي ليس له الآن إلا ثلاثة أجزاء كان يجب أن يكون فيما سبق مؤلفا من أربعة أجزاء ، وأن نقد زينون كان يجب أن يتلو نقد إكسينوفان . وهذا الفرض مقبول وقد يستنتج طبعاً من أن أرسطو قد فحص مذاهب زينون كما فحص مذاهب الفلاسفة الثلاثة الآخرين . ويؤيد ملاح هذه القرينة بفقرة في هذا الكتاب (ب ٥ ف ٣) حيث ذكر فيها اسم زينون عقب اسم ميليسوس بالصراحة . وإلى هذه الفقرة يمكن أن يضاف أيضاً فقرتان تكادان تكونان في المعنى عينه (ب ٦ ف ٩ و ١٠) . وهكذا دون أن نخرج من هذا الكتاب الصغير يمكننا أن نجد براهين تكفي للقول بأنه كان لهذا الكتاب جزء رابع أفرد القول فيه على زينون ولكنه غير موجود الآن . وهذا الجزء كان يأتي في الترتيب عقب الجزء الخاص بإكسينوفان .

وفوق ذلك فإن في الفقرة الأولى من الباب الثاني يرى أن ميليسوس مسمى ومقتربا من إكسينوفان الذي لا يحى فحص مذهبه إلا بعد فحص مذهب ميليسوس . فيظهر من المحقق إذا أن غرض مؤلف هذا الكتاب الصغير أن يدرس ميليسوس قبل إكسينوفان . كذلك يوجد هذا الترتيب في فهرس ديوجين اللايرثي . فإن كتاب أرسطو على ميليسوس مقدم على كتبه على غريغياس وإكسينوفان وزينون . ولكنه لو روعي الترتيب الزمني كما كان يجب أن يعمل لكان إكسينوفان هو الأول وزينون الثاني وميليسوس الثالث وغريغياس الأخير . لا ينبغي أن يعلق على هذه المسائل من حيث الترتيب الزمني أهمية كبرى . ولكن تعاقب المذاهب لا يجوز فهمه اذا

خلطت العصور من غير ترتيب وإنما ينفع الفلسفة ذاتها أن يتخرج في ترتيب عصورها بالتسلسل على قدر الامكان .

يوشك ألا يكون من الأهمية بمكان ذكر أن يكون أرسطو هو الذى أخطأ في الترتيب اذا كان هو مؤلف الكتاب أو أن مختصره هو الذى ارتكب هذا الخطأ فإنى تارك الى جانب مسألة الترتيب التى هى مادية محضة لأقول بعض كلمات على الفلاسفة الثلاثة المذكورين فى كتابنا هذا .

اشتهر إكسينوفان بأنه كان رئيسا لمدرسة إيليا وهذا هو المجد الذى يسند عادة إليه وإن كان أفلاطون فى الفقرة الوحيدة التى ذكر فيها إكسينوفان يشير ، فيما يظهر ، إلى أن مدرسة إيليا أقدم منه (السفسطائى ص ٢٤١ من ترجمة كوزان - و ص ١١٩ ب ٤٤ من الطبعة الإغريقية فى تورينو سنة ١٨٣٩) . لما نفى إكسينوفان من وطنه كولوفون إلى يونيا آسيا الصغرى يظهر أنه هاجر إلى صقلية واحتفى فيها بمدينة زنكل ثم بقطننة ، ثم ذهب إلى إيليا التى كان قد أسسها حديثا الفوكيون سنة ٥٣٦ قبل الميلاد على شواطئ إغريقيا الكبرى وعلى بحر طرهينيا ، وأنشأ فيها هو نفسه هذه المدرسة التى اشتهرت بها تلك المدينة الجديدة . ولا يدري أمات بها أم رجع إلى كولوفون . والظاهر أنه عمر طويلا متى سلم بصحة مانقل لنا من بعض أبيات يقول فيها : ^(١) إن سنه أربت على الثانية والتسعين . وفى الحق أن هذه الأبيات يمكن أن تفسر بمعنى آخر تدل به على أن إكسينوفان كانت سنه وقتئذ سبعة وستين عاما وأن الحوادث التى قيل فيها الشعر حصلت حين لم يبلغ عمره إلا خمسة وعشرين ، فانه يقول : " اذا صح أنى أستطيع الكلام على هذه الأشياء بصورة مضبوطة " . يقول ديوجين اللايرثى : إنه ظهرت آثاره نحو السادسة والستين أولمبية يعنى نحو السنة ٥٤٠ وبفرض أنه كانت سنه فى هذا الحين ٤٥ أو ٥٠ سنة فيكون ميلاده متأخرا قليلا عما يفترض له إذ يقال : إنه ولد سنة ٦١٧ قبل الميلاد .

(١) ديوجين اللايرثى ك ٩ ب ٢ ص ٢٣٤ طبعة فيرمين ديدو .

وإن ما يحمل على الظن بأن ميلاد إكسينوفان يجب أن يكون أقرب من ذلك هو أنه استشهد بفيثاغورث^(١) الذى ربما قبل آراءه فى التناسخ . ولقد نعلم بشهادة شيشيرون الصريحة (الجمهورية ك ٢ ب ١٥) أن فيثاغورث لم يأت سيباريس وقروطون إلا فى سنة ٦٢ أولمبية أى السنة الرابعة من حكم طرخان العظيم أعنى سنة ٥٣٠ أفىكون من المحتمل أن إكسينوفان تكلم عن فيثاغورث وهو حى بما تكلم به . وحينئذ ألا يلزم عليه أن يُنزل بالعصر الذى عاش فيه و بميلاده الى أنزل من ذلك . واليك هذه الأبيات :

« لما رأى ذات يوم كلبا يضربه بالسوط صاحبه »

« أخذته الشفقة بهذا الكائن الشقي »

« فقال : لا تضرب تلك هى روح صديق »

« تعزفته بسماع صراخه »

وقد زاد ديوجين اللايرثى الذى روى هذه الأبيات فى ترجمة فيثاغورث — فى موضع آخر أن إكسينوفان كان يحارب مذهب حكيم ساموس ومذاهب طاليس وإييمينيد كما أنه كان ينقد بحدة ما كان يصور به هيزيود وهو ميروس الآلهة وشهواتهم ونقائصهم . وقد كان إكسينوفان يودع أفكاره القصائد والحماسيات التى كان يقرضها . بل قد يكون محتملا أنه كان يرتق على دأب ”رهبسود“ بإنشاد قصائده ليطرب السامعين ويستجدى سخاءهم .

وإذا كان إكسينوفان قد طعن فى آراء طاليس وفيثاغورث وإييمينيد فيجب أن يكون متأخرا عنهم وليس محالا أن يكون قد عاش الى زمن الحرب الأولى الميدية (سنة ٤٩٠ قبل المسيح) .

(١) ديوجين اللايرثى ك ٨ ب ٨ ص ٢١٣ طبعة ديدو .

(٢) ديوجين اللايرثى ك ١١ ب ٢ ص ٢٣١ طبعة ديدو .

وهناك واقعة قد لا يستطاع الشك فيها مادام أرسطو يشهد لها (الميتافيزيقا ك ١ ص ١٤٦ ترجمة كوزان) . وهى أن پرمينيد كان تلميذ إكسينوفان . وعلى هذه النقطة كل القدماء على وفاق . غير أننا نعلم يقينا من أفلاطون (تيتيتس ص ١٥٤ — والسفسطائى ص ١٦٤ ترجمة كوزان) أنه حينما جاء پرمينيد آتينا مع زينون كانت سنة ٦٥ سنة (الپرمينيد ص ٦ ترجمة كوزان و ص ٧٥١ طبعة طورينو ١٨٣٩) . وبفرض أن سقراط كان حديث السن عند حوار پرمينيد المنقول لنا فى المحاوره المشهورة بهذا الاسم ولم يكن عمره إلا عشرين سنة ، فإن هذا يتقلنا الى سنة ٤٥٠ قبل الميلاد . وعلى هذا الفرض يكون پرمينيد قد ولد فى سنة ٥١٥ و ليتلقى العلم على إكسينوفان يلزم أن يكون هذا الأخير قد مات فى نحو العهد الذى ذكرناه آنفا .

غير أنى تارك مرة أخرى هذه المجادلات التاريخية لأقف^(١) برهة عند آراء إكسينوفان الفلسفية التى لها فى نظرى أهمية أخرى . ولئن كان فيما يتعلق به نقطة جمع عليها فإنما هى أن أفكاره فى الآلهة ، بل يمكن أن يقال أفكاره فى الله ، كانت أصح وأرقى من أفكار معاصريه . وهذا الكتاب الذى ترجمه يكفى وحده فى إثبات هذه الدعوى ، غير أن الشواهد على ذلك متواترة أكثرها جوهرية شاهد إكسينوفان نفسه . ولم تتخدع المسيحية فى أمره فان كليمان السكندرى (استروماتس ك ٥ ص ٦٠١) يثنى على فيلسوف كولوفون بأنه نزه الله تعالى عن التجسد وبأنه قال :

” واحد قدير على كل شئ ملك الأشدين قوة فالله لا يشبهنا لا بالعقل “

” ولا بالجسم وإن الناس بتصويرهم الآلهة على صورتهم يسندون إليهم أفكارهم “

” وأصواتهم ووجوههم “ .

ويروى كليمان السكندرى فوق ذلك أبيانا أخرى تكرر هذه الفكرة عينها فى قالب آخر ، وفيها يقول إكسينوفان :

(١) ر . التحقيق الخاص لفكتور كوزان فى الجزء الأول من القطع الفلسفية .

”إذا كان للثيران والأسود أيّد تصوّر كما يصوّر الناس لأعطت الآلهة التي“
 ”تصوّرها أجساما أشبه بأجسامها، ولكانت الخيل تصوّروهم بصور خيل والثيران“
 تصوّروهم بصورة ثيران“ .

منذ إكسينوفان قلدت هذه الأبيات التي هي غاية في الحق ألف مرة. وليكلا
 يصوّر الناس الله على صورتهم حين يحاولون تصوّره اضطروا أن يكفوا على
 الاطلاق عن تمثيله كما يهدى اليه بعض الديانات المتشددة الى الغاية .

بعد أبيات إكسينوفان يمكن الاستظهار بشهادة أرسطو في مؤلفاته الأخرى
 غير هذا الكتاب الذي ترجمه مثل ما في الخطابة : (ك ٢ ب ٢٣) حيث ينقل
 أنه على رأى إكسينوفان أن ”من الإلحاد الاعتقاد بولادة الآلهة وبموتهم لأنه على
 كل واحد من الوجهين تقع برهة لا يكون للآلهة وجود“ . وفي موضع آخر بعد
 هذا بقليل يروى أرسطو جواب إكسينوفان على أهل إيليا الذين كانوا يسألونه :
 ”أيجب عليهم أن يقتربوا قربانا إلى ”لوقوتوا“ ويحاربوا بالنواح عليها؟ فقال لهم :
 ”إذا صح في نظركم أنها آلهة فلا ينبغي أن تبكوها . فإن لم تكن إلا هالكة فلا ينبغي
 أن تقترب لها القرابين“ . يسند بلوطرخس أيضا إلى إكسينوفان فكرة مماثلة
 لهذه فيها أن المخاطبين هم المصريون عوضا عن أهل إيليا ، وأوزيريس عوضا
 عن عذراء لوقوتوا ص ٤٦٣ وأما طريوس ص ٩٣٣ طبعة فرمين ديدو
 ”إيزيد وأوزيريد“ .

من هذه الأفكار السامية الحقّة في حق الله تفهّم علة حتق إكسينوفان على
 الشعراء الذين كانوا يحطون من الجلالة القدسية والذين هم كهوميروس وهيزيود
 لا يجمعون عن أن يسندوا إلى الآلهة كل ما يحط من الشرف في نظر الناس
 كالسرقة والزنا والكذب والغدر (سكستوس أمپيريكوس بيرون هيموتيب .
 ك ا ب ٣٣ ص ٩٩ طبعة ١٨٤٢ . Adversus Mathem. Physicos) ك ٩
 ص ٦١٢ . (Grammaticos) ك ١ ص ١١٢) .

وفي موضع آخر تكلم أرسطو أيضا على آراء إكسينوفان هذه. وفي كتابه "الشعر" ذكر أن الفيلسوف كان يطعن في المعاني التي يتصورها العامة في حق الآلهة (ر. الشعر ٢٥ ف ١١ ص ١٤٢ من ترجمى).

وأخيرا ذكر أرسطو إكسينوفان أيضا فيما بعد الطبيعة (ك ١ ب ٤ ص ١٤٦ ترجمة كوزان سنة ١٨٣٨).

وفي هذا الموضع الأخير لم يحفل أرسطو بنظريات إكسينوفان على الوحدة التي خاطها بالله فلم يرف في هذه النظريات ما ينبغى من الضبط من حيث إن هذه الوحدة ليست عقلية كوحدة پرمينيد ولا مادية كوحدة ميليسوس. بل يزيد على ذلك أيضا أن أفكار إكسينوفان في هذه النقطة أفكار جافية كأفكار ميليسوس الذي لا يفرق بينه وبينه.

ها نحن أولاء قد أتينا على كل ما وجد في أرسطو تقريبا على إكسينوفان. ولكن تلك الفقرة المذكورة في "ما بعد الطبيعة" عظيمة الأهمية من حيث إنها ترينا رأى أرسطو في أن مذاهب ميليسوس ليست بعيدة عن مذاهب إكسينوفان. وذلك يدلنا على حكمة الجمع بينهما في كتاب واحد إذا كان أرسطو هو مؤلف هذا الكتاب وإن لم يكن فكيف تنسئ لمؤلف آخر أن يجمع بينهما دون أن يقرب بينهما قسرا. غير أنه كان يلزم مراعاة للترتيب الزماني أن يتكلم على ميليسوس بعد إكسينوفان. ولكن ربما كان هذا مجرد خطأ مادي في الوضع سببه إهمال نساخ. ولما أنه ليس بين الجزأين الخاصين بإكسينوفان وميليسوس ارتباط ضروري، فليس في التشويش مستنكر ولا مستعصى عن الفهم.

أما ميليسوس الذي نضعه في الصف الثاني سواء في الأهمية والترتيب الزماني فإنه رجل يسترعى الاهتمام وإن كان أقل رفعة من سابقه. قد ولد في ساموس كفيثاغورث وتبوأ فيها مركزا عظيما ودافع عن وطنه بمهارة وشجاعة عند ما حاصره الآثينيون قبل حرب پيلوپونيز بخمس عشرة سنة. ولقد نجح ميليسوس في كسر الحصار واتخذ لقومه منه مخرجاً قادهم به حتى أتلف أعمال الحصار ووصل الى

أسطول الأعداء وخرّب به كله تقريبا . كل ذلك في غيبة بيريكليس الذى كان قد غادر الحصار لملاقاة السفن الفينيقية الآتية لنصرة مدينة ساموس . فأمكن المدينة أن تحصل على ما نقصها بالحصار من التموين وذلك بفضل النصر الذى أحرزه ميليسوس . ولكن الدائرة قد دارت على أهل ساموس حين رجع بيريكليس من غيبته فانهزم ميليسوس في حرب برية واضطرت المدينة الى التسليم على شروط أقسى ما تكون . لم يذكر طوسيديد الذى روى هذه الوقائع (ك ١ ب ١١٦) ميليسوس ، غير أن بلوطرخس ذكره في ترجمة بيريكليس (ب ٢٦ ف ٣ ص ١٩٩ من طبعة فيرمين ديدو) على صورة لا تحتل الشك ؛ لأنه يقول بالصراحة : إن ميليسوس بن إيتاجين كان فيلسوفا . وزاد على ذلك بلوطرخس نقلا عن أرسطو من غير أن يبين موضع النقل : أن ميليسوس كان قد هزم قبل ذلك بيريكليس في واقعة بحرية أخرى . وذلك إنما يعطى من مقدرة ميليسوس الحربية فكرة أسمى .

ومهما يكن من الأمر فإن من المحقق أن ميليسوس كان به تحت ثياب الفيلسوف وطنى وسياسى وقائد بحرى ورجل حرب . وذلك من الندرة في تاريخ الفلسفة بحيث يجب علينا التنبيه اليه كما فعل بلوطرخس (باب ٣٢ ص ١٣٧٧ طبعة فيرمين ديدو *Adversus Coloten*) . ولما أن ساموس قد سامها الآتينيون صنوف القسوة فن المظنون أن ميليسوس ذلك الوطنى الغيور والذى كان له حظ عظيم في مقاومة الفاتحين لم يشأ أن يبقى تحت الحكم الآتينى وأنه هاجر في هذا الظرف العسير . وكان ذلك في الأولمبية الرابعة والثمانين أى السنة ٤٤١ قبل الميلاد . وهذا التاريخ مضبوط ومتفق تماما مع شهادة أبلودور التى نقلها الينا ديوجين اللايرثى (ك ٩ ب ٤ ص ٢٣٣ طبعة فيرمين ديدو) .

كذلك لا يرى لماذا لم يمكن أن يكون ميليسوس تلميذا لبرميند كما يقوله أيضا ديوجين اللايرثى . فإن التواريخ لا تقف دون ذلك . ولما أن ميليسوس هو من أتباع مدرسة إيليا فيمكن بسهولة أن يكون تلقى مذهبها من خليفة إكسينوفان . ولقد قرن أرسطومرات عديدة ذكر برميند بذكر ميليسوس في كتاب الطبيعة (ك ١

ب ٢ ف ١ و ٥ ص ٤٣٣ و ٤٣٦ من ترجمتى) ليفندهما جميعا فى نظرية وحدة الموجود ولا تحركه . كذلك فعل أفلاطون فى كتابه "تيميت" (ترجمة كوزان ص ١٤٤) . وإن هذا على التأكيد لا يكفى لإثبات أنه كان بين الفيلسوفين علاقة أستاذ وتلميذ، غير أن هذه التقاريب لا تنفى هذا الظن الكثير الاحتمال فى شىء (ر . أيضا الطبيعة ك ١ ب ٣ ف ٩ و ب ٤ ف ١) . وفى ما بعد الطبيعة فى الفقرة التى استشهدنا بها آنفا اسم ميليسوس مقترن باسم پرمينيد . وكذلك فى كتاب السماء (ك ٣ ب ١ ف ٢ ص ٢٢٣ من ترجمتى) . ومن ذلك أستنتج أن دعوى ديوجين اللايرثى مهما كانت فريدة لا ترفض بهذا الازدراء الذى لاقت من بعض مؤرخى الفلسفة . فان ميليسوس لما هاجر إلى إيليا فى إغريقيا الكبرى يمكن جيدا أنه قد سمع دروس پرمينيد الذى استمىلىق دروس إكسينوفان .

وعلى جملة من القول لا يعرف شىء عن حياته ؛ ولكن من العدل أن يفترض أن نهايتها كانت مطابقة لبدايتها .

كان كتاب ميليسوس موسوما "فى الوجود" بل ربما كان موسوما "فى الطبيعة" عنوان شائع جد الشيوخ عند أكثر فلاسفة تلك الأزمان القديمة وإذ الطبيعة فى مجموعها هى موضوع درسهم حتى يتبها لهم تحليل مفصل ما كان ليؤسس إلا على مشاهدات أكثر عددا . نحن نعرف مؤلف ميليسوس هذا بالمختصر الموجود فى هذا الكتاب الذى ترجمه وبالشواهد التى نقلها سمپليسيوس فى شرحه على الطبيعة لأرسطو إما لأنه كان بين يديه النسخة الأصلية لكتاب ميليسوس وإما ، وهو الأرجح ، لأنه لم يكن لديه إلا ملخصات تيوفراسط الذى يستشهد به . لا أريد أن أختصر أنا أيضا تلك المختصرات المختلفة ولكنى أقنع بأن أحيل على قطع ميليسوس التى سوف نذكرها بعد أخذنا عن إسبلنج ومللاخ . وفيها يرى مذهب الفيلسوف السموسى ، على ما وصل إلينا بالأقل . وزيادة على ذلك يرى لماذا كان كتابنا الصغير أمينا على المؤلف الذى يعترفه للناس فى حين أنه ينقض مذهبه ! .

بعد إكسينوفان وميليسوس لا أقول شيئا عن زينون ما دام كتابنا لا يتكلم عنه وإن ذكره الوارد في عناوين بعض المخطوطات يجب أن يعتبر كسهو . فيبقى غريغاس الذى يجب أن يكون كلامنا عليه موجزا جدا لأنه معروف أكثر ولأنه لا يكاد يكون إلا سفسطائيا^(١) .

ولد غريغاس فى ليونتيوم بصقلية نحو الواحدة والسبعين أولمبية وبلغ من الكبر مبلغا عظيما حتى لقد بلغ على ما يظهر الثامنة والتسعين أولمبية أعنى أنه لم يمت إلا فى سن الثامنة أو التاسعة بعد المائة كما يقول كل كتاب الزمن القديم بالإجماع . ولا يعرف عن حياته العملية تفاصيل طويلة . أما عائلته فالظاهر أنها كانت ، فيما يظهر ، عائلة ممتازة وكان أخوه "هيروديكوس" ، الذى لا ينبغي أن يلتبس بهيروديكوس السلمبرى ، طبيبا حاذقا (ر . غريغاس لأفلاطون ص ١٨٥ و ٢٠٩ ترجمة كوزان) . وهذا يدل فيما يظهر على أنه كان فى سعة من العيش وعلى جانب عظيم من الثقافة العقلية . وأما غريغاس فانه اجتهد على الأخص فى الخطابة وكانت فنا مخترا حديثا وقتئذ حصل منه على اسم كبير فى صقلية وأفاد من تعليمه إياه فوائد أكبر . ولا شك فى أن قدرته الخطابية هى التى أكسبته ثقة مواطنيه إذ استنجدوا آتينا ضد سيراقوزة والمدائن الأخرى الدورية . فبعثوا غريغاس يطلب مساعدة الجمهورية ويظهر أن التاريخ المضبوط لسفارته هذه هو السنة الثانية للأولمبياد الثامنة والثمانين أى سنة ٤٢٧ قبل الميلاد . ويظهر أن سقراط الذى رآه بلا شك لم يكن ليستين بفصاحته التى كثر اللفظ بشأنها فى آتينا وصارت مصدر ثروة لهذا المعلم الحسن البيان (ر . هياس لأفلاطون ص ١٠٠ ترجمة كوزان) . ولقد ظن أن أرسطوفان فى روايته المضحكة عن الطيور كان يريد أن يستهزئ بغريغاس لأنه كان يرى أسلوبه متفخا وغير طبيعى .

(١) ر . التحقيق الخاص (H. E. Foss, Halis Saxonum , in 8^o, 1828)

منذ هذه السفارة المشهورة التي ربما أتبعها غريغاس بالعودة ثانية إلى آتينا بل بالاقامة فيها لم يعرف حياته العملية أثر آخر . وكل ما يعلم عنه أنه في آخر حياته أقام في تساليا حيث استمع إليه "إيزوقراط" وأنه عاش زمنا طويلا في لاريسا أثرى مدن تلك الجهة بسبب نفوذ عائلة الألويين . ولئن رجعنا إلى كلمة طيبة رواها أرسطو (السياسة ك ٣ ب ٩ ص ١٢٧ من ترجمتي طبعة ثانية) لوجدنا أن غريغاس لم يكن عظيم الاحترام لوطنية اللارسيين ولا يعلم أن هذا السفسطائي الشهير قد مات بين ظهراني هؤلاء . ومع أنه صار من الثروة على جانب عظيم ومن الزهو بحيث إنه وضع لنفسه تمثالا من الذهب في معبد دلفوس فإنه كما يقال كان على بقية من قناعة تضرب بها الأمثال . ويقال : إن نقشفه المتناهي هو الذي أطال عمره إلى ذلك الحد . ويزعم لوسيان خبثا منه بلا شك أن غريغاس لما ملّ الحياة ترك نفسه يموت جوعا (Macrobioi ب ٢٣ ص ٦٤٣ طبعة فيرمين ديدو) .

ولم يكن مشرفا مركز غريغاس في المحاورة التي وضعها أفلاطون وسماها بأسمه . ففيها يبين له سقراط أن فن الخطابة الذي يزعمه ليس فنا كما يزعم وضيق عليه في المناقشة حتى بهت بأن جعله يقع في التناقض المبين وألجأه إلى تبرير الظلم والقسوة . وساء دفاع غريغاس عن دعواه الخسارة غير أنه كان يسبغ عليه من القصد وحسن الذوق ما لم يكن ليولوس وعلى الأخص قليقليس اللذين يسوقان المعاني التي لا يجيدان فهمها سوقا إلى النهاية . وينصبان نفسيهما أشياعا عميا للقوة على الحق وللشر على الخير وللضلال على الهدى . ولقد يتعرف من دهاء غريغاس خلقه العام الذي يسند إليه بل ربما كان إلى هذا الدهاء أيضا ينسب تأثير مركزه السياسي أيضا فإنه لم يكن في بلده ويجب عليه أن يدارى الآتينيين الذين كان ينتظر منهم نصرته ووطنه ، يداريهم حتى في المناقشات النظرية البحتة .

وأما كتاب غريغاس فكان عنوانه "في الوجود أو في الطبيعة" ولا يعلم ماذا كان يحوى على العموم ولكنه يرى على قدر الكفاية من كتيبنا هذا ماذا كانت

فكرته العامة . في الواقع إنما هي لا أدريّة مطلقة . وفي هذه النقطة لا محل للتردد في الحكم فإن سكستوس أمبيريكوس الذى يظهر أنه كان بين يديه نسخة غريغياس نفسها قد نقل إلينا كما بيناه آنفا تحليلا مطابقا تمام المطابقة لما سنجدّه هنا (ك٧ ص ٢٨٥ — ٢٩٠ طبعة ١٨٤٢ Adversus Mathematicos, Logicos).

وإنه ليضع غريغياس في صف الفلاسفة الذين يآبون على الإنسان أية ملكة للحكم على حقيقة الأشياء وينكرون إمكان الاهتداء لذلك . وما ذلك إلا مذهب فقير يحوى في نفسه كما في كل لا أدريّة مطلقة تناقضا ليس منه محيص . ولما ترزعزع الإيمان بالمنطق ترزعزع بالأخلاق على السواء فلا عجب أن يكون سقراط قد أقام حربا عوانا على السفسطائيين الذين يفسدون العقول والأخلاق .

يظهر أن كتاب غريغياس الذى في عنوانه وحده ازدراء بالذوق العام قد ألف أو ظهر في الأولمبية الرابعة والتسعين أعنى سنة ٤٠٣ قبل الميلاد . وكان ذلك في آخر حرب بيلوبونيز وكان الطرف سيئا للتنازع في حقيقة الأشياء إذ كانت إغريقا كلها تعاني من الشرور ما لاشبهة فيه . ومتى يمكن أن تكون اللا أدريّة في وقت مناسب؟ لقد كان ذلك لأربع سنين قبل الحكم على سقراط إذ نشأت ضلالة أخرى كان يمكن للأدري أن يسخر منها كما يسخر من هزيمة آتينا في نزاعها مع هذا الحكيم جزاء له على ما كاله لها من صنوف التهم . ومع ذلك فإن غريغياس في شيخوخته الطويلة قد عاش بعد سقراط وهجر أيضا آتينا إلى بلاد أقل منها قرى فيها لم تكن لا أدريته لتعزيه بعض الشيء عن نفيه .

ولكى تقدّر فكرة غريغياس تقديرا تاما قد أثبتت قطعة سكستوس أمبيريكوس . فن السهل مقارنتها بكتيبنا هذا الذى لها به ارتباط بين .

يجب أن يرى بناء على كل ما تقدّم أن كتابنا الصغير مهما كان فيه من النقص والعيوب والغموض حتى بعد البحوث التى تناولته لا يزال على جانب من الأهمية . وحين كان النص مملوءا بالأغلاط كان يمكن إهماله واعتباره غير معقول تقريبا فأما

منذ ملاحق فقد أصبح هذا الازدراء لا محل له وأنا من جهتي دون أن أكون مرتاحا تماما لا أجد أن هذا الكتاب أكثر غموضا من كثير من الكتب الأخرى في مؤلفات أرسطو . مع الإصلاحات التي تناولته والتي هي مقبولة جد القبول لأن أكثرها قام الدليل على صحته من المخطوطات التي درست خير دراسة ، مع هذه الإصلاحات يقف القارئ جيدا على ما أراده المؤلف وإن أسلوبه لمن البيان على قدر المطلوب . فان لم تكن هذه الرسالة التي ليست بعد كل شيء إلا مجموع مذكرات إن لم تكن من قلم أرسطو فانها ليست غير خليقة بأن تنسب اليه كما قد ظن ذلك زمانا طويلا . وعلى الأخص فليست قليلة الفائدة من حيث تاريخ الفلسفة . وبهذا العنوان وعلى هذا الاعتبار يستوصى بها كل أصدقاء الفلسفة القديمة .

أما فيما يتعلق بموضوع المذاهب وبمركز مدرسة إيليا فقد قلت بعض كلمات في مقدمتي على هذا المجلد . وتصديت لأن أبين في هذا البحث أن الفلسفة الإغريقية جادتنا المحترمة كانت نشأت باجتماع ظروف سعيدة قبل الميلاد بستة قرون في المستعمرات التي أسست على شواطئ آسيا الصغرى . وقد أعلنت هذا الحادث كواحد من أعظم تواريخ العقل البشرى . وعينت الحوادث السياسية الكبرى التي في وسطها نتجت هذه النتيجة . واستخلصت من هذه اللوحة مهما كان موضعها من قلة الكمال نتائج قد تكون أوسع من إطارها . ألا إنما في تلك البيئة يجب أن نحل فلاسفتنا لفهمهم جد الفهم ولنقدر حق قدرها تلك القيمة السامية لهؤلاء الأساتذة معلمى الحكمة القديمة والذين مهدوا لنا فلاسفتنا الحالية والذين لا يزالون يشجعونا حتى على هذا البعد الشاسع .

في

ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غريغياس

مذاهب ميليسوس

الباب الأول

الموجود هو أزلي غير متناه واحد ولا متحرك — أركان الوحدة ونتائجها — الاختلاط — ظاهر الأشياء هو ضد الوحدة — الحذر الذي ينبغي أخذه من شهادة الحواس — ردود على نظرية الوحدة وعلى اللاأدرية — الآراء المضادة لهذا المذهب — شواهد من هيزيود وبعض فلاسفة آخرين .

§ ١ — هو يقرر أنه إن يكن من شيء فذلك الشيء يجب أن يكون أزلياً مادام أنه — على رأيه — من المحال أبداً أن يتولد شيء من لا شيء . وسواء أكان في الواقع أن الكل قد خلق أم أن الكل لم يكن يخلق فيلزم على ذلك في الفرضين أن الأشياء التي خلقت تكون أخرجت من لا شيء مادام أنه ما من واحد من جميع

ب ١ — مذاهب ميليسوس — زدت هذا العنوان الذي ليس في الأصل الإغريقي . ر . ما سبق في التحقيق الذي أجريناه على هذا العنوان وعلى نسبة المذاهب التي يشملها البابان الأولان إلى ميليسوس .
§ ١ — هو يقرر — حفظت عبارة النص على إبهامها . وقد كان يحسن أن يسمى الفيلسوف بالتصريح . ومع العنوان الذي سمحت لنفسى بوضعه لهذا الباب يذهب الشك في الشخص المقصود . ولكنني لم أسمح لنفسى بأن أدخل هذه الزيادة على النص نفسه في أول جملة وفي بدء هذه الرسالة . وأما في غضون الأبواب فقد زدت اسم ميليسوس مرات عدة كما فعلت بالنسبة لإكسينوفان وغريغياس ، وفيما يتعلق بالإسناد إلى ميليسوس ر . ما سياتي ب ٤ ف ١ — إن يكن من شيء — ر . ما سوف يلي من قطع ميليسوس القطعة الأولى . — على رأيه — زدت هذه العبارة لأؤدّي قوة النص الإغريقي . — أم أن الكل لم يكن يخلق — وأنه لم يكن إلا عدد ما من الأشياء كان قد خلق . — في الفرضين — النص ليس على هذا القدر من الصراحة .

الأشياء التي تكونت على هذا النحو كان يوجد من قبل . § ٢ — وأنه اذا قيل إن من الأشياء ما كان موجودا من قبل ومنها ما جاء بعد ذلك لينضم اليه نتج من ذلك أن الكل الذي هو واحد قد زاد بالعدد وبالكَم . وهذا نفسه الذي به يصير أكثر عددا وأكبر يجب أن يأتي أولا من لا شيء لأن الأكثر لا يمكن أن يكون في الأقل ولا الأكبر في الأصغر .

§ ٣ — ومتى كان الكل أزليا يجب أن يكون بهذا عينه لا متناهيا لأنه لا يكون هناك مبدأ يأتي منه كما أنه لا يكون له آخر متى بلغه انتهى . وكل لا متناه يجب ضرورة أن يكون واحدا لأنه اذا وجد عدة لا متناهيات بل لا متناهيات اثنان حدّد بعضها بعضا على التكافؤ . § ٤ — ولما كان واحدا وجب أن يكون متشابهها في جميع أجزائه لأنه اذا كان غير متشابه فهذا وحده لا يكون بعدّ واحدا . ولما لم يكن واحدا كان كثرة . ولما كان الواحد أزليا لا قابلا لأن يقاس متشابهها في جميع أجزائه وجب أن يكون غير متحرك لأنه لا يمكن أن يتحرك إلا في شيء ينطلق أمامه ولكن الانطلاق لا يمكن أن يكون إلا للذهاب في المِلء أو في الخلق . فمن جهة المِلء لا يمكن بعدّ أن يقبل شيئا ومن جهة أخرى انخلو نفسه ليس شيئا .

— التي تكونت على هذا النحو — والتي هي بالنتيجة ليست أزلية .

§ ٢ — أن الكل الذي هو واحد — عبارة النص هي بالبساطة "الواحد" . — بالعدد وبالكَم — عبارة النص : "يصير متعددا وأعظم" .

§ ٣ — كان الكل أزليا — ر . ما سوف يجيء في قطع ميليسوس القطعتين ٢ و ٣ . — بهذا عينه لا متناهيا — يكاد يكون ذلك تكرارا لأن الأزلى ليس الا اللامتناهى في المدة . — حدّد بعضها بعضا على التكافؤ — تلك هي العبارات عنها التي ينقلها سمبليسيوس . ر . ما سوف يجيء من قطع ميليسوس القطعتين ٣ و ١٠ .

§ ٤ — وجب أن يكون متشابهها في جميع أجزائه — راجع قطع ميليسوس القطعة ٤ . — وجب أن يكون غير متحرك — راجع القطعة ٤ . — في شيء ينطلق أمامه — راجع القطعة ٥ من قطع ميليسوس . — انخلو نفسه ليس شيئا — راجع القطعة الآتية الذكر .

§ ٥ — لما كان الواحد هو ما قلنا آنفا ينتج من ذلك أنه لا يمكن أن يلحقه تعب ولا ألم ويجب أن يكون سليما و بغير مرض . كما أنه لا يمكن أن يغير وضعه ليتخذ أحسن منه ولا أن يتحول ليأخذ نوعا آخر ولا أن يختلط بشيء آخر . وفي كل هذه الأوضاع الواحد يصير كثرة وإذا يكون الالموجود هو المتولد . والموجود يكون هو الذى قد فسد بالضرورة . § ٦ — وكل هذا محال مطلقا . وفي الحق إذا كان الواحد مقولا على الخليط لأنه تألف من عدة أشياء فيلزم حينئذ أن يكون مسبوقا بوجود عدة أشياء وأن هذه الأشياء تكون قد تحركت بعضها نحو الأخرى . وليس الاختلاط في الواقع إلا تركب عدة أشياء في شيء واحد أو إنما هو تجمع بين الأشياء المختلطة عن طريق التصنيف . وعلى هذا النحو قد تختلط الأشياء لأنها تفصل بعضها عن الأخرى . ولما أن هذا الجمع يحصل في سحق الأشياء فقد يجب أن يوجد جليا كل واحد منها برفع الأشياء الأولى التي اختلطت باقترابها بعضها من بعض . وليس توجد واحدة من هاتين الحالتين .

§ ٧ — وهكذا على هذه الطريقة تكون الأشياء ، على رأى ميليسوس ، متكثرة ولا تظهر لنا البتة بوحدة ، وبالنتيجة لما أنه ليس ممكنا أن يكون الحال هكذا على هذا الوجه وأنه لا يمكن أن تكون الأشياء متكثرة فيلزم القول بأن هذا ليس إلا ظاهرا

§ ٥ — لا يمكن أن يلحقه تعب ولا ألم — يمكن أن تحمل هذه العبارة على المادى أو على المعنوى على السواء . القطعة ٤ من قطع ميليسوس . — سليما و بغير مرض — ربما كانت هذه المعانى أضيق مما ينبغي وفيها يعتبر الواحد كما لو كان جسا إنسانيا . القطعة ١١ . — هو المتولد — هذه هي عبارة النص الإغريق بالضبط .

§ ٦ — إذا كان الواحد مقولا على الخليط — ر . على نظرية الاختلاط ما سبق في كتاب الكون والفساد ك ١ ب ١٠ . — التصنيف — يظهر أن الكلمة التي يستخدمها النص هنا كانت خاصة بلهجة الابدريانيين . ر . تفسير سمبليسيوس على كتاب السماء الورقة ١٥١ . — لأنها تفصل — أو يمكن أن تفصل . ومن المحتمل أن يكون لفظ فصل هاهنا مأخوذا على معنى تمييز . — في سحق الأشياء — هذه هي عبارة النص وإن لم تكن مضبوطة تماما .

§ ٧ — على رأى ميليسوس — زدت هذه العبارة لأحصل النص في كل قوته . — ليس الا ظاهرا خداعا — تلك هي لا أدريه مدرسة إيليا التي بآياتها العقل أكثر مما ينبغي لم تبق للحواس ما يتناسب

خدّاعا كما أنه مع ذلك يوجد كثير من الأشياء تخدع حواسنا وتغزها ولكن العقل يؤكد لنا أن تلك الأشياء ليست موجودة، بل هو يؤكد لنا أن الموجود لا يمكن أن يكون كثرة وأنه واحد أزل لا متناه متشابه في جميع أجزائه .

§ ٨ — وحينئذ هل تكون عنايتنا الأولى بعدم قبول كل ظاهر وألا نشق منه إلا بما هو الأحق ؟ ولكن إذا كان كل ما يظهر لنا أنه حق ليس صحيحا ولا يستحق على ذلك تصديقنا فقد نحسن صنعا بعدم قبول هذه القاعدة أيضا : أنه لا شيء البتة يمكن أن يأتي من لا شيء لأنه ربما كان هذا أيضا واحدا من تلك الآراء القليلة الصديق والكثيرة العدد التي نحن جميعا قد تصوّرناها بواسطة إدراكات قليلة الصديق أو كثيرته .

§ ٩ — ولكن إذا كانت كل إدراكاتنا ليست فاسدة وإذا كان بعض آحادها صحيحا فيلزم أن يختار إما الرأي الذي قام الدليل على صحته وإما الآراء التي تظهر أنها

معها ر . فيما سوف يجيء شيئا من هذه المعاني في القطعة ١٧ من قطع ميليسوس . — العقل يؤكد لنا — إذا طبق هذا في حق الله فالنظرية لا جدال فيها فوحدايته بديهية في حكم العقل كانهية وكامل قدرته . ولكن ذلك لا يمنع تكثر الكائنات بأشخاصها ويلزم العقل التسليم به من غير أن يستطيع مع ذلك أن يفسره . § ٨ — هل تكون عنايتنا — صيغة الإثبات هنا أولى فيما يظهر ولكنني اضطرت إلى اتباع النص . وهذا الممر هو أتم ما تركه لنا الأقدمون على نمط مدرسة إيليا ومنطقها . — كل ظاهر — أو كل ما يظهر لعقلنا لأن المراد هنا ليس هو الظاهر الحسى . — ليس صحيحا ولا يستحق على ذلك تصديقنا — ليس النص على هذا القدر من السعة . — بعدم قبول هذه القاعدة أيضا — الأمر على الضد من ذلك فإن مدرسة إيليا قد قبلت هذه القاعدة كل القبول واتخذتها أساسا لنظر يأتها على الأزلية ووحدة الموجود . — قليلة الصديق — ليس النص على هذا القدر من التعيين ، ولكنه على التحقيق يشمل هذا المعنى .

§ ٩ — كل إدراكاتنا ليست فاسدة — في هذا التحفظ شرف عظيم لمدرسة إيليا ويجب اعتباره والاعتداد به . فإن السفسطائيين وعلى الخصوص فروطاغوراس قد ذهبوا بعيدا في المعنى المضاد بأن قرروا أن الإنسان هو معيار الكل وقد جرهم هذا الإفراط إلى لا أدريّة غريغياس المطلقة . ر . فيما يلي الباب الخامس والسادس من هذا الكتاب وتحليل مذهب غريغياس الذي قام به سكستوس أمبيريكوس . — إما الرأي الذي قام الدليل على صحته — مبدأ جميل قد كرره فيما بعد أفلاطون وديكارت بصورة أخرى ليست أشدّ جرما . — التي تظهر أنها أحق — والتي هي غير قابلة للإيضاح وصالحة ، من ثم ، لإيضاح سائر البقية . هذا هو المذهب العظيم لأرسطوطاليس في الأناطوطيقا الثانية . وهذا هو الأساس الذي إليه يستند كل برهان سواء أكان هذا الأساس مكشوفاً أو مخبئاً . ر . ترجمتنا لأناطوطيقا الثانية ، منطق أرسطو ج ٣ ك ١ ب ٢ ص ٩٠ .

أحق . لأن هذه الأخيرة تكون دائماً أمتن من الآراء التي يجب أن يدلل عليها من بعد بمساعدة تلك المبادئ الأولى .

١٠§ — فلنسلم ، إذا شئت ، بأن هذين الرأيين مضادان أحدهما للآخر كما يفترض ميليسوس : بادئ بدء أنه عند تأييد الكثرة يُضطر إلى استخراجها من الوجود . ثم لما كان هذا محالاً وجب أن يُستنتج من ذلك أن الموجودات ليست متكثرة والموجود بما هو موجود فقط هو لا متناه وبما هو لا متناه هو واحد . ١١§ — نزع أن هذين الرأيين لا يثبتان لأحدهما ولا الآخر أن الموجود هو واحد أو أنه كثرة . ولكن إذا كان أحد الاثنين أحق وأمتن فتكون النتائج التي تستنتج منه هي أيضاً أجلي وضوحاً . فإن كان لنا هذان الاعتقادان معاً أن لا شيء يمكن أن يأتي من لا شيء وأن الموجودات هي متكثرة ومتحركة فلما أن هذا الأخير يظهر لنا حقيقة بالثقة فهو أولى من الآخر بتصديق الناس . وبالنتيجة إذا كان هذان الرأيان هما متضادين في الواقع وإذا كان من المحال أن شيئاً يأتي من لا شيء وأن الموجودات متعددة فإن هاتين النظريتين تتباطلان وتتفاسدان على التكافؤ .

— بمساعدة تلك المبادئ الأولى — التي هي في ذاتها غير قابلة للبرهان لأنها بدئية .

١٠§ — كما يفترض ميليسوس — عبارة النص هي فقط « كما يفترضه » ر . ما سبق ف ١ والتحقيق . وهذه الجملة كلها قلقة في ترجمتنا كما هي كذلك في النص الإغريقي . — يضطر إلى استخراجها من الوجود — ر . ما سبق آنفاً ف ١ .

١١§ — نزع — قد لا تكون عبارة النص على هذه الصراحة . — فتكون النتائج التي تستنتج — أو النتائج التي تستخرج منها . على أن من البين أن المبدأ الذي يسار منه بما أنه هو ذاته أمتن فالبرهان الذي ينتج منه هو أمتن أيضاً . — هذان الاعتقادان — العبارة الإغريقية تدل مباشرة على « فرضين وهميين » . — لا شيء يمكن أن يأتي من لا شيء — هذا حق متى طبق على موجودات الطبيعة ولكنه ليس حقاً بهذا المقدار متى طبق في حق الله . وحينما يكون الأمر متعلقاً بالله فيلزم أن يوصل إلى خلق حقيق . — الموجودات هي متكثرة ومتحركة — كما تشهد لنا به حواسنا شهادة غير مجزعة . — هاتين النظريتين تتباطلان — وحينئذ يمكن أن شيئاً ما يأتي من العدم وأن الموجودات هي متحركة .

فعلى رأى هيزيود سائر الأشياء تولد من هذا ولكن المبادئ الأول لم تتولد من شيء . § ١٤ — ومن الفلاسفة من يقولون بأن لاشيء يكون وأن الكل يصير وهم يؤكدون كذلك أن كل الأشياء التى تصير تولد من أشياء غير موجودة . وبالنتيجة يمكن أن يقال إن عند بعض الفلاسفة الصيرورة يمكن أن ننتج حتى من الالموجود .

— لم تولد من شيء — أولى بهذا أن يكون نتيجة مستخرجة من أفكار هيزيود لفكرة من أفكاره الخاصة . § ١٤ — ومن الفلاسفة — كان من الحسن أن يسمى هؤلاء الفلاسفة الآخرين . — بأن لاشيء يكون — أو يوجد . — وأن الكل يصير — قد يكون هذا هو رأى هيرقليطس إذ يظن أن كل الأشياء هى فى مدأ أبدى . — تولد من أشياء غير موجودة — النتيجة بينة بذاتها فيما يظهر وأن ما يصير لم يكن قبل أن يصير . — الصيرورة يمكن أن نخرج حتى من الالموجود — أو أن الأشياء التى تتولد تخرج من أشياء ليست موجودة .

الباب الثاني

تمة تفنيد ميليسوس — ردود على مبدأ أنه ليس شيء يأتي من لا شيء — تولد الأشياء وكونها بعضها من بعض على التكافؤ — نظريات أمبيدقل وأنكساغوراس وديموقريطس وپرمينيد وزينون — شواهد من شعر أمبيدقل وهيزيود — الموجود ليس ضرورة واحدا أزليا ولا متناها .

§ ١ — نحن لا نشتغل ببحث ما اذا كان ما يقوله ممكنا أو ممتنعا . لكن هنا نقطة يجب علينا أن نعيها بعض الالتفات وهي ما إذا كانت مثل تلك النتائج تنتج بلا تخلف من فروضه أو إذا كانت الأشياء يمكن أن تكون ضد ما يعتقد لأنه يمكن في الحق أن يكون الواقع مخالفا تمام المخالفة . § ٢ — فهو يقرر بادئ بدء أن ليس شيء يمكن أن يأتي مما هو ليس موجودا . ولكن يرد عليه هذا السؤال : أمن الضروري إذا أن تكون جميع الأشياء بلا استثناء غير مخلوقة ؟ أو ليس من الممكن أيضا أن تأتي الأشياء بعضها من بعض وأن هذه السلسلة يمكن أن نتمشى إلى ما لا نهاية ؟ أو ليس من الممكن أيضا أن تكون رجعي دائرية بحيث إن الواحد يأتي من الآخر وأنه على ذلك يوجد دائما موجودا وأن كل واحد قد أمكن أن يخرج على هذا النحو من جميع الآخر على التكافؤ في عدد غير متناه من المرات ؟ على هذا المعنى لا شيء

§ ١ — ما اذا كان ما يقوله — ميليسوس وقد حفظت النص على ما فيه من عدم التعيين الشخصي . — بعض الالتفات — وربما يمكن أن يقال "التفاتا جديا" . — من فروضه — أو "المبادئ التي يسلمها" . § ٢ — فهو يقرر بادئ بدء — ليس النص على هذا القدر من الضبط وعبارته عامة وهي ما دام قد تقرر... الخ . — بلا استثناء — زدت هذا القيد لأحصل كل قوة العبارة الإغريقية . — غير مخلوقة — ر . ما سبق في الفقرة الأولى حيث هذا التحفظ . بعض الأشياء هي أزلية وغير مخلوقة والبعض الآخر ليس كذلك . — أن تأتي الأشياء بعضها من بعض — هذا يمكن بلا شك ولكن لا بد بادئ بدء من افتراض وجود بعض أشياء تكون أزلية بالنتيجة . وهذا الاعتراض لا يرد مباشرة على نظرية ميليسوس . — رجعي دائرية — هذا هو ما ذكرنا بعبارة أخرى . ولكن الكون ليكون على التكافؤ يلزم ضرورة أن يكون مسبوقا بوجود ما قد لا يكون أزليا وباقيا . — يوجد دائما موجودا — مؤقت ووسيط ولكن التعاقب مع ذلك هو أزلي إذا لم تكن الموجودات أزلية .

يمنع أن الكل قد خلق وأصير حتى مع التسليم بذلك الفرض أنه ليس شيء يمكن البتة أن يأتي من لا شيء . وبما أن الموجودات على ذلك غير متناهية فيمكن إذاً ، كما يشاؤه ، أن تسمى بجميع الأسماء التي لا تناسب إلا الوحدة لأنه يطبق هو أيضا على اللامتناهي كيفية أنه كل وأنه يسمى كلا .

§ ٣ — حتى من غير أن يفرض أن عدد الموجودات غير متناه يمكن أن يفهم أن كونها دائري . فإذا كان كل يصير وأن لا شيء يوجد كما يزعم بعضهم فكيف يوجد إذاً أشياء أزلية ؟ ولكن ميليسوس يتكلم عن الموجود كأنه كائن وكأنه مسلم به على الإطلاق . فإنه يقول : ” إذا الموجود لم يصرو إذا هو يكون فيلزم أن يكون أزليا “ . وهذا إنما هو تسليم بأن الوجود يتعلق ضرورة بالأشياء . § ٤ — وأكثر من ذلك أنه مع الافتراض ، بقدر ما يراد من الافتراض ، بأن اللا موجود لا يمكن أن يصير وأن الموجود لا يمكن أن ينعدم البتة فما الذي يمنع أيضا أن من الأشياء ما تولد ومنها ما تكون أزلية ؟ تلك إنما هي نظرية أمبيدقل نفسه . فإنه مع أنه مسلم وفقا لرأى ميليسوس بأن من الممتنع أن أى شيء اتفق يخرج مما لم يكن وأنه

— أن الكل قد خلق — في التعاقب لا في البدء . — أنه كل وأنه يسمى كلا — وبعبارة أخرى اللامتناهي هو كل وهذا هو ما يسمى بالكل .

§ ٣ — كونها — بعضها بواسطة البعض الآخر . — دائري — وبالنتيجة على التكافؤ ، فإن الثاني يكون الأول كما أن الأول قد كون الثاني . — كما يزعم بعضهم — هيرقليطس وفروطاغوراس مثلاً . — ولكن ميليسوس — عبارة النص : ” ولكنه “ ر . ما سوف يحى القطعة الأولى وما يليها من قطع ميليسوس . — فإنه يقول — هذه الصيغة تدل على أن القول المروي هو من كلام ميليسوس .

§ ٤ — بأن اللا موجود لا يمكن أن يصير — يعنى أن ما لم يكن لا يمكن أن يكون أبدا . — وأن الموجود لا يمكن أن ينعدم — وأنه أزلي . — من الأشياء — التي هي موجودة أو التي وجدت فيما سبق . — نظرية أمبيدقل — لم يذكر آيات أمبيدقل بنصها ولكن المعنى قد حصل بالضبط ر . قطع أمبيدقل اللبنتين ١٠٢ و ١٠٣ طبعة فيرمين ديدوص ٠٣ — وفقا لرأى ميليسوس — ليس الاسم في النص

لا سبيل مطلقا لأن شيئا وجد مرة يمكن أن ينعدم البتة " ما دام أن الموجود يبقى دائما حيث أمكن وضعه " مع كل هذا لا يزال هذا الفيلسوف يؤيد أن من الأشياء ما هو أزل كالتار والماء والأرض والهواء وأنه إنما من هذه الأشياء أتت وتأتى جميع الآخر . وعلى رأيه ليس للموجودات كون آخر غير هذا . وأن الكون ليس في الحقيقة إلا اختلاطا وتحللا . وهذا ما يسمى عاميا كون الأشياء وطبعها .

§ ٥ — ومع ذلك فإن أمبيدقل يزعم أن الصيرورة لا تنطبق على الأشياء الأزلية وأن ما هو موجود لا يصير . فتلك في نظره محالات واضحة إذ يقول : " كيف يمكن في الحق أن يقال : إن شيئا يزيد الكل ؟ ومن أين يأتي ذلك الشيء ؟ " " إنما هو من اختلاط النار وتركبها ومن جميع العناصر التي تصحبها أن خرج تكثر " " الأشياء . وبانفصال هذه العناصر وتباعد بعضها عن بعض تنعدم الأشياء من " " جديد . والتكثر يأتي من الاختلاط والتفريق ولو أنه بالطبع لا يوجد إلا أربعة " " عناصر بصرف النظر عن العلل بل عنصر واحد أحد " .

الإغريق ولكنه يستنتج من العبارة نفسها التي استخدمها المؤلف . — ما دام أن الموجود يبقى دائما — هذا الشاهد بيت من أبيات أمبيدقل روى بمعناه بالضبط دون لفظه . ر . البيت ١٠٤ في المرجع السابق . — كالتار والماء ... الخ — الأربعة العناصر التي يسلم بها أمبيدقل أيضا . — إلا اختلاطا وتحللا — تلك هي عبارة أمبيدقل بالنص . ر . قطع أمبيدقل البيتين ١٠٠ و ١٠١ في المرجع السابق . وإن أرسطو يذكر أيضا هذا البيت في كتاب الكون والفساد ٢ ب ٦ ف ٦ . — عاميا — عبارة النص : عند الناس . ر . قطع أمبيدقل البيت ١٠١

§ ٥ — ومع ذلك فإن أمبيدقل — النص لا يسمى هاهنا أمبيدقل . ولكن كل ما يلي يثبت تماما أن القول إنما هو بصده . — الصيرورة — أو التولد . — كيف يمكن في الحق — ليست هذه تعابير أمبيدقل بالضبط ولكن المعنى هو معناه . ر . قطعه البيتين ٩٤ و ٩٥ في المرجع السابق ذكره . ور . أيضا الطبيعة لأرسطو ٨ ب ١ ص ٤٥٥ من ترجمتنا . — بصرف النظر عن العلل — عبارة النص : دون العلل ، ومن المحتمل أن أمبيدقل يعني هاهنا بالعلل العشق والتنافر اللذين يجمعان أو يحلان الأشياء . بأن يكونا ويفسدا دوريا السفيروس . ر . الطبيعة لأرسطو ٣ ب ٤ ف ١٣ ص ٩٣ من ترجمتنا .

§ ٦ — حتى مع افتراض أن العناصر لا متناهية منذ الأصل لتكوّن الأشياء بتركيبها وتفسدها بافتراقها كما يدعى أحيانا أنه كذلك كان يفكر أنكساغورس الذي كان يعتبر هذه العناصر الأزلية غير المتناهية كمصدر لجميع الأشياء التي تتكوّن . وقد لا ينتج من هذا أيضا أن الكل هو أزلّ بلا استثناء . بل يوجد دائما بعض أشياء قد تأتي وتكون أتت من موجودات متقدّمة وتفنّى في جواهر أخرى .

§ ٧ — بل يمكن أيضا ألا يكون إلا صورة واحدة للكل كما كان يؤكده أنكسيمندروس وأنكسيمين إذ يؤيدان أحدهما أن الكل هو من الماء والآخر هو أنكسيمين أن الكل إنما هو من الهواء . § ٨ — وإنما هذه هي أيضا نظرية جميع من يفهمون على هذا النحو "الكل" كوحدة . وذلك إنما هو تبعا لأن "الواحد" يتغير بالصّور أو بعدد أكبر أو أصغر وتبعا لأنه رقيق قليلا أو كثيرا أو لأنه سميّك أن الأشياء مهما كانت متعددة ولا متناهية تتوالد . وحينئذ "الواحد" مع بقاءه هو هو يكون بقية الأشياء ويشكلها .

§ ٦ — بتركبها ... بافتراقها — على حسب نظريات أميدقل . — انكساغوراس — ر . الطبيعة لأرسطو ك ٣ ب ٤ ف ٨ ص ٩٠ . — ترجمتنا . — بلا استثناء — أضفت هذه الكلمات . — في جواهر أخرى — هذا التعبير يكاد لا يكون أرسطوطاليا . وليس من عادته أن يستعمل لفظ الجوهر في مثل هذا المعنى .

§ ٧ — ألا يكون إلا صورة واحدة — هذه الجملة هي الترجمة المضبوطة للنص الإغريقي ولكن ما يلي يثبت أن المعنى بلفظ "الصورة" هو "العنصر" وإن آراء أنكسيمندروس وأنكسيمين هي معروفة حق المعرفة فإن أحدهما يريد أن يستخرج كل العالم من الماء كما كان يزعم طاليس والآخر يريد أن يستخرج العالم من الهواء .

§ ٨ — كوحدة — أو كواحد . ولقد حفظت أسلوب النص وربما كان أجلى من ذلك أن يتكلم على اتحاد المادة وحينئذ يرجع إلى مذهب الذرات كما سنبين فيما بعد بمناسبة ديمقريطس . — تبعا لأن الواحد يتغير بالصّور — الجملة طويلة بعض الشيء ولكنها كذلك أيضا في النص الإغريقي فوجب علينا الاحتفاظ بأسلوبها . — يكون ... ويشكلها — ليس في النص إلا فعل واحد .

§ ٩ — أما ديمقريطس فإنه من ناحيته يقول على السواء إن الماء والهواء وكل واحد من الأشياء المختلفة هكذا هي متحدة وإنه لا فرق بينها إلا في المجرى والتماس والاتجاه . وما المانع أيضا ، في هذا الفرض ، من أن الأشياء المتكثرة تتولد وتتعدم ما دام "الواحد" يتغير أبدا من الموجود إلى الموجود بالفروق التي ذكرت من غير أن "الكل" في مجموعه يصير بذلك أبدا لا أصغر ولا أكبر ؟ § ١٠ — وفوق هذا ما ذا يمنع أن أجساما متعددة كما يشاء تتولد من أجسام أخر وتتحلل إلى أجسام أخر أيضا بحيث تكون دائما على كمية متساوية في تحالها وبحيث إنها تتعدم من جديد .

§ ١١ — لكن حتى مع التسليم بهذا والتسليم بأنه يوجد شيء غير مخلوق فماذا يزيد هذا في إثبات أن الموجود هو لا متناه ؟ على رأى ميليسوس الموجود لا متناه إذا هو يوجد وألا يكون قد ولد البتة . لأن الحدود على رأيه هي هنا

§ ٩ — ديمقريطس — هو في طريقته أيضا نصير للوحدة لأن ذراته هي على الإطلاق متماثلة ولا تختلف إلا بالعدد والصورة والتماس والحركة . — الأشياء المختلفة هكذا — كان الأحسن أن يقول يظهر لنا أنها مختلفة بهذا القدر لأنها في الواقع هي بعينها على حسب ديمقريطس . — في المجرى والتماس والاتجاه — هذه الكلمات الثلاثة مستعارة من ديمقريطس والظاهر أنه هو واضعها أو على الأقل هو الذى في المجموعة نقلها من معناها العادى . على أنى لا أجد هذا المنر من هذا الكتاب موجودا في قطع ديمقريطس الإغريقية لغير مين ديدو . فان المجرى والتماس والاتجاه متعلقة بالذرات اذ ترتكب في الخلو بعضها مع بعض . — من الموجود الى الموجود — دون أن شيئا ما يمكن أن يتولد من العدم وذلك بأن الذرات متصورة أزلية . كتاب السماء ك ٣ ب ٤ ف ٥ ص ٢٥٠ من ترجمتنا .

§ ١٠ — وفوق هذا — هذا يظهر أنه تبع للأفكار المنسوبة هاهنا الى ديمقريطس . وهذه الفقرة لا تكاد تكون إلا تكريرا لما سبق . — على كمية متساوية — الكمية والعدد الكلى للذرات لا ينقصان ، وفقط المركبات التى تركبها تلك الأجزاء التى لا تنجزأ هي التى تحتوى منها على عدد أكبر أو أصغر .

§ ١١ — أن الموجود هو لا متناه — ليس النص على هذا القدر من الضبط واللفظ الذى استعمله هو غير محدد . — على رأى ميليسوس — هذا يتعلق بميليسوس لا بديمقريطس ولكن النص قد وضع الفعل مطابقا لضمير الغائب من غير أن يعين بالاسم الفيلسوف الذى يقصد تعيينه . — اذا هو يوجد — ر . ما سبق ف ١ . — وألا يكون قد ولد البتة — إن لانهاية الموجود تشج ، على رأى ميليسوس ، من أزليته .

بداية الكون ونهايته . غير أن الموجود مع أنه غير مخلوق ألا يمكن أن يكون له حدود أخرى غير المذكورة آنفا ؟ فإذا كان اللا متناهي قد خلق فلا بد من أن يكون له على رأى ميليسوس هذه البداية التى منها يخرج ليكون .

§ ١٢ — فماذا يمنع إذاً — حتى بدون أن يكون قد كَوَّن — أن يكون له بالأقل بداية ؟ لا البداية التى منها أتى — اذا شئت — بل بداية أخرى . وأن الأشياء مع كونها أزلية يتحدّد بعضها ببعض على طريق التكافؤ § ١٣ — بل ماذا يمنع أن ” الكل ” الذى يكون غير مخلوق أن يكون لا متناهي وأن جميع الأشياء التى هى فيه تكون متناهية باعتبار أن لها بالبساطة بداية ونهاية فى كونها .

§ ١٤ — ألا يمكن أيضا كما يبغي پرمينيد أن ” الكل ” مع أنه واحد وغير مخلوق يكون متناهيًا ” بأن يكون من جميع الجهات مشابها لكتلة كرة مضبوطة الشكل وأن يكون متساوى الأبعاد من المركز من غير حاجة أصلا الى أن يكون

— بداية الكون — أو بعبارة أخرى ” بداية تغير الموجود ” . لأن الموجود بما هو أزلى يمكن أن يصير غير ما هو ويتحوّل ولكنه لا يولد على الحقيقة . — حدود أخرى غير المذكورة آنفا — يعنى ابتداء التغيّير التى يمكن أن يعانها ونهايتها . — على رأى ميليسوس — أضفت هذه الكلمات التى تستنتج من سياق الكلام ومن التعبير الذى يستعمله المؤلف ر . فى سوف يلى القطعة ٢ من قطع ميليسوس .

§ ١٢ — حتى بدون أن يكون قد كَوَّن — أعنى مع بقائه أزليا . — بل بداية أخرى — هذا لا ينطبق الا على التغير الذى يصير الموجود غير ما هو ويحيله من غير أن ينزع شيئا من أزليته . — يتحدّد بعضها ببعض — بأن تتوالد على طريقة التكافؤ .

§ ١٣ — متناهية — بالكم دون أن تكون بالعدد وأن يكون بعضها بعضا بتسلسل مؤبد . — بالبساطة — زدت هذه الكلمة التى تفهم من القرينة فيما يظهر لى .

§ ١٤ — كما يبغي پرمينيد — يظهر على حسب هذه الفقرة أن رسالتنا الصغيرة هذه مع انطباقها على ميليسوس وإكسينوفان على وجه الخصوص قد تكون انتقادا عاما لمدرسة إيليا . ر . قطع پرمينيد البيت ١٠٢ وما بعده فى القطع الفلسفية الإغريقية لفيرمين ديدوص ١٢٤

في الجزء الفلاني أو الفلاني أكبر أو أجدد مما هو؟“ . § ١٥ — ولما أن له وسطا وأطرافا فله حدّ مهما كان غير مخلوق ما دام أن ”الكل“ مع أنه واحد كما يعترف به ميليسوس نفسه فانه، من حيث كونه جسما، كل أجزائه بلا استثناء متشابهة بعضها لبعض . ومن هذه الجهة إنما هو يقرر التشابه المطلق ”للكل“ ولا يقول كما يقول فلاسفة آخرون إن ”الكل“ مشابه لشيء آخر غير ذاته . تلك هي النظرية التي يبطلها أنكساغوراس بقوله : إذا كان اللا متناهي مشابها من جهة أن يكون مشابها لمغاير له فمن ثم هما اثنان بل أكثر . وحينئذ لا يوجد بعد لا ”واحد“ ولا لا متناه . § ١٦ — ولكن قد يمكن أن ميليسوس يعني هو أيضا أن اللا متناهي مشابه إضافيا لذاته أو يقول بعبارة أخرى إن ”الكل“ هو متشابه لأن أجزائه متشابهة بما أن هذا ”الكل“ هو مع ذلك من الماء أو من الأرض أو من شيء آخر .

§ ١٧ — من البين أن ميليسوس مع تسليمه هكذا بالوحدة يرى أن كل جزء من الأجزاء هو نفسه جسم لا يمكن أن يكون لا متناهيًا . لأن ”الكل“

§ ١٥ — ميليسوس نفسه — ليس في النص الاسم الظاهر بل هو استخدم ضمير الغائب كما هو الحال في كل موطن . — هو يقرر — أي ميليسوس ولكن هذا يمكن على سواء أيضا أن ينطبق على مذهب برمينيد كما يرى في الأبيات التي ذكرت آنفا . — التي يبطلها أنكساغوراس — قد يمكن أن يفهم منه أيضا كما فهم م . ملاح ”التي يؤيدها أنكساغوراس“ . وعلى ذلك يكون أنكساغوراس من رأى ميليسوس وبرمينيد ، عوضا عن أنه يبطل رأى الفلاسفة الذين يقررون أن الكل هو مشابه لآخر غيره وهذا في الواقع شيء واحد . ر . قطع أنكساغوراس لساو باخ ص ١٠١ . ولكن نظرية أنكساغوراس يظهر أنها ترجع فقط الى العقل لا الى العالم . فان العقل الأعلى لا يمكن في الحق أن يتغير فإنه دائما مشابه لذاته ولا يمكن أن يكون شبيها لأي ما كان .

§ ١٦ — ميليسوس — التنبيه السابق ، أي أن ميليسوس ليس مسمى ها هنا أيضا . — إضافيا لذاته — النص أقل ضبطا : ”هل يعني الشبيه نسبيا إليه“ .

§ ١٧ — ميليسوس — كررت ها هنا أيضا اسم ميليسوس كما فعلت فيا سبق ولولم يكن مذكورا في النص . — كل جزء من الأجزاء هو نفسه جسم — ر . ما سوف يلي من قطع ميليسوس القطعة ١٦ .

هو وحده لا متناه . وبالنتيجة أن هذه الأجزاء التي ليست مخلوقة أيضا يصلح بعضها حدودا لبعض على التكافؤ . § ١٨ — ولكن إذا كان "الكل" أزليا ولا متناها فكيف يمكن أن يكون "واحدا" مع كونه جسما ؟ ثم إذا كان مركبا من أجزاء متغايرة فالذا يعترف ميليسوس نفسه بأن "الكل" هو كثير ومتعدد . ومع التسليم بأنه من الماء أو من الأرض أو من أى عنصر آخر فينبئذ يكون للوجود عدة أجزاء كما أن زينون يحاول أيضا أن يثبت أن "الكل" يجب أن يكون له أجزاء كثيرة إذا كان هو واحدا على الوجه الذى يدعون .

§ ١٩ — ومتى كانت أجزاؤه متعددة لزم أن يكون بعضها أصغر وبعضها أكبر أعنى مختلفة جدا لاختلاف حتى بدون أن يأتى التخالف من زيادة جسم ما أو فقد جسم ما . ولكن إذا كان "الكل" ليس له جسم ولا طول ولا عرض فكيف يكون لا متناها ؟ وما المانع إذا أن يكون مجموعه كثرة وواحدا بالعدد ؟ بل ما المانع أن الأشياء مع كونها هكذا متكثرة وأكثر من واحد أن تكون على عظم غير متناه ؟ § ٢٠ — قد يزعم إكسينوفان أن عمق الأرض وعمق الهواء غير متناه . ولكن

— هو وحده لا متناه — زدت كلمة « وحده » لبيان الفكرة . — يصلح بعضها حدودا لبعض على التكافؤ — ر . ما سبق ف ١٢ .

§ ١٨ — مع كونه جسما — أى أنه بالنتيجة ذو أجزاء مختلفة . — ميليسوس نفسه — اسم ميليسوس ليس مذكورا في النص الذى ليس فيه دائما إلا ضمير غائب . — كما أن زينون يحاول أيضا أن يثبت — ان ذكر زينون هذا يسمح لنا أن نقدر أن رسالتنا الصغيرة هذه كان ينبغي أن تعرض أيضا لمذهبه على حدة . ر . التحقيق الذى سبق .

§ ١٩ — بعضها أصغر — حتى من غير اختلاف الامتدادات يكفي أن توجد عدة أجزاء لتكون مميزة ولو كانت مع ذلك متساوية تمام التساوى . — من زيادة جسم ما — لا يمكن أن تكون زيادة ولا نقص لأى ما مادام أن المقصود هو "الكل" . — متكثرة وأكثر من واحد — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — على عظم غير متناه — عبارة النص بالضبط "غير متناهية في العظم" .

§ ٢٠ — قد يزعم إكسينوفان — رأى إكسينوفان هذا مذكور في كتاب السماء ك ٢ ب ١٣ ف ٧

أميدقل يبطل هذه النظرية إذيين في انتقاده المحكم أنه إذا كانت الأشياء كما يزعمون فن الحال مطلقا أن تكون البتة .

”إن أسس الكرة والأثير غير الملموس التي كثر ما يكلموننا عنها ليست“
”إلا كلمات فارغات يكررها لسان الحمقى بلا داع“ .

§ ٢١ — لكن العالم يمكن أن يكون واحدا من غير أن يكون هناك سخف في افتراض أنه ليس متشابهة في جميع أجزائه . وفي الحق إذا كان العالم كله ماء أو كله نارا أو أى عنصر آخر من هذا القبيل فيمكن جيدا أن يقال بوجود عدة أشياء ولو أن الموجود يبقى واحدا وأنه يلزم دائما أن يكون كل واحد من هذه العناصر متشابهة لذاته . لأنه لا يمكن أن يكون الجزء العلانى متخلخلا والآخر كشيفا إلا أن يوجد خلو في باطن المتخلخل . ولكن لا شئ يمنع أنه بالنسبة لبعض الأجزاء يوجد في المتخلخل خلو منفصل تماما بحيث إن جزءا بعينه من ”الكل“ يكون كشيفا وآخر بعينه يكون متخلخلا مع أن الكل مع ذلك باق هو ما هو . ولكن لما أن ”الكل“ ملىء فالمتخلخل حينئذ لا يكون أقل امتلاء من الكشيف .

§ ٢٢ — وإذا كان ”الكل“ غير مخلوق فكيف يمكن أن يستنتج من هذا وحده أنه لا متناه وأنه لا يمكن أن يوجد أيضا واحد بعينه أو آخر يكون متناهيا

ص ١٩٤ من ترجمتنا . في تلك الفقرة أيضا يذكر أرسطو انتقاد أميدقل ويستشهد بالبيت عينه الذي استشهد به هنا .

§ ٢١ — أنه ليس متشابهة في جميع أجزائه — إن تخالف الأجزاء لا يمنع الوحدة بل قد يكون شرطها . — بوجود عدة أشياء — أو بعبارة أخرى أن الموجودات متكررة بما هي موجودات خاصة ، وإن هذا غير مانع وحدة المجموع . — لأنه لا يمكن — يقدر ملاح أن هذه هي نظرية ميليسوس التي يبطلها المؤلف ولا شئ في النص يعزز أو يرفض هذا التقدير . — خلو في باطن المتخلخل — اضطرت لا استخدام هذه الصيغة لتحصيل كل قوة النص الاغريقي . — باق هو ما هو — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — لما أن ”الكل“ ملىء — يمكن أن تقدز هنا هذه العبارة «على رأى ميليسوس» على حسب تقدير ملاح . ر . القطعة ٥ من قطع ميليسوس .

§ ٢٢ — من هذا وحده — يظهر لى أن الرد واضح للغاية وما دام العالم واحدا فيظهر أن من الضروري أن يكون لا متناهيا . لأنه من الحال على عقلنا أن يفترض له حدودا .

مثله؟ ولماذا يستلزم كونه غير مخلوق التسليم فوق ذلك بأنه واحد وأنه لا متناه بهذا السبب وحده؟ وكيف حينئذ يكون اللامتناهي هو ذلك "الكل" الذي يتوهمونه؟

§ ٢٣ — يقول ميليسوس إن الموجود لا متحرك إذا كان ليس ثم من خلقه . لأن الأشياء لا تتحرك البتة إلا بأن تتغير بالآين . غير أنه بادی بدء كثير من الناس من لا يوافقون على هذه النقطة ومع تسليمهم بوجود الخلق فانهم لا يقبلون أن يكون جسما . يمكن أن يعنى بالأشياء هنا نحو ما يعنيه بها هيزيود حين يقول فى الحلقة "إنما هو العاء الذى ظهر بادی الأمر" مفترضا بذلك أنه كان يلزم قبل كل شئ أن يوجد محل للموجودات . هذا هو ما يعنى بالخلو الذى يعتبر كنوع آتية تكون خالية من وسطها .

§ ٢٤ — على أنه حتى مع عدم وجود خلق فان العالم يمكن أن يتحرك أيضا على السواء . وإن أنكساغوراس الذى اشتغل أيضا بهذه المسئلة لم يقنع بإثبات أنه لا يوجد خلق بل أثبت فوق ذلك أن الموجودات تتحرك على سواء من غير أن

— ولماذا يستلزم — هذا ليس فى معظمه الا تكريرا لما سبق . — يتوهمونه — صيغة النص صيغة جمع يمكن أن تعود على ميليسوس وأكسينوفان وپرمينيد وزينون .

§ ٢٣ — يقول ميليسوس — وهنا أيضا ليس ميليسوس مذكورا بالاسم . — بأن تتغير بالآين — تلك هى حركة النقلة . ولكن حركة الاستحالة يمكن أن تحصل من غير تغير فى الآين . — هيزيود — ر . ما سبق . ب ١ ف ١٣ — فى الحلقة — وأحسن من هذا "فى كون الأشياء" . — العاء الذى ظهر بادی الأمر — العاء لا يشبه بالخلو . إنه ، اذا شئت ، عدم النظام ولكن الأشياء . وجوده ما دام تدخل العقل ضرور يا لتنظيمها . — هذا هو ما يعنى بالخلو — هذا متنازع فيه جدا فان العاء لم يكن ليفهم قط على هذا المعنى .

§ ٢٤ — فان العالم يمكن أن يتحرك أيضا على السواء — أو "أن ذلك لا يمنع حصول الحركة" . — أنكساغوراس الذى اشتغل أيضا بهذه المسئلة — وفى رواية بعض المخطوطات "الذى اشتغل بهذه المسئلة من قبله" . — أنه لا يوجد خلق — ر . الطبيعة لأرسطوك ٤ ب ٨ ف ٣ ص ١٩٤ من ترجمتنا — حيث لا يظهر على أرسطو أنه قدر تقديرا حسنا نظريات أنكساغوراس على الخلو كما فعل هنا .

يكون الخلق ضروريا . § ٢٥ — وفي هذا المعنى عينه قال أمبيدقل إن الأشياء متى تم تركيبها تحركت طوال الزمان من غير أن يوجد ، على رأيه ، ما لا يفيد في ” الكل “ ولا أن يوجد خلق كذلك . وفي الحق من أين يمكن أن يحدث الخلق ؟ يقول أمبيدقل لأن الأشياء متى تركبت في صورة واحدة بطريقة أنها تؤلف الوحدة : ” فلا شيء يكون خلوا ولا شيء زائد “

أليس يمكن في الواقع أن الأشياء تتحرك بعضها في بعض وأن الكل يكون دائريا ما دام أن الشيء يتغير الى آخر وهذا الآخر الى ثالث . وما دام أن شيئا بعينه يتغير دائما آخر الأمر الى الأول ؟ .

§ ٢٦ — وفوق ذلك لا ينبغي نسيان تغير الصورة هذا الذي يغير الشيء ولو أنه يسبق في الحيز عينه ، تغير لسميه فلاسفة آخرون وميليسوس نفسه الاستحالة وإذا لا شيء مما قال يدفع أن هذا النوع من الحركة يوجد في الأشياء حينما تمر من الأبيض الى الأسود أو من المثل الى الحلول لأنه ليكن الخلق غير موجود وليكن المثل لا يمكن أن يقبل شيئا فذلك لا يمنع الاستحالة أن تكون ممكنة .

§ ٢٥ — متى تم تركيبها — بواسطة العشق على حسب أمبيدقل وتم افتراقها بعد ذلك بالتنافر . ر . الطبيعة لأرسطو ك ٨ ب ١ ف ٤ ص ٤٥٥ من ترجمتنا . — طوال الزمان — ليس معنى ذلك أبديا ولكن المقصود هنا هو في مسافة من الزمن فيها السفيروس ينسبط أو ينقبض في ذاته (ر . تعليقات كتاب الكون والفساد ك ١ ب ١ ف ١٠) . — يقول أمبيدقل — ر . قطع أمبيدقل البيتين ٩٤ و ١٦٦ من القطع الفلسفية الإغريقية طبعة فيرمين ديدو . — في صورة واحدة — هذه عبارة النص بعينها . — فلا شيء يكون خلوا — البيت ليس مذكورا بتمامه في النص . — وأن الكل يكون دائريا — يظهر جليا أن هذا هو رأى أمبيدقل فان العشق والتنافر بفعلهما على التناوب يؤلفان تماثلا شكل دائرة .

§ ٢٦ — وميليسوس نفسه — وليس اسم ميليسوس مذكورا في هذه الفقرة أيضا . ر . ما سبق ب ١ ف ١ . — الاستحالة — ر . في الطبيعة ما يخص بحركة الاستحالة ك ٣ ب ١ ف ٨ ص ٧١ من ترجمتنا وكذلك الكون والفساد ك ١ ب ٤ . — الاستحالة أن تكون ممكنة — حركة الاستحالة بما أنها تقع في الشيء ذاته لا حاجة لها بحيز جديد كحركة النقلة بل ولا كحركة التثاقب ذاتها .

§ ٢٧ — وبالتبع فلا ضرورة لأن كلا يكون أزليا وأن كلا يكون واحدا أو لأن "الكُلَّ" يكون لامتناهيا . ولا ضرورة أيضا لأن يوجد عدّة لامتناهيات ولا وحدة متماثلة في كل مكان ولا وحدة غير متحركة سواء مع ذلك وجدت الوحدة أو الكثرة .

§ ٢٨ — ومتى سلم هذا لا يرى شيء في نظريات ميليسوس يدفع أن الموجودات تتغير ترتيبا وكيفا ما دامت الحركة هي هكذا في الوحدة التي تختلف حينئذ بالأكثر والأقل والتي تستحيل بطرائق شتى بدون أن ينضم إليها شيء أو اذا انضم إليها شيء فبدون أن يكون هذا الشيء جسما وإذا كانت عدّة أشياء هي التي تنضم فبدون ألا تريد على أن تمتزج بعضها ببعض وتنفصل على التكافؤ .

§ ٢٩ — ولكن الاختلاط ليس فيما يظهر هو الجمع أو التركيب اللذين يتكلم عنهما ميليسوس واللذين بدونهما ربما تنعزل الأشياء في الحال بل بدونهما لا تظهر الأشياء باستقلالها التام إلا بعد أن يباعد بين بعضها وبين البعض الآخر إذ هي

§ ٢٧ — وبالتبع — يظهر أن هذا هو ملخص الاعتراضات السابقة كلها ولكن النتيجة لا يظهر أنها لازمة . — كلا يكون أزليا — كما يزعم ميليسوس . وهذه الجملة التي هي محرفة في أكثر المخطوطات هي كما أودعها الآن في مخطوطة ليزج وكذلك في ترجمة فليسيانو كما نبه اليه ملاح .

§ ٢٨ — في نظريات ميليسوس — بدلا من الاسم الظاهر ليس في النص إلا ضمير غير معين والظاهر أنه يكفي قبول حركة الاستحالة لينهدم دفعة واحدة مذهب ميليسوس في وحدة الموجود ولا تحركة . — ترتيبا وكيفا — عبارة النص بالضبط "أن تكون الموجودات مرتبة على وجه آخر ولا تكون مستحيلة" . — بالأكثر والأقل — مثال ذلك أن تكون أكثر أو أقل بياضا ، أكثر أو أقل سوادا لأن الكلام هنا هو بصدد استحالة بسيطة وليس مقصودا غيرها حتى ولا النمو . — فبدون أن يكون هذا الشيء جسما — والواقع أن في الاستحالة ليست هنا إضافة ما من أي نوع كان . فان الاستحالة تقع بحركة للموجود داخلية بحتة . — أن تمتزج بعضها ببعض — كما يمكن الكيوف أن تختلط وأن تنفصل على التكافؤ في موجود واحد أحد بعينه .

§ ٢٩ — اللذين يتكلم عنهما ميليسوس — الملاحظة هنا كما للملاحظة السابقة فيما يتعلق بذكر اسم ميليسوس الذي لم يذكر اسمه هنا أيضا . والظاهر أن العبارتين المذكورتين في هذا الممر هي من خصائص لغة ميليسوس الفاسقية . — بدونهما — جملة النص فيها من التحير والتردد ما في الترجمة وهاك شرحا يمكن

تحتاج ، في حين أنه يلزم لوجود اختلاط حقيقى أن كل أجزاء الشيء المختلط تكون بحيث لا يمكن حل تركيبها بعدد . لكن بشرط أن كل واحد من الأجزاء المخلوطة يكون على وفاق تام مع مجموع الخليط لأنه بما أنه لا يوجد جواهر فردة فينتج من ذلك أن كل جزء هو مختلط مع كل جزء كيفما اتفق مشابه مطلقا للكل .

أن ينير الفكرة : " لا يفهم ميليسوس حق الفهم ما هو الاختلاط اذ يسميه جمعا وتركيبا . وهو يظن أنه في الخليط يمكن عند الارادة عزل الأشياء من جديد في الحال أو على الأقل عزلها تماما بعد تنقية بها يظهر كل واحد منها على الحالة الخاصة به . وليس الاختلاط هو ذلك أبدا . ولأجل أن يكون حقيقيا يلزم أن تكون الأجزاء فيه مركبة تماما بحيث لا يمكن حل ذلك التركيب وأن كل جزء يكون مشابها مطلقا للكل الذى هو منه . لا يوجد جواهر فردة ومن ثم كل جزء من الخليط هو بالضرورة مشابه للكل الذى هو منه جزء كيفما اتفق " .
 — اوجود اختلاط حقيقى — ر . على نظرية الاختلاط ما سبق فى كتاب الكون والفساد ك ١ ب ١٠ .
 — بما أنه لا يوجد جواهر فردة — قد أبطل دائما أرسطو مذهب الجزء الذى لا يتجزأ لديمقريطس . ر .
 الطبيعة المرجع المذكور قبلا .

مذاهب إكسينوفان

الباب الثالث

نظرية إكسينوفان في حق الله — الأزلية — القدرة — أحدية الله — يجب أن يتصور كأنه فلك —
الله منزعه عن الحركة والسكون ومنزه عن أن يكون متناهما ولا لا متناهما .

§ ١ — هو يقول إن يوجد من شيء فمحال أن هذا الشيء كان مخلوقا مطبقا هذا في حق الله ما دام أنه يلزم بالضرورة أن كل ما هو كائن يتكون من الشبيه أو من الاشبيه . وكلا الأمرين غير ممكن ، فإنه بادئ بدء ليس تولد الشبيه من الشبيه أولى من أن يلد الشبيه نفسه لأن هذا يخالف التضاييف المتكافئ الذي بين المتساوين والأشباه . وثانيا ليس من الممكن أن غير الشبيه يخرج من غير الشبيه . فإذا كان ، في الحق ، الأقوى يخرج من الأضعف وإذا كان الأكبر يأتي من الأصغر والأحسن من الأقبح أو بالعكس الأقبح من الأحسن فيكون حينئذ الموجود يأتي من اللاموجود وهذا محال قطعاً . § ٢ — إذا يلزم أن يستنتج من كل هذا أن الله أزلي . إذا كان الله هو سيد الموجودات فيلزم ، على رأى إكسينوفان ،

§ ب ٣ — مذاهب إكسينوفان — لا ريب في صحة هذا العنوان فإن أربعة المخطوطات مخطوطة سان مارك ومخطوطة الفاتيكان ومخطوطة أوربين ومخطوطة باريس تذكره بغاية الوضوح . وبعض مخطوطات أرى فيها هذا العنوان الخطأ : "في زينون" . وإن بحث النظريات مثبت قطعاً أن الكلام إنما هو بصدد إكسينوفان ر . ما سبق في "التحقيق" .

§ ١ — هو يقول — ليس إكسينوفان مذكورا بالاسم هنا كما كان الأمر في ميليسوس ر . ما سبق ب ١ ف ١ . ولم أشأ أن أذكر اسمه في الجملة الأولى من هذه الرسالة ولكنني سأفعل فيما بعد حتى تكون الفكرة أشد جلاء . — إن يوجد من شيء — هذا الشك ، فيما يرى «برنديس» ، مضاد لآراء إكسينوفان " (comment ationes Eleadicæ) " ص ٢٧ ف ١ فهو يرى خطأ أن بداية هذا الباب تكرر لبداية الباب الأول على ميليسوس . — مطبقا هذا في حق الله — لا على العالم كما يفعل ميليسوس فيما يظهر . — تولد ... يلد — هذا التكرير هو في النص . — بين المتساوين — بالكم . — والأشباه — بالكيف . — وثانيا — أضفت هذه الكلمة لزيادة البيان .

§ ٢ — أن الله أزلي — ان اسم الأزلي هو الاسم الخاص لله في كثير من الأحوال فإن الله هو الموجود بذاته والذي كان موجودا دائما كما أنه يوجد دائما . جاء في التوراة "أنا الموجود" . وإن فكرة إكسينوفان

أن يكون أيضا أحدا لأنه لو كان فيه اثنان أو عدة فمن ثم لا يكون إذا سيد جميع الموجودات ولا أكبرها مادام من ثم أن كل واحد من هذه الموجودات المتكثرة قد يكون مطلقا مشابها له تماما . إن ما يحقق الله في الواقع والقدرة الإلهية إنما هو أن يتسلط على وجه السيادة ولا يكون مسلطا عليه . أن يكون سيد الجميع وأقدرهم . وبالنتيجة مادام أنه ليس الأقدر فإنه يفقد بنسبة ذلك شيئا من ألوهيته . وإن كانوا عدة وكان بعضهم أعلى أو أدنى من الآخرين من بعض الوجوه فأولئك ليسوا آلهة بعد . لأن ماهية الإله ألا يعلم عليه أحد . وإن كانوا عدة متساوين فمن ثم ليس هذا بعد طبع الإله الذي هو أن يكون الأحسن لأن المساوى ليس بالبداية أقبح ولا أحسن من مساويه .

§ ٣ — ولما كان الله هو حينئذ كما ذكر آنفا لزم ضرورة أن يكون واحدا وإلا لا يمكن أن ينفذ كل ما يشاء . لا يمكنه ذلك مادام فيه آلهة أخر . فيلزم حينئذ أن يكون أحدا § ٤ — ولأنه أحد فهو مشابه لذاته على الإطلاق . يرى من كل جهة ويسمع من كل جهة وعنده جميع الجهات على مقياس واحد . وإلزام أن بعض أجزاء الإله تكون حاكمة ومحكومة على التناوب . وهذا ممتنع بين الامتناع .

هي ها هنا تلك الفكرة بعينها . — على رأى إكسينوفان — لم يذكر النص اسم إكسينوفان وليس هنا الاسم إشارة غير معين . ر . ما سبق ف ١ . — أكبرها — عبارة النص بالضبط « أحسنها » . ويلزم أن يلاحظ أن تدليل إكسينوفان هذا متين متانة وجل جلاء . وقد تقدم بنحو قرن مذاهب سقراط وأفلاطون ويجب الاعتقاد بأنه رشح لتلك المذاهب . وكثيرا ما اتهم إكسينوفان بالشرك ولكن هذا الشرك لا أثر له هنا . وإذا كان الله مدججا في العالم فلا محل للقول بأنه المولى والقادر على كل شيء . — لأن ماهية الإله — كما يستطيع عقل الانسان أن يفهمها .

§ ٣ — لزم ضرورة أن يكون واحدا — الأدلة اللاحقة ليست أقل في قوتها من السابقة . فان قدرة الله الكاملة تستتبع وحدانيته . وان الذى حصل هنا هو فكرة إكسينوفان دون عبارته . وقد حاول ملاحظ أن يقوم الأبيات في هذا الموطن وقد قوم ثلاثة منها ولم يذكرها طبعاً في قطع إكسينوفان .

§ ٤ — يرى من كل جهة — كان يمكن المؤلف أن يذكر بيت إكسينوفان بضبه الذى حفظه لنا أيضا « سكستوس أمبيريكوس » ” Adversus mathematicos physicos ... ” ك ٩ ف ١١٤ ص ٥٩٦ طبعة ١٨٤٢ ينتقد سكستوس أمبيريكوس وصف الإله هذا ويرى أنه لا ينبغي أن يسند إليه إلا حاسة واحدة البصر مثلا .

§ ٥ — ولما كان الله مشابها لذاته مطلقا ومن كل وجه لزم أن يكون فليكا لأنه ليس كذلك في جزء بعينه دون أن يكونه في أى جزء آخر لكنه كذلك في جميع الأجزاء بلا استثناء .

§ ٦ — وما دام الله أزليا أحدا فليكا فينتج منه أنه لا يمكن أن يكون لامتناهيا ولا أن يكون متناهيا . فانما الالاموجود هو اللامتناهى مادام ليس له أول ولا وسط ولا آخر ولا أى جزء آخر . وهذا هو اللامتناهى . ولكن الموجود ليس كاللا موجود والموجودات ما دامت متكررة فانها يحد بعضها بعضا على التبادل . فالأحد لا يمكن أن يشبه لا باللا موجود ولا بالموجودات المتكررة ما دام الأحد لا يحد شىء .

§ ٧ — الأحد — الذى إكسينوفان يسميه الله — لما كان كذلك لا يمكن أن يتحرك ولا أن يكون لا متحركا . فان الالاموجود هو فى الحق لا متحرك لأنه لا موجود يأتي فيه ولا هو يمكن أن يذهب فى موجود آخر . ولا حركة إلا متى كانت

§ ٥ — أن يكون فليكا — تلك هى استعارة جاء بها إكسينوفان بعد أن عاب هو نفسه الصور الباطلة التى بها يحاول الضعف الانسان أن يتمثل بها الله . الله هو الفلك الذى مركزه هو كل مكان والذى يحيطه ليس فى أى مكان ر . أفكار باسكال طبعة م . ى . هافيت ص ٣ سنة ١٨٥٢ . — بلا استثناء — قد أضفت هذا القيد . ويذكر ملاخ بحق بفقرة مشابهة لهذه تماما فى كتاب السماء ك ١ ب ١ ف ٥ ص ٥ من ترجمتنا .

§ ٦ — لامتناهيا متناهيا — يظهر على الضد أن معنى اللانهاية يمتشى تماما مع معنى الله فان الأزلى معناه غير المتناهى فى الزمان . والقدير معناه غير المتناهى فى القدرة الخ . — فانما الالاموجود هو اللامتناهى — إنما يكون بمجرد سوء الاستعمال للالفاظ أن يخلط بين الالاموجود واللامتناهى فان الالاموجود ليس الا اللامتعين . وفى اللغة اليونانية المعنيان مندجان فى كلمة واحدة . — ولا أى جزء آخر — كل هذا هو من البداة بمكان ما دام أن الالاموجود غير موجود . — يحد بعضها بعضا على التبادل — أو «هى متناهية بعضها بالنسبة للبعض الآخر» . — فالأحد لا يمكن أن يشبه — الا بنفسه . إنه الموجود ما دام أنه الكل وليس هو فى الكثرة مادام أنه الوحدة عينها .

§ ٧ — الذى إكسينوفان يسميه الله — ليس إكسينوفان مذكورا هنا كما أنه ليس مذكورا فى الفقرة الأولى . وقد يكون هذا رأى هو سبب اتهام إكسينوفان بالشرك . لكن الله يمكن أن يكون أحدا مع تميزه عن العالم . — أن يتحرك ولا أن يكون لا متحركا — فى الواقع أن من العسير تصور أن الله لا متحرك كما هو من العسير أن يتصور فى حركة . أما عند أرسطو فانه المحرك غير المتحرك الذى يعطى الحركة للطبيعة بأسرها التى يجذبها اليه وهو باق هو نفسه فى سكون أبدى غير متجزئ ، ليس له أجزاء لا جسمانى الخ

الموجودات أكثر من واحد لأن من الضروري للحركة أن واحدا يتحرك في الآخر. ولا يمكن أن يتحرك شيء في الوجود ما دام أن الوجود لا يوجد مطلقا في أية جهة . وإذا كانت الأشياء تتغير بعضها الى بعض فحينئذ يكون الموجود أكثر من واحد .

§ ٨ — فانظر كيف يزعم إكسينوفان أنه يلزم شيئا على الأقل أو أكثر من واحد لكي توجد الحركة ، وأن الاشياء هو في سكون ولا متحرك ، وأن الأحد على ضد ذلك لا يمكن أن يكون في سكون ولا أن يكون في حركة لأنه لا يشبه الوجود ولا الموجودات المتكثرة .

§ ٩ — ومن كل هذه الوجوه فهذا — على رأى إكسينوفان — هو الله أزلي أحد متشابه من كل جهة وفلكي لا لا متناه ولا متناه لا هو في سكون ولا هو في حركة .

ر ك ٨ من الطبيعة الباب الأخير وما بعد الطبيعة ك ١٢ ب ٥ وراجع أيضا قطع إكسينوفان المقطوعة الرابعة التي حفظها "سبليسيوس" و "تفسير الطبيعة لأرسطو" الورقة ٦ Fragmenta a philosophorum grecorum طبعة فيرمين ديدوص ١٠١٠ — فان الوجود هو في الحق لا متحرك — هذا هو تابع لنظريات إكسينوفان كما يدل عليه صوغ الجملة الإغريقية . — لأنه لا موجود يأتي فيه — ما دام أن الوجود هو غير موجود . — ولا حركة — عبارة النص ليست على هذا القدر من الضبط . — لأن من الضروري للحركة — أضفت هذه الكلمات إذ ظهر لي أنها ضرورية . — في الوجود — عبارة النص بالضبط "نحو الوجود" . وهو ما يظهر لي قليل الضبط .

§ ٨ — فانظر كيف يزعم إكسينوفان — عبارة النص غير معينة وليس هنا اسم إشارة ولكن صوغ الجملة بصيغة الحال يستتبع أن العبارة هي تحصيل فكرة إكسينوفان . — على الأقل — أضفت هاتين الكلمتين . — الاشياء — هذا هو لفظ النص بعينه . — لأنه لا يشبه... — قد يكون الدليل غير قوى فيما يظهر بل يمكن أن يعلو الموجودات الى اللانهاية من غير أن يشبهها بوجه ما .

§ ٩ — على رأى إكسينوفان — الملاحظة عنها التي أبدت في الفقرة السابقة . فان إكسينوفان لم يسم هنا أيضا ولكن لاشك في أن الأمر بصدده .

الباب الرابع

إبطال نظريات إكسينوفان — استشهاد من ميليسوس — كيف يلزم أن يعنى بقدرة الله — الله ليس فليكا — إنه لا متناه — وحدانية الله ليست متناقضة لكونه متناها — في نفى الحركة عن الله — في الحركة التي يمكن تصوّرها في حق الله — استشهاد من زينون .

§ ١ — ننبه تنبيها أولا ، وهو أن إكسينوفان كميليسوس يفترض أن كل ما يولد ويصير يتولد من الموجود . ومع ذلك فإذا يمنع من أن ما يولد لا يولد لا من الشبيه ولا من اللاشبيه بل يولد من اللاموجود ؟ ولكن الله ليس لا مخلوقا أكثر من الباقي إذا كانت كل الأشياء آتية من الشبيه أو من اللاشبيه . ذلك هو ما لا يمكن . وبالنتيجة إما أنه لا شيء خارج عن الله وإما أن يكون سائر الأشياء هي أيضا أزلية . § ٢ — ولكن إكسينوفان يقبل فوق ذلك أن الله هو المولى . يريد بذلك أن يقول إنه الأقدر والأحسن . ليس هذا ما يعتقده العامة وإنهم ليقبلون أن الآلهة في كثير من الأشياء أعلى بعضها من بعض . على ذلك لم يستعِر إكسينوفان هذا الرأي الجريء من إجماع العامة . ولكن متى قيل إن الله هو القادر على كل

§ ١ — كميليسوس — هاهنا ميليسوس مذكور بالاسم وهذا دليل آخر على أن الجزء الأول من هذه الرسالة خاص به . ما سبق ت ١ ف ١ والتحقيق . — يفترض — عبارة النص هي على هذا المقدار من القوة . — يولد ويصير — ليس في النص إلا كلمة واحدة . — ولا من اللاشبيه — هذه الكلمات التي ليست في المخطوطات قد وضعها ملاح تبعاً لترجمة فيليسيانو . — ولكن الله ليس لا مخلوقا — يظهر أن هذا هورد من أرسطو على مذهب إكسينوفان . ولكن من الجائز أيضا أن يكون ردا من إكسينوفان موجها للنظريات المضادة لنظرياته . — لا شيء خارج عن الله — هذا الرأي هو من الآراء التي يمكن أنها سببت اتهام إكسينوفان بالشرك . ” خارج عن الله ” هي رواية مخطوطة ليهزج وقد كانت موجودة في ترجمة فيليسيانو كما نبه اليه ملاح بحق .

§ ٢ — إكسينوفان يقبل — كذلك ليس هنا اسم إكسينوفان أيضا . — ما يعتقده العامة — أو ” ما يجب أن يكون معتقدا طبقا للقانون ” . — أعلى بعضها من بعض — كذلك الإله ” مارس ” هو أشد الآلهة حربا وأشجعهم و ” زهرة ” أجمل الآلهات و ” ميثرة ” أحكمهم و ” أبالون ” أعلمهم ... الخ . — لم يستعِر إكسينوفان — لم يذكر هنا أيضا اسم إكسينوفان ولكن هذا مدح جميل لمذهبه وللمحتمة . فانه كان ضد الآراء الشائعة في زمانه .

شئ فليس معناه أن هذا هو طبع الله بالنسبة لواحد آخر بل هذا هو شأنه الخاص بالنسبة لذاته . أما في علاقته مع الغير فن الجائز تماما أن الله لا يقدر عليه بعلوه وقوته التي ليس لها من شبهه بل بضعف الأغيار . وإنه لا أحد يعنى على هذا الوجه قدرة الله بل يفهم الناس أن الله له بذاته كل ما يوجد من الأحسن وأنه منزّه عن النقص أيا كان ، وأن له كل ما هو طيب وجميل . وبهذه الكمالات كلها فله أيضا كمال القدرة الكاملة .

§ ٣ — حقا أنه قد يمكن أيضا التسليم بوجود آلهة متعددة موصوفة بالصفات عينها جامعة بين أكبر الكمالات الممكنة مادام أنها أكبر قدرة من سائر الموجودات دون أن يكون بعضها أقوى من البعض الآخر ولكنه يوجد أيضا على ما يظهر موجودات أخرى غيره . § ٤ — في الحق هو يزعم أن الله هو القدير ، ويلزم ضرورة أن يكون أقدر من بعض الموجودات . ولكن بهذا السبب وهو أن الله هو الأحد لا يليق أن يقال إنه يبصر من كل ناحية ويسمع من كل ناحية لأنه ليس لأنه قد لا يبصر من الجزء الفلاني أو الفلاني أنه لا يحسن البصر بل فقط أنه

— بالنسبة لواحد آخر — كل هذا التدليل غاية في العمق و يعطى فكرة سامية عن عبقرية إكسينوفان .
— التي ليس لها من شبهه — أضفت هذه الكلمات . — فله أيضا كمال القدرة الكاملة — ليس النص على هذا القدر من الضبط . فإن عبارته فيها ما فيها من الإبهام . ولكن المعنى لا ريب فيه .
§ ٣ — حقا أنه قد يمكن أيضا التسليم — هذه هي بالتقريب كل ملحمة هو ميروس ولو أن آلهة ذلك الشاعر بينها بعض التبعية فإن المشتري هو الأكبر والأقوى بينهم جميعا . — موجودات أخرى غيره — أو ”موجودات أخرى غيرهم“ وقد آثرت تلقاء تردد النص أن أرجع الضمير إلى الله عوضا عن الآلهة .

§ ٤ — هو يزعم — حافظت على صيغة النص عوضا عن أن أكرر اسم إكسينوفان . — من بعض الموجودات — هذا هو إصلاح من عند ملاخ وهذا الإصلاح ضروري ، فيما يظهر ، ولو أنه لاتحيزه أية مخطوطة . ولكن فيليسيانوفى ترجمته كان لديه رواية من هذا القبيل فيما يظهر . — أن الله هو الأحد — كما يدعى إكسينوفان . — من الجزء الفلاني أو الفلاني — ليس النص على هذا القدر من الضبط .

لا يبصر من ذلك الجزء بعينه . بل ربما أيضا حينما يقرر أن الله يحس من كل جهة كان معنى ذلك بالبساطة أنه بهذه الطريقة يكون أيضا أكل ما دام أنه متشابه في جميع أجزائه .

§ ٥ — إذا كان الأمر كما قرر آنفا فلماذا يعطى صورة فلك ؟ لماذا لا يكون أولى به شكل آخر مادام أنه يسمع من كل جهة ويرى من كل جهة ؟ لأنه كما أننا حين نقول إن الإسبيداج أبيض في كل نواحيه لا نريد أن نغنى شيئا آخر إلا أن يكون البياض منتشرا في جميع أجزائه ، كذلك ما الذى يمنع حينما يقال إن الله يرى ويسمع ويتسلط من كل مكان أن يفهم أن أى جزء من الله كيفما اتفق ، له دائما هذه الصفات ؟ ولا يلزم لذلك بعد أن يكون الله فليكما كما لا يلزم أن يكونه الإسبيداج .

§ ٦ — وفوق ذلك كيف يمكن أن الله من حيث هو جسم ومن حيث إن له عظاما لا يكون متناهيا ولا لا متناهيا ما دام اللامتناهى إنما يقع على ما ليس له حد مع

— متشابه في جميع أجزائه — لا شك في أن إكسينوفان يريد أن يقول بالبساطة إن الله شاهد في كل مكان .

§ ٥ — كما قرر آنفا — على حسب نظرية إكسينوفان . — صورة فلك — هذا في الحق مذهب مضاد لآراء الفيلسوف الذى يعيب الصفات والصور التى يسندنها العائى الى الآلهة . ذلك هو أيضا قليل الشبه بالمعقول كذهب المشبهة المعروف . — يسمع من كل جهة — الفلك هو الوحدة وهذا التصوير لا يتفق ومعنى أن الله لا متناه . — إن الإسبيداج أبيض في كل نواحيه — هذا التشبيه بالإسبيداج ليس منقادا ويظهر عليه نوع من الشطط . — أى جزء من الله كيفما اتفق — هذه النظريات ينبغى أن تظهر أشد ارتقاء عن الزمان الذى كان يقررها فيه إكسينوفان . ولا يمكن الشك في أنها نظريات مع الشهادات التى نقلها لنا الزمن القديم أجمع . — أن يكونه الإسبيداج — راجع ملاحظتنا على التشبيه بالإسبيداج . ومع ذلك فان الفكرة صحيحة في موضوعها ولو كان في شكلها شيء من الشذوذ .

§ ٦ — وفوق ذلك — رء جديد من المؤلف على نظريات إكسينوفان . — متناهيا ولا لا متناهيا — في الحق من المحال على عقلنا أن يفهم الله إلا على جهة اللامتناهى . — ما ليس له حد — هذا حق ولكن ما سبيل ليس كذلك حقا فإن ما هو قابل لأن يكون له حدود لا يمكن أن يكون أبدا لا متناهيا

قابليته لأن يكون له حد؟ فإن الحد يجب أن يقع على العظم وعلى العدد وعلى كل كمية أيا كانت بحيث إن عظمًا لا حد له هو يسمى لا متناهيًا . § ٧ — ومتى جعل الله فليكما فن الضروري أن يكون له حد لأن له نهايات ما دام أن له مركزًا على أبعد مسافة ممكنة من الحد . وإذا لا بد له من مركز ما دام فليكما؛ إذ أنه يعني بفلكي ما له مركز على مسافة متساوية من النهايات . ولا فرق بين أن يقال إن للجسم حدًا وإن له نهايات .

§ ٨ — إذا كان الوجود لا متناهيًا فلم لا يكون الوجود لا متناهيًا كذلك؟ ما المانع أن يكون للوجود وللوجود بعض كيف مشتركة ومتماثلة؟ فإنه لا يمكن فعلا أن يحس الوجود . وكيف يحس ما ليس موجودًا . وكذلك يمكن تمامًا ألا يحس فعلا ما هو موجود . يمكن قول الاثنين معا وتصوّرها معا . الوجود ليس أبيض ولكن هل ينتج من ذلك وجوب القول بأن كل الموجودات بيض

حتى ولو لم يكن له حدود . وهذا ليس إلا الالمحدد واللامعین . — عظمًا لا حد له هو يسمى لا متناهيًا — وربما كان الأولى أن يقال "كما" وحينئذ يكون التعبير أعم .

§ ٧ — ومتى جعل الله فليكما — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — فن الضروري أن يكون له حد — هذا يناقض فكرة لانهاية الله ، والرد شديد القوة . — إذ أنه يعني بفلكي — هذا في الواقع هو تعريف الفلك كما هو تعريف الدائرة على السواء بفارق واحد هو ما بين الجسم وبين السطح . — حدا ... نهايات — هذا التماثل موجود في اللغة الفرنسية كما هو في اللغة الإغريقية لأنه في الذهن دون أن يكون في اللفظ فقط .

§ ٨ — إذا كان الوجود لا متناهيًا — هذه الرواية هي التي كانت عند فيلسافينو كما تدل عليه ترجمته وهي الوحيدة التي يمكن قبولها بالنظر إلى سياق النص وإن كانت لا توجد في المخطوطات . — بعض كيف — "أو حالات" عبارة النص غير محيرة . — يحس ما ليس موجودًا — ظننت وأجبا على أن أضيف هذه الجملة . فإن هذا التكرير ليس في النص . — الاثنين — اللذين ينطبقان على السواء على الوجود وعلى الوجود . وفي الحق أن لا يحس وما لا يدرك بوجه ما هو بالنسبة لنا كأنه لا موجود ولو كان موجودًا . إنه بالنسبة لنا هو الوجود ولو لم يكن في الواقع . — وجوب القول — ليس النص على هذا القدر من السعة .

حتى لا يسند شيء واحد الى الموجود والى الالاموجود ؟ أولا يمكن أن يوجد بين الموجودات واحد لا يكون أبيض ؟ وإذا كان الأمر هكذا على نقيض القاعدة العتيقة أن الموجود لا ينحصر في أن يكون له أكثر منه في ألا يكون له فاللا متناهي قد يقبل أيضا سلبا ثانيا . وبالنتيجة فالموجود أيضا يمكن أن يكون لا متناهيًا أو أن يكون له حد .

§ ٩ — ولكن ربما يكون من غير المعقول أن تلزق اللانهاية بالاموجود . فانه لا يمكن أن يقال على كل شيء إنه لا متناه لا شيء إلا لأنه ليس له حد ، كما أنه لا يقال مثلا على الالاموجود إنه غير متساو . § ١٠ — ولكن بما أن الله واحد فلمماذا لا يكون له حد ؟ لاشك في ذلك ولكن لا يمكن أن يكون له حد تلقاء إله آخر . اذا كان الله واحدا كله فيلزم أن تكون جميع أجزاء الله لا تكون

— لا يكون أبيض — كما أن الالاموجود لا يكون كذلك . — سلبا ثانيا — ليس المعنى بين الظهور لأن اللامتناهي ليس هو ذاته سلبا . فانه لا سلب إلا في الالامحدود واللامعين ، وقد يمكن التديل من جهات نظر شتى على أن اللامتناهي أقوى وجودا من المتناهي أو بالأولى هو الموجود الحقيقي الوحيد . من هذا ترى كيف أن الله هو لا متناه من أى ناحية يعتبره عقلنا الضعيف سواء في الزمان وفي المكان وفي القدرة وفي العدل وفي الرحمة... الخ . — القاعدة العتيقة — لا أعرف مؤلفا آخر قد ذكر هذه القاعدة . وربما كان لهذا المعنى معنى آخر غير المعنى الذى اخترته وقد يعنى به بالبساطة "على ضد ما ذكر آتفا" . وكنت أختار هذا المعنى اذا كانت هذه العبارة كرت ولو بجزئها فيما تقدم . ولكنى لا أراها جلية فيه . — وبالنتيجة فالموجود أيضا يمكن أن يكون لا متناهيًا — لا يظهر أن هذه النتيجة لازمة ولكن الفكرة صادقة . فانما الموجود في الواقع هو اللامتناهي ، في حين أن الالاموجود لا يمكن أن يسمى بهذا الاسم إلا بالنسبة للموجود الذى هو سلب له . § ٩ — أن تلزق — يظهر لى أن هذا النوع من الابتدال موجود أيضا في النص . — اللانهاية — والأحسن : "معنى اللانهاية" . — لا شيء ، إلا لأنه ليس له حد — بين أن الفرق كبير جدا بين اللامتناهي واللامحدود . — مثلا — أضفت هذه الكلمة .

§ ١٠ — لاشك في ذلك ولكن لا يمكن أن يكون له حد . — ليست عبارة النص على هذا المقدار من البيان ولكن الفكرة بيّنة فيما يظهر ولو أن المخطوطات ليست متفقة الرواية . — تلقاء إله آخر — عبارة النص "تلقاء إله" ومع ذلك فان كل هذا الموطن قد أصلح تبعا لما ارتأى "برانديز" وتبرره ترجمة فيليسيانو .

أيضا إلا وحدة محضة . لأنه لا يفهم ، إذا كانت الأشياء المتكثرة يحد بعضها بعضا بالتبادل ، أنه يلزم على ذلك أن الأحد يكون لا حده . لأن الكثرة والوحدة لهما عدة محمولات متشابهة تماما والموجود مشترك بين إحداهما وبين الأخرى . فقد يكون من الغريب أن يذهب الى إنكار وجود الله ، ما دام وجود الكثرة أمرا مسلما ، حتى لا يشبه الله الأشياء في هذا المعنى .

§ ١١ — لماذا الله مع كونه واحدا لا يكون متناها ولا يكون له حدود ، كما يقوله برمينيد وهو يعترف لله بالوحدانية حين يشبهه
« بالفلك المستدير تماما والمتساوي في جميع النقاط

ابتداء من المركز »

في الواقع أن شيئا يمكن أن يكون له بالضرورة حد من غير أن يكون ذلك بالإضافة الى شيء ما . كما أنه ليس من الضروري أن ما له حد يكون له حد إضافي . كالمتناهى بالنسبة لغير المتناهي الذي يليه . أن يكون متناها إنما هو أن يكون له نهايات ، ولكن ما له نهايات ليست له بالضرورة بالنسبة الى شيء ما . بل يوجد بعض أشياء تكون معا متناهية وملازمة شيئا ما ، ولكن من الأشياء أيضا ما هي متناهية وليست كذلك بالإضافة الى شيء ما .

— وحدة محضة — في هذا ما في الملاحظة السابقة . — الأحد يكون لا حده — ليس هاهنا رواية أخرى ولكن الفكرة ليست جلية البيان ولو أن العبارة ذاتها جلية . فان الموجود مفهوم على جهة الوحدة التي تشمل الكل هو بالضرورة لا متناه . — الكثرة والوحدة — ر . ما سبق ب ٨ حيث الموجود واللاموجود مقارنان أيضا في هذا المعنى . — وجود الله ... وجود الكثرة — هذا التكرار هو في النص . — في هذا المعنى — عبارة النص هي كذلك مبهمة . والتناقض المشار اليه هاهنا قد تكرر في نظريات الإسكندر بين وقد ذهبوا فيه الى حد إنكار الوجود على الأحد كما كانوا يتصورونه مع إثباتهم الوجود للأشياء الجزئية .

§ ١١ — كما يقوله برمينيد — هذا البيت قد ذكره أرسطو بجزئه في الطبيعة ك ٣ ب ٩ ف ٤ ص ١٢٦ من ترجمتنا ر . أيضا مقطوعات برمينيد البيتين ١٠٣ و ١٠٤ طبعة فيرمين ديدو . — ابتداء من المركز — أو ”من مركزه“ هذا هو تعريف الفلك كما تعطيه الهندسة . — من غير أن يكون ذلك بالإضافة الى شيء ما — الظاهر على ضوء ذلك أن معنى الحد يستتبع ضرورة معنى الاضافة . — حد إضافي — أو بالإضافة الى شيء ما . — وملازمة شيئا ما — هذا هو معنى المتناهي بعينه . — وليست كذلك بالإضافة الى شيء ما — كان ينبغي أن يذكر المؤلف هذه الأشياء على نحو أضبط من هذا .

١٢٨ — ومن جهة نظر أخرى القول بأن الموجود والأحد ليسا لا متحركين ولا يتحركان مع ذلك بحجة أن الالاموجود لا يتحرك وإنما هو قول من الغرابة بمكان ما سبقه على الأقل . إنه لا تماثل قطعا ، كما قد يمكن أن يظن ، بين أن يقال إن شيئا لا يتحرك وبين أن يقال إنه لا متحرك . فمن جهةٍ إنما هذا هو سلب للحركة على جهة ما يقال على شيء إنه لا يكون مساويا ، وهذا يمكن أن يصدق حتى على الالاموجود ، في حين أنه من جهة أخرى يقال على شيء إنه لا متحرك لأنه فعلا على حال ما ، كما أنه يقال على شيء إنه لا مساو ، فهنا السكون هو ضد الحركة كما أن على العموم جميع السلوب المكونة من همزة الإزالة تنطبق على أضداد . حق أن يقال على الالاموجود إنه لا يتحرك ولكنه ليس حقا أن يقال على الالاموجود إنه في سكون . كما أنه لا ينبغي أن يقال إنه لا متحرك وهذا ماله المدلول بعينه . ولكن إكسينوفان يستعمل في حق الالاموجود لفظ السكون ويقول إن الالاموجود هو في سكون لأنه لا تقلة له .

١٢٩ — ليسا لا متحركين ولا يتحركان مع ذلك — ر . ماسبق ب ٣ ف ٧ وربما كان يلزم وضع صيغة المفرد موضع صيغة المتنى فان الموجود والواحد متحدان كلاهما . — إن شيئا لا يتحرك وبين أن يقال إنه لا متحرك — في اللغة العادية لا فرق بين هذين التعبيرين . ولكنه يمكن أيضا تمييزهما كما قد كان ها هنا . ففي يقال على شيء إنه لا يتحرك فذلك بأن في طبيعته إمكان التحرك ومتى يقال على ضد ذلك : إنه لا متحرك فذلك بما أنه ممنوع الحركة على الإطلاق . — وهذا يمكن أن يصدق حتى على الالاموجود — ولو أن الالاموجود يكونه لا شيئا يمكن أن يوصف بكل كيف أو أن يسلب كل كيف على السواء . — لأنه فعلا على حال ما — العبارة مبهمه ولم أشأ أن أحررها . — كما أن على العموم جميع السلوب المكونة — ربما لم يكن هذا إلا تذييلا أضافه بعض المفسرين . — إنه لا يتحرك — يعني أنه دائما ينبغي أن يتكلم على الالاموجود بالصيغة السلبية . ومتى يقال على الضد من ذلك ” موجود ساكن ” و ” موجود لا متحرك ” فذلكم إيجابيات لا يحتملها الالاموجود . وكل ذلك غامض دقيق . — وهذا ماله المدلول بعينه — باعتبار أن لا فرق إلا في شكل العبارة بعض الشيء . — إكسينوفان — عبارة النص هي ” هذا “ ر . ب ٣ ف ا ب ا ف ا .

§ ١٣ — وكما قلنا آنفا قد يكون من الخطأ الجزم — لا لشيء سوى أن محولا يصلح حمله على المعدوم — بأن هذا القول لا يكون صالحا بعد الحمل على الموجود خصوصا اذا كانت الكلمة التي تستعمل لذلك ليست إلا سلبا نحو قولهم : لا يتحرك ولا ينتقل ؛ فاني أكرر أن كثيرا من المحمولات ما يجوز حمله أيضا على الموجودات لأنه يوجد اشياء كثيرة لا يصدق عليها القول بأنها ليست آحادا بحجة أن المعدوم ليس واحدا . ثم إنه يوجد أشياء فيها السلوب بعينها تنتج الأضداد فيما يظهر . فمثلا من الضروري أن يوجد إما مساواة وإما لا مساواة ما دام هناك كم ؛ وأنه كذلك يوجد إما زوج وإما فرد ما دام هناك عدد . وكذلك أيضا يلزم أن يوجد إما حركة وإما سكون ما دام هناك جسم .

§ ١٤ — غير أنه اذا قيل إن الله والأحد لا يتحرك البتة لأن الأشياء المتكثرة تتحرك بعضها نحو البعض الآخر، فما الذي يمنع أيضا أن الله يتحرك بأن يسعى نحو شيء آخر؟ هذا قطعا ليس لأنه ليس إلا الله بل لأنه لا واحد أحد إلا الله . واذا لم

§ ١٣ — وكما قلنا آنفا — ر . ما سبق ف ٨ و ف ١٢ . — ليست إلا سلبا — سلبا له بالنتيجة علاقة بالاموجود أكثر منها بالموجود . — أكرر — ر . ما سبق ف ٧ و ٨ . — أيضا على الموجودات — التي يمكن حملها على الالاموجود . — ليست آحادا — أى لا تكون وحدة . وكل الأشياء الشخصية هي في هذه الحالة . — تنتج الأضداد فيما يظهر — قد كان ينبغي أن يقال : «الأضداد أعيانها» كما يظهر أن ذلك ينتج من الأمثلة المضروبة . — إما حركة وإما سكون — هذه النتيجة ليست أقل ضرورة من الاثنتين الآخرين . غير أن المقابلة الصريحة لا توجد إلا في المثل الأول حيث المساواة واللامساواة معبر عنهما بكلمتين أصلهما واحد ولا تختلفان إلا بالسلب وفي المثل الثاني والثالث الكلمات مختلفة ولها جميعا صورة الإيجاب ولم أستطع في لغتنا «الفرنسية» أن أحصل هذه الفروق مع شدة رغبتي فيها .

§ ١٤ — لا يتحرك البتة — قد حفظت صيغة المفرد لأن الله والأحد متحدان . — بأن يسعى نحو شيء آخر — قد حافظت على تردد النص ولكن الفكرة ليست صحيحة لأن الله بأنه في كل مكان لا يمكن أن يتحرك كالموجودات الجزئية نحو مكان لم يكن فيه . — ليس إلا الله — الفكرة تبقى غامضة كالعبرة خصوصا متى أذكر أن إكسينوفان فيما سبق قد جعل الله على كل شيء قديرا .

يتحرك هو ذاته فما المانع أن أجزاء الله بتحركها بعضها نحو بعض أن يكون الله هو أيضا له حركة دائرية ؟ .

§ ١٥ — لكن على هذا لا يكون بعدُ واحدا كما يعنى زينون إنما هو متعدّد كما قد نبه إليه ؛ لأن زينون يقرّر أن الله جسم سواء جعله هو الكل الذى نرى أو سمّاه باسم آخر . وإذا كان الله لا جسمانيا فكيف يكون فى الواقع فليكا ؟ ويلزم أن يكون لا جسمانيا أعنى لم يكن أصلا لكى لا يكون له حركة ولا سكون . وإذا كان جسما فما المانع أن يتحرك كما قد قيل ؟ .

— أجزاء الله — هذا فيما يظهر إدماج الله والعالم كما قد اتهم به إكسينوفان . — له حركة دائرية — باعتبار أن الحركة الدائرية هى وحدها التى يمكن أن تكون لامتناهية وأزلية . ر . الطبيعة ك ٨ ب ١٢ ص ٥٢٩ من ترجمتنا .

§ ١٥ — زينون — إن ذكر زينون بالصراحة يجيز الاعتقاد ، فيما يظهر ، بأن هذه الرسالة يجب أن يكون لها جزء رابع فيه الكلام على زينون كما أن الكلام فى الثلاثة الأخر على ميليسوس وإكسينوفان وغريغاس ر . ما سبق فى التحقيق . — إنما هو متعدّد — الترجمة الحرفية للنص هى ” كثير من الأشياء ” . — الذى نرى — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — يكون فى الواقع فليكا — كما فى سبق ف ١١ فى بيت پرمينيد . — أن يكون لا جسمانيا — هذا هو بالضبط ما يؤيده أرسطو فى الباب الأخير من الطبيعة ف ٢٦ ص ٥٦٩ من ترجمتنا . — كما قد قيل — أو ” كما قد قلت آنفا ” .

مذاهب غرغياس

الباب الخامس

النظريات الثلاث الأصلية لغرغياس : على الوجود وعلى امتناع العلم وعلى نقل العلم — على النظرية الأولى يجمع غرغياس بين الآراء السابقة — ميليسوس وزينون — بسط مذهب غرغياس في امتناع الموجود والمعدوم على السواء .

١ § — هو يقرر أن لا شيء بموجود حقيقة ، وأنه إن يوجد من شيء فهذا الشيء يبقى مجهولا عندنا ، وأنه إن يوجد شيء ويمكن لأمرئ العلم به فإنه لا يمكن التعبير عنه للأغيار .

٢ § — فيما يتعلق بهذا القول الأول الذي هو أن لا شيء بموجود حقيقة يؤلف غرغياس بين نظريات فلاسفة آخرين ، إذ يقررون أفكارا متناقضة في أمر الحقيقة كما تظهر لنا . اعتقدوا : هؤلاء أنه لا شيء إلا الوحدة وأن الكثرة متمنعة ، وأولئك ، على ضد ذلك ، أن الكثرة وحدها هي الحقيقة وأن الوحدة ليست حقيقة . ذلك بأن بعضهم يرون الأشياء غير مخلوقة والآخرين يرونها مخلوقة .

١ § — هو يقرر — ر . ما سبق ب ١ ف ١ وب ٣ ف ١ . غرغياس ليس مذكورا هنا وشأنه في ذلك شأن ميليسوس وإكسينوفان . ولكن بخطوطة ليبرز عنوان هذا الجزء من الكتاب : ” في أرسطوطاليس على غرغياس “ ولا يمكن أن يكون هاهنا أقل شك في أمر الفيلسوف الذي يخصه هذا التحليل . التحقيق السابق . — لا شيء بموجود حقيقة — ر . فيما سبق ب ١ ما يتعلق بميليسوس وفيما بعد تحليل سكستوس أمبيريكوس لمذهب غرغياس .

٢ § — غرغياس — في هذه الفقرة أيضا لم يسم غرغياس وليس بها إلا فعل مسند الى ضمير الغائب . — كما تظهر لنا — أو ” كما تظهر لهم “ . — يرونها مخلوقة — ر . كتاب السماء ك ١ ب ١٠ ص ٨٣ من ترجمتنا .

§ ٣ — يؤلف غريغاس بين هذين الرأيين ليدلل هكذا : ” يقول إنه يلزم ضرورة إن كان شيء موجودا أن يكون هذا الشيء لا واحدا ولا كثرة ، وأن تكون الأشياء لا غير مخلوقة ولا مخلوقة . وحينئذ لا شيء بموجود . وإذا كان في الواقع شيء فيلزم أن يكون إما أحدهما وإما الآخر . فاما أنه لا وحدة ولا كثرة وأن الأشياء ليست لا مخلوقة ولا غير مخلوقة فإنه يحاول إيضاح ذلك إما كميليسوس وإما كزينون بعد برهانه الخاص به إذ يثبت على طريقته أن الموجود واللا موجود لا يوجدان لا أحدهما ولا الآخر . § ٤ — فعنده أنه إذا كان ممكنا أن اللاموجود يكون اللاموجود فيكون اللاموجود ليس بأقل وجودا من الموجود . لأن هذا اللاموجود يكون اللاموجود ، كما أن الموجود يكون الموجود ؛ بحيث إنه لا يمكن أن يقال على الأشياء إنها تكون بأقوى من أن يقال عليها إنها لا تكون . § ٥ — يقول غريغاس : ” إذا كان اللاموجود موجودا فمن ثم لا يكون الموجود بعدد مقابله لأنه إذا اللاموجود يكون فيلزم أن الموجود لا يكون . وبالنتيجة أنه لا شيء بموجود ؛

§ ٣ — يؤلف غريغاس — كذلك هنا لم يسم غريغاس . — يقول ... لا واحدا ولا كثرة — ر . ماسيلي . تحليل سكستوس أمبيريكوس في أوله . — أن يكون إما أحدهما وإما الآخر — قد حفظت عبارة النص في ترددنا كله . وبعبارة أخرى ” يلزم أن يكون ما كان إما واحدا أو كثرة . ويلزم أن يكون إما مخلوقا وإما لا مخلوقا “ . — إما كميليسوس وإما كزينون — من هذه الفقرة التي قد ذكر فيها ميليسوس وزينون بالاسم يمكن استنتاج هاتين النتيجةين : أولا أن الجزء الأول من هذا الكتاب يتعلق تماما بميليسوس ، وثانيا أن هذا الكتاب ناقص منه جزء كان فيه تحليل آراء زينون كما حلت آراء ميليسوس وإكسينوفان وغريغاس . ر . التحقيق . — أن الموجود واللاموجود — عبارة النص حرفيا هي ” أن الموجود واللاموجود لا يكونان “ .

§ ٤ — أن اللاموجود يكون اللاموجود — كل السفسطة تعتمد على فعل ” الكون “ مستندا الى اللاموجود . وما دام أنه يقال على اللاموجود إنه كائن فيمكن أن يستنتج منه أنه هو والموجود سيات . وتلك هي دقائق غير جدية . وقد أحسن أفلاطون وسقراط في أنهما سخرا بهذه السفسطة . — أن يقال على — ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٥ — يقول غريغاس — ليس في النص إلا أن الفعل مستند الى ضمير الغائب ولم يسم غريغاس ولكن اضطررت لإظهاره لبيان الفكرة في الترجمة . — مقابله — لفظة المقابلة أعم من التضاد . ر .

إلا أن يكون الموجود واللاموجود شيئاً واحداً بعينه . ولكن إنما هما في الواقع شيء واحد ومن ثم لا يوجد شيء . لأن اللاموجود ليس يكون ، فالوجود ليس يكون كذلك مادام أنه مماثل للاموجود . هذا هو تدليل غرياس حرفاً بحرف .

المقولات ب ١٠ ص ١٠٩ من ترجمتنا . — شيئاً واحداً بعينه — ويظن غرياس أنه قد برهن على أنهما متماثلان . — ومن ثم لا يوجد شيء . — قد يمكن أيضاً أن يستنتج منه أن الكل موجود الموجود واللاموجود على السواء . وتكون هذه النتيجة صحيحة كالأخرى . — حرفاً بحرف — أضفت هذا القيد لأحصل قوة النص الإغريقي .

الباب السادس

نقض نظرية غريغاس الأولى — شاهد من ميليسوس وزينون — الموجود واللاموجود لا يشتهان .
والحركة هي ممكنة — شاهد من مقالات لوكيس — نقض نظرية غريغاس الثانية على امتناع العلم . ونقض
النظرية الثالثة على امتناع نقل العلم بعد كسبه — إيدان بأن نظريات الفلاسفة القدماء ستدرس بعد دراسة
خاصة .

§ ١ — لا ينتج البتة من أدلة غريغاس أن لا شيء يوجد . لأنك ترى
كيف يدل على الأشياء التي يحاول إثباتها . إذا كان اللاموجود يوجد أو بعبارة أعم
لو أن اللاشيء يوجد فالموجود هو كذلك اللاموجود على السواء .

§ ٢ — ولكن لا يظهر البتة أن الأمر هكذا ولا أن هناك أدنى ضرورة لأن
يوجد اللاموجود . كما يكون الحال في شيئين أحدهما يكون حقيقة والآخر لا يزيد
على أن يظهر . فيلزم بالضرورة أن يكون أحدهما حقا والآخر ليس كذلك . كذلك
من أن اللاموجود لا يوجد لا ينتج أن الاثنين أو أحدهما يجب أن يكونا أو ألا
يكونا . يقول غريغاس : لأن اللاموجود ليس بأقل وجودا من الموجود اذا كان
"ليس يكون" هو أيضا شيئا ما . لذلك لا يقال البتة إن اللاموجود يكون البتة بأى

§ ١ — أدلة غريغاس — هنا أيضا ليس غريغاس مسمى . وليس في النص كما قد سبق الا فل
مستند الى ضمير الغائب . — يحاول إثباتها — عبارة النص بالضبط : "التي يبرهن عليها" . وقد ظهر
لي أن أسلوب عبارتي أفضل . — لو أن اللاشيء يوجد — هذه عبارة النص نفسها وربما كان
الأحسن أن يقال "اذا لم يوجد شيء" . — فالموجود هو كذلك اللاموجود على السواء — يعنى أن
الموجود هو اللاموجود كما هو الموجود على السواء .

§ ٢ — أدنى ضرورة — أدنى ضرورة للبرهان الذى يلجئ الى الاستنتاج الموجه لجهة أو لآخرى .
— لا يزيد على أن يظهر — عبارة النص هي فقط "يظهر" . — من أن اللاموجود لا يوجد —
عبارة النص ليست على هذا القدر من الصراحة . — يقول غريغاس — اسم غريغاس ليس مذكورا . — اذا
كان "ليس يكون" هو أيضا شيئا ما — التناقض بين بياننا حتى في الألفاظ ولكن السفسطاني ما كان لينظر
في الأمر عن كتب هكذا . — لا يقال البتة — لا أحد إلا السفسطانيين كغريغاس والآخرين يعنى

وجه كان . فاذا كان الالموجود هو في حالة الالموجود فحينئذ لا يكون الالموجود على النحو الذى يكون عليه الموجود لأنه ليس إلا في حالة الالموجود بخلاف الموجود فإنه موجود فعلا .

§ ٣ — إذا كان حقا أن الالموجود قد وجد بطريقة مطلقة فيكون على الأقل عجيبا أن يقال إن الالموجود موجود . ولكن إذا كان هذا هكذا بالمصادفة فكيف إذاً يكون الحال أبدا بالنسبة للأشياء التى يرجح فى أمرها أن تكون على ألا تكون ؟ لأنه يظهر أن النقيض نفسه قد يمكن أن يكون حقيقيا أيضا .

§ ٤ — إذا كان الالموجود يكون وكان الموجود يكون أيضا، إذا فالكل موجود ما دام أن كل ما هو موجود وكل ما ليس بموجود كلاهما كائن من غير فرق، وأنه ليس من الضروري البتة إذا كان الموجود كائنا أن يكون الموجود غير كائن . عبنا يقال إن الالموجود يكون والموجود لا يكون فإن ذلك لم يؤثر شيئا فى أن جميع الأشياء موجودة مادام أننا لو صدقنا ذلك القول لأصبحت الأشياء التى لا تكون كائنة .

البتة بأن يؤتى الالموجود أقل حقيقة ولا أدنى وجود . — فى حالة الالموجود — إنما يدور الإيهام على صيغة المصدر مادام أن الالموجود هو الالموجود فانه موجود فى الحقيقة كالوجود سواء بسواء .

— على النحو الذى يكون عليه الموجود — الجواب ليس قاطعا .

§ ٣ — قد وجد بطريقة مطلقة — أى على حد سواء هو والموجود ذاته . — عجيبا — ربما كان فى الأسلوب الإغريق نوع من التهم يناسب فى الواقع كل المناسبة الرد على هذه الدقائق . — فى أمرها أن تكون على ألا تكون — هذا بين بذاته ولكن غرياس إذا ينال الظفر وقد استنتج منه أن لاشئ بموجود .

فالدليل حينئذ مزدوج الغاية فانه يمكن أن يستنتج منه الوجود كما يستنتج منه الالموجود سواء بسواء . — النقيض نفسه — يعنى ” نقيض ما يقال هو أيضا حقيقى كالذى يقال ” .

§ ٤ — الالموجود يكون — كما يزعم غرياس . — كلاهما كائن — احتفظت بعبارة النص إن لم تكن قطعية فإن الالموجود حقيقة كالوجود فإن السلب صادق كالإيجاب سواء بسواء . — من غير فرق — أضقت هذه العبارة التى تؤخذ من أسلوب النص . — ليس من الضروري البتة — من حيث إن نظريات غرياس ، المتناقضات صادقة على سواء وأن الأمر وضده يمكن إقامة الدليل عليهما أحدهما كالآخر .

— لو صدقنا ذلك القول — عبارة النص هى ” على حسب تدليل هذا ” يعنى غرياس .

§ ٥ — ولكن إذا كان "يكون ولا يكون" شيئا واحدا فمن ثم لا يمكن أن يقال بعدد على شيء إنه يكون كما لا يمكن كذلك أن يقال عليه إنه لا يكون . لأنه كما أن غريغاس يقرر أنه إذا كان الوجود والموجود هما شيئا واحدا ، فالموجود ليس يكون بأشدد وجودا من الوجود بحيث ينتج أن لا شيء بموجود . كذلك يمكن أن يؤيد العكس أن الكل موجود لأنه لما أن الوجود هو كالموجود تماما فيستنتج منه أن الكل موجود بالحققة .

§ ٦ — بعد هذا الدليل هو يقيم دليلا آخر يقول : إن يوجد من شيء فإما أن يكون هذا الشيء لا مخلوقا وإما أن يكون مخلوقا . فإذا كان لا مخلوقا فهو لا متناه ، على ما يفترض غريغاس بحسب مبادئ ميليسوس . ولكن اللامتناهي ليس في مكان ما ، ما دام أنه ليس في نفسه ولا في غيره ، وحينئذ يكون إذا لا متناهيان أو عدة لا متناهيات هذا الذي في الآخر وذاك الذي الآخر فيه . ولما لم يكن في مكان ما فهو لا شيء ، على حسب أدلة زينون على حيز الموجودات . وبهذه الأدلة يستنتج غريغاس أن الموجود لا مخلوق .

§ ٥ — شيئا واحدا — يعنى في النظرية التي يعنى المؤلف بإبطالها . — أن يقال بعد — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — كما أن غريغاس يقرر — عبارة النص هي "هذا" . — إذا كان الوجود والموجود هما شيئا واحدا بعينه — هذا هو أساس سفسطة غريغاس . — أن لا شيء بموجود — وبعبارة أخرى أن لا شيء موجود لا صادقا ولا كاذبا . — العكس — أو بعبارة أخرى "بعكس القضية" — أن الكل موجود بالحققة — النص ليس على هذا القدر من السعة . ر . ما سيلي في تحليل سكستوس أمبيريكوس .

§ ٦ — على ما يفترض غريغاس — كذلك ها هنا ليس غريغاس مذكورا بالاسم . — ميليسوس — ميليسوس مذكور بالاسم صراحة ر . ما سبق ب ٥ ف ٣ والتحقيق السابق . — ولكن اللامتناهي ليس في محل ما — وبما هو ليس في مكان فيستنتج منه أنه ليس موجودا البتة كما سيذكر فيما سيلي . — زينون — ر . ما سبق ب ٥ ف ٣ . — على حيز الموجودات — زدت المضاف إليه الأخير . راجع فيما يتعلق بنظرية زينون الطبيعة لأرسطو ك ٤ ب ٣ ف ٦ ص ١٤٦ من ترجمتنا وب ٥ ف ١٠ ص ١٦١ . — يستنتج غريغاس — ليس غريغاس مذكورا بالاسم والنص ليس على هذا القدر من البيان . ر . ما سيلي في تحليل سكستوس أمبيريكوس حيث هذا التدليل على بسطة من البيان .

§ ٧ — ولكن الموجود لا يمكن كذلك أن يكون قد خلق . فانه لا يمكن في الواقع أن يكون قد نخرج من الموجود ولا من المعدوم . لأنه إذا كان الموجود يسقط وهو مخلوق فلم يكن إذاً الموجود ، كما أن اللاموجود لا يكون بعد اللاموجود من وقت أن يصير شيئاً ما . ومن جهة أخرى الموجود لا يمكن أيضاً أن يأتي من اللاموجود ؛ لأنه إذا كان اللاموجود لا يكون فممتنع من ثم أن أيّاً كان يتولد من لا شيء . وإذا كان بالمصادفة اللاموجود يوجد فإن الأسباب التي تجعل الموجود لا يأتي من الموجود هي عنها تجعله لا يأتي أيضاً من اللاموجود الذي هو كائن .

§ ٨ — فإذا كان حينئذ من الضروري ، ما دام أن شيئاً ما موجود ، أن هذا الشيء يكون لا مخلوقاً أو مخلوقاً وأن كلا الأمرين ممتنع ، فينتج منه أنه ممتنع أيضاً أن يوجد أي شيء ما .

§ ٩ — يقول غريغاس : زد على هذا أنه إذا شيء يوجد فيلزم أن يكون هذا الشيء واحداً أو كثرة . فإذا لم يكن لا واحداً ولا كثرة فينتج منه ألا يوجد شيء . ذلك الشيء لا يمكن أن يكون واحداً ، لأن "الواحد" يجب أن يكون لا جسمانياً

§ ٧ — لا يمكن كذلك أن يكون قد خلق — أو "أنه قد صار" هذا هو الجزء الثاني من تدليل غريغاس . — فانه لا يمكن في الواقع — على حسب تدليل غريغاس . — يسقط — هذه هي عبارة النص بعينها ، فإن الموجود ليصير يجب أن يفقد كرامة الوجود وينتدئ في ألا يكون بعد ليصير شيئاً ما . — اللاموجود لا يكون بعد اللاموجود — ولكن يظهر هنا أن اللاموجود عوضاً عن أن يسقط فهو يسمو بوجه ما ليصير شيئاً ما . وتلك دقائق لفظية . — أيّا كان يتولد من لا شيء . — هذا هو مبدأ ميليسوس ر . ب ١ ف ١ — بالمصادفة — أضفت هذه الكلمة .

§ ٨ — لا مخلوقاً أو مخلوقاً — ر . ما سبق ف ٦ وقد اضطررت الى استعمال لا مخلوق ومخلوق لأن لم أجد خيراً منهما في لغتنا (الفرنسية) ولكنهما لا يتصلان بالضبط معنى الكلمات اليونانية . فان شيئاً إذا صار فذلك بأنه ليس أزلياً وبالأقل من جهة أن يصير وأن يتغير بالنتيجة . فإذا كان على الضد أزلياً فما كان ليصير بل يبقى هو ما هو . — ممتنع ... ممتنع — هذا التكرير هو في النص . ر . فيا سنيلي هذا التدليل مبسوطاً أكثر من ذلك في تحليل سكستوس أمبيريكوس .

§ ٩ — يقول غريغاس — النص لا يذكر غريغاس بالاسم وليس به إلا فعل مستند الى ضمير

واللاجسماني هو لا شيء ، كما يقول غريغاس متبعا في ذلك رأيا يقرب كثيرا من رأى زينون . وبما أن الموجود لا واحد ، فإنه ليس أيضا كثرة من باب أولى . ولكن الموجود بما هو لا واحد ولا كثرة فهو غير موجود البتة . وبالنتيجة يقول غريغاس أيضا : إذا كان كذلك فما هو إلا لا شيء . وفي الواقع إذا لم يكن لا واحدا ولا كثرة فانما هو ليس أيا كان .

§ ١٠ — يزيد على ذلك : لكن لا شيء ليس في حركة ؛ لأنه إذا كان الموجود في حركة فلا يكون بعدُ هو ما هو . وحينئذ الموجود لا يكون بعدُ واللاموجود يصير شيئا . وفوق ذلك بما أن الموجود يتحرك وينقطع عن أن يكون متصلا بانتقاله فعلى هذا المعنى هو لا يكون بعدُ . وبالنتيجة إذا كان متحركا في جميع أجزائه فهو منقسم في جميعها على الإطلاق ، وإذا كان هكذا فليس موجودا البتة . وفي هذا الصدد يقول غريغاس : إن الموجود هو ناقص من جهة ما هو منقسم — وهو يتكلم على التجربة عوضا عن أن يتكلم على الخلو كما كتبه لوكيس فيما يسمى بمقالاته .

الغائب . ر . فيما يتعلق بهذا الدليل الجديد تحليل سكستوس أمبيريكوس . — يقول غريغاس — ليس في النص اسم غريغاس . — رأى زينون . ر . ما سبق آنفا ف ٦ وب ٥ ف ٣ . — يقول غريغاس أيضا — لم يسم هنا أيضا .

§ ١٠ — لا شيء ليس في حركة — هذا الجزء من تدليل غريغاس ليس موجودا في تحليل سكستوس أمبيريكوس . وربما كانت هذه الأدلة ضد الحركة متعلقة بزينون أكثر من تعلقها بغريغاس . ولكن لا شيء في النص يدل على أنه يلزم نسبتها هنا إلى زينون . — فلا يكون بعدُ هو ما هو — لأن الحركة تقتضي دائما تغيرا . — وحينئذ الموجود لا يكون بعدُ — إذا كان الموجود لا يندم بأكمله فبالأقل يفقد منه جزء ويكون هو الذي يصير غير ما كان . — وينقطع عن أن يكون متصلا — لا يرى لأى شيء يمكن أن يكون هذا لازما فإن الموجود يمكن ألا يفقد شيئا من اتصاله بنقلته . — في جميع أجزائه — عبارة النص ليست بيّنة جَدَ البيان . — يقول غريغاس — ليس في النص هنا أيضا اسم غريغاس . — لوكيس فيما يسمى بمقالاته — يظهر أن المؤلف ، كما نيه إليه ملاح لليس هنا واثقا من كتاب لوكيس . ر . قطع ديمقريطس للملاح ص ٣٧٤ ، يقول ديوجين اللايرثي ب ٩ ف ٤ : طبعة فيرمين ديدوص ٢٣٨ إن تيوفراسط كان ينسب إلى لوكيس كتابا معنونا " نظام العالم الكبير " الذي كان المعتقد دائما أنه لديمقريطس . ر . أيضا فيما سبق آراء لوكيس على الخلو في كتاب الكون والفساد ك ١ ب ٨ ف ٥ ص ٨٩ وقد يظهر جليا على حسب هذه الفقرة الأخيرة أن لوكيس كان قد كتب بعض مؤلفات يظهر أن المؤلف قد استخلص منها ما يقوله هنا .

§ ١١ — يظن غرغياس أنه في هذا قد وفى البيان حقّه . يقول : إذا ثبت حينئذ أن لا شيء فالكل حينئذ يعزب عن علمنا . فلم يبق بعد من ثم إلا ما يتصور . واللاموجود ما دام أنه غير كائن فلا يمكن البتة تصوره . ومتى كان هذا كان من المحال ، على رأى غرغياس ، ألا يكون هناك شيء باطل بل لا يكون خطأ أن يقال مثلا : إن "العربات تدرج على أمواج البحر" لأن كل هذا حق كما أن تقيضه حق . § ١٢ — ولكن كيف توجد الأشياء التى ترى أو التى تسمع بهذا السبب وحده وهو أن يتصور كل واحد منها ؟ فإذا لم يكن ذلك هو السبب الذى يجعلها تكون ، وإذا كانت الأشياء التى نتصورها لا توجد من أجل ذلك أيضا ، فهل للأشياء التى نشاهدها وجود أدخل فى باب الحقيقة والفعل من الأشياء التى نتصورها ؟ § ١٣ — فى الواقع ، كما أنه ممكن جدا أن كثيرا من الناس يشاهد الأشياء فكذلك من جهة أخرى كثير من الناس يتصورها أيضا . فالأشياء الذهنية هى إذاً على الإطلاق مثل الأشياء الخارجية . ولكنه لا يدرى أى الفريقين هو الحقيق . وبالنتيجة إن يوجد من شيء فمن المحال أن تكون الأشياء معلومة لنا .

§ ١١ — غرغياس — ليس غرغياس مذكورا هنا أيضا بالاسم . — فالكل حينئذ يعزب عن علمنا — هذه هى النظرية الثانية لغرغياس . ر . ماسبق ب ٥ ف ١ وتحليل سكستوس أمبيريكوس . — فلم يبق بعد من ثم — ليس النص على هذا القدر من البيان . — فلا يمكن البتة تصوره — وغرغياس مع ذلك يتصور اللاموجود ما دام أنه يتكلم عنه . وكل هذا مبسوط فى تحليل سكستوس أمبيريكوس . — على رأى غرغياس — كذلك لم يسم هنا . — العربات تدرج على أمواج البحر — ر . فيما سيلي تحليل سكستوس أمبيريكوس حيث هذا المثل مذکور ومضاف إلى مثل غيره . § ١٢ — ولكن كيف — قد احتفظت بصيغة النص . ولكن من البين أن الجملة هنا غاية فى الإيجاز وأن الفكرة ليست مبسطة البسط الكافى . وتحليل سكستوس أفضل فى هذا الموطن . — لا توجد من أجل ذلك أيضا — لأننا نبصرها وفى هذا مجاوزة باللا أدريّة إلى مدى بعيد . ولكن تلك كانت هى عادة السفسطائيين إذ يلزم أن يقتحموا الذوق العام .

§ ١٣ — هى إذا على الإطلاق مثل الأشياء الخارجية — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . والتعبير الإغريق أعم ولكن المعنى بين الجلاء . — ولكنه لا يدرى — تلك سفسطة مخضة لأنه فى هذا الخصوص ، إلا أدري لا يتردد أكثر من العامى ويعتقد حقيقة إدراكه . — وبالنتيجة — النتيجة ليست لازمة . وفى تحليل سكستوس هذا الدليل أقوى وأمتن دون أن يكون بالغاً حد القوة .

§ ١٤ — يقول غريغاس : حتى مع التسليم بأنها معلومة لنا فهل يمكننا أن ننقل التعبير عنها إلى الغير؟ كيف يمكن الإنسان أن يعلم غيره بطريق الكلام ما قد شاهده هو بالنظر؟ وكيف يمكن الإنسان لمجرد سماعه شيئا أن يفهمه جليا إذا لم يكن قد رآه؟ وفي الواقع كما أن النظر لا يدرك الأصوات كذلك السمع لا يسمع الألوان ولا يسمع إلا الأصوات ؛ فالذى يتكلم يتكلم كلاما ولا يتكلم لونا ولا أى شىء آخر أيا كان. § ١٥ — لكن كيف يمكن أن يلتبس المرء في كلام الغير شيئا لم يكن هو نفسه قد تصوره؟ هل يتفق بالمصادفة أن توجد دلالة أخرى ، تعطيك فكرة الشىء إن لم يكن لونه حينما يرى وصوته حينما يسمع؟ لأن المبدأ هاهنا على رأى غريغاس ليس هو لا الصوت ولا اللون بل هو مجرد الكلام . فلا يفكر الإنسان لونا بل يراه ولا يفكر صوتا بل يسمعه .

§ ١٦ — لنفترض ، إذا شئت ، أن ذلك ممكن وأن الذى يتكلم يعلم الشىء وعند الحاجة يمكنه أن يعرفه فكيف أن الذى يسمع الكلام يكون موقنا بأنه يفهم الشىء بعينه على هذا النحو؟ لأنه ليس ممكنا أن يكون الشىء بعينه فى آن واحد فى كائنات عدة

§ ١٤ — حتى مع التسليم — مناقشة النقطة الثالثة . ر . ما سبق ب ٥ ف ١ ، وتحليل سكستوس أمبيريكوس . — يقول غريغاس — ليس فى النص إلا فعل مسند إلى ضمير الغائب . — لا يدرك الأصوات — قد كان الأحسن أن يقال : « لا يرى الأصوات » ولكن اتبعت النص الذى يتخذ تعبيراً عاماً كالذى اتخذته . — فالذى يتكلم يتكلم كلاماً — هذا التكرير فى النص .

§ ١٥ — أن يلتبس — هذه هى عبارة النص بعينها . — بالمصادفة — أضفت هذه الكلمة لبيان الفكرة . — دلالة أخرى — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — على رأى غريغاس — ليس غريغاس مذكورا بالاسم هنا . وأن المعنى الذى أختاره فى ترجمتى هو الأحسن فيما يظهر لى . ولكن يمكن أن يفهم هذه النقطة على وجه آخر : « الذى يتكلم لا يتكلم لا الصوت ولا اللون إنه لا يتكلم إلا الكلام » ولا يكون هذا إلا تكريرا لما قبل آتقا ، وهذا هو الذى حملنى على اتخاذ المعنى الذى اخترته .

§ ١٦ — وعند الحاجة — أضفت هذه العبارة . — أن يعرفه — « أن يقرأه » متى كان مكتوبا . — يكون موقنا — عبارة النص « يفهمه » . — أن يكون الشىء بعينه فى آن واحد — هذا يقتضى أن يكون الشىء حقيقيا فى الذهن كما هو فى الخارج وهذا ما قد ذكر فيما سبق . وعلى حسب هذه النظرية يمكن

وفي كائنات منفصلة لأنه حينئذ يكون الشيء الواحد عدة . يقول غريغاس : ولكن شيئاً واحداً ولو كان في آن واحد في عدة أذهان وكان فيها هو بعينه فلا شيء يمنع أنه يظهر متماثلاً عند جميع الأشخاص الذين هم أنفسهم ليسوا متماثلين في الظاهر والذين هم ليسوا على استعداد واحد بعينه . § ١٧ — لنسلم أيضاً أنهم في استعداد واحد أفلا يكونون إذاً اثنين بالأقل أو عدة؟ ولكن الشخص بعينه ليس له في الوقت الواحد إحساسات متشابهة فإن سمعه وبصره يعطيانه إحساسات مختلفة ، والإحساسات التي به في الحال هي مغايرة لإحساسات سابقة . فباطل إذاً أن تظن أن غيرك يمكن أن يكون له إدراكات شبيهة بإدراكاتك في أي شيء كان . § ١٨ — على هذا لا يمكن العلم بشيء ما مع التسليم بوجود شيء ما . خصوصاً أنه لا يمكن البتة للإنسان أن يعلم غيره ما يعلم هو ؛ لأن الأشياء ليست أقوالاً وأنه لا شخص يمكنه البتة أن يفهم بالضبط ما يفهمه شخص آخر .

§ ١٩ — كل هذه المسائل المحيرة قد أثارها فلاسفة آخرون أقدم عهداً . وسندرس هذه النظريات عند البحث الذي سنعقده لمذاهبهم المختلفة .

أن يقال على الشيء إنه محال لا شيء إلا لأنه معاً في عدة أحياز أو موجودات . ومع ذلك ففي الفكرة شطط . — الشيء الواحد — عبارة النص «الواحد» . — يقول غريغاس — لم يذكر في النص اسمه . — في الظاهر — زدت هذه العبارة . — على استعداد واحد بعينه — عبارة النص غير محددة . § ١٧ — أفلا يكونون إذاً اثنين — ليس المعنى بينا وقد حاولت أن أثبت به باضافة كلمة «بالأقل» . ومع ذلك يظهر لي أنه يمكن قبول سلسلة هذه المعاني التي هي مؤلفة النتائج بعضها مع بعض . — في الوقت الواحد — عبارة النص هي كالعبارة المذكورة في الفقرة السابقة ولكنه يكجها بأن أضاف إليها كلمة الوقت التي ربما يلزم أن تكون مقدرة في الفقرة السابقة .

§ ١٨ — على هذا لا يمكن العلم بشيء ما — ملخص نظرية غريغاس . ر . ما سبق ب ٥ ف ١ . — مع التسليم بوجود شيء ما — النقطة الأولى التي كان ينكرها غريغاس الذي هو من التبصر والادارية بمكان . § ١٩ — أقدم عهداً — من غريغاس . وربما عن هيرقليدس الآفريزوسي . — الذي سنعقده — ليس النص على هذا القدر من الصراحة ولكن يظهر أنه يعد بكتاب آخر بعد هذا .

قطع من ميليسوس

١

قال سمپليسيوس في شرحه كتاب الطبيعة لأرسطو (الورقة ٢٢) : فلننظر إذا إلى أدلة ميليسوس وهو الأول الذي أنحى عليه أرسطو . إن ميليسوس معتمدا على مبادئ^(١) الطبيعيين في كون الأشياء وفسادها ، يبدأ كتابه بالعبارات الآتية :

« إن لم يوجد شيء كيف يمكن بأى حال اعتبار هذا الشيء كأنه شيء ما ؟
« إن كان يوجد شيء ما فهذا الشيء إما مولود وإما أزلى . فان كان مولودا وكان قد
« كَوْن فهو لا يمكن أن يأتى إلا من الموجود أو من اللاموجود . ولكن ليس ممكنا أن
« ما ليس شيئا ، وبالأولى ما هو موجود على الإطلاق ، يمكن البتة أن يأتى مما ليس
« موجودا . كما لا يمكن أيضا أن يأتى مما هو موجود لأن الموجود حينئذ يكون قد وجد
« ولم يكن به من حاجة الى أن يصير وأن يوجد . إذاً الموجود لا يمكن أن يصير
« وإذاً فهو أزلى . ومن جهة أخرى الموجود لا يمكن أن يفسد ؛ لأنه ليس ممكنا أن
« الموجود يتغير إلى لا موجود . وتلك هى نقطة يوافق عليها الطبيعيون . ليس
« ممكنا أيضا أن الموجود يتغير إلى اللاموجود لأنه بهذه الطريقة أيضا الموجود
« يبقى ولا يفسد . على ذلك فالموجود ما كان يمكن أن يولد وإنه لن ينعدم ؛
« فقد كان وسيكون أبداً » .

٢

سمپليسيوس . المرجع السابق .

« لكن إذا كان ما قد ولد له أول فالذى لم يولد ليس له أول . فاذا كان الموجود
« ليس مولودا فلا يمكن أن يكون له أول كذلك . ويمكن أن يزداد على ذلك أن ما قد
« فسد له آخر ، ولكن إذا كان شيء غير قابل للفساد فليس له آخر ممكن . إذاً فالموجود
« بما هو غير قابل للفساد ليس له من آخر . وما ليس له لا أول ولا آخر هو بهذا عينه
« لا متناه . وإذاً فالموجود لا متناه » .

(١) الطبيعيون . هم فلاسفة مدرسة يونيا . ر . الطبيعة لأرسطو ك ١ ب ٢ ف ١ ص ٤٣٣ من ترجمتنا .

٣

سمپليسيوس . المرجع السابق .

« إذا كان الموجود لا متناهيًا فهو واحد . لأنه إذا كان موجودًا فلا يمكن أن يكونا لا متناهيين مادام أنهما يحَّدان بعضهما بعضًا . وبما أن الموجود هو لا متناه فالموجودات لا يمكن أن تكون كثرة . وإذا فالموجود هو واحد » .

٤

سمپليسيوس . المرجع السابق .

« إذا كان الموجود واحدًا فهو بالتبع لا متحرك . لأن الموجود بما هو واحد هو على الدوام مشبه لذاته . الموجود بما هو باق على الدوام شبيه لذاته لا يمكن أن ينعدم ولا أن ينمو ولا أن يتغير ولا أن يتأثر ولا أن يضمحل . فإذا كان يعاني أدنى واحد من تلك التأثيرات فلا يكون بعد واحدًا . لأن موجودًا يعاني حركة من أى جنس كان يتغير من حالة ما إلى أخرى . والموجود لا يمكن أن يكون شيئًا إلا الموجود . وبالنسبة الموجود لا يمكن أن يكون له حركة » .

٥

سمپليسيوس . المرجع السابق .

« ومن جهة أخرى لا شيء من الموجود يمكن أن يكون خلوا لأن الخلو ليس شيئًا . واللاشيء لا يمكن أن يكون . وإذا فالموجود لا يتحرك . لأنه مادام أنه لا خلوا فلا مكان فيه يمكنه أن يتحيز . ولكن ليس ممكناً أن يدخل الموجود في ذاته » مادام أنه يلزم على ذلك إذا أن يكون أكثر تخلُّلاً أو أكثر كثافة مما هو . وهذا ممنوع لأن المتخلل لا يمكن أن يكون مليئًا كالكثيف وما هو متخلل هو أشد خلوا مما يمكن الكثيف أن يكونه . إذا الخلو لا يوجد . للحكم على الموجود « أهو مليء أم لا فذلك يمكن معرفته بأن ينظر هل هو يمكنه أو لا يمكنه أن يقبل في ذاته شيئًا ما . فان لم يقبل فذلك بأنه مليء . وإن يقبل فذلك بأنه ليس مليئًا .

« لكن إذا لم يكن خلوف من ثم كل شيء ملئ . وإذا كان الكل مليئا فلا حركة بعد .
 « لأنه ليس ممكنا أن تقع الحركة في الملاء كما نقوله حين نتكلم على الأجسام . وأخيرا
 « فالموجود الذي هو الكل لا يمكن أن يتحرك في الموجود ما دام أنه لا شيء خارج
 « عنه ، ولا في اللاموجود ما دام اللاموجود ليس موجودا » .

٦

سمبليسيوس . الورقة ٣٤

« لإثبات أن الموجود لا يمكن أن يكون قد خلق يعتمد ميليسوس على هذه القاعدة
 « العامة : ما قد كان قد كان دائما ويكون دائما . لأنه إذا كان قد ولد في لحظة ما ،
 « فيلزم أنه لم يكن شيئا قبل أن يولد . فإذا لم يكن شيئا حينئذ فقد كان
 « الممتنع أن شيئا يولد من لا شيء » .

٧

سمبليسيوس . الورقة ٧ ، ٩ ، ٢٣

« قد وجه نقد الى ميليسوس هو أن لفظ البداية متعدد المعاني . فعوضا عن
 « أن يأخذ البداية بالإضافة إلى الزمان الخاص بالموجود الكائن أخذ البداية بالإضافة
 « الى الشيء تلك البداية التي لا يمكن أن تنطبق على الأشياء التي تتغير دفعة واحدة .
 « فلقد رأى ميليسوس ، حتى قبل أرسطوطاليس ، أن كل جسم متناه مع أنه أزلي
 « ليس له إلا قوة متناهية وأن هذا الجسم معتبرا في ذاته فهو دائما على حد الزمان
 « بحيث إنه بما أن له من جهة العظم بداية ونهاية يجب أن تكونا
 « كلتاهما له على السواء بالإضافة الى الزمان . وعلى التكافؤ : ماله بداية ونهاية بالإضافة
 « إلى الزمان لا يمكن معا أن يكون الكل . ومن أجل ذلك يسند ميليسوس برهانه إلى
 « البداية والنهاية مطبقتين فقط على الزمان . ولا يسمى بلا بداية وبلا نهاية ما ليس الكل .
 « يعني ما ليس مع العالم أجمع . وهذا لا ينطبق إلا على الأشياء التي لا أجزاء لها

« وغير المتناهية في وجودها ، وينطبق على الخصوص على الموجود المطلق ما دام
 « الموجود المطلق هو بالضبط الكل . وهاك مع ذلك أقوال ميليسوس أعيانها :
 « على ذلك ما لم يكن قد كَوْن فهو كائن دائما . وقد كان دائما وسيكون دائما ؛
 « فليس له أول ولا آخر ؛ ولكنه لا متناه . فإذا كان قد كَوْن فيكون له أول لأنه يكون
 « قد بدأ يصير في حين ما ، ويكون له أيضا آخر لأنه يكون قد انقطع أيضا عن أن
 « يصير . فإذا لم يكن قد بدأ قط وإذا لم يكن قد انتهى قط فذلك بأنه قد كان
 « دائما ويكون دائما بما أنه ليس له لا أول ولا آخر . لأن ما ليس الكل لا يمكن
 « أن يصل إلى أن يكونه » .

٨

سميليسيوس . الورقة ٢٣ .

« كما أن الموجود أزلى كذلك يلزم أن يكون عظمه أبديا لا متناهيا » .

٩

سميليسيوس . المرجع السابق .

« ماله أول وآخر لا يمكن البتة أن يكون أزليا ولا لا متناهيا » .

١٠

سميليسيوس . المرجع السابق .

« إذا لم يكن هو أحدا فهو يحد آخر » .

١١

سميليسيوس . الورقة ٢٤ .

إن لخصه ميليسوس نفسه يمكن أن تكون قديمة ولكنها ليست غامضة . وقد
 يمكننا أن نضع تحت الأنظار هذه المؤلفات العتيقة حتى يتيأ للذين يقرءونها أن
 يكونوا قضاة يحسنون الحكم في إيضاحات أضبط وأوفى . وهاك إذا ما يقول
 ميليسوس ما خصا ما قد بسطه في الماضي ومتابعا نظريته على الحركة :

« على هذا إذا فالعالم، الكل، هو أزلي لا متناه واحد ومتشابه . إنه لا يمكن أن يفنى ولا يمكن أن ينمو ولا يمكن أن تتغير صورته ولا يمكن أن يقبل ولا يمكن أن يضمحل . فإذا هو عانى شيئا من ذلك فلا يكون واحدا . وفي الحق أنه إذا صار الموجود غيراً فيلزم ضرورة ألا يكون متشابهاً ، وأن الموجود الأول يفنى وأن اللاوجود يصير . ولو افترض الكل ثلاثين ألف عام ليصير غيراً لآتهى بأن يفنى « في كل ما يلي من الزمان » .

١٢

سمبليسيوس . المرجع السابق .

« ولكن لا يمكن أن تتغير صورته ؛ لأن النظام المتقدم للعالم لا ينعدم والنظام الذى لم يكن بعد لا يتكون . ولكن ما دام أنه لا شيء يولد من جديد وما دام أنه لا شيء ينعدم وما دام أنه لا شيء يتغير كيف يمكن أن أى موجود اتفق يمكن أن تتغير صورته ؟ إنه يكون قد تحول من قبل إذا كان يمكن أن يصير غير ما هو » .

١٣

سمبليسيوس . المرجع السابق .

« إنه لا ينفعل لأن الكل لا يمكن أن ينفعل ما دام أنه لا يمكن أن شيئا قابلا يكون أزليا . ومن ثم لن يكون له بعد قوة شيء يكون في كمال الصحة . وكذلك هو لا يكون متشابهاً إذا كان ينفعل . إنه لا يمكن أن ينفعل إلا إذا فقد أو كسب شيئا . وبهذا وحده ينقطع عن أن يكون متشابهاً . كذلك ليس من الممكن أن شيئا صحيحاً ينفعل بأى ما كان ؛ لأنه حينئذ الموجود وهذا الصحيح ينعدم واللاوجود يكون . والدليل عينه الذى ينطبق على الانفعال ينطبق أيضا على اضمحلال ما للوجود » .

١٤

سميليسيوس القطعة ٩ و ١٧ و ٢٤ .

« لا شئ من الخلو موجود ؛ لأن الخلو ليس شيئاً . وبما هو لا شئ لا يمكن أن يكون . الموجود لا يتحرك لأنه لا محل يمكنه أن يستقر فيه ولكن الكل هو ملء . »
 « إذا كان خلو فالموجود يتحيز في الخلو . ولكن ما دام أنه لا خلو فلا محل يستقر فيه . ما دام الكل ملئاً فلا حركة . كذلك لا يكون لا كثيفاً ولا متخلخلاً »
 « لأنه ليس ممكناً أن يكون المتخلخل مليئاً كالكثيف سواء بسواء . والمتخلخل هو أخلى من الكثيف . إليك كيف يلزم الحكم في الملء والخلو . »
 « إذا كان شئ يتحيز أو يقبل شيئاً ما فذلك بأنه ليس مليئاً . فإذا لم يتحيز أو إذا لم يقبل فذلك بأنه ملء . إذاً ليس إلا الملء إذا لم يكن خلو . إذا كان إذاً الكل هو ملئاً فلا حركة ممكنة . »

١٥

سميليسيوس . المرجع السابق الورقة ٢٤ .

« إذا تجزأ الموجود تحرك ، ولكن حينئذ لا يتحرك كله معا . »

١٦

سميليسيوس . ما سبق الورقة ١٩

« إذا كان الموجود يوجد فيلزم أن يكون واحداً . وبما هو واحد يلزم في آن واحد ألا يكون جسماً . لأنه إذا كان له سمك كان له أيضاً أجزاء ولا يكون بعداً »
 « واحداً » .

١٧

سميليسيوس . شرح كتاب السماء . الورقة ١٧٣ .

« أوسيب وهو يستشهد أرسطوقلس (Preparation Evangelique XV) هذا هو إذاً الدليل الأقوى على إثبات وحدة الموجود . ولكن هاك من جهة أخرى أدلة

« تثبتها أيضا . إن كان موجودات متكررة فيلزم أن يكون كل واحد منها كالموجود
« الذى أثبتت وحدته . إذا كان الأرض والنار، وإذا كان الهواء والحديد، والذهب
« والنار، إذا كان الحى والميت، إذا كان الأبيض والأسود وسائر الأشياء التى يعتبرها
« الناس حقائق، هى موجودة فى الواقع كما يقال، فيلزم أن يكون كل شىء على الحقيقة هو
« ما قد ظهر لنا بادئ الأمر، وأنه لا يتغير حاله، وأنه لا يصير غيراً بل يبقى دائماً هو ما هو .
« ولكننا نعتقد فى حالة الأشياء الراهنة أننا نحسن رؤيتها ونحسن استماعها ونحسن إدراكها .
« فالحاز يظهر لنا أنه يصير باردا والبارد يصير حارا والصلب يصير لينا واللين يصير
« صلبا والحى يظهر لنا أنه يموت ويتولد ثانيا مما ليس حيا بعد، فالكل بلا استثناء يظهر
« لنا أنه يصير غيراً . ولا شىء يظهر بأنه يبقى فى الحالة بعينها التى كان فيها والتى هو فيها .
« الحديد نفسه مهما كان صلبا ينهرى بملامسة الأصبع . والذهب والمجر وأى جسم آخر مما
« يظهر لنا صلبا هكذا تأتى من الماء كما يأتى منه الأرض والمجر . وبالنتيجة يمكن أن
« يقال إننا لا نرى ولا نعرف الموجودات فى حقائقها . على ذلك فكل ذلك أبعد من
« أن يتطابق . إننا نقول حقا على بعض الأشياء إنها أزلية ومع ذلك نرى صورها كلها
« وخواصها كلها تتغير تحت أعيننا وتقطع عن أن تكون على ما قد كنا رأيناها عليه
« فى كل حالة خاصة . إذا يلزم التسليم بأننا لا نحسن رؤية الأشياء وأن ظهور الأشياء
« لنا متكررة إنما هو خطأ . لأنها لو كانت حقيقية ما تغيرت ولكنها تكون على ما يظهر
« لنا كل واحد منها أنه موجود، مادام أنه لاشىء فوق الموجود الحقيقى . ففى التغير
« قد هلك الموجود، وهذا الذى يتكون هو الالموجود . حينئذ مرة ثانية إذا كانت
« الأشياء متكررة كما يقال فيلزم أنها كانت على الإطلاق كما يكون الموجود الأحد . »

تحليل نظرية غريغياس

لسكستوس أميريكوس

"Adversus Mathematicos-logicos"

«ك ٧، ص ٣٨٥، طبعة ١٨٤٢»

قال سكستوس بعد أن أثنى على فروطاغوراس وأوتيديم وريونيسودور الذين لم يعترفوا بالموجود وبالحقيقة إلا في الإضافي :

«غريغياس الليونتيومي قد تبوأ مكانا أيضا في طائفة الفلاسفة الذين أنكروا ملكة الحكم . ولكنه لم يتخذ في هجماته الطريقة التي اتخذها فروطاغوراس . فإنه في كتابه المعنون "في الالموجود أو في الطبيعة" يقرر النقط الثلاث الآتية :

«أولا أنه لا شيء بموجود . وثانيا أنه إذا كان شيء موجودا فذلك الشيء هو غير قابل لأن يدركه الإنسان . وأخيرا وثالثا أن هذا الشيء لو كان قابلا لإدراكنا لما أمكن التعبير عنه ولا تفهيمه الغير .

«إليك كيف يثبت النقطة الأولى وهي أن لا شيء بموجود . إذا كان شيء موجودا فأنما هو الموجود أو الالموجود أو الموجود والالموجود معا . ولكن الموجود ليس موجودا كما سييسطه . والالموجود كذلك ليس موجودا كما سيبينه . وأخيرا ما هو معا موجود ولا موجود لا يوجد كما سيبينه . إذا لا شيء بموجود .

«بديهي أن الالموجود غير موجود . لأنه إذا كان الالموجود موجودا فينتج منه أنه يوجد ولا يوجد معا . لأنه من جهة أنه متصور لا موجودا فلن يوجد . ومن جهة أنه الالموجود فهو سيوجد من جديد وعلى العكس . ولكن من السخف أن شيئا يكون ولا يكون معا . إذا الالموجود غير موجود البتة . أضف إلى ذلك أنه من جهة نظر أخرى إذا كان الالموجود موجودا فالموجود حينئذ لا يوجد لأنهما على التكافؤ ضدان أحدهما للآخر ، وإذا كان الموجود يصل إلى الالموجود فالالموجود يصل إلى الموجود .

«ولكن مادام الموجود ليس موجودا فاللاموجود ليس موجودا من باب أولى .
 « على هذا أقول : إن الموجود ليس موجودا . لأنه إذا كان الموجود موجودا فإما
 « أن يكون أزليا وإما أن يكون مخلوقا وإما أن يكون معا أزليا ومخلوقا . ولكن ،
 « كما سنبينه ، الموجود ليس لا أزليا ولا مخلوقا ولا كليهما معا . أقول : إذا إن
 « الموجود لا يكون . لأنه إذا كان الموجود أزليا ، مادام أنه يجب الابتداء بذلك ،
 « فليس له أول وكل ما يولد له أول . والأزلى بما هو لم يخلق لا يمكن أن يكون له
 « أول ما . وبما هو ليس له أول فهو لامتناه . وبما هو لامتناه فليس في أى مكان ما .
 « وفي الحق أنه إذا كان في مكان ما فيلزم أنه كان موجود آخر غيره وفيه يوجد .
 « وإذا كان الموجود محويا هكذا في شيء ما فلا يكون بعد لامتناهيا مادام أن
 « الحاوى هو أكبر من المحوى . ولا يمكن أن يكون شيء أكبر من اللامتناهى .
 « إذا اللامتناهى ليس في حين ما .

«ولكن اللامتناهى لا يمكن أن يكون كذلك محويا في ذاته لأنه إذا يكون المحل
 « والحال يشتهان ويصير الموجود اثنين : المحل أولا ثم الجسم ، فإن ما فيه الجسم
 « هو الحيز وما في الحيز هو الجسم . ولكن هذا سخف . وبالنتيجة فالموجود
 « ليس كذلك حالا في ذاته . وبالنتيجة أيضا إذا كان الموجود أزليا فهو لا متناه .
 « وبما هو لا متناه فهو ليس في أى حيز . وبما هو ليس في حيز فهو غير موجود . إذا
 « كان إذا الموجود أزليا فلا يمكن أن يكون له كذلك أول .

« ومن جهة أخرى الموجود لا يمكن كذلك أن يكون قد خلق . فاذا كان
 « بالمصادفة قد ولد فيجب أن يكون قد أتى من الموجود أو من اللاموجود . ولكنه
 « لا يمكن أن يكون قد أتى من الموجود لأنه إذا كان الموجود موجودا فذلك بأنه
 « لم يكن قد ولد وأنه موجود من قبل . ولا من اللاموجود مادام اللاموجود لا يمكن
 « أن يكون شيئا ما أيا كان مادام أن ما هو قادر على أن يكون شيئا يجب بالضرورة
 « أن يكون قد شارك في الوجود . إذا فالموجود لا يمكن أن يكون قد خلق .

«وقد يُثبت بالأدلة عينا أن الموجود لا يمكن أن يكون الاثنين معا . أعنى
«أزليا ومخلوقا معا . وفي الحق أن هذين المعنيين يتفاسدان . وإذا كان الموجود
«أزليا فهو لم يولد . وإذا ولد فليس أزليا . حينئذ مرة أخرى ، الموجود بما هو
«لا أزلى ولا مخلوق ولا الاثنان معا فذلك بأنه لا يوجد البتة .

«دليل آخر : إذا كان الموجود يوجد فهو واحد أو كثرة . ولكن الموجود ليس
«واحدا ولا متكاملا كما سنرى ذلك . ومن ثم فالموجود ليس البتة . فإذا افترض
«واحدا فهو إما كم وإما متصل وإما عظم ما وإما جسم . ولكن ماهو في أى مما من
«هذه الأحوال ليس بعد واحد . وفي الحق أنه إذا كان الموجود كما فيكون منقسما .
«وإذا كان متصلا فيمكن فصله . وإذا افترض له في الذهن عظم فلا يكون بعد غير
«منقسم . وإذا ذهب إلى حد أن يجعل جسما فإذا يكون له الأبعاد الثلاثة ، وبعبارة
«أخرى يكون له طول وعرض وعمق . ويكون مما لا يستطيع تأييده أن يدعى
«أن الموجود ليس على الإطلاق شيئا من ذلك كله . وإذا فالموجود ليس واحدا .
«أقول : إن الموجود ليس كذلك متكاملا لأنه ما دام ليس واحدا لا يمكن بعد
«أن يكون كثرة . وفي الحق أن كثرة لا تتألف إلا من تركيب الوحدات . ومتى
«نفيت الوحدة انتفت الكثرة حتما .

«حينئذ على ما تقدم كله يرى جليا أن الموجود ليس أكثر وجودا من اللاموجود .
«ويمكن أن يستنتج منه أن الموجود ليس كذلك الموجود واللاموجود معا . إذا
«كان الموجود ، في الحق ، هو ما يوجد وما لا يوجد حينئذ اللاموجود يتحد مع الموجود
«في أمر الوجود . ومن ثم لا يوجد لا أحدهما ولا الآخر . فأما أن اللاموجود
«لا يوجد فهذا موضع اتفاق جميع الناس . ولكن قد قرر آنفا أن الموجود يتماثل مع
«اللاموجود . فالموجود إذا ليس يوجد كذلك . ولكن إذا كان الموجود مماثلا
«للاموجود فلا يمكن أن يكون الاثنين معا . فإذا كان الاثنين معا فلا يكون
«مماثلا وإذا كان مماثلا فلا يكون الاثنين . وينتج منه أن الموجود هو لا شيء .

«لأنه إذا لم يكن لا الموجود ولا الالموجود ولا كليهما، ولا شيء وراء ذلك، فذلك بأن الموجود ليس شيئاً .

«الآن يلزمنا أن نوضح أنه إن كان من شيء فذلك الشيء غير معروف للإنسان وأن عقله لا يمكن أن يفهمه . يقول غريغاس : إذا كانت تصورات عقلنا ليست موجودات فالموجود لا يمكن أن يتصور . وذلك بسيط كل البساطة . وفي الحق ، كما أنه إذا كانت الأشياء التي نتصورها بيضاء هي في الحقيقة متصورة بيضاء فكذلك الأشياء المتصورة ليست موجودات ، فينتج منه بالضرورة الحتمية أنه لا يمكن أن نتصور موجودات حقيقية . وهذا دليل صحيح تام الصحة ومنتج جد الإنتاج . «فاذا كانت الأشياء المتصورة ليست موجودات فالموجود لا يمكن أن يتصور . «الأشياء المتصورة ليست موجودات كما سنقرره . وذلك فرض أول ينبغي التسليم به . إذاً الموجود ليس متصوراً . فأما أن الأشياء المتصورة ليست موجودات فذلك ما هو بين بذاته . لأنه إذا كانت التصورات هي الحقائق «فحينئذ كل ما يتصور يوجد وعلى الوجه الذي تُصور به أيا كان هذا الوجه . وهذا هو سخيف بالبدهة وافترضه غير معقول بالمرّة . مثال ذلك : إذا شاء المرء أن يفترض إنساناً يطير في الأجواء وعربات تدرج على الأمواج ، فلا ينتج من ذلك وحده أن الإنسان يستطيع أن يطير والعربات تدرج على أمواج البحر . على هذا فالتصورات التي نتصور ليست حقائق .

«يلزم أن يزداد على هذا أنه إذا كانت الأشياء المتصورة موجودات فينتج منه أن الأشياء التي ليست موجودة لا يمكن أن نتصور . لأن الخواص المتضادة تتعلق بالأضداد . والالموجود هو نقيض الموجود . فاذا كان إذاً الموجود يمكن أن يتصور كما قد يعتقد فينتج منه أن الالموجود لا يمكن أن يتصور . وهذا سخيف . لأن الإنسان يتصور "سيلاً" و"الشييمير" وأشياء شتى أخرى ليس لها وجود ما . «إذاً الموجود ليس متصوراً . وكما أن الأشياء المرئية هي بذلك يقال عليها إنها قابلة لأن ترى وأن الأشياء المسموعة يمكن أن يقال عليها إنها قابلة لأن تسمع لأن

«الإنسان يسمعها وأن المرء لا ينكر الأشياء المرئية لأنه لا يسمعها كما أنه لا ينكر الأشياء القابلة لأن تسمع بحجة أنه لا يراها فان كل واحد من هذه الأشياء يجب أن يحكم عليه بحاسته الخاصة لا بحاسة أجنبية ، كذلك الأمر في الأشياء المتصورة لأنه لا يمكن أن تُرى بالنظر ولا أن تسمع بالسمع ما دام أنها مدركة بالحاسة الخاصة بها . وبالتبع إذا كان امرؤ يتصور العربات تدرج على المياه ولا يراها فلا يلزم منه إنكار أن العربات تدرج على الماء . ولكن هذا سخف . وإذا فالموجود ليس متصورا ولا يمكن أن يفهم .

«ولكن بافتراض أنه يفهم فلا يمكن نقله الى الغير . وفي الحق أن الموجودات التي يمكن للمرء أن يراها وليسمعها وعلى وجه العموم أن يحسها هي مفروضة خارجة عنا ومن بينها المرئيات مدركة بالنظر وما يمكن سمعها مدركة بالسمع دون أن يكون البتة عكس ممكن ، فكيف يمكن حينئذ التعبير عنها للغير . وفي الواقع أن طريقة الإيضاح التي عندنا هي الكلام ، والكلام ليس هو الأشياء نفسها ولا الموجودات . إذا ليست الموجودات هي التي نعبر عنها للغير بل هو الكلام وحده الذي هو على الإطلاق خلاف الحقائق أعينها . وإذا فكما أن المرئي لا يمكن أن يصير قابلا لأن يسمع وعلى التكافؤ ، فكذلك الموجود المفروض أنه خارج عنا لا يمكن أن يصير هو كلامنا . وبما أن الكلام ليس موجودا فليس من الممكن التعبير عن شيء ما للغير . وفي الواقع أن المقالة — كما يقول غريغاس — لا تتألف إلا من أشياء خارجية تأتي فتقع في ذهننا أعني أشياء تدركها حواسنا . وعلى هذا فعلى أثر تسلط ذوق ما في الأشياء المذوقة يتكون عندنا الكلام الذي نعبر به عن هذا الكيف الخاص . وتبعاً لتدخل اللون يتكون الكلام الذي نعبر به عنه . فإذا كان هذا هكذا فليس الكلام هو الذي يمثل ما هو في الخارج بل هو الشيء الخارج الذي يعين الكلام . لا يمكن أن يقال : إن الكلام هو على الوجه الذي عليه الأشياء المرئية أو المسموعة بحيث إن الكلام بافتراضه يمكن أن يستدل به على الموجودات والموضوعات

«الخارجية . يقول غريغاس : لأنه إذا كان الكلام هو أيضا موضوعا فهو يختلف بالأقل عن جميع الموضوعات الأخرى . ومثال ذلك أية مسافة لا تكون بين الأشياء المرئية وبين الكلمات التي تعبر عنها؟ وفي الحق أنه إنما يختلف العضو الذي تدرك به الأشياء المرئية والذي يدرك به الكلام الذي يعبر عنها . وعلى ذلك فالكلام لا يمكن أن يبين الجزء الأعظم للأشياء الخارجية بذواتها، كما أن أكثر الأشياء لا يمكن على التبادل أن يبين بعضها طبع البعض الآخر .

« تلك هي أدلة غريغاس التي هي على قدر قيمتها تفسد كل مقياس للحق ، لأنه ليس بعدد من مقياس مادام أن الموجود ليس موجودا، وأنه لا يمكن أن يعلم ، وأنه ليس قابلا لأن يُنقل علمه إلى الغير .

راجع أيضا Hypotyposes pyrrhoniennes ك ٢ ب ٦ ف ٥٧ و ٥٩

و ٦٤ — ص ١٣٤ و ١٣٦ من طبعة سنة ١٨٤٢



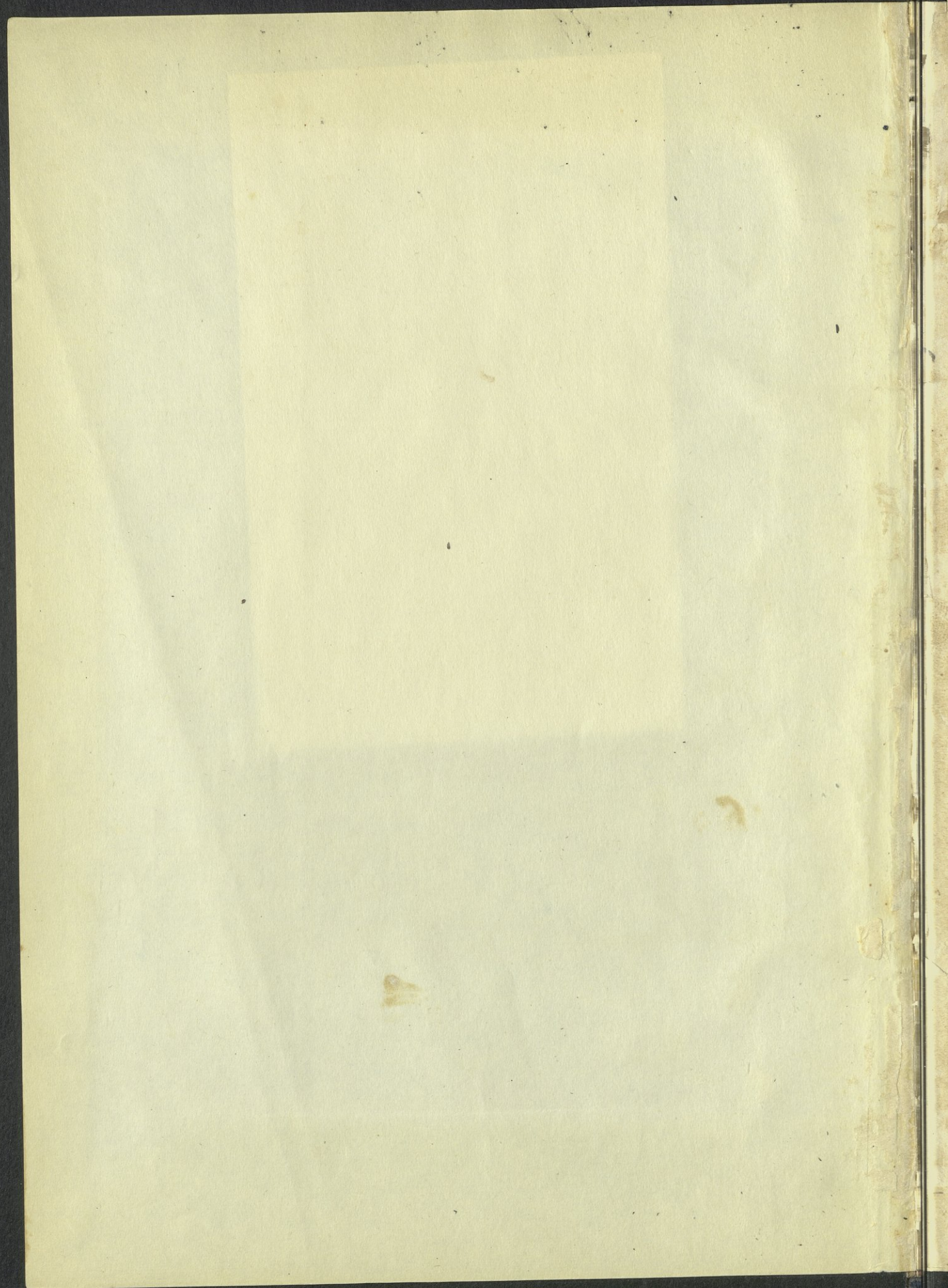
وكان تمام طبع هذا الكتاب بمطبعة دار الكتب المصرية في يوم السبت ٢٧ شوال سنة ١٣٥٠ (٥ مارس سنة ١٩٣٢) ٦

محمد نديم

ملاحظ المطبعة بدار الكتب المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٦١٧ / ١٩٢٨ / ١٥٠٠)





DATE DUE

888.5:A71kA:c.1

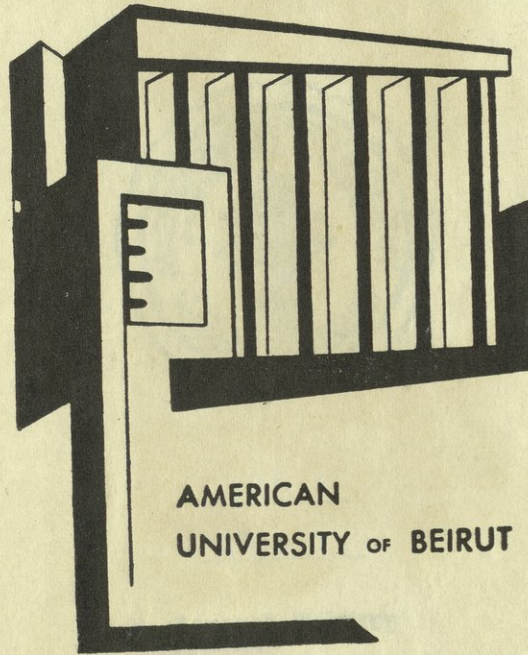
ارسطوطاليس

الحكون والفساد

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01032038



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

